

هكذا عرفتمونا

هو اطرعه اناس افراد عاشوا بعض
الاصيان لغيرهم اكثر مما عاشوا لانفسهم

الجزء الاول



مكتبة بيتنا الجواد خير العباد
مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني

المستطال
المنشور سنة ١٣٦٠ - ١٩٤١
مخزن الكتب المطبوعة - العراق

هكذا عرفنا

خواطر عن اناس افداذ عاشوا بعض
الاجيان لفهم اكثر مما عاشوا لانفسهم .

الجزء الاول:

تأليف
جعفر الخليلي

١٩٦٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ردمك الجزء الأول : ٠ - ٠٠٨ - ٥٠٣ - ٩٦٤

ISBN : 964 - 503 - 008 - 0

ردمك الدورة : ٣ - ٠١٥ - ٥٠٣ - ٩٦٤

ISBN : 964 - 503 - 015 - 3

الكتاب : هكذا عرفتهم / ج ١

المؤلف : جعفر الخليلي

الناشر : انتشارات المكتبة الحديدية

عدد الصفحات والقطع : ٤٠٠ صفحة وزيري

عدد المطبوع : ١٠٠٠ جلد من الجزء الأول

الطبعة : الأولى

سنة الطبع : ١٣٨٤ - ١٤٢٦ هـ

المطبعة : شريعت

سعر الدورة الواحدة (١ / ٧) : ٣٠٠٠ تومان

هَذَا عَرَضٌ لَهَا

هذا عرض موجز لجانب من حياة بعض الاشخاص الذين كان لهم ذات يوم بعض الشأن فى الحياة العامة والخاصة أو هو فى الواقع عرض موجز لبعض ما اختفظت به الذاكرة عن بعض من عرض لى فى طريق الحياة وكيفية تعرفى بهم وماهية هذا التعرف ولونه، وهو لون من الادب والتاريخ المبكر ، وليس من الغرور ولا التشدق ان اقول انه لون قائم بنفسه ، واتى لم اجاز فى عرضه احدا من قبل ولم يسبق لى ان قرأت عرضا على هذا النسق يجمع بين الادب والتاريخ ، ويربط بين النواحي الخاصة والعامة ، جمعا وربط لا تكاد تبين او لانكاد تمزل ما يخصك منه وما يهتك وما يخص اصحابه وما يهمهم ، وما يخص الناس ويعنيهم .

والواقع انى لم احس بانى بدأت اكتب شيئا جديدا مبتكرا يحسن ان تكتب به التراجع وتوضع على نمطه الاحاديث حتى نبهنى الى ذلك عدد من الادباء ، وحتى صار يسألنى الكثير حين يتوفى الله شخصا من معارفى عما اذا كنت ساكب عنه كلمة من هذا القليل ؟ والذى زادنى يقينا بان الذى كتبه كان نوعا جديدا : هو ان بعض الذين تلذذوا به لم يكن لهم باى وجه اى اتصال او معرفة سابقة بمن تحدثت عنهم ، وقال لى هذا البعض - ان حقا ام باطلا - ان هذا العرض على رغم كونه يخص جماعة عاشوا فى جهة معينة ، وفى محيط خاص وعلى رغم انه جانب من تاريخ معرفتى انا بحفنة من الرجال ، لقد قال لى هذا البعض ان ذلك لا يقلل من شأنه

كأدب جديد يلذ اي قارىء عربى فى أية بقعة من البقاع ان يقرأ سواء عرف
المحدث والمحدث عنه ام لم يعرفهما •

وسواء صح هذا الذى قيل ام لم يصح فقد وجدتني أو من بعض الايمان
بصحته ، واتقدم لجمع ماتاثر منه هنا وهناك فى هذا الكتاب على اعتباره عرضا موجزا
غير كامل لبعض من عرفت من الاشخاص الذين صادفتهم فى حياتي ، اقول عرضا
غير كامل لانه ما من شخص - ممن ذكرته هنا - الا وكان الذى اعرفه عنه اكثر
مما ذكرته وقد اضطررت بل واضطرتني ما تبانى عليه الناس واصطلحوا عليه:
بان (ليس كل ما يعرف يقال) اجل اضطرتني هذا الى ان اقتصد فى القول الذى حسبته
مستساغا ، واوردت بعض ما عرفت عن بعض من عرفت ، فان صح انتي قد جئت
بشئ جديد من الادب فى سياق الترجمة وكيفية العرض فضلا عما تضمن الكتاب
من الوقائع التاريخية والادب الذى قد ينطبق عليه قول حبيب جاماتى (تاريخ ما اهمله
التاريخ) - اقول ان صح هذا ، فهو المقصود ، والا فلست بأول من ظن انه فاعل
شيئا بينما هو لم يقدم شيئا ولم يؤخر •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بغداد - كرامة مريم



المؤلف

السيد مير علي^(١)

كنت ابن عشر سنوات او اكثر قليلا حينما كنت اختلف الى مدرسة اسرتنا الدينية المعروفة بمدرسة الحاج ميرزا حسين الخليلي في النجف لاحمل الى اخي الاكبر الطعام والالبسة او بعض الحاجات فقد كان اخي يقيم في احدى غرف الطابق الاعلى من هذه المدرسة ولا يتركها الا حينما تضطره الحاجة الى الخروج لزيارة أحد او حضور البحث ، او الذهاب الى البيت . وكنت ارى - في جملة من ارى بين اسبوع واسبوع أو يوم ويوم من طلاب الدين الداخلين الى المدرسة والخارجين منها ، المنكين على المطالمة والجالسين القرفصاء في زاوية من الايوان ، او ركن من الاركان ، ليدخنوا غليوناً ، او ليسرحوا الطرف في الافق او ليتناقشوا في مواضع دروسهم مناقشة تكون فائرة حيناً ، وحادة في اكثر الاحيان - اجل لقد كنت ارى بين هؤلاء الطلاب بمختلف صورهم سيدي في المقعد الثالث من العمر ، اسمر اللون ، خفيف اللحية ، ربح القامة تملو رأسه عمة سوداء قد تكون اكبر عمة رأيتها على رؤوس اقاربه وزملائه الطلاب ، وهو يرتدى ثياباً مترفة تدل على تأنق باعتدال ، ويحتذى جورباً ابيض ، ونملاً اصفر من النوع الجيد ، وهو يتحرك باتزان ، ويخطو باتزان ، ويتكلم بصوت هادىء في نبرات موسيقية جذابة ، ولست اذكر الآن متى القيت النظرة الاولى عليه وكيف؟ وكلما اذكر هو اننى رأيت في هذه المدرسة وفي غرفة اخى ثم في منزلنا وقد دعاه اخى لتناول العشاء مرة او غير مرة وهناك عرفت انه السيد مير علي ابو طيبخ .

(١). الهاتف السنة (٨) العدد ٣١٨ الجمعة ٢٥ كانون الاول ١٩٤٢ ومن هذه الكلمة انتزعت مقدمة ديوان (الانواء) . للسيد مير علي ابن طيبخ .

ومرت الايام سراعا وغادر اخي النجف هاربا من وجه السلطة الانكليزية ولم
تعد تلقني رجلاى الى المدرسة ، ولا المرور عليها على رغم وجود اقارب لى فيها ، وعلى
رغم كونها مدرسة الاسرة ، وذلك لان بيتنا يقع فى طرف آخر من هذه المحلة ،
ولانى اصبحت غير ملزم بنقل الطعام او الحاجات الاخرى لاحد آخر ، او قل انى
كبرت فلا يسوغ لاحد اقربائى ان يسخرى لى مثل ما كان يسخرنى اخى قبل هربه ،
ولم اعد ارى السيد مير على الامام ، وفى فترات قصيرة ، فى الطريق ، او فى الصحن
الشريف ، فلا تزيد تلك الفترات على الفاء السلام منى عليه وتلقى الجواب منه بشيء
من الاعتداد بالنفس ، او عدم المبالاة ، حتى لقد حسبه غير مرة كثير الرضا عسن
نفسه ، عظيم الاعتداد بها ، فلم اشعر نحوه بما كنت اشعر به من ميل نحو اصدقاء
اخي الذين ما اتقوا بى مرة حتى سألوني عن اخبار اخى وشؤونه ، او راحتى انا
وشؤونى ومع ذلك فقد كنت احترمه كثيرا ، وابلغ فى احترامه كلما التقيته فى
الشارع ، او فى مجلس ، فالتقى عليه السلام كما يلقيه شبابنا الصغار على علماء الدين
الكبار ، ويرد هو على السلام كما يرده اباؤنا على ابنائهم ، ثم يمر زمن آخر فالتقى
نفسى وقد انتقلت من دور الى دور قد لا تكون له بالمضى اية علاقة او اى اتصال ذلك
هو دور الشباب الذى اذا اجتازه الشباب بسهولة فلن يستطيع ان يجتاز زهوه
وعزوره وكبرياه بتلك السهولة ، فاجدنى معترا مغرورا بكلمتين تعلمتهما من
النحو والصرف ، وآخرين من المنطق والمعاني والبيان ، وثالثة بما بقى فى ذهنى
او استعدته فى ذاكرتى من دروس المدرسة الحديثة ، فاذا بى شامخ بعض الشموخ ،
واذا بى وانا التقى السيد مير على مرات فاصفح عنه دون ان احيه او اسلم عليه كان
ليس لآخى حرمة فى نفسى ، وكان ليس لاصدقائه اثر فى ذاكرتى ، ويبدو لى ان
هذا السلوك منى قد لفت نظره الى فلم يلاق عنده القبول ، او انه عز عليه ان يرى
اخا صديقه جافيا ، قاليا ، خارجا على الادب .

وذا بت يوم وانا ادخل مجلسا من مجالس النجف المكتظة بالفضلاء والادباء
لفت نظرى ازدحام صفوف الجالسين فاهم بالجلوس فى مكان قصى من الحضار وقد

احسست بالخجل يستحيل الى قربة من العرق البارد ، واذا بصوت من صدر المجلس وبكل لطف واحترام يدعوني الى الجلوس عنده وما كادت تحين التفاتى الى مصدر الصوت حتى رأيت السيد مير على واقفا ، ومفسحا لى فى المجال ، واذا بى اجلس اليه جنبا الى جنب فيسألنى عن حالى ، ويسألنى عن اخى ويكثر من السؤال والاستفسار ، ويقص على قصة كان لها مغزى عظيم فى عالم المرور والكبرياء فالتقاها صدمة عنيفة منه كانت بمثابة قرص الاذن ، كما كانت السبب المباشر لان يثوب الى رشدى قبل اوان ثوبانه عند الشباب ، فعدت كلما رأيت انقى له اسنى التحيات واعطرها ، فيقبلها قبولا حسنا ويرد عليها باحسن منها ، فصرت ارى فيه رجلا غير الذى ظننت ، وارى قلبا غير الذى حسبت ، واشعر بجاذبية تجذبني اليه ، وتحببه الى نفسى على رغم تباين هدفى وهدفه ، وسلوكى وسلوكه ، ووجدتني اذكره بشيء من الارتياح فى كثير من المناسبات الادبية ولم يمر بعض الزمن حتى اشتدت بيننا اواصر المودة وحتى بدأت ارى فى شخصه الرجل الطيب المغمم باسمى المواطن نحو البشرية وارى فى احاديثه اصدق الدعوات لانتشال الانسان من هوة الوحشية وارى فى حركاته وسكناته شيئا غير قليل من المثالية فاعجب به غاية الاعجاب ، واكبره غاية الاكبار ومع ذلك كله فلم تكن لى به تلك الصلة التى تخولني ملازمته ملازمة اخى أو اى صديق اخر ، فهو قد توغل فى دراسة الفقه والاصول والحكمة ومقتضيات الدين والآخرة ، وانا توغلت فى (السطوح) ومقتضيات الدنيا لحد اذا لم يكن بعيدا فهو حد فاصل بين غايتى وغايتيه على الاقل ، فكان التقاؤنا مقتصرًا على الصدف من غير ميعاد وعلى المنتديات والمجالس العامة والخاصة بحيث لم تزد مدة هذا الالتقاء او المقابلة على نصف ساعة على الاكثر فلا اغادره بعدها الا وانا مغمور ومسحور بعقله وحديثه واهدافه ، ولا اراه الا وانا مشتاق للاستزادة من تلك

الذهنية الفياضة ومن ذلك القلب النابض بحب الانسانية والفضيلة •

وفى اثناء السنة كنت احس بخلو مكانه فى المجالس والمنتديات زمنا قد يطول حينًا ، وقد يقصر حينًا آخر ، فاعلم انه يقضى بعض ايام عطلاته عند قسم من اعمامه

فى (غماس) او عند القسم الاخر من اعمامه فى (الطابو) فقد كانت المودة بينه وبينهم على غاية الصفاء ، وكانت عنايتهم به مفرطة وهو يكاد يذوب فى حبهم ، فلا تحين عطلة الدرس حتى يخطف الى زيارتهم ويقضى شطرا من الوقت فى ربوعهم ثم لا تكاد تنتهى ايام العطل حتى يعود الى التجف ليواصل درسه وبحثه .

وطالت ذات سنة غيبته فلم أسأل عنه حاسبا لتعلق اعمامه الشديد به وتعلقه الشديد بهم كل الاثر فى تلك الغيبة الطويلة ، ولكن غيبته قد طالت كثيرا ، وتجاوزت حد الحسبان ، وحينئذ علمت بانه مريض ، وانه يشكو وجما حادا فى مفاصله ورجليه وان المرض قد ائزمه البيت فلم يطق الخروج منه ، وبعد شهر او اكثر من ذلك التقيته فى الشارع بشيء كثير من الالفة والسؤال عن الحال والعاية ، وسررتنى كثيرا ان اجده منهلا ، ومكثرا من الحمد لله كلما كررت عليه السؤال عن الكيف والاستفسار عن الصحة

ومر زمن اخر ، علمت ان مرض الروماتزم قد عاوده ، وان رجليه اصبحتا لاتطيقان النهوض به بدون واسطة ، وانه قد اضطر الى مراجعة الاطباء ببنداد كما اضطر الى السفر (لحمام العليل) فى الموصل وانه لم يترك وسيلة من الوسائل الحديثة دون ان يتمسك بها فى شفائه فلم يجده ذلك شيئا ، فراح يلتمس شفاءه فى وصفات المجريين والمعجزات حتى لقد جرب الف صنف وصنف من العقاقير المألوفة فلم يحصل على فائدة ، وشاء الله ان تقف رجلاه عن الحركة فوقفتا ، وان ينفض يديه من كل رجاء فنفض يديه ، وان يقتعد جانبا من البيت لاينتقل من مكان الى اخر الا بحمله على الاكاف فاقعد ، وان تظل اعصابه مرهقة الحس تشمر بالاجوع حينما بعد حين فظل كذلك . اما الشيء الذى لم يشأ الله ان يسلبه اياه فهو الابشامة المرتمسة على ثفره والصبر الذى يضر وجوده .

ولم يجانب السيد احمد الموسوى الهندى الواقع حين رثاه بقوله :-

حوشيت لم تجزع . ولا طول السقام زعزعك

قالوا شن للضنا فهل وساد سمك ؟

أسهرك المجد وما سقم أفض مضجك
يا بطل الصبر الجميل أى قسرن صرعتك ؟
يا ذاهبا بالصبر محمود التنا قد رجعت

اجل لقد وقفت حركة رجليه ونم يبق ما يدل على وجود الحس فيهما غير
اوجاع شديدة طالما أفضت مضجعه فلأزم البيت كسيحا مقعدا لايجد عن مقعده
قيد شبر الا بمشقة كبيرة ، وجهد عظيم ، وراح اصداقؤه يزورونه صباحا ومساء
ويقصدونه كلما افتقدوه وشعروا بفراغ محله فى منتدياتهم ، وحلقات دروسهم ،
وكل زائريه من اوثك الذين قطعوا واياء شوطا كبيرا من مراحل العلوم والبحوث
الدينية ، فكانت هذه الزيارات التبادلية المتصلة سبب مشقة له أكثر مما كانت سبب
سلوى ، لاسيما والرجل مقعد لايطيق ان يستغنى بنفسه فى خدمة نفسه ، ولو ترك
الامر له لظل فى قيد لانفصام له ، وعذاب لا انتهاء له ، من كثرة الداخلين عليه
والخارجين منه ، ولكن طائفة من اخواله آل الشيخ راضى واصدقائه المتقائين فى حبه،
والمفكرين فى راحته وهنائه ، قد وقفوا سدا فى وجه الزائرين وخصصوا لزيارته
يوما واحدا فى كل اسبوع وهو يوم (الاربعاء) واعلنوا ذلك للجميع دون ان يهتموا
برضاه او عدم رضاه وصار يوم الاربعاء من كل اسبوع يوما يفتح فيه الباب على
مصراعيه لاصدقائه ومعارفه والمجيبين به ، واصبح يقضى كل ايام اسبوعه هادئا
بعض الهدوء ، ساكنا بمض السكون ، يقطع شطرا من النهار فى مطالعة كتب الفقه
والاصول والحكمة ويقطع الشطر الاخر منه فى قراءة بعض مؤلفى المصر كالرافعى
والمقاد ، والدكتور طه حسين ، وهيكل ، قراءة دقيقة وبذلك استيقظت موهبته
الادبية فى نفسه وتبتهت ملكته الشعرية وكان قعوده فى البيت اول مرحلة لمزاوته
الشعر .

نعم انه كان يفهم الادب فهما جيدا وقد جرب غير مرة نظم الشعر فافلح ،
وتليت له بعض قصائده من قيل ، كما انه كان يحسن نقد الشعر واتقاه ارق معانيه
ولكنه ما كان ليتخذ منه وسيلة تسلية ، ولم يشتهر به الا يوم قعد به المرض ، والا

يوم تفرغ من تبعات المجتمع وتقاليدہ ، فخلا بنفسه ليقراً ويتأمل ، حتى اذا مل القراءة ، وسأم التأمل ، عمد الى النظم يعبت بقوافيه واوزانه عبث الباطر اللامى ، واذا بهذا العبث المقصود يجره الى نتيجة غير مقصودة ، ويخرج منه شاعرا من طراز خاص فلا يترك مناسبة تمر دون ان يصور فيها خاطرة من خواطره الشعرية فيقول عن كساحه وحمله على الاكثاف مثلا :

أفت أن تصافح الارض رجلى فاستوت فى منابر الاكثاف
فكأنى وقتت فهسا خطيبا او كأنى فى القوم (عد مناف)
ويكتب لصديق له معتذرا ويقول :-

هذا كتاب الله فينا ناطق لسانه : ليس على المرضى حرج
وقد شهدتم مرضى وحرجى فأسأل الله الشفاء والفسرج

اجل لقد مضى يتخذ من الشعر وسيلة للتعبير عن خواطره وخواجه ، ويصور فيه لحد ما افكاره ، وجدته ، وهزله ، ولم يعد يوم الاربعاء مقتصرا على زيارته فحسب ، وانما صار يوما يتنافس فيه البعض من حضاره فى الآراء والافكار ، ويتنافر فيه الادباء بالشعر والنثر ، فيسمعون منه منظومه ومنثوره ، ويرددون على مسامعه اصدااه وما يعلق فى نفوسهم ، وطابت هذه المجالس ، ولذت احاديثها فى افواه زملائه واصدقائه من علماء وادباء ومحبين ، فمضوا يسمعون لاستغلالها فى مجالس خاصة تقتصر عليهم وحدهم واقترحوا ان لا يتركوا دار السيد مير على نهار الاربعاء مع من يتركها من بقية الزائرين ، وان لا ينصرفوا عندما يحين وقت الانصراف فاذا ما جان الظهر حمل كل فرد من هؤلاء الاصدقاء غداه الى بيت السيد مير على ، ودعا هو بفدائه ، فكانت من كل ذلك مائدة واحدة وقد اطلق على طائفة خاصة من هؤلاء الاصدقاء اسم (الصفوة) كان منهم الشيخ حسين الحلى ، والسيد على بحر العلوم ، والشيخ محمد حسين المظفر ، والشيخ محمد جواد الحجامى ، والشيخ محمد حسين الجواهرى ، والشيخ كاظم على بيح ، وحضر هذا اليوم غير مرة ، الشيخ عبدالحسين الحلى والشيخ محمد حسن حيدر وغيرهما ، وحرصت هذه

الصفوة كل الحرص على ان تجعل من يوم الاربعاء بعد انصراف انزائرين يوم
متعة ولذة ربما كانت تتجرد فيه من قيود المجتمع ، ليواجه بعضها بعضا بحقيقته ،
وبذاته ، ومبازله ، ولم يكن هذا التجرد عن القيود والسلاسل والظهور بالحقيقة
المطلقة من قبل (الصفوة) غير الافساح فى المجال لانفسهم ليضحكوا ماشاء لهم
الضحك ، وليعلقوا على الاخبار الادبية والمقاطع الشعرية بما شامت لهم الحرية
والفكاهة ويعطوا لانفسهم التمتع الكاملة فى الاكل حتى وان جاءت هذه التمتع عند
الصفوة عن طريق اختطاف اللقمة من فم صاحبها ، أو الاسراع بانتزاع اللحم من
الحساء ، وحرمان الآخرين منه ، او بمهاجاة شعرية مستملحة مقبولة تتجاوز
المشرات من ابيات الشعر المرتجل الهازل ، الى غير ذلك من اللذة البريئة التى
تشدها نفوس ادياء تمبوا على انفسهم بمض الثمب ، وعلى هذا فقد يتغير مجلس الواحد
من الصفوة عدة مرات ، فحين يكون الى جانبك فى هذه الدقيقة لا يلبث ان يكون
فى طرف بيد الى جانب شخص آخر فى الدقيقة الثانية ، اما الذى لا يتغير مجلسه ،
وحدثه ، ولون وجهه ، فهو السيد مير على وحده ، وقد اعتاد ان يضحك كثيرا
لنكت الزمرة ، اما نكته هو فقد اعتاد ان يرسلها هادئة بغير ضحك ونكتها على الطالب
تكون من النكت المبكرة الحارة ، وانى لا ذكر يوما من ايام مرح الزمرة حول
الخوان وقد انقلبت دلة القهوة على الكتب وتسربت نار الموقد الى الفراش فاحرقته ،
وادى عمل اخماد النار واطفائها ومزاح الصفوة الى نوع من الفوضى كان مسن
جرائه أصطدام جبين السيد مير على با (المنقل) الحديدى عقوا .

نعم انى لا ذكر ذلك اليوم واذكر تلك الابتسامة التى ارتسمت على ثغر السيد
مير على واذكره حينما التفت الى الجميع قائلا - اشهد انه لا يلىق بمثل هذه الفوضى
التى جثم بها غير بيت من شعر (الابودية) العامى ، فمن منكم يجيز هذا الشطر :

(جماعته باكلهم كسفونه)

فضحك الجميع واجازوا البيت حتى جعلوه عشرين شطرا وليس ثلاثة شطور
كما هى القاعدة فى نظم (الابودية) ، والتفت فاذا بكدمة وتوه بحجم الجوزة تلو

جيبه من اثر الاصطدام ، .. ولكن هل تغير وجهه ؟ هل تكرر لجلسائه ؟ وهل قال شيئا ؟

وشاع مجلس (الاربعاء) باحاديثه وأدب (الصفوة) وشمرهم ، وظرفهم ، ومبازلهم فى مجالس النجف ومنتدياتها ، واصبح الاستقراء والاستسناخ والمساجلات فى الشعر وتبادل النكات وابتكار الملعخ والفكاهة كشيء ملتصق بنادى السيد مير على الادبى أو باسمه على الاصح ، حتى صار الكثيرون يحيلون النقاش والاختكام فى بعض المشاكل الشعرية والمساجلات الادبية ليوم الأربعاء ، ولجلس السيد مير على وكثيرا ماتكون هذه المشاكل من التعقيد بحيث تستمعى الاجابة عليها سريعا ، وتتطلب ان يتاولها من يحضر منتدى الأربعاء من العلماء الذين لم يدخل ناديه منهم فى صباح الأربعاء ، وطلما اختير السيد مير على حكما مطلقا فيما اختلف فيه من بعض الاراء وبعض الافكار الادبية ولست انسى تلك الحلبة الادبية التى اشتركت فيها طائفة من الادباء بالاراجيز حتى كانت منها مجموعة بلغت اثنتى عشرة ارجوزة طويلة وقد كتب لى انا ان اكون احد المشتركين بها فى وليمة غداء فاخرة اقامها الشيخ قاسم محبى الدين فى بيته ، اقول لست انسى تلك الحلبة الشعرية التى انتهت بمعركة ادبسية اضطرت البعض الى اختيار حكم يضع حدا نهائيا لتلك المعركة فوقع الاختيار بالاجماع على السيد مير على ورفعت اليه تلك الارجازيز ومعه كتاب موقع عليه من قبلهم وهم يلتمسون صدور حكمه فى هذه المعركة العنيفة وكان ان صدر حكمه فى ارجوزة شعرية تجلت فيها قوة الشعر كما تجلت خفة الروح والدعابة التى قلما خلا منها ارباب الذوق والنفوس المتفتحة ، وكانت الارجوزة بمثابة انتصار لامع للمشتكى المقهور ضد جميع مهاجميه ، ومن المؤسف ان تودع كل تلك المقاطيع والارجازيز عند الشيخ قاسم محبى الدين لسبب من الاسباب الخاصة فيحصرص عليها الشيخ ، ولم يدعها ترى النور ومعه قصيدة عبر فيها الشيخ محمد طاهر الشيخ راضى عن رأيه وحكمه فى ذلك النقاش ، ومعه قصيدة السيد مير على التى كانت بمثابة التميز والاستيناف فى تلك المعركة .

وصار يوم الاربعاء من تلك الفترة من اشهر ايام النجف المعروفة وقد اشار
اليه الكثير ممن رثى السيد مير علي وكان منهم ابراهيم الوائلي الذي جاء في
مرثيته قوله :

متدى العلم في الغريين اخفى اموت رمز الفخار من اعضائه
شاعر مرهف الاحاسيس ليس (البعض) من نده ومن اكفائه
حدث (الناس) عن سواء فصولا وحديث الزمان عن (اربعائه)

واهدى لي السيد مير علي ذات يوم (دلة) قهوة معدنية وارقها بقصيدة جاء
فيها :

منطق الفن وهو بمض الادلة دل ان الجمال في صنع (دلة)
صورتها كف الصناعات فوافت بمصب تصاغ منه الامهله
الى ان يقول :

شاقني ان ازفها باحترام (للخليلي) فهو زين الأخله
انا ما ان ازال أكبر منه قلما رائعا وأكبر عقله
أتحرى نظيره جهد ما بي من نشاط لكنني لم اجده له ...

ونشر (الهاتف) هذه القصيدة وعلق عليها ولم تكذ تنشر حتى تناولها جمع
كبير من فحول الشعراء وباروها بقصائد رائمة وقد عزاني البعض في هذه المباراة
بابني الوحيد (هاتف) ، وكان من اولئك الشيخ محمد حسن حيدر ، والشيخ
عبدالحسين الحلبي الذي تفنن في قصيدته هذه تفننا عجبيا ، جمع فيها عددا من
الاعراض التي قلما جمعها شاعر كما جمع هو من غزل الى نسيب الى مديح الى
هجاء ، الى رثاء ، وقد تعرض في هذه القصيدة للسيد مير علي ولمن نظم على غراره ،
وهجا اولئك الشعراء وعدمهم مخفقين في اعطاء قافية (الدلة) حقها من صوغ رثائهم
وتعزيتهم لي على ذلك النمط من الرثاء الباكي الحزين فقال مما قال وهو يخاطبني :-
لك اهدى نجية من نجيب اوقفوا قلبها بكابك بنفسه

ألبسوها من العويل ثيابا وسقوها من واكف الدمع وبله
وحشوها من القديم حديثا ما اجادوا وما استجدوا أقله
وجلوها رسما اجل هي رسم قد دعوه قصيدة للتجله

وكان عنوان قصيدة الشيخ عبدالحسين الحلبي هو (دلة من قريض ؟) .
واغتاظ السيد مير علي ولكن غيظ السيد مير علي لم يكن مكشوفاً لكل احد ،
واغتاظ غيره من الشعراء وكان منهم السيد احمد الموسوي الذي حاول ان يناقش
الشيخ عبدالحسين الحلبي على رغم تهيبه له فقال مما قال :

ايها الشيخ ان للحب ثله لاتي للعذول في الشوق عذله
قد ينال الملام منهم ولكن هم على الحب في رحيل وحله
فاحسبني منهم فدينهم ديني ومالي سوى المحبة قبله
أأوارى نوارتي ثم ارتد خليا - هذى حماقة (بقوله)

والتعريض باهل الحلة هنا واضح في قافية (البقوله) ، والقصيدة في نحو
مائة بيت واكثر وقد ارفق احمد الرضوي القصيدة بكلمة اعتذار نشرها الهاتف
يقول فيها مخاطبا الشيخ عبدالحسين :

« وبعد فمن التطفل على شيخنا قاضي القضاة ان ينشر لي (الهاتف) شعرا قد
يظن انه ممارسة لقصيدته العامرة الخالدة ولكن هذا بمثابة الجلوس على مائدة
الكريم بغير دعوة يمدد الناس تطفلا وهو احترام » .

والحق ان قصيدة الشيخ عبدالحسين كما اشار اليها السيد احمد قصيدة تفنن
فيها الشيخ تفننا عجيبا غريبا جمع فيها مختلف الاغراض الاجتماعية والادبية ووفق
بين حلقاتها المختلفة توفيقا منعدم النظير وهي تقع فيما يقرب المائة بيت منشورة في
الهاتف وقد ختمها الشيخ الحلبي بالابيات التالية التي عبر فيها عن ماهية قصيدته
وصفتها من حيث الموضوع ، اما ماهيتها الادبية فلا احسب ان من الهين حصرها في
جمل صغيرة كهذه ، وقد ختم الشيخ القصيدة بقوله :

لك منى تبدي بالتحايا هدى
 لست ادري ولا الهدية تدرى
 أم أرتاء أم دلة من قريض
 أم عظة تضم جدا وهزلا
 لك زفت من بعد بطاء ومهله
 ما الذى قد تكلفت لك حملة
 أم هجاء أم مدحة للاجمله
 أم تراها تحملت ذلك كله ؟
 نقل بعدى ومن (خليلي) نكله
 جبر الله بالمسرات منى

ونظم السيد مير على قصيدة تضمنت شيئا من عدم رضاه ودفعت الى بها لنشرها كرد على قصيدة الشيخ عبدالحسين الحلى ولكنى لم استسلفها لا لشيء الا لانتى لم ارها جديرة بالوقوف امام قصيدة الشيخ الحلى الرائعة التى حفظ الكثير من الادباء ابياتها ، فقد صور فيها الشيخ عبدالحسين الشعر بأبداع صورته ، وتفنن فى صياغة (الدلة) تفننا عجيبا ، وقد صارت السيد مير على برأىي وواقفتى وقبرت القصيدة فى مهدها . (وقد اوردت بمض الايات من هذه القصيدة المعاصرة فى كلمتى عن الشيخ محمد حسن حيدر من هذا الكتاب) .

وفى تلك الاثناء رأى الشيخ محمد جواد قسام ان يتم قصة (الدلة) بفنجان من فناجين القهوة الخاصة ، وتفضل على مشكورا باهداء فنجان عمل الفن فيه عمله ، فصيغت فى وسطه قبة مشبكة من الفضة احتوت على مقدار من المسك لا يكاد الراشف يرشف منه رشفة حتى يحس بالمطر يضحخ انفاسه ، وارفق الفنجان بقصيدة نشرها له (الهاتف) فى حينها وكان هذا مطلقها :

وأفأك فنجان لدله يسقى بقهوته الأخله

وبالاجمال فقد صار (لدلة) وقع ادبى رائع بفضل السيد مير على ، ولم تزل الدلة تشغل من خزانة محفوظاتى اسمى موضع واغلاء .

وكان السيد مير على سريع البديهة يأتيه الشعر عفو الخاطر معبرا به عن احساسه وكان بيته يقع على السور مطلا على صحراء النجف ومقبرة (وادى السلام) وكان لاعمامه (آل ابي طيخ) عبد يسمى (قنبرا) فاذا اتفق وجوده فى النجف وفى بيت السيد مير على تكفل هو بنقله الى تلك الغرفة المظلمة على (الوادى) صباحا ثم قام بنقله

الى الحرير مساء ، وقد اوحى اشتراك اسم هذا العبد مع اسم عبد لعلى ابن طالب يدعى (قبرا) واشترك اسم السيد على ابي طيخ مع اسم على ابن طالب ، لقد اوحى له مشاركة الاسماء وهو مستقل كفى عبده قبر هذين البيتين :

ان تكن (قبرا) فاني (على) بك اهلا فانت لطف خفي
قال: فازك فانت (درة) تاجي قلت فاعنم لكنى (نجفى)

والدرة النجفية اشهر من ان تعرف للقراء اما الاشارة الثانية للنجفية فى هذه التورية فترك تقدير دعائها لذوق القراء من النجفين وذكايمهم .

ولم يكن بيت السيد مير على القديم على هذا النحو من الموقع ، وانما كانت بينه وبين هذا الفضاء حوائل من انية استملكها بلدية النجف وشقت منها شارعا عريضا فتهدم من بعض البيوت جانب بسبب هذا الاستملاك ، وأضيف الى بعض البيوت جانب آخر من فضلات الطريق التى باعها البلدية ، وكنت انا من الساعين لشراء قسم من فضلة الطريق لبيت السيد مير على الذى تجدد جانب الديوان منه ، فكانت له من تلك الاضافة تلك الغرفة الجميلة المظلة على وادى السلام والتي تشرف منها على العابرين وعلى السيارات الجاثية من كربلاء والذاهبة الى كربلاء وهذه الاطلاة كانت من اهم وسائل التسلية عنده ، حين يكل من المطالعة ، وحين يحتلى بنفسه ، ولقد عبر عن انتزاع بعض المساحات من بيوت هذه المحلة الواقعة على هذا الشارع ، واطافة بعض المساحات من فضلات الشارع لبعض البيوت ومنها بيته احسن تعبير فى هذين البيتين :

شوارع وسموها كى يكونا على رفة بها المستطرقونا
فكم صلّموا بها أذنا وانا بحمد الله زادونا قرونا

ومن أجمل ما قرأت له من البديع الذى تضمنه شعره تقرظه لكتاب (الضائم) وهو أحد مؤلفاتي الذى طبع ونفسد ولم تبق منه ولا نسخة عندي :

صناعة جلت تصاويرها فى النفس مذجلى بها الصانع
كم من كتاب باطل فى الورى يوجد والحق هو (الصانع)

و كنت ادخل عليه كلما سنحت لى الفرصة دون الاهتمام بىوم الاربعاء الا نادرا ولا يكاد يصل صوتى الى اذنيه وانا اتادى من وراء الباب :

- السيد موجود؟

حتى ينطلق صوته من الديوان ناديا :-

- مولانا مولانا

ثم يردف ذلك بصوت عذب وبنغمة حلوة صائحا :-

- صدقى صدقى

ويمط هذا النداء بتلك النغمة الرتبية ، ويمده حتى يبلغ مسامع ولده الاصفر (صدقى) فيخف ابنه مسرعا من الحرم الى الديوان وهناك تحضر دلة القهوة ، وتفتح نفسها معا مسترضين ما تقتضيه المناسبة ، وما جد لى اوجد له من خاطرة بمتها مطالمة كتاب جديد او سماع قصيدة حديثة ، وما اكثر المناسبات التى كانت تتلى فيها القصائد يومذاك فى النجف .

وعلى ان عددا من الامراض قد تضافرت على هدم عمره ، منها الرمازم الذى اقمده ، ومنها اعتلال الكبد الذى عانى منه الكثير من الالام ، ومنها السرطان الذى مات به .

وفى مرثيتى له اشرت الى ما كان يعانى من هذه الامراض والالام بقولى :-

دنيا الجميع لذاعة لكنما دنيك سلسلة من الالام
وحياتهم نعم موفرة وما خليت حياتك من ضنا وسقام

اقول :- وعلى ان عددا من هذه الامراض قد تضافرت على هدمه فانى اكاد اجزم بانه لم يوجد بعد احد من اقاربه ، أو اصدقائه من سمعه شاكيا او رآه جازعا وقد ظلت تلك البشاشة تصحبه الى آخر ساعات حياته .

وكان آخر ما نظم مقطوعة رثى فيها نفسه ، وضمنها وصيته وليست وصيته

الارغبة بلحجة بان يقفوا به طويلا - اما مروا - على قبره ، ومن تلك المقطوعة هذه
الابيات :

واذا ما قضيت حجبى فخطوا لى قبرا بجنب (وادى السلام)
وقفوا وقفة الشحيح عليه لا تمروا به مرور الكرام
واذكرونى مهما حيتهم بخير رحمة واذكروا بها ايامى
كل حى وان يعش ابد الدهر بدنياه سوف يسقى بجامى

وانا اليوم امر على قبره واطيل الوقوف عنده ولا افارقه الا وقد ذرفت آخر
دمعة مما تخترنه ماقى ، غارقا فى بحر من الذكريات والاحلام اللذيذة التى لن
تعود •



السيد رضا الهندي

السيد رضا الهندي^(١)

كان ذلك قبل خمس وعشرين سنة أو أكثر عندما علمت بان صديقى السيد احمد الهندي انما هو ابن السيد رضا الهندى ، أو قل انى عرفت ان لصديقى هذا أباه فى عالم الادب والعلم شأن كبير ، ثم عرفت بان هذا الاب هو عم السيد صادق الهندي ، الذى تعرفت به فيما بعد ، ثم تحول هذا التعرف الى صداقة جد وثيقة ، ورحت كلما خطوت فى السن احس بشخصية السيد رضا الادبية تمتلك نفسى ، ويلد صدى ادبه فى سمعى ، ونشد ما احببت ان استزيد سماع النكتة اللاذعة ، والنادرة المستفزة ، والتهمك الادبى الهادى المروى عنه فى الاوساط النجفية ، وذلك اما لانى كنت مرحا اميل الى الفكاهة والدعابة ، او لانى كنت لم افهم للادب حينذاك معنى آخر غير هذا النوع الذى كان يملأ نفسى اعجابا بالسيد رضا الذى يجيد هذا اللون من الادب اجادة عظيمة .

ثم خطوت خطوة اخرى اتيح لى فيها ان اسمع للسيد رضا شيئا أكثر وأكثر ، لقد اتيح لى ان اسمع اجود ما كنت افهم حينذاك من الشعر واسماء ، وابرع النكت الادبية واغزرها مادة ، واتيح لى ايضا ان ارى السيد رضا عن كتب فيما كنت ارتاد من المجالس الادبية ، وارى مقامه بين العلماء وبين الادباء ، فاسمع صوته الخافت واتميز نبراته بين مختلف الاصوات ، ولقد كانت بين مجلسى ومجلسه مسافة هي ما بين فهمى الادب وفهمه ، ومع ذلك فقد كنت اسمع احاديثه ، واسمع تعليقاته بكل وضوح ، واتسمع الى ما كان يراه ويديه من آراء لم افهم اكثرها ، ونكتى كنت افهم بعضها ، وبعبارة اخرى اتنى كنت افهم ما كان يتصل بالادب اكثر من فهمى للمواضيع الاخرى ، وكنت اطرب ايما طرب حينما كنت ارى نفسى قريبة منه ، وقادرة على سماع احاديثه بلا تكلف .

(١) الهاتف السنة التاسعة - العدد ٣٣١ - ٢٥ حزيران ١٩٤٣ .

وهنا خلطت خطوات اخرى الى الامام فاذا بي استطيع ان اتخذ من الفقيه حكما لرأى ارتثيه ، او مشادة ادبية تقع بينى وبين بعض الاصدقاء والادباء ، او استيضاح عن معنى مفلوط ، او جملة ملتبسة المعانى والاعراض ، ولقد حكم ذات مرة لخصمى فى قضية كنت احسبى فيها محقا ففضبت فلم يكن منه غير ان التفت الى وقال ما معناه :

« اذا كنت تريد المراكز وكنت شجاعا فيجب ان تبحث عن (تركى) حاد المزاج لان تقصد (هنديا) بارد الطبع مثلى ، فخجلت ووليت . ولقد كان حقا - كما قال - كان بارد الطبع ، لين العريكة ، وقد ساعدت صفاته هذه المختلفين فى الكثير من البحوث ولاسيما الشعر والادب على اختياره حكما نهائيا فى اختلافاتهم ، وظل يتمتع بهذه الصفة وتلك القابلية قابلية اصدار الحكم بكل اناة فى القضايا الادبية الى حين وفاته .

واتسمت دائرة معرفتى به ، وقرأت له اثارا كثيرة رائعة ، وصار لى به اتصال شديد اتاح لى ان اعرفه معرفة جيدة ، واسمع منه اخبار اعلام الجيل الماضى بكل دقاتها فقد كانت له المامة واسمة بالمشاهير من ادباء الجيل الماضى وكان ملما باخبارهم الماما كافييا بل كان صدره عبارة عن سجل تاريخى لاهم ما قيل وما يجب ان يقال فى اسعد الساعات واكثرها رخاء ، واشدها حرجا ، وتوثقت عرى هذا الاتصال بينى وبينه فما وجدتنى بعد ذلك الا وانا اسير الحديث معه كما أشاء وكما يلذ لى أن يكون ، ووجدتنى مصفيا فصار يجتهد فى نقل ما وسع ذهنه الى ذهنى من روائع الادب ، ويتحبنى باسمى متوجه واغلا ، وحتى غدا يزورتنى فى مكتب جريدة الهاتف فى كثير من المناسبات ، وارتفعت الكلفة فيما بيننا ، وادرك انى لست من الذين يتخيلون للعظمة صورة خيالية بحتة متى تجردت منها لم يعد للعظمة معنى عندهم ، كان يطلبوا من العظيم ان لا يضحك مثلهم ، ولا يتحدث معهم والا فقد هبط من ملكوت عظمتهم مادام يحادثهم كما يحدثهم ند من اندادهم ، وكان اذا دخل مكتب الجريدة وهو متعطش لشرب الشاي - وكان منهمكا بالشاى كثيرا - نادى

(انا شايان) (انا شايان) ٠٠٠ واعترضته اول يوم سماعى لهذه الصيغة التريسة
واستعماله كلمة (شايان) بقصد طلب الشاى قال :

اذا حق لذلك الفقيه المعجمى ان يستعمل هذا القياس فى كلمات ابعده ما تكون
معنى عن قياسى انا ويصيب المرمى بها فكم بالحرى ان يحق لى انا استعمال هذا
القياس فى المعنى القريب •

ولما سأله عن قصة الفقيه المعجمى قال :

هو فقيه عجمى لم يحسن غير اللغة العلمية الفصيحة وقد ضايقته بطنه ، وهو
فى السفينة مضايقة شديدة ارغمته على ان يطلب من الملاح اندنو من الساحل فنادى:
- ايها الملاح ادن من الساحل فانتى اريد الخلاء ٠٠٠٠٠ ولكن الملاح لم يفهم شيئا
مما يقول هذا الفقيه فعاد الشيخ ينادى مرة اخرى - أن ادن من الساحل فانتى اريد
المرحاض ، فلم يفهم الملاح شيئا ، وعاد للنداء ثالثة ورابعة وهو يستعمل اى رمز
للمرحاض فلم يفهم الملاح شيئا ، وحينذاك سمع طفلا فى السفينة يبكى ويصيح :
(جوعان) ، ويكررها مرات صائحا : جوعان ، جوعان ، فانتفت الشيخ الفقيه هنا
وقال :- الان فهمت ٠٠٠ ان القياس يجب ان يكون على (فعالان) ، فيا ملاح انا زربان ،
انا خريان ، انا بولان ٠٠٠ فضحك الملاح ومن كان فى السفينة وفهموا ما يقول
الشيخ •

وهنا قال السيد رضا - اذا حق لهذا الشيخ ان يستعمل قياسه المغلوط. على
(فعالان) وقد استطاع الملاح وغير الملاح ان يفهم مقصوده فكم بالاحرى ان تفهم انت
وفهم الجميع قولى حين اقول انا (جان) واقصد بذلك انى شديد العطش لشرب
الشاى ؟

وزارنى ذات مرة وانا اتلو قصيدة من هذه القصائد التى يظن اصحابها انهم
من الشعراء المغلوطة حقوقهم ، والمجهولة افئادهم ، وهى ابعده ما تكون عن الشعر
من حيث المعنى ، والوزن ، والقافية واسمته طرفا منها ، وتلوت عليه ما يلفت النظر ،
فاذا بالذكرى تمود به الى اربعين سنة خلت أو أكثر فبدو على شفثيه ابتسامة خفيفة

كثيرا ما كانت هذه الابتسامة مقدمة لحديث ادبي طريف واذا به يقص على
القصة التالية :

قال - كنا جماعة ندرس العلم وتفككه بالادب ، وطلما تهادى بعضنا مع بعض
بالطرائف وما قد يتفق له في حياته اليومية الخاصة ، وما كان يتم له استكشافه في
اتناء العمل ، فكان احدا يهدى الى الاخر ما يعثر عليه من نوادر ادبية ، وطرف
شعرية كلما اجتمعنا ، وذات يوم تسوق المصادفة الى رجلا بغداديا جميل البزة ،
حلو الهندام ، نظيف الثوب والقلب ، تملو رأسه (كشيدة) صفراء في غاية الاناقة
والزركمة ، فيشدني قصيدة من شعره المضحك المبكى وهي قصيدة اصدق ما ينطبق
عليها الوصف العامي الذي يجمع كل اطرافها بكلمة (خرايطط) ولكن خرايططها
كانت من النوع الجيد الممتاز الذي لا يطبق المرء أن يمانك نفسه من الضحك
امامها ، ومع ذلك فقد اطقت انا ذلك ، وحبست نفسي لفاية في نفسي وهي ان
اغرى هذا الرجل حتى أهيبء منه هدية نفيسة اقدمها الى صديقي كبير الشعراء
السيد محمد سعيد الجبوبي ، فكان ما اردت ، وقد اغريت الرجل باز يعرض هذه
الجواهر النفيسة على مشتريها ، ومقدرى حقها ، وضربت له موعدا ، وحضرنا نادى
السيد السيد معا وقدمته بهذه الالفاظ :

هذا الجلبى - قلت هذا وانا اشير اليه - هذا الجلبى شاعر ممتاز ولكنه كالقط
ينتج ويخفى ما ينتج في صدره ، وسيقرأ لكم احدى قصائده العامرة لتروا
فيها مثال الشاعرية الفياضة ، وكان تعريفى هذا قد اعمى الجلبى عن الالتفات الى
الغمز اللفظى ، والكناية المعنوية في تشبيهه بالقط فصار يشد بصوت اعلى ، واكثر
ترنمة مما تشدنى به شعره من قبل ، وما كاد ينهى مستهل القصيدة الا وانفجر
السيد محمد سعيد ضاحكا ، ثم اغرق الباقون في الضحك ، والشاعر مشغول
بتلاوة القصيدة ، ولكن الجبوبي لم يلبث دقيقتين او اقل حتى بدأت الضحكة تغور
في فمه كما تغور الشمس في السحاب ، وتكتمش منه السحنة ، وتخفى الابتسامة
في نفسه ، كما ينكمش الحلزون ويختفى في نفسه ، ثم اذا بالجبوبي يتوجه الى
الرجل بقتة ويقول :

- لقد غشك يا جلبي هذا (وقد اشار الى) فانت رجل لاتفهم الشعر ، ولا تحسنه ، واذا بقيت مفرورا بنفسك ، فستظل سخرية الساخر ، وهزؤ المستهزى ، واني ارى من واجبي الدينى ان انصحك ، واصرفك عن نظم الشعر نهائيا فهل انت فاهم ما اقول . . ؟

- قال الرجل - نعم فهمت .

اما انا فكان الارض قد ماتت بى من شدة الجياء ، وقد تصبب العرق من جبينى ، وبقيت كلما رأيت (مكتندا) من بعيد يعرفونى مثل هذا الخجل الذى لايحتمل ولا يطاق .

وعلى ذكر هذا النوع من الشعر تذكرت انه عرض مرة على السيد رضا الهندى بيتان من الشعر لاحد الذين عرفوا بان فيهم (خيوطا) والخيوط كناية فى الفرات عن المس والخيال ، وقد يصغرونها فيقولون (خيوطات) اذا كان خباله قليلا ، اجل لقد عرض على السيد الهندى هذان البيتان لصاحب الخيوط :-

اذا زفت عروس نحو عريس تشوش فكرتى وتجنن بالى
وان جلست على الكرسي يوما يهب الريح من طرف الشمال
ثم طلب من السيد رضا ، ان يجيز هذين البيتين بيت مناسب من نوعهما فقال :-
لقد زعموا بان به خيوطا لقد صدقوا ولكن كالجبال
فذهب هذا البيت مثلا واصبح كناية للمخبولين فى جميع الاوساط .

قلت انى اعرف السيد رضا من حيث كنت افهم ، او مما يلذنى ان افهم ، على الرغم من ان النواحي التى كانت تجتذب المتصلين به كثيرة ، وعلى الرغم من ان ابرز صفاته لم ينحصر فى الادب وحده فقد كان فقيها ، غزير المادة ، واسع الاطلاع وكان من مشاهير تلامذة الاستاذ الاكبر (الاخوند) وله فى العلوم الدينية ولاسيما الردود على الذين تناولوا الدين الاسلامى جولات ، وصولات ، يعرفها المتصلون به والمحيطون بها . ولا شك ان الذى يتصدى لترجمته سيخرجه صورة كاملة من جميع جهاتها اما انا فلم احاول غير ان استعيد ذاكرتى واحكى شيئا عن كيفية معرفتى له واصنالى به .

اجل اننى عرفت السيد رضا من حيث اردت انا لا من حيث يجب ان يعرف، وعرفت انه زاو الادب زما طويلا فابدع فيه ابداعا كان المجلى فيه بين جمع كبير من الادباء والمبصرة فى زمانه ، ولقد ولع (بالبديع) ولعا سما به الى منزلة قل من ارتفع اليها من قبل ، وان لدى الكثير من الشواهد من نظمه ونثره ومنها مقامات) اذا شئت شعرا كانت شعرا ببحور مختلفة ، وقواف مختلفة ، وان شئت نرا كانت نثرا مسجعا او مرسلا ، ولم يكن هذا غريبا بمقدار غرابة خلوا هذه مقامات من اتكلف ، فقد كان بحق امام البديع وشيخ الادباء فضلا عن كونه عالما من علماء الفقه المعروفين .

ومن ابرع بدائعه فى وضع التواريخ الابدجية التى سمعتها منه هو تاريخه لشهادة الامام ابي عبدالله الحسين الذى وقع سنة ٦١ هجرية وهو عدد صغير جدا كما يرى القارىء يستحيل على الشاعر ان يستخدمه لوضع تاريخ شعرى متين وبدون تكلف ، ولكن براعة السيد رضا قد تغلبت على هذه الصعوبة فوضع التاريخ التالى وهو شاهد على منتهى ما يبلغ المتفنن مما يتصور المتصورون للمكات الصياغة اللفظية والفنون الادبية فى ذلك العصر فجاء التأريخ على هذا النحو :

صرخ النادبون باسم ابن طه وعليه لم تجس الماء (عين)

لم يصيوا (الحسين) الا فقيدا حينما ارخوه (أين الحسين) ؟

وحساب هذا التأريخ يجرى بان تتبع الاشارة فى صدر البيت التى تقتضى تنزيل اسم (الحسين) باعتباره (فقيدا) من قوله (أين الحسين) فيكون التاريخ مجموع حروف (أين) وذلك سنة ٦١ هـ وهو المطلوب

وعلى ذكر تواريخ الائمة من آل البيت اسجل بعض ما يحضرنى من تواريخ السيد رضا الهندى لباب حرم (العسكريين) بسامراء فلقد صيغ لحرم العسكريين باب فضى اجهد الصانع المشهور (رجب على) نفسه فى اخراجه اخراجا بارعا من حيث الفن والنقش وقد اخرج من وسط الباب طغرى ذهبية ابداع فى صياغتها ابداعا كبيرا فهدد للسيد رضا الهندى تسجيل تاريخ الباب على هذه الطغرى الذهبية ففعل ،

الا انه لم يمض بعض زمن حتى اقتلعت الطغرى من الباب وسرفت ، وقد لها الناس
 بحديث الطغرى وسرفتها وكثر حولها اللفظ ونسوا الايات والتاريخ الذى وضعه
 السيد رضا لباب (الامامين العسكريين) والمنقوش عليها وهو :

عبدكما واقف بياكما	يعفر الخد فى توابكما
يلتم اعتاب بقعة فخرت	اركانها أنجم السما بكما
مذ اتقلت جنبه الذنوب أتى	يلتمس الغفو من جنبكما
يعتقد الفوز فى ولائكما	ويوقن النجاح فى اياكما
ويبتغى الأمن فى المعاد وأن	يسقيه الله من شرابكما
جاء كما زائرا وارخ (هل - يخيب - مستمنك - ياكما)	

وتاريخ اخر قاله السيد رضا فى باب (الامامين العسكريين) بسامراء وقد ركب
 قافية لا يستطيع ان يعطيها حقها الا الشاعر الفحل وقد كان شاعرها الفحل نفسه
 وهذا هو التاريخ :

قل لمن يمسوا التقى وأموا	من حسى العسكري أفضل خطه
جشم (سر من رأى) فاقموا	أبدا الدهر فى سرور وغبطه
زرتم لجتى عطاء وفضل	يقندى فى يديهما البحر نقله
خيرة الناس هم من ذا يساوى	فى المزايا آل النبى ورهطه
فيل ارخ باب (التقى) فارخت	بيت فى قلبى الوحي خطه :
(ادخلوا الباب سجدا ان باب	العسكريين دونه باب خطه)

وللسيد رضا الهندى (تواريخ) فنية شعرية كثيرة وكلها من النوع الذى يدل
 على علو كعبه فى البديع ، وميزة البديع عند السيد رضا هو ان يأتى به فى الشعر أو
 يأتى به فى الحديث بعيدا عن التكلف كما لو كان يرتجله ارتجالا ويرسله ارسالا
 ومن ذلك كان التاريخ الذى وضعه لضريح زعيم الثورة العراقية السيد (نور)
 الياسرى والذى كتبوه على قبره ، وقد اورده موريا بين اسم (نور) وبين معناه من
 قوله :-

وكيف يخشى ظلمات الترى رخ (ضريح ملؤه نور)
واظن ان هذا التاريخ شطر من آيات قرأها على مرة وقد كتبت على الضريح
المذكور فلم يعلق فى ذهنى غير التاريخ وغير هذا البيت :

هذا ضريح فيه (نور) الهدى وهو بلطف الله مغمور
ومن ابرع آثاره الشعرية التضمنة لاروع النوان التورية والجناس المألوف
فى ذلك المصر قصيدة عامرة رثى بها اياه الزعيم الروحانى الكبير السيد
محمد الهندى .

والسيد محمد الهندى كاد ينفرد بالزعامة الدينية لو لم يحدث له حادث غير
ذى قيمة ولكن منافسيه قد اتخذوا منه ذريعة للدعوة الى زعيم روحانى آخر ، اما
الحادث فهو يتعلق بحكم رؤية هلال العيد لشهر رمضان ، فقد حكم السيد محمد
برؤية هلال العيد ثم ثبت بعد ذلك ان العيد لم يحل ، وان الرؤية لم تثبت ، فقامت
على اثر ذلك ضجة كبرى على ما كان يروى الشيوخ والمسنون ، سببت ان يرفض
بعض مقلديه من حوله ، ويتضمنع الاجماع الكلى انذى اتجه اليه قبل هذا الحكم .
اقول ومن ادوع آثار السيد رضا الهندى الشعرية تلك القصيدة العامرة التى
رثا فيها اياه وضمنها شيئا من (بديعه) الرائع فى قوله :-

ولا بكين على نواك (تمما) عمرى لانك (مالك) لغسانى

وتمم هذا كما هو معروف شقيق مالك ابن نويرة الذى قتل ، والذى بكاه
اخوه متم حتى دمعت عيناه الموراء . . . على ما روى المؤرخون .

ومثل هذا التفنن وان لم يعاطه الادباء اليوم ولكنهم لا يتكروا انه يصلح ان
يكون وسيلة من وسائل قراءة الاديب وتبين ملكاته ومدى استعداده فى علم الصياغة
وطرازها وطريقة نسجه فى النظم .

وكان قد نقل عن السيد رضا الهندى بيتان من الشعر الذى تضمن هذا
النوع من البراعة الشعرية ، وحكى جانباً من تفننه فى البديع ، وقد حفظ البيتين
المذكورين جميع من سمع بهما فكثرت اللفظ عن قيل فيه البيتان المذكوران ، فقال

البعض انهما قد قيدا في السيد محسن الامين لتبنيه فكرة الاصلاح الديني والدعوة الى تحريم اللطم على الصدور وشح الرؤوس بالسيوف في يوم عاشوراء حزنا على الحسين ، تلك الدعوة التي كان لها انصار ، وكان لها خصوم فكان السيد رضا من خصومها على ما عرفت .

وقال البعض ان البيتين قيدا في السيد محسن (ابو طيخ) لان السيد محسن (ابو طيخ) كان قد هاجم الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في رسالة طبعت باسم (المبادئ والرجال) وفسر هجومه هذا تفسيراً غير مرضي اثار حماسة الدين واهله ، فقال السيد رضا فيه ما قال - وقال الآخرون غير هذا ، اما البيتان اللذان يحفظهما جميع من سمع بهما على اساس براعتهما البديعية او على اساس الغرض الذي يرمى اليه كل واحد وفق مزاجه فهما :-

ذرية الزهراء ان عددت يوما ليطرى الناس فيها التنا
فلا تعدوا (محسنا) منهم لانها قد أسقطت (محسنا)

وسقوط (محسن) هو اشارة كما يعرف المتبعون الى انه كان لفاطمة الزهراء ولدان هما الحسن والحسين وكانت حاملا بثالث اسقطته وكان قد سمي يا (محسن) عند سقوطه .

ولقد سألت السيد رضا يوما وهو عندي في مكتب (الهاتف) يحسو الشاي ويدخن ، وكان يسرف كثيرا في التدخين وفي شرب الشاي فاذا اخذ كفايته منهما فتحت نفسه وفاضت بالرقيق من الادب نقلا وتقدا وانشاء .

لقد سأله عما اذا كان البيتان المذكوران قد قالهما في السيد محسن الامين حقا ؟

فقال لي وقد ظهرت آثار الانزعاج على سحته قال :-

- انا راض ان توجه هذا السؤال لنفسك ، وترى أيلق بواحد مثلي ان يقول شيئا من هذا في السيد محسن الامين . . . ؟

وفاتني ان اسأله بعد ذلك عن البيتين المذكورين وفيما اذا كان هو قائلهما حقا ؟

وفيمن قالهما ؟ لانا كنا قد انتقلنا الى مواضيع بعيدة ولم التفت لاهمية هذا السؤال
الا بعد وفاته .

ومن هذا اللون من الجناس ما قرأه على وهما يتان وجههما السيد رضا الى
ابنه السيد احمد الذى كان يزور (صيدا) بلبنان يومذاك فقد كتب لابنه قائلا :
وكنا ان اردنا منك وصلا أصبناش ولو نمشى رويدا
فصرنا نستعين على التلاقى باشارك الكرى لئصيد (صيدا)
ولست انا وحدى الذى أضمت فرصة الافادة من وجود هذا العالم الشاعر وانما
اضاعها الكثير ممن لم يحسبوا حساب الموت وفى مقدمتهم ابنه السيد احمد الهندي
الذى كان عليه وهو الشاعر والاديب ان ينتهز تلك الفرصة الثمينة فيسجل فيها
لايه كل خواطره التى كان ينفرد بها فى عالم الفقه والتاريخ والادب والبديع الذى
لم يجاره فيه الا اقليل اقليل .

لقد كان السيد رضا الهندي من اهم اركان النهضة الادبية فى اوائل القرن
العشرين ولم تتل له قصيدة او مقطوعة او بيت من الشعر دون ان يحدث ذلك بعض
الاثر وقد كان لقصيدته الكوثرية التى افتتحها بقوله :-

أمفليج ثفرك ام جوهر ورحيق رضا بك ام سكر ؟
قد قال لثفرك صانعه (انا اعطيناك الكوثر)

دوى كبير وقد صاغ على نمطها عدد كبير من الشعراء قصائد فخمة ولكنها
لم تبلغ شأو قصيدة السيد رضا ، ومن تلك القصائد كانت قصيدة الشيخ محمد
السماوى الذى بارى فيها (كوثرية) السيد رضا وركب فى مباراته قافية الضاد
الصعبة على سبيل المنافسة فقال :-

سودت صحائف اعمالى وبمدح ابى حسن تبيض
والسيد رضا الهندي بعد ذلك كما قلت عالم فقيه ولكن الادب الذى اضفى
عليه بتلك الجلالة لم يدع من لم يعرفه جيدا ان يعرف براعته فى النواحي
الاخرى ، وقد طواه الموت فطوى به سجلا حافلا بارقى واسمى وارفع الفنون الادبية

وانمحت بموته صورة من صور النجف المشرقة عن الضاية الاصيلة بالبلاغة
والفصاحة والطرفة الادبية من هذا اللون فى صياغة البديع الذى عرفته انا فيه ، وقد
كان لنصف قرن كامل احد فحول شعراء العراق لتلك الحقبة من الزمن الذى كان
يضم عددا من نوابغ الشعراء ممن كانوا يجرون على تلك الوتيرة ، وقد فقدت به
انا منيما عذبا ، وملجأ روحيا ، كان يقضى الكثير من اوقاته فى مكتب الهاتف فقد
كان العالم الروحاني لمدينة الفيصلية وكان يكثر التردد على النجف وحين يريد
المودة الى الفيصلية كان يمر بدار الهاتف منتظرا فيها تهؤ السيارة القرية من
مكتب الجريدة لتقله اليها ، وفى هذه الاثناء كنت اوصى بان يعدوا له شايا خاصا
واقترح امامه علة السجائر ، واقترح معه باب الحديث حسب ما تقتضيه المناسبة .

* * *

وقد يصادف ان يمر بمكتب (الهاتف) فى طريقه الى (الفيصلية) فى يوم عطلة
الجريدة فيجد الباب مغلقا فلا يمتنع من ان يقصد احد المقاهى المجاورة لمكتب الهاتف
ويجلس فى احدى ارائكها دون ان يهتم بالعرف الذى ينكر على العلماء الجلوس فى
المقهى او المجالس العامة ، والاكثر من ذلك ان مزاج السيد رضا الهندي والعرف
السائد كانا دائما على طرفى تقيض ، لذلك لايبالى ان يكون جلسه رجلا مصروفا
فى دنياه او نكرة مجهولا ليس له اصل او فرع ، ولذلك كثيرا ما تجده وهو يخوض
حديثا طويلا مع احد الناس فتمجب به كيف يأنس كما لو كان يتحدث الى رجال
العلم والادب من انداده !!...!!

قال لى مرة : انه مر ذات يوم (بالهاتف) فالفى الباب مغلقا فاتحى ناحية من
المقهى المجاور لمكتب الجريدة وجلس الى جانب شخص بدا له اول الامر انه من
عارفيه حين وجده يقف على قدميه مفسحا له بالجلوس والبشر طافح على وجهه .

يقول السيد رضا : وما كدت احده حتى علمت بانه اخرس ... ولكن هذا
لم يكن بمانع من ان تنجرف انا واياه فى الحديث بالاشارات ونشرق ونضرب ،
ونصمد ونزول بايدينا واصابعنا ، واتجاهات عيوننا ، وما كان يظهر على سحننا من

تفضن ، وانطلاق ، وكان ان طان حديثه معي ، وظال حديثي معه ، ولست أدري
أكان صحيحا هذا الذي كنت أفسره لنفسي من اشاراته ؟ وهل حقا انه كان يفهم
ما كنت أقوله له بطريق الاشارة ؟ ولكني اعلم اننا كنا قد انسجنا ، وقد أنس بعضنا
بعض ، وزاد انسى حين وجدتي غارقا واياه في ضحكة امتدت طويلا حتى لقد كان
يضرب بكفه على فخذي من شدة الضحك فاحس بالآلم ، واجمع رجلى ،
وانكمش ، وانا اكاد لا اتمالك نفسي من شدة الضحك والسعال الذي لازمني ، ولا
يهمني بعد ذلك أكان هذا الذي يقصه علي باشاراته هو عين ما كنت أفهمه منه ام انه
كان شيئا آخر ...

وهنا قص على السيد رضا هذه الاسطورة الفكهية قال :-

قدم فيلسوف على احدى المدن فاحتفت به المدينة غاية الاحتفاء ، وقد رأى ان
يجلس للناس في احد الميادين ليختبر مدى فهم علماء هذه المدينة الرمزيين وادراك
فلاسفتهم بما يوجهه اليهم من الاسئلة عن طريق الايامء والاشارة الصامتة . وقد
تقدم الكثير اليه فلم يفهموا شيئا من اشاراته فانصرفوا مخذولين فاشلين .

وسمع بخبر هذا الفيلسوف حمال عرف بين الحماليين بشعث شعره ، واندلاع
صدره ، وزراية هيكله ، كما عرف بطاقته الكبرى في حمل الانتقال والنهوض بها ،
فاحب ان يرى هذا الفيلسوف انذى شغل الناس بحديثه ورجاحة عقله ، وغزارة
علمه ، وعمق فلسفته بحيث استطاع ان يزيّف كل فلاسفة البلد ورجال الفسك
والعقل منهم .

وشق هذا الحمال القوي الجبار تلك الصفوف المتحلقة حول هذا الفيلسوف
العظيم ، وتقدم اليه وجلس امامه ، فظن الفيلسوف وهو يمعن النظر في هذا الشعر
المشعث ، والصدر المفتوح ، والثياب المهلهلة ، واللامبالاة البادية على هذا الحمال :
بانه امام فيلسوف لا يبعد ان يكون من كبار فلاسفة العالم ، فمد يده الى مخصرة كانت
بجانبه ورسم بها دائرة بحجم النصحن على الارض ... فلم يكن من الحمال الا ان
يسرع وينصف الدائرة باصبعه الى نصفين ...

وهنا علت وجه الفيلسوف دهشة واستغراب فمد يده الى جيبه واخرج منه

برتقالة وبدأ يحركها يمينا وشمالا بين اصابعه . . . فلم يكن من الحمال الا ان مد يده الى عبه واخرج منه رأس بصل كان قد اختزنه في رذنه ليؤدم به غداه ، وقد قبض عليه بين انامله وبدأ يحركه ذات اليمين وذات الشمال على غرار حركة البرتقالة في راحة كف الفيلسوف

وهنا ففر فم الفيلسوف من الدهشة والاستغراب ولم يكن منه الا ان اوما للحمال بسببته وقد بدت على وجهه علامات الجذ والصرامة ، فرد عليه الحمال بان اوما له باصبعه محركا اياهما امام عيني الفيلسوف بنوع من التحدى العجيب . وزادت دهشة الفيلسوف ، وجحظت عيناه من العجب فرفع يده في هذه المرة الى الاعلى موميا الى كبد السماء اما الحمال فقد رد على حركته تلك بان صفق الارض براحة كفه بقوة عجيبة .

وهنا علت ضحكات المتفرجين وحصل بين الجمهور ما يشبه الهرج والمرج ، وقال العقلاء ان هذا الحمال قد اخزانا ، واساء الى سمعة بلدنا بما ارتكب من مهزلة غير معتبرة ، وطلبوا بان يسحب من الميدان حالا قبل ان تصل المهزلة الى الحسد الشائن .

وهكذا حمل جمع من الاشداء على الحمال واخرجوه من الميدان ، وفي اقل من بضع دقائق كانوا قد غيوا وجهه عن الفيلسوف

ولكن الفيلسوف صاح باعلى صوته لقد صاح باعلى صوته :
- لم لاتركون الرجل يمضى في اجوبته ؟ لم تحولون بين رجال الفكر والعلم فتحرمونهم من مواصلة بحوثهم ؟ آه لو عرفتم كم هو هذا الرجل الذى اخرجتموه عظيم لاستغفرتهم عن ذنبكم ولا تقيتم بانفسكم على قدميه ، ولاعتذرتهم بدموعكم وتوسلاتكم اليه .

فقال سكان البلدة :- اتنا لم نزل غير مدركين شيئا مما تقول : فهل بإمكان سيدنا الفيلسوف ان يفصح لنا ، ويقفنا على الحقيقة ؟

قال الفيلسوف - لقد سألت فيلسوفكم هذا وانا اخط على الارض دائرة بمخضرتي ، لقد سأله : هل الارض هذه التى نعيش عليها من نوع واحد ؟

فقام الرجل وقسم الدائرة الى قسمين وهو يعنى ان الارض عبارة عسن ماء
ويابس •

وحين اخرجت البرتقالة - قال الفيلسوف - كنت اردت ان أسأته : وهل ان
قبة السماء كهذه البرتقالة ؟

فكان ان مد يده الى عبه واخرج رأس البصل ، وهو يعنى ان قبة السماء
كرأس البصل هذا : طبقة فوق طبقة ...

وعندما اومأت له باصبعي كنت اريد ان اعرف هل هو معتقد بوحدانية الله ؟
فكان جوابه بتحريك اصبعه مقابل عيني يعنى ان الله واحد لاشريك له •
وهنا رفعت يدي الى الاعلى - قال الفيلسوف - وانا اعنى بذلك السؤال منه
عن رفع السماء بدون عمد ...

وقد اجاب وهو يصفق الارض براحته : ان الذى رفع السماء هو الذى بسط
الارض ..

وقال الفيلسوف - ولكنكم يغفر الله لكم - أبيتم الا ان تنصوا علينا هذه
المتعة فاخرجتم الرجل من الميدان اخراجا لا يليق بفيلسوف عظيم مثله ...!
وجاء المتفرجون الى الحمال يسألونه :

- ترى ماذا قال لت هذا الفيلسوف ؟ وماذا قلت له انت ؟
قال - لقد قال لى وهو يخط دائرة على الارض انه يأكل كل رغيف من
الخبز وحده ، فقلت له اما انا فأأكل من كل رغيف نصفه واترئ لزوجتي النصف
الآخر ؟

وحين اخرج الفيلسوف البرتقالة من جيبه - قال الحمال - كان يريد ان
يقول بانه انما يأكل البرتقال مع الخبز ، فقلت له : اما انا فأأكل الخبز مؤدما
بالبصل •

فحلق الفيلسوف فى وجهي - يقول الحمال - وتحداني باصبعه زاعما انه
سيفقأ لى باصبعه احدى عيني ، فمددت له كلا اصبعي مشيرا الى انى سأفقأ بهما كلنا
عينه •

ثم رفع الفيلسوف يده الى الاعلى رامزا الى انه سيطوح بي فى الفضاء بانصى
مالديه من قوة ومقدرة ويرمنى بعيدا عن الارض ، اما انا فقلت له - وانما اصفق
الارض بكفى - بانى ساضرب به الارض ، ولن اتركه الا وقد تلاشت جته ، وقد
غدا اثرا بعد عين •

قال السيد رضا الهندى :- من يدريك انه لم يكن بينى وبين ذلك الاخرس
ماكان بين الفيلسوف المذكور والحمال من البعد الشاسع اكثر واكثر ، ولكن المهم
هنا انا كنا منسجمين ومأنوسين •

★ ★ ★

نقد كان السيد رضا يؤمن بالغيب ، ويعزو اسباب الكثير من الحوادث
والوقائع الى الميقات ، فكان للاحلام عنده شأن كبير ، وهو يعتبرها بمنابة البشائر ،
والنذر للحوادث ، ويرى ان كثيرا من الامور التى يراها المرء فى منامه تتحقق له
فى يقظته فى اليوم الثانى او الايام القريبة الاخرى •

واذكرانى ناقشته رأيه هذا قبل وفاته بمدة قليلة حين قال لى ان مدته لن
تطول بعد اليوم فى الحياة لانه كان قد رأى فى المنام أباه وهو يدعو لمرافقته لزيارة
احد الاضرحة المقدسة ، وقلت له : اننى اعتقد ان تحقيق الحلم فى اليقظة ليس
الا من قبيل المصادفة ، وهى لا تزيد على ان تتوقع شيئا او تمناه فى يقظتك فيتحقق
لك ذلك بينما تنسى انك قد تمنيت اشياء كثيرة فى اليقظة ، ورأيت ملايين الاحلام فى المنام فلم
يتحقق شيء ولا بمض شيء منه ، ثم قلت : وهب ان مايقع فى الحلم سيقع فى
اليقظة فما علاقة دعوة ابيك لمرافقتك فى زيارة الاضرحة المقدسة بانتقالك الى
الآخرة لاسمح الله ؟

فقال - ان الاختلاف فى هذه الامور لا يقتصر على وعليك وحدنا بل ان لهاتين
العقيدين المتضادين اهلها والمؤمنين بهما ، ومنذ وقت طويل والفجوة بين هاتين
الطائفتين واسعة وواسعة جدا •••

ومات السيد رضا بعد مدة قصيرة من هذا الحديث •••!!
الله كم هو قاس هذا الموت الذى يطوى مثل هذه الارواح الوادعة الظريفة
البريئة التى طالما كانت بلسما للقلب المكلم ، وملجأ لليائس المظلوم ، وعلاجاً روحياً

تقيم المَوج من النفوس ، ونبراسا يهتدى الناس بعلمها ، وادبها ، وسيرتها الحميدة ،
ونفوسها المغممة بالطيبة والمرح ، وقد كان السيد رضا من هذه الارواح التي طواها
الموت في الظلمة فكانت الخسارة بفقده كبيرة ولم تكن مقتصرة على ما اصاب الادب ،
والفضيلة ، والروحانية التي مثلها السيد رضا الهندي خير تمثيل حين توفاه الله ،
وانما فيما اصاب الانسانية والخلق المرح البريء الذي لا يخضع لقيد ، ولا يتأثر
بتقاليد ، هذا الخلق الذي قلما وجدنا نظيره مجتمعا في شخصية روحانية •

لقد شق على فراقه وها هي ذى ايام تمر وانا اتصور مجلسه الذي لم يتغير من
ذلك الكرسي الذي اعتاد ان يقعدده ، كأنه لم يزل حيا ، والحق انه لم يزل حيا في
نفوس عارفيه ومقدرى فضله •



حمید خان

حميد خان

ملك بستان الجواهر العثماني
هو سيده السيد كمال الدين الحسيني

السترة
اشتمت سنة ١٣٦٠ - ١٩٤١
مبنى المحكمة - الوراق

لم يكن احد من النجفيين يرتدى (السترة والبنتلون) يوم كان حميد خان آل نظام الدولة ، يخطر في لباسه الملكي النجميل فكان (طربوشه) الاحمر الذي يعلو رأسه ، وازرار سترته البراقة التي في صدره ، وحذاؤه اللماع الذي في قدميه ، كان ذلك ملفت انظار جميع الناس في هذه المدينة

ولقد قيل ان الحاج محسن شلاش قد ارتدى السترة والبنتلون حين انعم عليه بالوسام من الحكومة العثمانية ، وقيل ان محمود عجيبة احد رؤوساء بلدية النجف في العهد العثماني هو الاخر كان قد ارتدى اللباس الملكي ، ولكن ذلك - ان كان - فهو لمدة موقته ، ولايام خاصة ، اما الذي لبس السترة والبنتلون منذ اول شبابه الى اخر ايامه فهو حميد خان الذي يكون اول نجفي ارتدى هذه الالبسة في هذه المدينة ، واكثر ما كان يرى حميد خان في اوائل شبابه فانه يرى في الصحن الشريف وعلى دكة مقبرة ابيه (اسد خان) وكانوا يفرشون الدكة في الصيف ببعض السجاد فيتخذها البعض من موظفي الحكومة التركية ووجوه النجف مجلسا حين فراغهم وحين نشدانهم التنزه عصر كل يوم ، وفي صباح ومساء كل يوم جمعة ، فكنت انا اراه كلما مررت عصرا بالصحن الشريف ، لقد كنت اراه بين زمرة من الموظفين العسكريين والملكيين الذين تقع عيون الجميع عليهم في اثناء المرور بالصحن ، وكانت البزة العسكرية تأخذ من عيون الجميع مأخذها يومذاك ، وقد علمت ان هذا الرجل هو حميد خان ، وانه يحسن اللغة الانكليزية وانه ابن اسد خان الموسر الكبير صاحب حمام (الحضرة) ونصف (القيصرية) الكبيرة كما يقولون ، فرحت وانا طفل صغير ارى كل اسرار العظمة مجتمعة فيه وزاد في

(١) الهاتف - السنة التاسعة - العدد ٣٤٥ - ٧ كانون الثاني ١٩٤٤ .

عظمته عندي انه كان يتكلم الانكليزية ، وانه كان قد قطع مرحلة دراسته في الهند
اما اسباب تلقيه الدروس في الهند دون سائر الجهات فلان عمته (البيبي) كما
يسمونها كانت زوجة زعيم الطائفة الاسماعيلية وهي ام (اغا خان) الكبير .

ولقد جاءت هذه (البيبي) مرة الى النجف زائرة ، وكنت يومها طالبا في
المدرسة العلوية فاعانت (البيبي) المدرسة العلوية بمبلغ من المال ، وانعمت على كل
طالب بمبلغ (مجيدي) واحد أو (رية) واحدة على اغلب الظن ، وهنالك ونحن
صغار علمنا ان هذه (البيبي) هي اخت اسد خان ، وانها ام اغا خان ، وعمه حميد
خان اضافة الى ان مدرستنا كانت من املاك اسد خان ، وهو البيت الذي يقع
في شارع مدرسة السيد كاظم اليزدي .

وثمة شيء آخر مما كان يجعلنا ان ننظر الى هذا البيت بيت اسد خان ونحن
صغار نظرة اعجاب ودهشة ، هو الذي كان يقصه كل نجفي عن تلك الابهة
والحفاوة التي حف بها زواج ولدي الحاج (على اغا) شقيق (الحاج اسد خان) وهما
اغا عباس واغا صدرى من بنتى عمهما اسد خان ، وعلى ان هذا الزواج كان قد تم
قبل ولادتي بنحو سنة واحدة اذ كان ذلك سنة ١٣٢١ هجرية فقد ظل حديث جميع
المجالس كما صار اثنوذة الصبيان لجيل آخر ، ولقد مر الان اكثر من نصف
قرن ومازال الكثير من سكان النجف اطرافها يهزجون بتلك الازوجة التي بعثها
مناسبة زواج ولدي الحاج على اغا من اختى حميد خان .

فلقد نقل ان زفاف العروسين الى ابني عمهما المذكورين قد جرى في عربة
تجرها خيول مطهمة اسرجت بسروج من الحرير المطرز بالقصب ، وألجمت
بالجمعة من الفضة ، وزينت العربة تزيينا بالغ فيه المتحدثون كثيرا ، وكان من ورائها
آلاف من النساء والوصائف والعبيد فلا تبلغ العربة مفترق أحد الشوارع في المدينة
وهي في طريقها الى بيت المرسيين حتى تقف ، فيقف الموكب كله ولا يتحرك الا
بعد ان يجيء المريسان فيتأزلا للعروسين عن قطعة من املاكهما على سبيل الترضية
واشباع الدلال ، فتمشى حينذاك العربة ثم تقف عند مفترق شارع آخر ويعود

العريسان مرة اخرى فيهديان للعروسين شيئا آخر ، وهكذا حتى وصل الموكب الى بيت الزوجية .

كان هذا مما ينقل لنا ونحن اطفال عن زواج اولاد الحاج على اغا ، وينقل في صور مختلفة تركت لها آثارا عميقة في نفوسنا . اما قصة الاهازيج او الاناشيد التي التصقت بهذا الزواج فتتلخص بان (الحاج على اغا) كان قد أقام الولائم بمناسبة زواج ولديه لجميع سكان النجف على الاطلاق مدة ثلاثة ايام فخص اليوم الاول منها بالعلماء والادباء ورجال الحكومة من النجف اطرافها ، وخص اليوم الثاني بالوجوه والتجار والكسبة المحترمين .

اما اليوم الثالث فقد فتح فيه الباب على مصراعيه للجميع ، وبلغ خبر هذا الفتح جميع القرى والقصبات القريبة من النجف فجاءت زرافات ووحدانا الى بيت الحاج على اغا ، والظاهر ان المشرفين على المطبخ لم يقدروا عدد الواردين في هذا اليوم تقديرا صحيحا فشحت عندهم مواد المرق ، اما اللحم ، والرز ، والسمن ، فقد كان لديهم منه الشيء الكثير ، فاستنفدوا كل ما استطاعوا ان يحصلوا عليه في السوق في تلك الساعة المتأخرة من النهار من (حمص) و (آلوجة) و (بخارا) و (اسيناج) ولكن اين يكون بمستطاعهم ان يكفوا هذه الجموع المحتشدة في الشوارع والتي صارت تدخل البيت بالمئات فتناول العشاء وتخرج من البيت بالمئات ؟! واخيرا ارتأى المشرفون على المطبخ ان يستعينوا بالثلثم والجزر دون ان يلتفتوا الى ان مثل هذا المرق والادام في الدعوات والاعراس لا يعتبر مألوفاً ، لذلك لم يغتفر الداخلون في اواخر الليل لال الحاج على اغا مثل هذا السهو ، وعدوه اهانة للطبقة الثالثة من الفلاحين ، والعمال ، والفقراء ، ونسوا ما كانوا قد تناولوه من جيد المأكول ولذائذ المطبوخ في الوجبات الاولى من العشاء وكان بين تلك الطبقة بعض شعراء الزجل العامي من العمال فلم ينفذ هؤلاء ايديهم من العشاء حتى هزجوا ، وردد الآخرون اهازيجهم :

اطيخنا خوش اطيخ يا حيف مرقتنا جزر

ثم اردفوا ذلك بايات كثيرة من قبيل :

دزوا خبر لاسد خان وزنة جزر نص قران

ومن قبيل :

مرقة جزر بيا احدار بالانكرى ما تسدار

وغير ذلك مما ظل يردده الكبار والصغار جيلا كاملا وبلغ من الامر ان تناول

القضية احد الادباء المتفتنين ووضع لها تاريخا بقوله (عنا مرقت جزر) •

وكان اغلب التآت القصيرة فى القواعد الاملاية التركية يكتب بالتاء الممدودة

ومن هذه كانت التاء فى كنمة (مرقت) وهى تعنى (مرقة) ويبلغ مجموع هذه الجملة

(١٣٢١) وهى السنة التى تم فيها الزواج المذكور •••••

كل هذا قد جعلنى انظر الى حميد خان نظرة اكبار واتممن من بعيد فى

سترته وبنطلونه واعجب ان يرتدى احد من المدنيين السترة والبنطلون التى كانت

مقتصرة على موظفى الحكومة فى النجف •

وبعد ذلك فقد كانت اشياء اخرى كثيرة تتولى تعريف الناس بحميد خان

فى ذلك الوقت ، كان منها (مسعود) الزنجى النحاسى اللون ، ومسعود هذا عبد

اسود يمتلكه حميد خان ، وقل فى النجف من لم يعرف مسعودا ، فقد كان رجلا

وقورا وعلى جانب كبير من الاناقة فى ملبسه ، وحر كاته ، وسكاته ، فلا يمر بمكان

الا ويشير اليه المشيرون بانه عبد حميد خان الخاص ، ومنها كان الحاج اسود شيرعلى

الذى كان يلازم بيت حميد خان • ومنها كان حمد السنى ، وحمد السنى هذا ابن

قس من القنيسين اسلم على يد الزعيم الروحانى الحاج ملا على الخليلى ،

واستطاع فى مدة قليلة ان يستلقت الانظار الى ما استطاع ان يحيط به فى مدة وجيزة

من علم الفقه والاصول والكلام والادب ، وقد تزوج بامرأة من آل قفطان فولدت

له ولدا سمي بحمد السنى ، ولست ادرى لم سمي بحمد السنى فهذا السواد لا يفهم

المنطق والمناسبة والمقتضيات ليحاسبه احد على مسمياته ومعتقداته ، وعاداته ، ويفلب

على ظنى ان مفهوم السواد يومذاك لا يتجاوز فى الادبان والمذاهب اكثر من المذهبين

الشيعة والسني ، فكل من لم يكن سنيا كان شيعيا في نظر سواد السنة ، وكل من لم يكن شيعيا كان سنيا في نظر عوام الشيعة ، ولكن حمدا لم يكن الا شيعيا فمن اين جاءت هذه التسمية ؟ انها على ما يبدو لى نتيجة نسبة حمد لابيهِ المسيحى الاصل فسماه السواد بحمد السني لانه لم ينحدر من اصل شيعى

ولم تكن شهرة حمد مقتصرة على هذه النسبة وهذا التاريخ ، وانما لشخصية حمد فى عالم الفتوة والشجاعة شأن او بعض شأن فى الاوساط. فلقد شب حمد شجاعا باسلا غير هباب وأسهم فى حرب (الزكرت والشمرت) واعطى بندقيته مكانة قد تكون مرموقة بين البندقيات ، وكان يعمل فى احد البساتين من الشواطىء القريبة من النجف مزارعا يفلح الارض بنفسه ، وكَم يصادف ان يترك البستان فى ساعات متأخرة من الليل ويدخل المدينة من فجوات خاصة فى السور ، لان ابواب المدينة تكون مغلقة فى تلك الاوقات . دون ان يخاف احدا .

ولقد افاد حمد السني من هذه النسبة السنية ذات يوم فى نزاع وقع بينه وبين خصم له اشبعه حمد ضربا وصفعا وترك انفه ينزف بالدم ، حتى لجأ هذا الخصم الى القوميسير شاكيا داعما شكواه بعدد من الشهود على ما فعل به حمد السني الامر الذى حمل القوميسير على توقيف حمد السني وجلده ، وحين اخرج حمد السني من التوقيف ليجلد تيقظت فيه الباهة ، ووجه الكلام الى القوميسير قائلا :

- لا انكر يا سيدى ما فعلت يداى بالمشككى وانى لاحمد الله ان تم الامر على هذه الصورة ولم يؤد الى ارتكاب جريمة ، فهل تدري لم كل هذا ؟ فاذا كنت لم تعلم فلتعلم الان اننى السني الوحيد فى هذه البلدة ، والسني مكروه عند الشيعة ، وانهم ليضايقوننى فى حياتى مضايقة شديدة حتى لقد جزعت اليوم ونقد صبرى فبطشت بهذا الرجل كما ترى وانا مكلوم ، واذا لم تصدقنى فاسأل عنى الجميع فقد بلغ من كره المدينة لى انهم يلصقون مذهبى باسمى ويسمونى بحمد السني ليعرفنى من لم يعرفنى بعد .

ويظهر ان القوميسير وهو ضابط تركى وسنى قد اقتنع بما قال حمد فاكرمه

على ما قيل واطلقه

وكانت لحמיד خان وعمه الحاج على آغا املاك من (قيصريات) وحمائم ،
واسواق ، فانيطت جراستها بحمد السنى خصوصا فى الاوقات التى كان يسود
فيها النضب وتقوم المارك بين الزكرت والشمرت فى النجب ، فكان حميد فى
مقدمة جماعة حميد خان وآل الحاج على آغا ومن (الفتوات) الذين التصقت
اسماؤهم باسماء آل نظام الدولة مدة غير قليلة ، وكانت صورة حميد السنى وانا
طفل لاتبارج ذهنى ولم اكن اعرف عنه الا انه من اتباع حميد خان .

ومما كان يرافق اسم بيت حميد خان ايضا هو وجود بغاء فى بيتهم وهى
من صنف خاص انفردت بصفات خاصة ، بين اصناف البيغاوات وقد اتصل خبرها
بجميع الناس ، ورووا عنها الاعاجيب وقالوا ان فى بيت حميد خان بغاء تكلم
الهندية والفارسية والعربية بطلاقة ، وكانت تنادى (مسعودا) كلما رأت زائرا يدخل
البيت ويجلس فى الديوان صارخة بمسعود ان يجيىء بالشاى للزائر وكانت تسأل
قائلة : (من الطارق) اذا سمعت الباب يطرق ، وكانت تشتم ، وتسب بما تعرف من
اللغات كلما رأت شخصا يتحرش بها ، وكثيرا ما كانوا يماكسونها بعود يدسونه
ليها من بين اسلاك القفص ، وكل هذا كان ينقل عن هذه البيغاء المعجبة وربما
بشيء كثير من المبالغة التى تحملهم على وصف اشياء ليست فيها .

ولقد اهدى حميد خان هذه البيغاء التى يسمونها (كاسكو) لقد اهداها الى احد
اعمامى وهو الميرزا محمود الخليلي ، وقد استطعنا ان نستعيرها ونأتى بها الى بيتنا
اياما ، ولم ازل اذكر ازدحام المنارف والاقارب على قفصها فى بيتنا كازدحام الناس
على الراديو والتلفزيون يوم اول تعرفهم به ورؤيتهم له ، ولما مات الميرزا محمود
اصرت زوجته على ان تكون تلك البيغاء من ضمن ميراثها .

كل ذلك واكثر مما كان يتصل بحميد خان او بيته عن بعد او قسرب كان
مرتسما فى ذهنى وانا صبى لم اعرف من العالم الخارجى غير المدرسة وما تقع عليه
عينى فى الطريق وغير ما كانت تستوعبه اذناى من المسموعات .

ومرت سنين تغيرت فيها الاحوال ، ودالت دولة الاتراك وقامت حكومة الاحتلال
الانكليزى فعرضت على حميد خان وظيفة معاون الحاكم السياسى فى النجب وهى

وظيفة خطيرة جدا يومذاك فأبى قبولها واشتد ابأؤه ، وأحست حكومة الاحتلال بالحاجة الماسة اليه فسمت عن طريق الزعيم الروحاني المنرد السيد كاظم اليزدي لحمله على تكليف حميد خان بقبول هذه الوظيفة ومازال به حتى قبلها خصوصا وان ثلة من اصدقائه الخالص كالشيخ جواد الجواهري ، والميرزا مهدي الاخوند ، والشيخ عبدالكريم الجزائري كانوا يرون في قبوله لهذه الوظيفة ضربا من ضروب اداء الواجب نظرا لاحتياج الناس الى امثاله في قضاء حاجاتهم ومن هنا بزغ نجم حميد خان لامن حيث المقدرة واللياقة فحسب وانما من حيث تصديه لقضاء حاجات الناس ، ولكن هنالك فئة من المتطرفين او غير المطلعين على مبدأ دخول حميسد خان في ميدان الوظيفة قد غالت في تهجمها على حميد خان ولاسيما الشباب منهم واعدت قبوله الوظيفة ضربا من ضروب مماثلة سلطات الاحتلال ، واشتهر حميد خان ولم تقتصر شهرته على النجف وحدها وانما تجاوزت الفرات ، وصار يعد من ارباب الحل والعقد ، ولم يعد يحتاج احد من الكبار والصغار الى ان يمر بالصحن الشريف لتقع عينه على الدكة التي كان يقتمدها هذا المطربش ليعرف هناك شخصيته ، فقد دخل اسم حميد خان في كل حديث من الاحاديث السياسية والثقافية والاجتماعية أليس هو اليوم معاون المتنفذ ذا الكلمة المسموعة عند الحاكم السياسي بل عند الحاكم السياسي العام؟ أليس هو أول من تلقف من النجفيين ثقافة عصرية حديثة؟ ثم أليس هو ابن تلك الاسرة العريقة المعروفة في النجف؟ ذات الفضل في حفظ النجف من الغزو بسبب ذلك السور العظيم الذي كلف بناؤه الشيء الكثير من المال ، ثم اليسوا هم الذين بنوا مدرسة (الصدر) وهي أكبر مدرسة دينية علمية في النجف وخصصوا لها اوقافا تدر عليها وعلى طلابها ، الرزق؟

وضاق بيت حميد خان بالوفود والزوار وارباب الحاجات ، بل ضاقت بيوت اصدقائه من الشيخ جواد الجواهري والشيخ عبدالكريم الجزائري والميرزا مهدي الاخوند بالناس الذين يلتجؤون اليهم لقضاء حاجاتهم عند حميد خان ، وبدأ الناس يرون في اعمال حميد خان صورة لانسانية قل عهدهم بامثالها ممن عرفوا في حياتهم العامة والخاصة ، فقد زخرت شخصيته بالكثير من المرؤة والنبل والحلم والسخاء .

وانى لاذكر ان أبى قد جاء ذات يوم وهو فى اشد حالات القلق ليخبر اخى عباس الخليلى بان حميد خان قد أسره بان تقريراً سرىياً قد رفع الى الحاكم العسكري يتهم فيه اخى بالعمل على قيام ثورة فى النجف وان حميد خان قد فند هذا التقرير على رغم اعتقاده بصحته وقد طلب ابى من اخى ان يقدر المواقب ، وان لا يزج بنفسه فى هذه الميادين ، وكان اخى عباس من اولئك الشبان الذين يسيؤون الظن بحميد خان وكان ممن يرى فى صداقة ابى له شيئاً من الاساءة لاسرتنا ان لم يكن شيئاً من الخيانة ، وانا يومذاك لم ازل فى مرحلة الصبا ولم ابلغ بعد السن التى تخولنى ان افهم شيئاً أو أرى رأياً ، لذلك كنت الى جانب اخى فى العقيدة وفى فهمى للوطنية ، ولم تكن وحدنا من اسرتنا الذين نرى هذا الرأى فى حميد خان ونلوم أبانا على صداقته الاكيدة وانما جل اسرتنا كانت على هذه العقيدة .

ومرة اخرى جاء ابى الى اخى يخبره بان الازمة قد اشتدت وان التقارير بخصوصه قد تكاثرت وان حميد خان قد لا يستطيع الدفاع عنه بعد هذا ، ولكن اخى - وكان قد غطس فى اعداد ثورة النجف الى شحمة الاذن - كان لا يعير أباه اذا مصفية .

وقامت ثورة النجف وعرفت مكانة اخى منها وتحققت مضامين التقارير ووقع شىء غير قليل من الكدر وسوء التفاهم بين السلطات الانكليزية وبين حميد خان بسبب اخى وبسبب عدد آخر ممن كانوا قد اسهموا معه فى الثورة النجفية فحال دفاع حميد خان بين السلطة والقبض عليهم قبل استفحال الثورة حتى فات الوقت على السلطة ، وفى مقدمة اولئك كان السيد محمدعلى بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائرى اللذان لم يمثا بتحذير حميد خان ولم يهتما بدفاعه عنهما ، ان لم يكونا كاخى من الناقمين عليه . ولقد وقع بين السلطة الانكليزية وبين حميد خان شىء كبير من الاخذ والرد والكدر عند اندلاع ثورة النجف ولكن هل من حميد خان على أحد من اولئك الذين ذب عنهم ؟ وهل قال لاحد من اسرهم انه قد تحمل فى سيولهم ما تحمل من مؤاخظة وتجريح ؟

وقد ظل ابي حتى الموت وهو اشد ما يكون خجلا من حميد خان بسبب اخي ،
ويوم سجن حميد خان في طويريج قصده ابي مرتين وباذن خاص من عمران
الحاج سمدون وزاره في البيت المخصص لسجنه والمحظور دخوله على الناس الا
بصعوبة واطال المكوث عنده .

وكنت انا غير مدرك ما كان يدركه المجرّب البعيد النظر اذ لم تكن تتجاوز
نظرائي حدود قديمي لذلك لم افهم حميد خان على حقيقته ، وكنت اسمع بالكثير من
فضائله الانسانية ونبله وكرم خلقه ولكني كنت كالكثير من عميان البصيرة لا اقيم
وزنا لما اسمع حتى قامت الثورة العراقية ، وهم حميد خان ان ينجو بنفسه من هؤلاء
المتطرفين الذين يجهلون قيمة حميد خان وحقيقته وكانوا قد كروا في النجف ، وقد
ركب الناس حماسا وطنيا عارم حال بينهم وبين الادراك بان دخول حميد خان الى
الوظيفة انما جرى بناء على حث ائمة الوطنية وزعماء البلد كالشيخ الجزائري
وان البلد قد افاد من وجوده ما لم يفده من الكثير من أهل الحزم والاخلاص .

اقول وادرك حميد خان انه معرض نفسه للهلاك اذا بقي في النجف ساعة
واحدة فهم بان يخرج منها ويقصد مدينة كربلاء وينيب نفسه فيها ، لان محيط
كربلاء كان ارحب صدرا من النجف يومذاك ، وكان للشيخ صادق الكبي في
النجف دين على حميد خان ، وكان قد بلغه خبر محاولة خروج حميد خان مسترا
من النجف فقصده حيث قد اسرحت خيول العربة المدة لتقله خارج النجف ، وهناك
وقف حائلا بين حميد خان والسفر ، وعبنا اجهد حميد خان نفسه في اقناعه ،
وعبنا اكد له بانه سيكتب له حوالة على أحد التجار او على وكيله لكي يتسلم المبلغ
منهم ، فلم يفد الاجهاد مع الرجل شيئا ، حتى اضطر الى ان يبعث باحد العمال من
هناك ليأتي له بمن يلتقيه في الطريق او في بيوتهم ممن اسماهم له لكي يسددوا
للشيخ صادق دينه وبعد انتظار ساعة واكثر حضر السيد مهدي المحلاتي وقام بدفع
المبلغ للكبي ، وخلص منه حميد خان ، ولكن هذا التعطيل قد ادى الى ان يتسرب
خبر خروج حميد خان من النجف الى اولئك المتطرفين فاندفع البعض منهم وادركوا
العربة وهي على وشك الحركة . . .

ومن حسن الحظ ان حضر تلك المعسمة بعض من يعرف حميد خان بحقيقته
فحافظ على كرامته وتوسط في امره واكتفى المتطرفون بسجنه في مدينة (طويريج)
تحت رقابة عمران الحاج سعدون رئيس قبائل بنى حسن ، فكانت هذه الحادثة اولى
حادثة غيرت نتيجتها وتبعاتها فيما بعد رأى ورأى الكثيرين في حميد خان ، فقد
انتهت الثورة ، وعاد الرجل الى النجف وازداد عدد انصاره واحبائه وكان المنتظر
ان ينزل باولئك الذين خاصموه وآذوه وضايقوه ضربة مؤذية اذا لم تكن ضربة
منتقمة ، ولكن حميد خان لوى جيده ، واشاح بوجهه كانه لايعرف من الماضي
شيئا ، ومن ذا الذى لايعرف خصوم حميد خان ؟ لقد عرفهم حتى الاطفال أيقضى
اذن على حميد خان احد منهم ؟ وتلك كانت من اهم سجايا الرجل التى انفرد فيها
في النجف .

ففى ذات يوم من ايام سجنه (بطويريج) وقد كان يعد البسته ليدخل حمام
البيت وكان الحارس الموكل عليه والخدام الخاص به يعملان في تسخين الماء في
الحمام وهو اول حمام أعده حميد خان في البيت بعد بذل جهود غير قليلة مع
الحارس الذى كان يخاف من ادخال العمال والبنائين الى البيت حذرا من عدم
موافقة المسؤولين في بناء حمام في البيت وان كان ذلك على نفقة السجين نفسه .

اقول ففى ذات يوم وحميد خان يعد البسته وكان قد التفت بعباءة اذ طرق باب
البيت طرقا عنيقا اضطره الى الذهاب بنفسه لفتح الباب وحين فتح الباب الفى نفسه
قبال رجل متجههم يتطاير الشرر من عينيه وهو فى وضع يدل على انه قادم على شر
أو ارتكاب جريمة فخافه حميد خان وسأله عما يريد ؟ فاجاب - أرنبى حميد
خان وسترى فتركه حميد خان فى الباب وجاء الى الحمام حيث الحارس
والخدام وناداهما فخفا الى الرجل واذا به فى وسط الدار وهو شاهر سلاحه فقبضا
عليه وانتزعا السلاح من يديه وسأفاه الى عمران الحاج سعدون واعترف هناك
الرجل بانه فلان وانه من النجف وقد جاء ليقتل حميد خان تقربا الى الله ولوجه
الوطنية!! وقال انه لم ير حميد خان من قبل ولا سبق بمعرفته !

وتمر الايام بسرعة ويخرج حميد خان من السجن ، ويعود الى النجف كأن

لم يكن شيء قد مر ، وكان الشيخ صادق الكسبي الذي نولا مضايقته لحמיד خان لكان حميد خان قد دخل كربلاء ونجا من السجن ، اذا بالشيخ صادق يقصد حميد خان في بيته ويلوذ به ليخلصه من ورطة وقع فيها فقد اصبح الشيخ صادق - بسبب تأجير مطبعته في النجف على حكومة الثورة - من غرماء الانكليز ، تلك المطبعة التي كانت تطبع بها جريدة الاستقلال التي كان يديرها السيد محمد عبدالحسين فكانت لسان حال الثورة ثم انتقل اسمها بعيد الثورة الى بغداد وبدأ يصدرها عبدالغفور البدرى كامتداد (لاستقلال) الثورة ، فقد صودرت مطبعة الشيخ صادق الكسبي من قبل الانكليز وفرضت عليه غرامة من ائمال وعدد من البنادر يجب ان يأتي بها الشيخ صادق ويسلمها للانكليز ، ولكن أتري قال حميد خان شيئاً ؟ او اشار الى شيء مما كان من امر الشيخ صادق ؟ او ذكره بما كان له معه ؟ وكل ما فعل حميد خان هو انه سمى فرد له المطبعة وخفف الغرامة واسقط عن كاهله البحث عن البنادر وشرائها !!...!!

ووقع مثل هذا بل واكثر من هذا يوم كان يهم حميد خان بدخول السراى بعد الثورة فاذا به وجها نوجه امام ذلك الرجل الذي كان قد قصده في طويريج ليقتله متقربا الى الله بقتله ، وحين وقعت عين الرجل على حميد خان رجع الى الوراء قليلا ولاذ بباب احدى غرف السراى ولكن حميد خان اسرع اليه ، وامسك به من يده وهو يضحك والرجل ترتعد فرائصه من الخوف واخذه الى غرفته وسأله :

- أليس هو فلانا ؟

قال - بلى .

قال - فما الذى جاء بك الى هنا ؟ فانتى اخشى ان تكون قد جئت لتتقرب بي مرة اخرى الى الله . قال هذا وهو يضحك ...

فاطرق الرجل ولم يجب من فرط النجمل ، وخرج حميد خان من حال الدعابة والمزاح الى الجد ، وسأل الرجل عما اذا كان يشكو شيئاً ، فقال انه يشكو ادبار الدنيا ، وقد حسن له بعض الاصدقاء ان يعرض نفسه على الحكومة كمتعهد أو

ملتزم لبعض الاشغال ، ومنذ اسبوعين واكثر وهو يراجع الجهات المختصة فى السراى فلم يوفق

ولم يترك حميد خان الرجل يخرج من السراى فى ذلك اليوم حتى اوجد له عملا مناسباً فى الكوفة !

وكم من مرة اساء الميؤون الى حميد خان واحسن حميد خان ، وأسأؤوا واحسن ، وظل يحسن حتى ذهب الاساءة وتوسيت وبقى الاحسان ، وحين كان متصرفا للواء كربلا اسمت دائرة انفاقه حتى لم تعد واردات املاكه تكفى لمصروفه بالنظر لما كان يخصص من رواتب شهرية لجهات كثيرة وبيوت ممتدة ، وكثيرا ما كان يخصص لطلاب المعوزين ما يستعينون به على دراستهم ، وقل من عرف بذلك الا القائمون بتنفيذ رغباته ، وبعض الحاشية الذين من الصعب ان يمر شىء بدون اطلاعهم عليه ، وقد اكد هؤلاء ان حميد خان لم يتقاض فى ايام الاحتلال فلسا واحدا من الخزينة البريطانية فكانت السلطة تضيف راتبه الشهري الى خيريات (اوده) التى يجرى تقسيمها على الفقراء فى كل ثلاثة اشهر عن طريق السلطات الانكليزية وهذا بالطبع قد ساعد كثيرا على نفوذ حميد خان واحترام السلطات الانكليزية لرأيه عند وقوع الاختلاف معه .

ويستحيل حميد خان لوقوع شىء من الاختلاف بينه وبين الملك فيصل الاول وذلك بعد زيارة الملك فيصل للواء كربلاء ونزوله ضيفا على حميد خان فى النجف ، فيقرر حميد خان السكنى ببغداد بعد ذلك وينتقل اليها ، ويكرر اقترابى منه فى هذا التاريخ وتزيد معرفتى به فاندم على ما فاتنى من وقت كان يجب ان اعرفه فيه بحقيقته قبل هذا التاريخ ، ووجدتني اخيرا امام رجل لايكفى ان تتعته بالرجولة وحدها فهو انسان بكل معنى الانسانية وقد خصه الله بقلب كبير ، وشعور مرهف وطبية تجاوزت الحدود وقد تصافرت هذه الصفات فخلقت منه نبلا شريفا جوادا لم تر النجف نظيرا له منذ عشرات السنين اذا لم نقل منذ مئات السنين . وهناك لم يبق احد الا وقد عرف حميد خان بحقيقته واستنفر الذين اسأؤوا اليه لربهم .

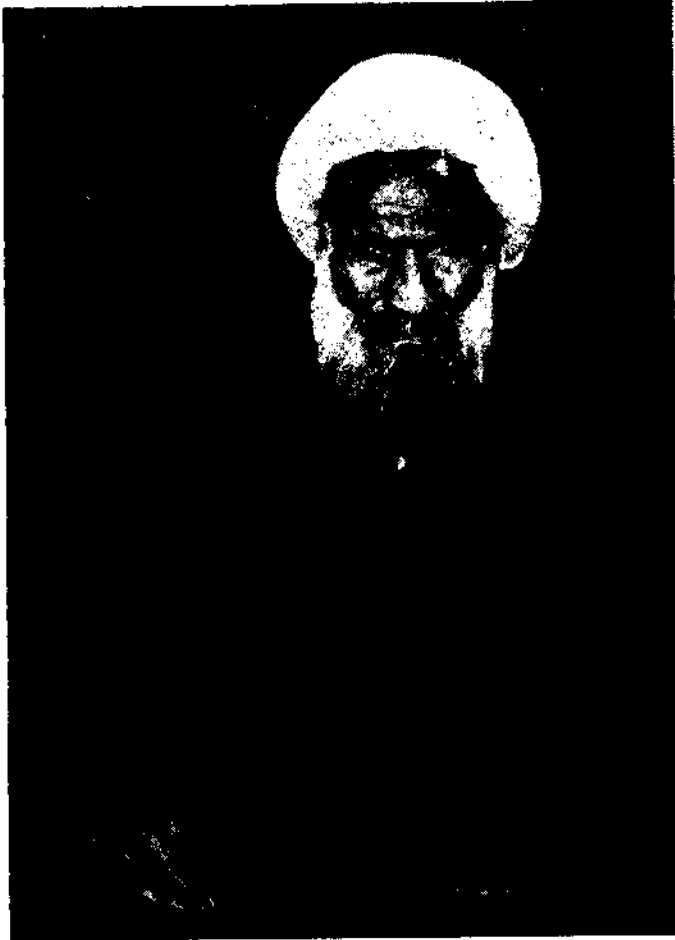
رأيتة فى ضهور الشوير فى صيف ١٩٣٩ وكان يعانى ضغطا عاليا فى الدم ،

وكان الى جانبي احد الذين انكر حميد خان يوم انكره الكيرون وانا من بينهم ،
 ولكنه حين عرفه لم يتح له ان يتذر اليه عما سلف ، لان الايام كانت قد نأت به
 وحالت بينه وبين حميد خان ، وهو حين تلاقى وياه هنا وفي ضهور الشوير بعد
 ذلك الجفاء هم بان يعتذر اليه بل بدرت بادرة الاعتذار على لسانه ، ولكن حميد خان
 كان ينظر حينذاك الى الافق ساهيا واجما كمن لا ينيه امر الاعتذار او كمن يريد
 الانتقام من الرجل بالاعراض عنه الامر الذي حمل الرجل على الغضب والندم على
 تقدمه بالاعتذار وسرعان ما انكش على نفسه ، وتقلصت
 سحته ، وراح يشغل نفسه هو الاخر بناحية ثانية من
 القضاء ليقابل الزراية بالزراية ، وبعد دقائق هم ان يقوم ، فامتدت يد حميد
 خان اليه مومية له بالبقاء وهو ساكت ، وهنا ادركت انا وادرك صاحبي ان الرجل
 يعاني عارضا نفسيا لا دخل له بسوء ظننا ، وبعد فترة قال ٠٠٠ قال اننى مريض
 يا اخي ، ان قلبي ٠٠٠ يهددنى بالوقوف عن الحركة ، وكنت - قال حميد خان -
 وانت تتكلم فى حال من الانهيار الذى لا يطاق فلم يكن بوسمى ان ارد تحيكت ٠٠!
 وقبل ان يموت حميد خان بشهر وانا ببغداد علمت بانه يعاني نوبة من تلك
 النوبات القلبية التى اشار اليها وهو فى ضهور الشوير فصممت على زيارته باسرع
 ما كنت افعل من قبل واذا بى فى الطريق امام اخيه مصطفى خان يخبرنى بان
 الطبيب قد اوصى بمنع الزيارات عنه وقال لى انه سيتولى ايصال تحيتى وزيارتى له
 وبعد عدة ايام لقيت حميد خان فى المكتبة الوطنية بسوق السراى وهو يقتعد الكرسي
 الذى كان يلذه ان يقتعد من هذه المكتبة كلما مر بسوق السراى ، فاقبلت عليه
 معذرا واخبرته بما كان فى عزمى من زيارته واكتفائى باخيه ولامنى قائلا ان المنع
 كان صحيحا ولكنك لم تكن انت مشمولا به ، وقبل ان امضى فى الاعتذار منه بدأ
 يقدم لى اعتذاره لعدم استطاعته حضور حفلة تدشين (دار الهاتف) وقال لى انه
 ينتظرنى فى الساعة الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم فى داره بباب المظلم وكان قد
 انتقل اليها كما اخبرنى ، وقد كرر هذا الطلب وهذا الرجاء اكثر من المتاد حتى
 اتار فى نفسى الشك وخلت انه ربما يريد تقديم هدية (للهااتف) بمناسبة تدشين دارها
 والا فما معنى هذا الرجاء بزيارته وعلى هذه الصورة الملحة وظللت اقدم رجلا

وأوخر أخرى وأنا احدث نفسي أذهب إليه ام لا اذهب ؟ واخيرا قوى الشك فى
ذهنى ساعة بعد ساعة حتى حان الموعد فالفيتى مصمما على عدم الذهاب ، وقد درت
برأسى الى جهة لعلها تماكس تماما الجهة التى يقوم فيها بيته وكانت تلك آخر
رؤيتى له .

وتعددت الثوبات القلبية ، وعلى انه كان شديد الحذر وانتوقى فانه لم يمتع
عن زيارة الاصدقاء وتفقد محبيه ولم يمتع اصداقؤه ومحبوه من ان يهيئوا له الجو
الذى يأنس به ، وذات ليلة وهو على مائدة عبدالرزاق الازرى عاودته الثوبة القلبية ،
وفى هذه المرة لم تمهله اكثر من نوان معدودة ماكاد يحس بها الحاضرون حول
المائدة ، فانطفأ ذلك السراج الوهاج من الخلق الكريم ، والنبل الذى ظل تاريخ
التجف يروى عنه الكثير مما لم يجر على بال ، فكان اول نجفى ضرب اروع الامثال
للحلم والانسانية وتجاهل الحقد والانانية فى جميع ادوار حياته . . . كما كان اول
نجفى تثقف ثقافة عصرية .

وحين توفى تبين ان عددا كبيرا من المعوزين كانوا يتقاضون من حميد خان
رواتب شهرية ومساعدات موسمية ، وان ماكان يحصل عليه من وارد املاكه الكثيرة
كان ينفقه كله وبدون ان يبقى شيئا منه على وجوه البر والاحسان على ذلك النسق
الذى كان مألوفاً فى ايامه ، فكانت فجيعتى به كبيرة وحزنى عليه عميقا . وكانت
خسارة الاخلاق به فادحة .



الشيخ جواد الشبيبي

الشيخ جواد الشيبى^(١)

وعيت ولشيخ الادباء الشيخ جواد الشيبى دوى هائل فى الاوساط الادبية .
والمحافل النجفية ، وكان اسمه من الشهرة بحيث لا يذكر اسم الادب يومذاك
بجميع فنونه الا وكانت له من المناسبة ما تجعل الاتصال وثيقا باسم الشيبى الكبير ،
وكان عدد ادباء العربية الموهوبين حينذاك كبيرا ، وعلى جسامه هذا العدد كان
الشيبى فى الرعيل الاول من المتفوقين والعاقره ، حتى لقد كان يجوز للاديب
- فضلا عن المتأدب - ان يتجاهل او يجهل طائفة من اولئك الادباء الكبار ولا يجوز ان
يجهل او يتجاهل تلك القلة التى كان منها الشيخ جواد الشيبى فى الطليعة .

ولعل قبل ان اعرف الشيخ جواد بالذات قد سألت عنه واكثرت السؤال ،
وبحثت عنه واكثرت البحث ، فكانت لى به معرفة ليست كمعرفة واحد يسمع باسمه ،
او يقرأ له ، او يصفى الى ادبه وكلماته ، وانا هو شىء يفوق ذلك كله . ويدل
على زيادة فى المعرفة لم تتأت الا عن اسئلة واجوبة متواصلة ، وتتبعات واستقصاءات
متعاقبة ، وانا حين استعرض صحيفة الذاكرة الان لا علم تأريخ اول معرفتى به لم
اجدنى واصلا الى شىء اكثر من انى عرفته منذ استطعت ان اعرف الناس ، فقد كنت
اعلم انه من رواد مجلس آل الشيخ عباس كاشف الغطاء ، ومجلس السيد حسين
القزوينى ومجلس السيد على العلاق ، وانه من اقران الشيخ هادى الشيخ عباس ،
والشيخ عبدالكريم الجزائرى . والشيخ عبدالحسين الجواهرى والشيخ اغا رضا
الاصفهانى ، والسيد على العلاق ، والسيد جعفر الحلى ، وكنت اعلم ان لهؤلاء
تأريخا حافلا بالفضيلة والكرامة ، ودواوين عامرة بالشعر والادب والنوادير
والنكت ، وانه يرجع اليهم الفضل العظيم فى بناء النهضة الادبية ، وتكوين مجموعة
من روائع الادب العربى الرصين ، تلك المجموعة التى لاتجارى من حيث متانتها ،

(١) الهاتف - السنة التاسعة العدد ٣٥٠-١٧ آذار ١٩٤٤ .

وقوتها وكيفية نسجها ، وكنت اعلم ان نثيخ جواد الشيبى مع هذه الزمرة الخاصة من طبقة ومع غيرها من زمر الادب التى نلى طبقة تاريخا ادبيا ممتعا ، وكان من هذه الزمرة الشيخ عبدالحسين الحلى قاضى قضاة البحرين ، والشيخ عبدالرضا الشيخ راضى ، والشيخ عبدالحسين الحياوى وغيرهم .

اقول ، وكنت اعلم ان له مع طبقة الخاصة والطبقات الاخرى نوادر ونكتا غاية فى الرقة ، وغاية فى سمو المعنى ، ومساجلات شعرية ربما طوقت جيد الادب بمقود قلت نظائرها فى كثير من الحقب التاريخية ، وكان الشيخ جواد الشيبى هو المجلى فى الغالب بشعره ، ونثره ، ونوادره ، وسرعة خاطره ، وقد قيل ان نوادره الادبية ، وتحفه الفنية من الكرة بحيث تستوعب مجلدات ضخمة لو تصدى احد لجمعها .

لقد وعيت وانا واحد من عشاق اديبه ، ومتبعمى بدائعه ونكته ، وكنت ابحت عن نماذج من رسائله وخطوطه بقصد ائمة الروحية ، وطلب الادب ، وكنت اقرأ ما احصل عليه بكل شوق ولهفة . فقد كان العلماء كثيرا ما يتخذون من قلمه ترجمانا للاعراب عن رغباتهم ، ومقترحاتهم فيعثون بها للباب العالى باسطبول ، او يخاطبون بها الولاة ببغداد ، وكثيرا ما يقصده ارباب الحاجة ممن يريدون ان يسجلوا وصيتهم بعد مماتهم . او يريدون وقف املاكهم ، او تأسيس شركة لهم ، او اجراء بيع او شراء على الوجه الشرعى فيما بينهم ، فيديج لهم بانشائه وخطه وثيقة حسبها من القيمة الشرعية والعرفية ان يقال انها من وضع الشيخ جواد الشيبى فقد عرف براءة انشائه كما عرف بحسن خطه ليس فى النجف فحسب وانما فى جميع الاوساط الادبية فى العراق . وكثيرا ما كان ينظم الشعر الجيد ويعطيه لمن ينتحله لنفسه نغرض من الاعراض .

هكذا كان يقال لنا عنه ونحن شبان متأدبون حينما كنا نسأل عن شخصه ، وكنت انا اسمع عنه اكثر من هذا لاسباب كثيرة اهمها ماكانت تربطه باواصر المودة مع اسرتى خاصة ، حتى لقد قيل انه كان من اقرب اخضاء الحاج ميرزا حسين الخليلى المرجع الروحانى بميرزا حسن الشيرازى . اما رابطة باليرزا محمود

الخليلى فكانت رابطة مودة جد وثيقة يعرفها كل من وقف على شيء من تاريخ الجليل
الماضى .

وكانت هذه الاسباب بالاضافة الى رغبتى فى الادب جعلتلى اسمع يومذاك عن
الشيخ جواد الشيبى اكثر مما يسمع اغلب اقرانى ومن كان فى مثل سنى ، وقد كان
يكفى ان ينطلق بيت الشعر من فمه . ويكفى ان يخط سطر من نثره على الورق
لكى تراه مرددا على الكثير من اقسام الادباء ، اما النادرة فحسبك منها أن كان
يتلقفها الجميع من مختلف الطبقات واتنى لاحفظ. نكتة (جويد) من زمن قديم ،
وقبل ان يتاح لى ان اعرف الشيخ جواد عن كتب ، وجويد هذا فى الحقيقة اسم
مصغر لاسم (جاعد) اى (قاعد) وهو بعد ذلك اسم لآب الشيخ عبدالحسين الحياوى
وهو رجل قروى من اهل الحى ليس له شأن يذكر لولا ابنه الشاعر المعروف الشيخ
عبدالحسين الحياوى الذى انتقل من الغراف الى النجف طالبا للعلم ثم نال من العلم
والادب قسطا وافرا ، وكان جويد هذا ذات يوم فى زيارة ابنه الشيخ عبدالحسين
فى النجف ، وكان مجلس ابنه الحياوى غاصا بالادباء وفى مقدمة اولئك كان الشيخ
جواد الشيبى ، وقال بعضهم بل كان ذلك فى مجلس السيد على العلاق ، وكيفما كان
الامر فقد غاب الشيخ عبدالحسين الحياوى عن مجلسه برهة ثم عاد فالتقى الشيخ
جواد الشيبى يدخل المراض ، وتفاقل الشيخ الحياوى وشاء ان يعرض بالشيبى
مداعبا وسأل بصوت عال :

– اين انت الان يا شيخنا الشيبى ؟

وكان الحياوى ينتظر ان يكون الجواب : انه فى المراض ، وفى ذلك
مافيه من تعريض لا يخفى المقصود منه على القارىء ، وسرعان ماسمع القوم صوت
الشيبى مجيبا .

– بالطهارة (جويد) .

اى ان (جويد) فى المراض ، فلم يبق احد فى النجف دون ان يروى هذه
النادرة ويذكرها كلما جاء ذكر سرعة الخاطر ، وجمال التورية بين معنى جويد

(القاعد) واسم أب الشيخ الجاوي . وقد ضحك الجميع وضحك معهم (جويعد)
القروي الذي ظل يحدق الى الوجوه ولا يدرى لم يضحك القوم ؟ . .

وكان الكثير من كبار الادباء يتهيون مساجلة الشيخ جواد بالشعر واذا كان
لا بد لنا ان نستشئ البعض من اقران الشيبسي فذلك هو السيد جعفر الحلي . وكان
الكثير يتهيون مداعبة الشيبسي بالنكت والملح والفكاهة لانه كان من اقدر من عرف
بسرعة البديهة ، ولانه كان من ابلغ الشعراء واشرقهم ديباجة ، واوضحهم
اسلوبا ، بل كان نسيج وحده من حيث غزارة المعنى والعمق ، اضافة الى سرعة
الخاطر وحلاوة النكته .

وان قصيدة الشيبسي التي يداعب بها الشيخ عبدالحسين الجواهري والد محمد
مهدي الجواهري وخال الشيخ علي الشريقي ، وقد كان من المع رجال الادب ومن
افاضل تلك الزمرة بالاضافة الى جرأته وهيبته التي كان يحسب لها انداده كل
حساب ، اقول وان قصيدة الشيبسي في الجواهري لتعتبر من حيث البديع من باب
(المدح في معرض الهجاء) لوحة فنية من اسمى واغلى الالواح التصويرية ، ثم هي
بعد ذلك دليل على موضع الشيبسي من الجرأة قبال الشيخ الجواهري الذي كان
يهابه الكثير . وكان الشيخ عبدالحسين الجواهري قد اصيب بالقرع وهو طفل صغير
وقد ترك القرع في رأسه بعض الندوب ، والتواء ، والاتواءات فتناولها الشيخ
الشيبسي يوم استدعت المساجلة الادبية والملحة والظرف - وكثيرا ما كانت حينا
الادباء في النجف حينذاك تستدعي مثل هذه الدعايات - فصور تلك الاتار في رأس
الجواهري تصويرا يصلح ان يجيىء دليلا على ما كان يتمتع به الشيبسي الكبير من
موهب فنية غاية في الروعة والعمق .

يقول الشيبسي في رأس الشيخ عبدالحسين الجواهري :

لك رأس مرصع ومدبج	دوحة الجسم انبت فيه بستج
روضة تبت الشقائق فيها	اقحوانا وسوسنا وبنفسج
قد قرأنا حديثه من قديم	فرايناه عن جمود مخرج
خط (ياقوت) فيه جدول تبر	تقطوه من (فيحه) بزبرج

كل من شم نشرة يتنج
 ضرب الشف يمه فتموج
 لو ازيلت اصدافه لتدحرج
 صعقا خر بالدماء مخرج
 وكشفنا عنه لقلنا تفرج
 فهو ملك معمم ومتوج
 يبنى من الصديد ويملج
 عنه ترمى (معصومة) ساعة الحج
 من سناها نار البروق تأجج
 لانطفى حره وباخ وانبج
 سحره من كلامه الفصل مخرج
 جمه فى قم المقبل قد ميج
 حيث فيه من المواضع كوسج
 وعليه عشونه قد تموسج
 واذا ابصر الحشيش تمنج
 بذراع مفتولها قد تصولج
 جسمه وهو زئبق يترجرج
 مشرب كأنه ريش دعلج
 وله حاجب عن الحسن معوج
 يلقم الصدر يمزج
 من زوايا جهاتها الست ينسج
 فهو فيها مقيح لا مفلج

فوق كافوره من الشعر مسك
 فيه بحر للقار من ظلمات
 ارضه عسجد وحصباء در
 (كم بموسى الحجام) عاد كليما
 نو على ابن الهموم ضاق خناق
 عمموه بلؤلؤ وعقيق
 كورة فيه يطبخ النجص والاجر
 وهو وادى العقيق كم جمرات
 موقة شعلة كفسكرة عمرو
 ذوبان لو خاصم الجمر فيه
 واديب لا بابلى ولكن
 ذو سبال يسيل عذابا ولكن
 انا ظام ولم أرد نهر فيه
 كيف ارجو من ورد خديه قطفا
 هو ذئب ان أبصر اللحم يشوى
 اكر الارز دحرجتها يدها
 ان تمشى تها من الدل أسمى
 ايها الصقر فى خدودك شعر
 كيف يرجى لناظر لك عدلا
 لك ريق يحوموه يا حمانا الله منه
 ولك اللحية التى الف بيت
 باعد الحسن منه اعظم ثغر

ولم يكن هذا اول تعريض وقع من الشيبى برأس الجواهرى على سبيل
 المزاح ، وانما كتب له مرة على الرقضية خطاب الرقاق ان يظفروا بشيء منها عند
 الجواهرى ، لقد كتب له من الشطرة الى التحف يقول :

خابت رفاقي منه بالذى طلبت كما يخيب برأس الأقرع المشط

والمناسبات التى تهيج قرائح الشعراء وتشيع السرور فى نفوسهم كثيرة فى النجف ، واذا عز وجود المناسبة التى تستدعى المساجلة والمباراة الشعرية والسلوان ، فان الشعراء هم انفسهم يخلقونها خلقا ويوجدون لقول الشعر دواعى متعددة ، وفى تأريخ الشيبى الادبى كثير من هذه المناسبات العامة والخاصة التى جلى فيها وكان له القدر المثل ، واننى لاروى ان رهطا من الادباء كان بينهم السيد جعفر الحلى ، والشىخ جواد الشيبى ، والشىخ اغا رضا الاصفهاني والشىخ هادى الشىخ عباس كاشف الغطاء ، كانوا قد اجتمعوا فى بيت السيد باقر الهندى فى النجف وقرروا هناك خطف خروف لعمى الشىخ اسماعيل الخليلى كان قد عنى به واعده اعدادا خاصا لميد الاضحى ، وكان الفصل خريفا . والهواء عيلا يساعد على نشاط النكتة وهياج القريحة ، وقد تم لهم خطف الخروف من بيت الشىخ اسماعيل بطريقة خاصة ، وجاءوا به الى بيت السيد باقر الهندى وذبحوه هناك ودعوا عليه صاحبه ، وبعض الرفاق الاخرين ، ثم رثوا الخروف ، ورثوا لحال عمى الشىخ اسماعيل وهو يرى خروفه مجذلا فوق خوان الرفاق ، واشترك فى هذا الرثاء كل اولئك او معظمهم ، ومن المؤسف انى لم احتفظ باكثر من هذه الايات من تلك القصيدة التى قيل انها كانت كبيرة ولم استطع تبين ما يعود للشيبى ولغيره منها ، وهذه هى الايات احتفظ بها عسى ان يحصل من يحفظ كل القصيدة ويعين قائل كل بيت منها .

قف برمل الحمى ورو الطلولا	بدموع تحكى السحاب همولا
رحل القاطنون عنها وقلبي	شاء فى ساعة الرحيل الرحيلا
اى بدر للمجد كان ضيلا	وبليل التمام شاء افولا
يا لفصل الخريف اى خروف	فيه اسمى مجذلا مقتولا
هو فصل اهل المراق نفاقا	ذبحوا فيه كبش (اسماعيل) (١)
فتمنى الذبيح لو يقبل العتف	بديلا بان يكون بديلا

(١) هو عمى الشىخ اسماعيل .

يا سليل الخليل صبرا وان كان عزيزا فقد (الخليل) الخذلا^(١)
وكأنى به يقول دع العذل فلن يسمع المشوق عدولا
(وخلاف الجميل قولك لئذاكر عهد الاحباب : صبرا جميلا)
لهف نفسى (ليوسف)^(٢) وهو يكي
ويطيل الشجا ويبدى العويلا

قلنا ان الشيخ جواد الشيبى كان سريع البديهة . حاضر النكسة يعطى
النظرف والدعاية ما يعطى الجرد من الاهتمام بل يضع كل شيء فى موضعه ومقتضيات
حاله ، فلا يمتنع ان يعلق على ما يعرض امامه بكل ما يحضره من تعليق يناسب
المقام ، وقد وجه ذات يوم الى الشيخ ابراهيم الاطيمش ، وعلى حين فجأة وبغاية
السرعة بقصد المزاح وهو العارف بذهول الشيخ الاطيمش وما يحتمل ان يشتمل
عليه جوابه من المضحكات نقد وجه له هذا السؤال مباحثا :

- ما اسمك بالالف ؟

وهذا السؤال هو جزء من نسلية ادبية طالما كان الادباء يتسلون بها فيسأل
بعضهم بعضا عن اسمه بانباء او القاف او اى حرف آخر مثلا ، فيجيب المسؤول
بمجلة وبدون تباطؤ ويورد اسما مبدوءا بالحرف المطلوب وبغاية السرعة ...
والشيخ ابراهيم - كما ذكرنا - معروف بالذهول والسيان فى اكثر الاحيان ،
وحين فاجأه الشيبى بسؤانه : (ما اسمك بالالف) نسى الشيخ ابراهيم اقرب الاشياء
اليه وهو اسمه (ابراهيم) المبدوء بالالف وراح يبحث فى ذهنه بمتهى السرعة عن
اسم مبدوء بالالف ، ولكن الاسماء كلها قد طارت من ذهنه ولم يحضره اسم غير
اسم (حسين) منطوقا به على السنة العوام الذين يدؤونه بالالف فيقولون (احسين)
بكر الالف ، لذلك اجاب الشيخ ابراهيم وهو فى غاية الارتباك قائلا :

- احسين .

ولم يجد الشيخ جواد جوابا يناسب مثل هذا الحال او قل لم يجد جوابا اشفى

- (١) المقصود بالخليل فى صدر البيت هو جد الاسرة الخليلية والخليل فى عجز
البيت هو الابن الاكبر للشيخ اسماعيل .
(٢) هو الابن الثانى للشيخ اسماعيل الخليلي .

لنفسه من ان يورد همزة على أحد الاسماء وينطق به كما ينطق العوام ليكون
الجواب مطابقا .

وهكذا رد عليه الشيبى بنفس السرعة قائلا :
- احذار .

والحدار بدون همزة فى اللغة - تعنى مرضا جلديا معروفا بالتورم وطالما
استعمل الفراتيون هذه الكلمة للدعاء بالشر ...
* * *

وكان الشيخ الاطيمش يلازم الشيخ الشيبى ملازمة الظل فى حله وترحاله ،
فهو فضلا عن كونه من ارحام الشيبى فان ادبه وظرفه وما ابتلى به من نسيان ،
وذهول قد حبيه الى الشيخ جواد والى جميع شيوخ الادب ، ومن ذهوله المضحك
انه نظم ذات يوم قصيدة لامية القافية ولكنه لم يتمها فى تلك الليلة ، وحين عاد فى
الليلة الثانية لاتمامها ركب قافية الميم ونظم عليها احد عشر بيتا قبل ان يلتفت الى هذا
السهو ، والغريب المضحك ليس فى هذا وحده - كما روى لى الشيخ ابراهيم نفسه
هذه الحكاية - وانما فيما كان قد وقع دون التفات الشيخ ابراهيم الى ذلك فقد وجد
ان بحر الايات اللامية السابقة كان من (المتقارب) والبحر الذى اكمل به الايات
فى الليلة الثانية كان من (البيسط) !!.....!!

وتقد جرى مرة حديث عن الصحف العراقية ، وما قد اصابها من ركة وخروج
على قواعد اللغة ، وكان الشيخ ابراهيم اطيمش حاضرا فقال :

- ومن آية هذا الخروج على القواعد العربية ان هؤلاء الصحافيين قد بدأوا
يرفعون المرفوع ، وينصبون المنصوب ، ولم يلتفت احد منا للسهو الذى وقع فيه
الشيخ ابراهيم لو لم يعقب الشيخ جواد الشيبى على قول الشيخ ابراهيم قائلا :

- ويجرون المجرور ، ويتبعون فيما يكتبون كل القواعد العربية .. أليس
كذلك يا شيخ ابراهيم ؟

وهنا التفت الحاضرون لسهو الشيخ ابراهيم وتهكم الشيخ الشيبى وضحكوا .
فلنا ان الشيخ الشيبى كان معجزة من المعاجز فى سرعة البديهة ورهافة
الحس وقد تعرض به ذات مرة احد العلماء مداعبا وقال له :

- ليس ثمة شك في انك كنت احد الذين ولدوا في سنة وفاة الشيخ
الانصارى .. (وكان الذين ولدوا في تلك السنة عددا من مشاهير اهل الفضل
والادب كان منهم الشيخ الشيبى وصديقه المداعب) .
فقال الشيخ الشيبى :

- وهب انى ولدت في سنة وفاة الانصارى فما الضائر ؟
قال الصديق - لاتس ان وفاة الانصارى يجمعه تأريخ قولك : « ظهر الفساد
بحساب ابجد ... »

قال الشيبى - وانت الاخر على ما ادرى من مواليه تلك السنة ، ومن
المشمولين بظهور الفساد ..

قال - بل ولدت انا قبل هذا التأريخ بربع سنوات .
قال الشيبى - فعلى هذا يكون تأريخ ولادتك (ظهر الفساد) بحذف الدال الذى
يساوى اربعة في الحساب وبكسر الفاء .

ولا حاجة للتنبه الى سرعة هذه البديهة وكيفية صياغة الجواب البليغ
المرتجل فهى من الوضوح بحيث لاتغيب عن ذهن القارىء .
وعلى اساس الشيء بالشئ . يذكر ، اذكر ان الشيخ جعفر الشيخ راضى وكان
من كبار علماء النجف وزعمائها الافذاذ قد ولد هو الاخر في سنة وفاة الانصارى
فشمّل هو والشيبى وطائفة اخرى من كبار العلماء بالقول المؤرخ (ظهر الفساد) ،
وحين ولد الشيخ عبدالرزاق ابن الشيخ جعفر الشيخ راضى داعب احد الاصدقاء
اباه بان وضع لميلاد ابنه الشيخ عبدالرزاق تأريخا يجمعه قولك (ب الفساد ظهر)
فكانت يومها من النكت البديعة .

★ ★ ★

ولست اذكر اول اتصالى بالشيخ الشيبى تماما ، وكلما اذكر هو انى كنت
اختلف الى بيت الشيبى وكنت اطليل الجلوس هناك ، وكان يهزنى منه حديثه ،
وتعليقه ، وشواهدة ، وكنت في كل مرة اجد روحا جديدة ، وأدبا جديدا وسرعة
خاطر وبراعة قد يفقدهما الكثير من العباقرة فى الوقت المناسب وفى المكان المناسب
من الايجاز والاسهاب ، وفى كل مرة كنت اشعر شعورا اعماق بقيمته ، وعلو كعبه

فى عالم الشعر والادب ، فهو على رغم تقدم سنه فقد كانت روحه لانزال فى اسمى مراتب المرح والشباب ، وكان ذهنه لا يزال فى غاية الخصب والنشاط ، وانك حين تقرأ قصائده ومقاطعه المتأخرة تكاد لاتصدق بان منتجها رجل فى غاية الخسور والضعف من حيث الصحة ، وانه قد جاوز الثمانين من العمر ، وعلى ذكر الثمانين وذكر المرح اذكر بانه كتب مرة الى الشيخ عبدالرضا الشيخ راضى - وكان قد سمع بان الشيخ جواد عليوى الذى اربى على الثمانين قد تزوج بفتاة صغيرة السن ، وانه بدأ يعالج نشاطه الجنسى بمختلف الوسائل والعقاقير ، والشيخ جواد عليوى يمت الى الشيخ عبدالرضا بنسب من القرابة - ولذلك كتب الشيبى للشيخ عبدالرضا يقول :

فمن ذا يجاريه ومن ذا يطاول	(جوادك) من بعد الثمانين صاهل
فقلت لها فتح (الحصون) تحاول	وقائلة ماذا تحاول نفسه
وما سيفه فى الروع الا حمائل	فقلت ابا لسيف الذى هو حامل
تعالجه ، بل عاجته (الصيدل)	ومن عجب ان الصياقل لم تكن

ومن الذين بلغوا الثمانين او اوشكوا ان يبلغوها كان الشيخ ابراهيم الاطيمش وهو الاخر كان قد تزوج امرأة كان بين سنه وسنها من الفسوارق ما كان بين الشيخ جواد عليوى المتقدم وزوجته واكثر ، وذلك بعد زواج الشيخ عليوى بايام فكتب عن اطيمش ممقبا :

أناك الصاهل الثانى	عقب الصاهل الاول
كلا الطرفين لم يشر	وان خب على الجنديل
ولكن طرفنا استصى	على السائس فاسترسل
اردنا منه امهالا	على الوئبة فاستمجل

وحين تزوج الشيخ عبدالمحمد زاير دهام على هذا النحو من الفارق بين العمرين عده الشيبى (صاهلا) ثالثا ونظم فيه ابياتا افتتحها بقوله :

« وجاء الصاهل الثالث »

ومن المؤسف اننى لا احفظ هذه الايات وليس الامر من الاهمية التاريخية بحيث يستلزم البحث والتعقيب .

واقدم السيد ابو الحسن المرجع الروحاني الاعلى خاياً على ذلك النمط من
المفارقة بين سنه وسن زوجته فقال فيه الشيبى :

أناك الصاهل الرابع فهن الشرع والشارع
ثمانون لعشرين فأين (القدر الجامع) ؟

واقدر الجامع كما لا يخفى هو الناموس العلمى الذى يبنى العلماء والفقهاء
عليه تشريعهم .

ومن أحسن ما شئت به مسمى من اوصافه وتشبيهاته المتكررة . وصفه
(للعربات) فقد جاء مرة ذكر السيارة وسرعتها . وقول السيد مير على (ابو طيخ)
القائل :

ما بين اصى شرقها او غربها فى السير الا ان تقول لها اقدمى
فقال لى احسب ان هذا البيت مقوس ومؤشر عليه من لدن السيد مير على لانه
كان استعادة او اشارة لقولى عن العربات التى كانت تنقل المسافرين بين النجف
وكربلاء . وبين كربلاء والكاظمين ، وهى عربات من طراز خاص ادركها انا
وركبت فيها وهى تجميل ثمانية انفار ، وتجرها اربعة خيول فتغادر النجف صباحا
وتصل الى كربلاء مساء - وقرأ على الشيخ الشيبى قوله عنها الذى وصفها به وصفا -
شعريا جميلا تناول محمولها ، وسرعتها . وابتداء حركتها ، وموعد وصولها فى
تصويرة مبتكرة ، فذة ، اذ قال :

ما بين غاية مجراها ومبدئها الا بمقدار قول القائل : اقدمى
تحملت وهى (حبل) فى ثمانية صباحا وقيل لها عند المساء ضعى

وكان للاختام فى الجيل الماضى شأن كبير ، وكان لصيغتها واختيار الكلمات
المقوشة عليها فن خاص لا يتقنه الا ادياء يحسنون وضع الكلم فى مواضعها ويبدعون
فى استخدام الوان من بدائع الجناس والتورية فى صيغة الخاتم الذى يخص الموقين
والزعماء والوجهاء ، ولما لم يكن التوقيع بالقلم معروفا يومذاك فقد اقتضى ان يتخذ
حتى العلماء والادباء اختاما لهم من الفضة او البرنز او العقيق واليواقيت ، والكثير

منهم كانوا يتخذون من اختامهم فصوصا لخواتيم يلبسونها بقصد الزينة ، ويستعملونها في ختم الكتب والرسائل والوثائق والاسناد عند الحاجة ، ولما لم يكن طبع الابهام شائعا ايضا ، فقد يضطر الفلاح والعامل والقروى ومن شاكلهم ممن تلجؤهم الحاجة الى حفر اختام باسمائهم .

وكان لواضعى ضيفة الاختام واتقاء الكلمات المناسبة من تضمين الايات القرآنية او الحديث الشريف والامثال والنصوص الادبية التى تناسب واسم صاحب الختم ومقامه ومنزله الاجتماعية . كان لهؤلاء مقام مرموق فى الاوساط الاجتماعية والادبية اذ ليس بمقدور كل اديب ان يدع فى اختيار ما يناسب اسماء الشخصيات البارزة من علماء ووجهاء ويختصرها فى كلمتين او ثلاثا . وكان السيد جعفر الحلى ، والشيخ جواد الشيبى ، والسيد رضا الهندي ، من اشهر من عرف فى وقته بهذا الفن من البديع والايجاز ،

وعلى هذا الاساس قصد مرة الحاج (وناس) وهو من التجار الاميين وكان قد اصبح وجيها ولا بد ان يكون للوجه خاتم يليق به من حيث براعة الجنس والتورية لقد قصد الحاج (وناس) الشيخ جواد الشيبى ليسأله عما يصلح ان ينقش على ختمه من آية قرآنية او حديث نبوى يتناسب واسمه - وكان الشيخ جواد الشيبى كثيرا ما يقصد للاستئانة به حتى فى اختيار اسم لكتاب يؤلف ، او مولود يولد ، او مؤسسة تشيد ، وذلك لما عرف به من سرعة البديهة وسلامة الذوق ، وحسن الطبع - فقال للحاج وناس .

• - انقش على ختمك الآية الكريمة (من الجنة والناس «وناس») .

ولو لم يتدارك الشيخ الشيبى الامر بعد ذلك ويفهم الحاج (وناس) بانه لم يقل ذلك الا مازحا لكان (وناس) قد حفر ختمه على تلك الصورة ، واصبح من الجنة بكسر الجيم شاء ام ابى .

ونظير هذا ما نقل عن (سعيد ناجى) وقد كان من وجوه النجف واعيانها فقد طلب من السيد جعفر الحلى ان يضع لختمه الكلمة المناسبة فكتب له السيد جعفر :
« بحب بنى النبي سعيد ناجى »

وقد لقي هذا الوضع استحسانا كبيرا فى الاوساط الادبية . وكانت له رنة بناء على شهرة الرجلين السيد جعفر وسعيد ناجى ، والمنقول والمعتمدة على الناقلين وعلى الشايخ طبعاً ، ان (سعيد عجينة) وقد كان من منافسى سعيد ناجى فى الواجهة وكلاهما من السيوات العريقة فى النجف - لم يسره ان ينفرد منافسه سعيد ناجى بهذا الاعجاب والتحدث فى المجالس عن براعة صيغة ختمه ، فجاأ الى (جابر الكرمانى) وقد كان وحيد عصره فى نقش الاختام وحفرها على الاحجار والمعادن ، وطلب منه على ما يروى الرواة فى ذلك اليوم ان يحفر له ختما على غرار ختم منافسه سعيد ناجى .

وحين استوضحه الكرمانى قال له سعيد عجينة :

- انقش على الختم ما نقشت على ختم سعيد ناجى وقل فيه :

« بحب بنى النبى سعيد عجينة » .

وبمناسبة ذكر الاختام روى السيد محسن الامين يوم كان يدرس العلم فى النجف : انه حضر مرة نزاعا بين قروى وحكاك كان يمتحن حك الاختام ونقشها ، وكان القروى قد دفع (للحكاك) اجرة نقش اسمه على ختم من البرنز وكان اسمه (متوش بن منكوش) ويبدو ان الحكاك قد نسى اسم القروى فحفر له الختم باسم (ختوش بن عنكوش) وحين جاء القروى فى الموعد تسلم الختم وراح ، ولكنه عاد بعد برهة وهو يحرق الارم من الغيظ قائلاً :

- اريد ان اعرف كيف قد صيرت متوشا ختوشا ؟ وكيف قلبت اسم ابى

منكوش فجعلته عنكوشا . . .

اما الحكاك فكان يدافع عن نفسه كما روى السيد محسن الامين بان لا فرق بين متوش وختوش ، ومنكوش وعنكوش ، فكل المناشيش خاتشة ، وكل المناكيش عناكشة قائلاً : أفليس الغرض ان تختم الورقة بختم يدل عليك ؟ فهذا هو الختم ، وانت تستطيع ان تختم به ماتريد ، وليكن الاسم متوشا او ختوشا . ولا عجب فقد كان منطلق الحضر مع القرويين يجرى على هذه الوتيرة . وصار دنوى من الشيخ الشيبى اكثر وعرفت عنه ، وعن عمه ، ومقامه

للادبي ، واتجاهاته اكثر مما تستطيع هذه الصورة العابرة المستعجلة ان تعبر عنه
سيرا كاملا ، وجرت بينى وبينه مكاتبات فى مناسبات مختلفة ، وعلى رغم تنوع
بتواضيع والاغراض التى كانت تتضمنها تلك الرسائل فانها لم تخل من براعة
لستهلال او مقدمات تعبر عن مكانته الادبية ، وتفصح عما هو عليه من مقدرة فى
بالم النظم والنثر .

ولقد كنت اجد فى كل رسالة من رسائله اشارة الى باب من ابواب جريدتى
الهاتف) او اى موضوع مما كنت اتاوله من مواضع الكتابة فى كل اسبوع ، وقد
كان يشير الى ذلك بأسلوب لم يتكرر وان تكررت الاشارة الى الموضوع ، ولقد قيل
انه كتب مرة بضعمة عشر كتابا مرة واحدة على السنة العلماء الى الباب العالى باسطنبول
فى موضوع عام يخص العراق ، فكتبها كلها باساليب وعبارات تختلف كل
الاختلاف فى الصورة ، وتتفق كل الاتفاق فى المعنى ، وكان وقوع مثل هذا فى
يومه يقارب الاعجاز ...

اما نوع الاستهلال والمقدمات التى يبدوها قبل الدخول فى الموضوع فيكفى
منها هذا المثل الذى اقتطعه من احدى رسائله التى كتبها لى وقد مر فيه على (خيال
الظل) بالتلميح ، وخيال الظل هذا باب من ابواب جريدة (الهاتف) التى عنيت بها
اهتماما بالادب التحليلى الذى لم يكن مألوقا بعد عند الكتاب والقراء كما ينبغى ان
يكون ، وعلى هذا النحو كان يهيج فى استهلال كتبه ورسائله فيقول :

«الفاضل المتقف ، والحاذق الذى هو بقاء الايام اعرف ، ادام الله صحيفته
المطهرة لسانا يعبر عن اصلاح الامه ، وقلمه سنانا يصيب مقتل الجهل ، ويرشد الى
التى هى اقوم ، وجعل الافكار تنفيا (خيال ظله) فتخرج بالوارف الظليل ... وابقاه
(خيللا) للاباء والعقاف ، ولا ينكر ذلك على آل الخليل .. وبعد ...» .

ولدى عدد من تلك الكتب التى تفيض بالادب الحى والامثلة الرائعة والشواهد
من بديع الشعر والنثر .

★ ★ ★

والى جانب سرعة البديهة التى عرف بها الشيخ جواد الشيبسى فان له مواقع

ارتج فيها عليه ، وخاتته سرعة الخاطر فلم يحتر جوابا مع ان الامر لم يكن من الهمية بحيث يستدعى واحدا كالشيخ الشيبى ان يعين فى رد الجواب ، وانا اروى من هذا النوع قضيتين احدهما قصها على هو نفسه ، والاخرى رواها لى احد الاصدقاء فى حينها .

دخلت عليه يوما وكان يقضى دور النقاة فى بيت ابنه جعفر الشيبى بشارع السمودن (الذى هو الآن المحل الرئيسى لـ شجر حفيده صبيح الشيبى) فقال لى وهو يضحك :

- لشد ما يؤلم المرء حينما يخونه ذهنه فى وقت غير مناسب
وحين استوضحته قال - وقد غرق فى ضحكة طويلة ، وضحكة الشيخ الشيبى ضحكة ناعمة ليس فيها جمجمة وصوت ، وانما هى من نوع عميق هادى ، لايبين منها غير افتتاح الفم ببعض الاتساع ، وهزات متعاقبة من الرأس ، وبشر طافح على الوجه ، وقد تخللها سمات منشؤها كثرة تدخينه للسيكاير فتقطع الضحكة ، بضع نوان ، وحين تقف السعلة ، تواصل الضحكة بعد ذلك امتدادها وتأخذ حقاها التام ، ويبدأ اهتزاز الرأس الى فوق والى تحت بحركة شبه ميكانيكية .

لقد قال لى :

- كان عندى قبل قليل هنا الشيخ مهدي سميم ، وانا لا اعلم والله بترشيحه قاضيا للمحكمة الشرعية ليحل محل الشيخ عبدالحسين الحللى الذى وضعوا المراقيل فى طريق تعيينه فى المحاكم الشرعية فى العراق ورفضوا تعيينه - وكان الشيخ على الشرقى حينذاك رئيسا للتميز الشرعى الجمفرى وقد شاع يومئذ انه هو الذى وضع الاسئلة فبسبب وضعها على تلك الشاكلة وقوع المراقيل فى طريق تعيين الشيخ عبدالحسين الحللى على ما اشيع فى وقته ، وقد نفى لى الشيخ على الشرقى صحة هذه الاشاعة نفيا باتا (١) .

قال الشيخ جواد الشيبى - وتطرق حديثى مع الشيخ مهدي سميم الى

(١) وقد مرت الاشارة الى ذلك فى عرضى لايام الشيخ عبدالحسين الحللى
المؤلف

المزاقيل التي وضعت للحيلولة دون تعيين الشيخ عبدالحسين الحلبي قاضيا في محاكم العراق الشرعية - وكان حديث فشل الشيخ عبدالحسين الحلبي في الامتحان من اهم ما كان يشغل المجالس العلمية والفقهاء في النجف فقد كان الشيخ عبدالحسين من كبار العلماء والفقهاء ومن الشخصيات الالامة التي يشار اليها بالبنان فلم يكن القول بفشله في امتحان فقهى بالشىء المعقول والمقبول بسهولة .

قال الشيبى - فقلت للشيخ مهدي سميم : حسنا فعلت الحكومة ، فاني لا اعهد برهانا اكبر وادل على غباوة الحكومة وغرضها ودنائتها من رفض قبول الشيخ عبدالحسين وترشيح حمار لايدري اى طرفه اطول ليحل محله

ولم التفت - قال الشيبى - الا ووجه الشيخ مهدي سميم يصفر ثم يلوح عليه شىء من الاضطراب المزوج بالخجل ، وقال وقد بدأ العرق يتصبب من جبينه ، لقد قال سميم .

- استطيع ان اؤكد لكم باننى رفضت قبول القضاء في محل الشيخ عبدالحسين وفي مثل هذا الظروف ، ولكن وزارة العدلية هي التي أصرت والحت في ترشيحي للقضاء

قال الشيبى - فقلت له : وهل انت المرشح للقضاء ؟

قال - بلى .

قال الشيبى فسكت انا ، وسكت هو . . . واعتراىنى ما كان قد اعتراه من الخجل واكثر ، على رغم سهولة الاعتذار لو كنت اردت ان اعتذر ولكنى وجدت جميع ابواب المذرة مغلقة في وجهى !!
وروى لى احد الاصدقاء قال :

- استعار الشيخ جواد الشيبى يوما كتابا خطيا من الشيخ محمد السماوى لينقل نسخة منه عليه ، وحين اتم الاستساخ واعاد النسخة الى السماوى كتب في صدر النسخة المقولة والتي احتفظ بها لنفسه - ولكنه لايدري لم كتب ؟ ولاى سبب من الاسباب ؟ لقد كتب الشيبى في صدر نسخته كلمة تعنى انه نقل هذه النسخة من النسخة الاصلية التي استعارها من الشيخ محمد السماوى الذي ظل

مدة من الزمن - على ما كتب الشيبسي - محل ريبة وشك من حيث ايمانه وعقيدته الدينية !!...!!

ومر على هذا الحادث اكثر من ثلاثين سنة انتقل فيها آل الشيبسي من النجف الى بغداد ، وكان الشيخ جواد يقوم بزيارة النجف بين آونة واخرى فيمكث فيها اياما ثم يعود الى بغداد ، وفي احدى هذه الزيارات مرض الشيخ جواد في النجف واقبل الكثير من اصدقائه ومعارفه يعودونه في بيته ، وجاء الشيخ محمد السماوي ذات يوم يعود الشيبسي ، وكان الوقت قبيل الظهر ، واغلب زوار الشيخ الشيبسي وعوداه قد خرجوا منه ، وهو في غرفة مكتبته ممدد في فراشه ومغطى باللحاف الى ما فوق صدره ، وبعد ان استفسر السماوي عن صحة الشيبسي وتبادلوا اياه الاحاديث التي يجري تبادلها عادة في مثل هذه المناسبات ، لفتت نظر السماوي هذه الصفوف المترامية من الكتب فوق رفوف الغرفة ، والسماوي من اكبر عشاق الكتب وهواتها ، واكثرهم حرصا عليها ، وتقديرا لقيمتها وقد كان يملك مكتبة نفيسة ثمينة حوت الكثير من نوادير المخطوطات ، وبلغ من عنايته وخوفه على الكتاب ان تعلم تجليد الكتب واشترى اللوازم والادوات الخاصة بالتجليد وعكف على كتيبه الخطية يجعلها بيديه حذرا من المجلدين ، اذن أفيمكن للسماوي - وهذه حاله - ان يدخل بيتا ويرى فوق رفوف الغرف كتبا مسطرة ولا يمد يده اليها ، وينصفح اولها وآخرها ، ويستعرض فهرسها على الاقل ؟

وجريا على هذه العادة مد الشيخ السماوي يده الى أحد الكتب على غير تعيين وسحب من وسط الصف ، وتشاء المصادفة ان يكون الكتاب المسحوب هو تلك النسخة الخطية التي نقلها الشيبسي من نسخة السماوي قبل ثلاثين سنة ، وتشاء المصادفة ايضا ان يقرأ السماوي ما كتب عنه الشيبسي في صدر تلك النسخة مما مرت الاشارة اليه !!...!!

وحين اتم قراءتها اعاد ما قرأ على مسامع الشيبسي وقال :
- ما الذي دعائك ان تكتب عنى ما كتبت ؟ وما الذى بان لك من قلة ايماني وانحرافي لتقول فى ما قلت ؟

فارتج على الشيبى ولم يدر ما يعمل سوى انه مد يده الى اللحاف وسجبه
الى الاعلى مخفيا به وجهه وهو يقول ويكرر :
- هذا من سوء الطالع يا شيخنا من سوء الطالع وليس من شئ
آخر!!

* * *

وكان يعد اتفاله الى بغداد ، شديد الحنين الى النجف ، كثير التشوق الى
معرفة اخبار التجفيين بجميع طبقاتهم ، وقد قال لى غير مرة انه يقرأ
من جريدتى (الهاتف) كل شئ حتى اعلاناتها ، متسقطا اخبار
الخاصة والعامه من التجفيين ، ومثله كان الكثير وكان منهم
الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، والسيد محسن الامين ، والشيخ
عبدالكريم الجزائرى ، والشيخ عبدالحسين الحلى ، وكانوا يقرؤون حتى اعلانات
الطابو التى يقوم بنشرها الهاتف وذلك تممقا منهم فى الاحاطة والتذاذا باخبار البلد ،
وهذا ما سمعته منهم مباشرة !!

وكانت للشيخ جواد الشيبى تعليقات اديه ذات قيمة على بعض مواضيع
(الهاتف) وحينما كنت اتناول بعض الاشخاص بالتحليل واصفهم بصفاتهم المعنوية
دون ذكر الاسم كان هو اسرع من غيره تعرفا باونثك الاشخاص ، وكان يبنهنى
عندما تيسر لى زيارته ببغداد الى ما كان قد فاتنى من الصفات التى تخص اى شخص
كنت قد تناوته فى عرضى الاسبوعى ، وكنت قد عرضت مره صورة معنوية للشيخ
ابراهيم الاطيمش دون ان يشوبها اى وصف مادى يقربها للذهن من هذا الطريق
وسألت القراء عن هذه الشخصيه قائلا : من هو ؟ كما كنت افعل مع الاخرين ، وكان
الشيخ ابراهيم الاطيمش يقضى وقتا طويلا من كل سنة عند آل الشيبى بفسداد
فقال لى الشيخ جواد الشيبى :

- لقد رأيت ان احبتر مدى تغلغلك فى طبيعة الاشياء فعرضت ما كتبه عن
الاطيمش على جمع من اهل الكراة والزوية ممن اعتادوا ان يرتادوا مجلسنا
وسألتهم عما اذا كانوا يعرفون هذا الموصوف بمعناه فى الهاتف ، فاجاب الجميع
بانه الشيخ ابراهيم الاطيمش .

قلت ان الظرف من احدى مميزات الشيبى البارزة ، واذا كان قد
بز الكثير من الشعراء والادباء المعاصرين شعرا ونثرا ، وضرب لسرعة بديهته
وحضور ذهنه ازوع الامثال ، فقد كان من اظرف من رأيت من مشايخ الادب واكثرهم
بشاشة واشراقا ونشدانا للمرح الذى يتولى صقل الفن والادب ، ولم يفارقه هذا
الظرف حتى فى مرضه مع انه من اشد من عرفت خوفا من المرض وهلما من
الموت .

وورث كل اولاده شيئا غير قليل من ظرفه وكان صديقى محمد حسين
الشيبى من اكثر الادباء ظرفا وميلا للدعابة والمزاح ، واذا ذكر من مرجه مرة ان قبض
على الشيخ مولى الطريحي هو وجماعة كان بينهم السيد محمود جوبى ولفه بالحاف
ثم قمطه بالحبل كما يفعل بالاطفال فى المهد والشيخ يصيح ويستغث وهم يتداولون
حمله من يد الى يد ويرقصونه كالاطفال وهو يصرخ وقد افهمه الشيبى ان الخلاص
من القماط منوط بسكوته فما دام هو صارخ فان الايدى ستظل تلاقفه وسيظل
يتراقص على ايديهم طوال الليل والنهار ، ويضطر الشيخ الطريحي الى السكوت
فيطرحونه على الارض وتبتدىء هناك ترنيم مرتجلة من الشعر حتى يتظاهر الشيخ
بالنوم فيفكون القماط عنه ويهرب كل منهم ويلوذ بزاوية منيعة من البيت .

ولقد اتخذ محمد حسين الشيبى ذات يوم على اساس ما طبع عليه من الظرف
والادب وحب النكتة من (عباس عدوه) موضوع تفكهة وأنس فى مجلس ادبى
رائق ، فمهد لعباس عدوه الظروف التى طالما حملته على قول الشعر العامى على طريقة
تقارب بند ابن الخلفة ، بل الصحيح على طريقة الشعر الجديد فى هذه الايام ، تلك
الطريقة التى يعتبر (عباس عدوه) مكشفها الاول اذا اردنا الانصاف .

وعباس عدوه هذا شاعر عامى ذهبت الحوادث بنصف قواه العقلية ، فاذا شرب
الخمرة ، واخذ منها كفايته ، تحول النصف الاخر الى لون لطيف ، خفيف ، مرح ،
موجب للنفس ، مثير للضحك ، وبدأ حينذاك مزيج من الشعر العامى والقريض
يتدفق على لسانه ، فيشرق فيه ويغرب ، وعلى الاخص حين يجرى على نسق البند
حيث لا يبقى من لم يشرق بالضحك ويفرق فى القهقهة .

وكان الفصل فصل شتاء ، وكان الهواء باردا ، فجاء محمد حسين (بعباس عدوه) الى أحد الخياطين وخاط له عنده من قماش (الململ) الشفاف الناصع البياض سترة وبنطلونا ، ثم اغرقه بالعرق نهلا وعبا ليهيج له قريحته ، ثم انزعه قباه وعباءته ، والبسه تلك البذلة الصيفية الشفافة في ذلك الزمهرير القارص ، ووضع على رأسه قبعة من القش وقال له :- لتدخل علينا مجلسنا ، ولتسنف اسماعنا بشعرك المرتجل فانا اليوم وصحبي اشعر بانقباض وضيق صدر ، وكان من المجالس العامرة التي ظلت حديث الادياء الظرفاء زمنا طويلا وقد القى فيه عباس عدوه قصيدة رائعة وكنت انوى نشرها في (الهاتف) ولكن لم يصلنى منها غير هذا المقطع :-

أيا والجسم بردان
وانى اليوم عريان
ومولاي الشيبى
وكل الناس والعالم يدرى
ما بجيبى
سوى بيزة، وثلك آتات ، وقران
أيا والجسم بردان
وانى اليوم عريان

وليس من شك ان محمد حسين الشيبى قد ملأ جيوب عباس عدوه بكل ما يستطيع من النقود ، وخاط له بذلة كاملة وسرحه ، فقد كان محمد حسين ولا يزال اكرم من رأيت من الادياء واسخاهم .
وها هو ذا الشعر المسمى بالشعر الجديد اليوم يجرى على نمط شعر عباس عدوه ، ويقتفى نهجه حذو النمل بالنمل .

★ ★ ★

وآخر ما نظم الشيخ جواد الشيبى كان قصيدة نظمها

في حفيده أحمد المظفر ابن المجتهد الشيخ (محمد حسن) المظفر وقد نشرها له الهاتف في حينها ، وأحمد المظفر^(١) صبي ذكي تولع بجده وتولع جده به ، وقد جاء الى بغداد من النجف عائدا لجده وهو في فراش المرض ومكث عنده اياما مواسيا ، وعند رجوعه الى النجف تلقى من جده كتابا وفي ضمنه القصيدة التي كانت اخر منظوم الشيبى على ما اعلم وهي منشورة في اواخر السنة الثامنة من (الهاتف) ، ومن هذه القصيدة التي ودع الشيبى فيها قول الشعر وودع حفيده بها نقتطف الايات التالية :-

نزل الهلال وانت تصمد	يا كوكب المجد المخلد
قسما بشرعة أحمد	انى ادين بحب (احمد)
ولد يشاطرنى الضنا	ولثلها الاسباط تولد
ادركت فيك توسمى	ولست ما أملت باليد
أبنى هل من عودة	عود اللقا لاعدود عود
اتبع اباك لفضله	واعرف مقام العلم تسعد
لبس العفاف وانه	عن زخرف الدنيا مجرد ^(٢)
عجبا يقلد بالهيات	وانه العلم المقلد
(حسن) ابوك وانه	فى كل مجتمع (محمد)

* * *

اقول ان الشيخ الشيبى كان كثير الحين الى النجف والنجفين ، وكان يستقى اخبارهم من زواره الكثيرين ، وكان اذا زار النجف مكث فيها شهرا او اكثر ، وكنت اعرف انه لا يترك بيتا من بيوت جيرانه ومعارفه الا ويمر به متفقدا صفار اهل البيت وكبارهم فقد كان كثير العطف ، رقيق الحاشية لا يلتقى احدا دون ان يسأله بكل ما

(١) هو اليوم يزاول تجارة الاقمشة بسوق المرادية .

(٢) كان الشيخ محمد حسن المظفر من اروغ العلماء واتقاهم ومن اكثرهم عزوفا عن الدنيا .

تسع له دائرة السؤال عن جميع شؤونه ، وحين يكون في النجف تتجدد حركة
الادب ، وتعمر المجالس وتصبح داره كعبة الادباء ، ومنتدى العلماء ، وكنت الازم
مجلسه هذا على الغالب لانى كنت قد انقطعت عن زيارته في بغداد (لبرودة) حدثت
بينى وبين بعض اولاده لم اجد متسا لذكرها في هذا العرض السريع من تاريخ
معرفتى به .

لقد مات الشيخ جواد الان ، وحالت بينه وبين الابصار حجب كثيفة من الظلام
ولكن صورته برغم ذلك كله ستبقى ماثلة للعين والقلب بقدر ما تستطيع آتاه من
التيوت والبقاء والمخلود .

لقد مات الشيخ جواد ولكنه ترك لنا ثروة طائلة من نفائس الادب ، وفلاسد
الشعر ، كما ترك اولادا اورثهم الكثير من مزاياه ومواهبه وملكاته .



الشيخ محمد حسن حيدر

الشيخ محمد حسن حيدر^(١)

كنت في سنة ١٩٣٥ في عداد معلمى المدارس الرسمية ولامر ليس هذا محل ذكره اقضى ان اكون في (سوق الشيوخ) لمدة ٤٥ يوما فقط كنت احسب انها ستكون من اكثر ايامى ضنكا وضيقا فقد كانت لسوق الشيوخ حينذاك سمعة غير طيبة من حيث المناخ ، والمياه ، والامراض ، ولكن سمعة آل حيدر والمزايا التى اصف بها اهل السوق عموما كانت تشغل من ذهنى حيزا كبيرا فتساعد على تخفيف قلقي بعض المساعدة ، ولم اكن اعرف من تلك السمعة السابقة الى ذهنى من سوق الشيوخ شيئا ملموسا غير بعض الشعر الذى كنت قد قرأته للشيخ محمد حسن حيدر فى مجلة العرفان ، والذى نشرته له فى الفجر الصادق ، اما الشيخ محمد حسن نفسه فلم اعرف عنه الا انه خلف الشيخ باقر حيدر الرجل الذى جمع بين الرياستين الرياسة الروحانية والرياسة القبلية ، كذلك كنت اعرف ان الشيخ محمد حسن من نواب المجلس النيابى ، وكنت قد حجزت جانبا من الفندق الوحيد المعمور عند نزولى فى القصبة وهو اجمل جانب من اجمل بقعة من (سوق الشيوخ) اذ كان يطل على النهر وقد اتخذت لى منه مسكنا ومنتزها ، وفى عصر اليوم الثانى من نزولى ، وكنت قد اقتعدت كرسيًا من كراسى الراحة وانا فى شبه ذهول من امر نفسى والتفكر فيها اذ دخل على ثلاثة يقدمهم رجل متوسط القامة ، صبيح الوجه ، حاد النظر ، حلو الالفاظ تدل مظاهره على طيب سريره ، وصفاء نيته ، وهو انيق فى ملبسه وعمته البيضاء ، ومذ رأنى فتح لى يديه وضمنى الى صدره ، كانى صديقه منذ عشرين سنة واكثر ، ولا تسل عما كالى من اللوم والتعنيف لنزولى فى الفندق ، وعدم نزولى فى بيته وراح يلح على بمغادرة الفندق والانتقال على وجه السرعة الى بيته ، وهنا عرفت

(١) الهاتف - السنة العاشرة العدد ٣٦٩ كانون اول ١٩٤٤ .

ان الرجل هو الشيخ محمد حسن حيدر وعرفت لأول مرة من بين اولئك الذين صحبوه السيد عبدالصاحب السيد ادريس •

وكانت جلسة استغرقت ثلاث ساعات واكثر ، قام بعدها الشيخ محمد حسن ورفيقاه وانا اسد ما اكون لهم شوقا وكان المجلس النيابي في عطلة فتكررت زيارته لي مرة ثانية ، وثالثة ، وخمسين ، ومائة واكثر وصار لا يقضى اوقات فراغه من مساء كل يوم الا عندي ، والامعي حيث اكون من مجالس العزاء التي كانت لانحصى حينذاك بسبب شهر المحرم ، وانعقاد المائم الحسينية ، وكان الملا محمد الخطيب من اكثر الاشخاص اتصالا بنا ، وقد استدعى من (قلعة سكر) الى (السوق) لقراءة المائم الحسيني فيه ، وقد كان لسعة اطلاعه وقوة حافظته شان مذكور في المائم الحسينية ، والمجالس الادبية الخاصة ، وهو رجل قلما انجبت مثله (القلعة) قابلية ادبية ، وكفاية خطابية ، فكنت كثير الانس به كما كان الشيخ محمد حسن حيدر ، حتى كنا لانفترق الا نادرا ، وكنا اذا اجتمعنا فانما نتحدث بما يؤنسنا ، ويلذنا ولم يكن الذي يؤنسنا غير الاحاديث الادبية والتعليق عليها بما يناسب المقام ، ولم يكن يلذنا غير التندر بالشعر وانكت ، وقد كان الشيخ محمد حسن من اكثر من رأيت ميلا للنتكة والدعابة الادبية والمساجلات الشعرية ، ولربما كان هو السبب الاكبر لمقارضتنا الشعر في مختلف المناسبات •

ورسخت صداقتنا في بحر الايام القليلة ، وبسبب هذه الصداقة قامت صداقات متينة بنى وبين اهل السوق قاطبة ، وظفرت بكنوز ثمينة من الخلق الرفيع الذي يحكيه الكثير من اهل السوق والفت البلد على رغم قصر المدة حتى غدوت وانا في السوق كاتني في محيط النجف لايموزه الا صحن ، وحرم ، وقبة ، ليكون النجف بعينه •

وسوق الشيوخ بسبب آل حيدر وما بثوا فيه من روح ادبية والاخص الشيخ محمد حسن نفسه قد اصبحت نزاعة الى الادب والشعر ، والفن ، حتى بالامكان القول بانها ثمانية مدينة في الفرات بعد النجف من هذه الناحية ، وذلك لكثرة ماخلف

فيها ال حيدر من راوية للادب ، وحافظ. للتاريخ ، وناظم للشعر بنوعيه القريض
والعامي

والحق ان الفضل الاكبر يرجع الى الشيخ باقر حيدر الذي جمع بين الزياستين
رياسة القبيلة الزمنية بصفته من زعماء قبائل (اجود) والرياسة الروحية بصفته من
كبار العلماء والادباء كما اشرت اليه ، فلقد كان له مقام متموق في عالم الادب بها به انجز الشعراء
ولم يكن يومذاك اجراً من السيد جعفر الحلبي الذي كان يتهيب الشعراء منداعبته
ولكن الشيخ باقر هو الوحيد الذي كتب للسيد جعفر الحلبي مداعبا فلم يرد السيد
جعفر عليه بشيء ، لقد كتب له يقول :

تعالوا نشر الانساب منا يظهر بيننا السب الصريح
(عذارى) فكيف يطيب ريحا وهل طابت من (العذرات) ريح

والعذار قرية بالقرب من الحلة هي موطن آل كمال الدين الاسرة المعروفة ،
ويضرب بغاوة هذه القرية المثل على سبيل المزاح ولكن من كان يستطيع ان يعرض
بها امام السيد جعفر ، وتقد مازح السيد جعفر مرة أحد انداده الفضلاء قائلاً :

من العذرات سادات العذار

فرد عليه السيد جعفر على الفور وهو يتم له بيته قائلاً :

أسمع مايقول ابن الحمام

وكان من اهم ما امتاز به الشيخ محمد حسن نوع خاص من الجاذبية لا لدرى
بماذا اسميه ، اذ لا يستطيع المرء ان يقف امامه دون ان يؤخذ به مسحورا ، ويعمل
فيه سحر الشيخ محمد حسن فلا يلبث ان يجد نفسه في (سوق الشيوخ) رضى ام
أبي وجينذاك يتلقفه (السوق) بيتا بيتا ومجلسا مجلسا ، وبدافع هذه الجاذبية وتأثير
الشعر قصد الكثير من الشخصيات المحترمة والادباء مدينة (سوق اشيوخ) وزاروها
من مختلف الجهات ، وتعرفوا بها ، وكان الشيخ محمد حسن حلقة ذلك الاتصال
والرابطة الوثيقة بين كثير من العلماء والادباء والوجوه ، وبين أهل السوق الذين
لم يكن ليكشف احد نبلهم ، وفضلهم ، لولا الشيخ محمد حسن .

وحيثما غادرت انا (السوق) بعد مضي الايام المذكورة كان جل اهل السوق
وابرز شخصياتهم وعلى رأسهم الشيخ محمد حسن في توديعي ، فسافرت وانا
لا اعرف معنى لسوق الشيوخ غير الشيخ محمد حسن نفسه ، ولا معنى للشيخ
محمد حسن غير سوق الشيوخ نفسها ، فلقد ضحى آل حيدر بكل شيء من اجل
سوق الشيوخ ، ومكاتها ، وسمعتها ، اما الشيخ محمد حسن فقد ذاب السوق في
نفسه حتى كان خير مرآة لاهل السوق جميعا بما عرف عن طيبة قلبه ، وحسن
سريره ، وغزارة شهامته ، ونبله ، ووفرة ادبه ، ومواهبه .

ومنذ ذلك اليوم اصبحت احب سوق الشيوخ كثيرا لاننى احيت الشيخ
محمد حسن حيدر كثيرا ، وراحت المكاتب بينى وبين الشيخ محمد حسن تتضمن
كثيرا من نتائج تلك المسودة حتى بات يعينى امر هذه القصة
كما يعينى امر النجف ، وعلى كثرة من أوجد الشيخ محمد حسن من اصدقاء السوق
الشيوخ فقد شعرت بانى من أقرب اولئك الاصدقاء الى أهل السوق ، وتحسنت
بمنزلتى عندهم حينما رأيت السيد وفيق حبيب متصرف لواء المنتفات يدعونى ذات
يوم من النجف الى الناصرية بصورة خاصة لازالة ما كان قد حدث من سوء تفاهم بين
بعض اهل السوق وبين الشيخ محمد حسن حيدر واذا بى اوفق غاية التوفيق
فى جسم هذا النزاع واذا بطائفة من اولئك الرفاق يسجلون للشيخ محمد حسن
ماتر غراء ، ويعترفون له بافضال هى فوق افضال الاب على اولاده ، وكان لا بد
ان تقوى هذه الصداقة بينى وبين الشيخ بعد مزاولتى الصحافة ، فقد كان يجب
التصر كثيرا وكان يستغل كل مناسبة - بصرف النظر عن أهمية الموضوع وعدم
اهميته - لقول الشعر الامر الذى دعى كثيرا من الشعراء والادباء وغيرهم الى
مساجلته ومباراته على صفحات جريدة الراعى ، وجريدة الهاتف اللتين اصدرتهما
وغيرهما من الجرائد ، والمجلات ، فكان له فيهما عدد من المقاطيع والقصائد وكان
له مع البعض جولات تضمنت الشيء الكثير من الجهد ، الى جانب الشيء الكثير
من اللهو ، والتسلية ، وغير بعيد ، - على هذا - ان يكون له من الشعر ما يبلغ
عشرة الاف بيت واكثر ، وقد اعلمنى فى ايامه الاخيرة بانه اعد لشعره مجلدا

ضحكاً ، وهو شارع في جمعه ، وتسيقه ، وتبويه ، وعلى رغم ابتلائه بمرض القلب منذ سنة ١٩٣٩ ونصح الأطباء له بترك النظم وكثرة الحديد ، وكثرة الأكل ، فإنه ما استطاع ولا يوماً واحداً ان يبدل عاداته ، ويغير من سجيته ، بل صار يشد السلوان بقرض الشعر أكثر مما كان يفعل قبل مرضه .!! وحتى لقد خفت انا عليه مغبة هذا الامر وعاقبته وبخفت عليه من عدم التوقى من الأكل ، ففتحت له من صفحة (الهاتف) قاعة للمحاكمة على سبيل الدعابة واتخذت من السيد عباس شبر (مدنياً عاماً) ، ومن الشيخ جعفر تقدي (حاكماً) ، ومن عدد من الآباء محلفين ، وأقمت الدعوى عليه من قبل المدعى العام ، أما وجه الادعاء فقد كان يتلخص في ثلاثة امور ، الاول التكموى من كثرة نظمه ، وقوله للشعر وهذا مما يجهد فكرياً فضلاً عن ان السرعة في النظم والأكار من الشعر قد يجعل الركة - رضى الشاعر ، أم ابى - تطفى على خيار شعره وتذهب بخصائمه ، والثانى لعدم توقيه واتخاذ الحيطة ونسيان نصائح الأطباء اذا ما مد الخوان وصفت الصحون بالماكل الشهية ، والثالث لما عود نفسه عليه من مجاملة الناس والتواضع للحد الذى يسيىء الى شخصيته .

واقترضت له دفاعاً مطولاً نشر في جريدة (الهاتف) وقد صدر الحكم بادائته ، والى هذا (الادعاء) والمحاكمة يشير السيد محمد جمال الهاشمى في قصيدته الموجهة للشيخ محمد حسن حيدر من قوله :

ابا جواد ان هزلت بعد ذا	عفوا فقد يذهب بالهزل الصجر
ظرافة الاديب ان تهيجه	بنكة فيها من اللطف صور
يا ليت شعرى هل لما جاء به	(هاتفنا) عين لديك او امر؟
وهل من (الأكل) مرضت مثلما	اورثك (الشعر) مزالاً وخور
حقاً علينا ان نقيم ثانياً	عليك دعوى عند (قاضينا) الاخر . . . النع

وقد ادت مناقشة رفع الحصانة عنه في البرلمان ومحاكمته من قبل المجلس العرفى الى هياجه هياجاً نفسياً صاخباً والى ثورة عاصية عملت عملها في جسمه وجعلت المرض يمشى فيه مشية سريعة .

وحيث صدر الحكم ببراءته واستعاد بعض عاقبته عرج على النجف فاحتفل به الأصدقاء والشعراء حتى تجاوز عدد الحفلات العشرين وقد تليت في كل حفلة عدة قصائد تحولت النجف فيها الى مهرجان ادبي في تلك الايام وفي ختام تلك الاحتفالات المتواصلة والولائم المتابعة القى الشيخ محمد حسن قصيدة لعلها من احسن شعره واجوده وكانت بمثابة شكر على تلك الحفاوات الادبية وكان من ملح ذلك المهرجان منلوج فكاهي شعبي نظمته عبدالمنعم العكام واستهله قائلاً :

« ماش . . . ماش » واورد فيه على هذا النمط قوافي مضحكة صعد بها الى وزير المالية (شلاش) ونزل بها الى حسن (الفراش) فراش مدرسة العكام وضمنها الكثير من القوافي الاخرى ذات الارتباط بالمحيط النجفي ومحيط سوق الشيوخ .

ومن اهم ما قرئت في تلك في تلك المجالس قصيدة للسيد محمد جمال الهاشمي وقد قرأها في الحفلة التي أقمتها انا للشيخ محمد حسن في بيتي وجاء منها :

تسابق القلب عليك والبصر فحاز كل منهما بك الظفر
يا قمر الفضل الذي لا تخفى آثاره عنا وهل يخفى القمر ؟
ان قصر اليراع في تكريمه فمذره قصوره اذا اعتذر

* * *

واينما حل الشيخ محمد حسن يهيجها ثورة ادبية صاخبة في اغلب الاحيان فهو حينما يكون في الحلة يتناولها بما تستحق من ثناء من حيث صفات اهلها وما جبلوا عليه وما يستحقون من تعنيف ولوم جزاء اضاعتهم لمواهبها الادبية واهمال ناحية الشعر التي كانت من ابرز نواحي الحلة مستعرضا في شعره (آل القزويني) واثارهم ، فيفرج هذا التحرش عن ثورة تشمل الكثير من شعراء الحلة وفي مقدمتهم كان الشيخ عبدالرزاق السعيد .

وحيثما يكون في البصرة يحاول ان يبنى من الحجة قبة في مزاحه فيهيج طائفة من العلماء ، والفضلاء ، وفي مقدمتهم السيد عباس شبر والسيد محمد علي الكاظمي من اجل (عصا) اضاعها عندهم لا اظن قيمتها كانت تبلغ ثلاثة دراهم او اكثر قليلا ولكنه أنزلها منزلة عصا موسى واكثر ، فنظمت الارجيز والقصائد وتناولتها بعض

الجرائد واشترك في تلك المعركة شعراء اخرون من مدن اخرى ، وفي طليعتهم كان الشيخ جعفر نقدي من العمارة .

وعندما يمر بالنجف - وكثيرا ما يمر بها ويقضى فيها اكثر ما يستطيع من اوقاته - يشعر الكثير من الادباء بحركة غير اعتيادية تدفعهم الى الملاحظة ، والمداعبة ، والمساجلات الشعرية ، والمباراة الادبية ، من تشطير ، وتخمين ، وغير ذلك ، ولم يكن هناك من سبب غير وجود الشيخ محمد حسن الذي يحب الشعر كثيرا ، ويحول بين ركوده ، وخموله ، حيلولة ، قوية ، فعالة .

ولقد وقفت ذات مرة على مراسلات شعرية له تناول فيها الشيخ عبدالقنى الخضري بهجاء غاية في الضحك ، وغاية في الدعابة ، وذيلها بتوقيع رمزي واتخذ له رسولا امينا على سره ، فكان هذا الرسول ينقل قصائده الشعرية الى الشيخ عبدالقنى ، ويجيء منه بالردود دون ان يعرف الشيخ عبدالقنى مهاجمه ، ودون ان يدري من اين ياتي هذا الرسول الذي اقسم ان يظل حافظا لهذا السر حرمة الى الابد ، واحسب ان السر لم ينكشف لحد الان ، وهكذا فعل مع محمد علي الحوماني الشاعر ، ومن هذا النوع كانت قصيدة بعث بها من سوق الشيوخ الى طائفة من اصدقائه تناولهم بها فاطلق عليها الاصدقاء اسم (يرمنون) وراحوا ينظمون على منوالها ولم يعرفوا قائلها الا بعد زمن . .

ومن طرائف الشيخ محمد حسن حيدر الادبية طريفة نشرها (الهاتف) في العدد ٣٢٩ من السنة التاسعة تضمنت - دعوى - شعرية اقامها الشيخ ضد السيد حمودي عبدالمجيد مدير معارف لواء الناصرية (الدكتور حمودي عبدالمجيد اليوم) لدى حاكم صلح سوق الشيوخ السيد عبدالحميد على مشترك مع السيد سعيد كمال الدين قاضي شرع الناصرية طائبا منهما الحكم على (حمودي) باقامة وليمة كبيرة لعدد من الادباء وفي ضمنهم السيد كاظم القزويني مدير ثانوية الناصرية ، وتقى الشيخ راضي مدرس الثانوية ، وعدد من ادياء سوق الشيوخ ، لان (حمودي) كما يقول الشيخ محمد حسن كان قد اتصل به تلفونيا من الناصرية واخبره بان جماعة من رجال الحارث ، وعلى رأسهم حكام الناصرية وقاضيها والسيد حمودي من ضمنهم سيتناولون

طعام الغداء عند الشيخ محمد حسن بسوق الشيوخ غدا من نهار الجمعة وقد اولم الشيخ محمد حسن على مجرى عادته - وليمة فاخرة حضرها جميع من ذكر في الموعد المعين الا (حمودى) الذى حالت بين حضوره بعض المشاغل كما قال .

وقد رتب السيد عبدالحميد على ، والسيد سعيد كمال الدين مجلسا ادبيا خاصا لمحاكمة السيد (حمودى) ، وصدر القرار بوجود قيام السيد (حمودى) بدعوة جميع الادباء الى وليمة عين الحاكمان لونها ، وصفها ، وزمان اقامتها بالتفصيل وقد عز على السيد حمودى ان ينفذ هذا الحكم فدافع عن نفسه واعترض على الحكم حتى رضى الحاكمان بان تميز الدعوى عند جريدة الهاتف .

وكتب الشيخ محمد حسن الى الهاتف يصف له اصل الدعوى فى ارجوزة لطيفة ، كما كتب السيد حمودى شرحا كافيا لقصته ، وهذه قطعة مختزلة من ارجوزة الشيخ محمد حسن المتضمنة عرض القضية .

شكرى الى الوزارة النييلة	وزارة المعارف الجليلة
اذ انها اختارت لنا (حمودى)	يسير بالنشر الى التجديد
فالكل منا شاكر لفعله	مقدر وذاكر لفضله
لكنه نادى بصوت الهاتف	ذات ضحى من (شعبة المعارف)
يقول لى غدا نهار الجمعة	يجيئك الجمع واننى معه
فقمتم بالواجب تلك الساعة	منتظرا تشريفة الجماعة
فحضروا كلهم الا هو	لم ادر اى شىء اعتراه
فحكّم الحاكم فوراً وله	قد قرر (القاضى) وما امهله
حكما عليه لثبوت الجرم	حسب شهادات جرت بعلم
حكما حوى شرائط مرضيه	مقبولة فى نظم العدلية
بان يقيم عنده للصحب	وليمة من مآكل وشرب
جامعة لا حسن المآكل	ترضى جميع اخوتى الافاضل
وبعد ما بلغ بالقرار	تأثرا اصيب بالدوار
ولم يجد من حجة لديه	برد دعوى المدعى عليه

قال اذن اميز القرارا
 عند خليلى (جعفر الخليلى)
 لايد ان يحكم بالمداة
 فاحكم بما تراه حكما صادقا
 قرار حاكم الجزا جهارا
 فهو الذى يهدى الى السيل
 ولم يضر ابدا اقواله
 مناسبا الى القلم لانفا

ونظرت انا باسم (الهاتف) فى هذه الدعوى وقد رددت الحكم ، وطلبت
 من المحكمة ان لا تكفى بالحكم على (حمودى) وحده بل عليه ، وعلى (تقى الشيخ
 راضى) ^(١) الذى اعتبرته مسؤولا عما وقع (لحمودى) من مخالفة وقد تألف
 حكيمى من ارجوزة على نفس النسق وهذه بعض ابياتها الصادرة باسم مجلس
 التميز .

* * *

وقد تلا الحكم الذى قد صدرا
 فلم يدع بندا من البنود
 الا وفلاها بكل دقة
 فصدر القرار بعد التجوى
 والعود للتحكيم من جديد
 فاتنا نعلم فيا نعلم
 وان اصعب له فى الامر
 مشاغب من الطراز الاول
 غير بعيد ان يكون السببا
 هو الذى جنى على (حمودى)
 فليس حكمكم من الانصاف
 ويترك الاخر يمشى حرا
 وباختصار ان ما نراه
 منكم وقد احاط بالذى جرى
 مما ادمت بها (حمودى)
 لم يكثر بالجهد والمشقة
 برد ما كان لكم من دعوى
 عند (حميد) الحاكم الرشيد
 ان تقى الشيخ راضى مجرم
 ان كنت لا تدري فانا ندري
 يحسن خلط جده بالهزل
 فى الجرم ان لم تعتبره المذنب
 ولج فى اقامة الحدود
 ان يوخذ الواحد بالخلاف
 مستهزئا بالعدل مشمخرا
 ان ينظر الحاكم فى دعواه

(١) المفتش بوزارة المعارف اليوم .

فيصدر الحكم على الاثنين مشتركين في اداء الدين
بأكلة لذيدة وحيدته يحضرها صاحب ذى (الجزيدة)

وتوسعت هذه القضية وعلق عليها الكثير بالاراجيز ودامت نحو بضعة شهور
تطوف المدن وتهيج فيها القرائح بقصد التسلية ، وكلها بداعي روح الشيخ محمد
حسن حيدر المرحه ، وجه للشعر .

ووجه الشيخ محمد حسن الى (الهاتف) دعوة باسم ادباء سوق الشيوخ
لقضاء اسبوع في قصبة السوق ولقد لبث الدعوة وقضيت اسبوعا كاملا وسط
مهرجان ادبي اقيم طوال الاسبوع لتكريم (الهاتف) تلا فيه حمدي ال حمدي ،
وسالم الحسون ، وعبد الحميد السيد ، والشيخ محمد حسن حيدر نفسه ، وعدد
آخر من ادباء السوق قصائد عاطفية رقيقة بشرها (الهاتف) في سنته التاسعة وسميت
تلك المهرجانات الادبية - التي اسهم فيها حتى الادب الشعبي الرفيع الذي انطلق به
السيد عبدالصاحب السيد ادريس في قصيدة عامرة - باسم (اسبوع السوق) فأعاد
(سوق الشيوخ) ذكرى (سوق عكاظ) وهاجها ثورة ادبية مشتعلة وسط صفوف
من المواثيق التي اقامها عدد من كبار اهل السوق بهذه المناسبة واعتبر (اسبوع السوق
الادبي) فاتحة عهد جديد لادب سوق الشيوخ الذي ابتدأت تتناقله الصحف منذ
ذلك اليوم وتشير الى قيمته .

* * *

وليس هذا وحده الذي جعل الشيخ محمد حسن مصروفًا في اغلب المدن
العراقية وعند جميع الشعراء والادباء بكونه حركة فعالة في بث الروح الشعرية
من مرقدتها وخلق جو شعري اينما حل ، وانما هناك صفات عرف بها بين جميع أقرانه
ويعرفها كل من كانت له اليه حاجة ، وكل من استعان به على امر ، فقد كان كثير
الاهتمام بشؤون مدينته وسكانها ذلك الاهتمام الذي كان يحمله على التحدث عن
(سوق الشيوخ) والذب عنها في كل وقت واذا لم يكن الوقت مناسبًا سهل على الشيخ
محمد حسن حيدر ايجاد المناسبة لرفع شأن هذه المدينة ، ولفت الانظار الى حاجتها ،
من عناية الحكومة ، سواء كان ذلك امام البرلمان او امام اهل المقد ، والحل من رجال

الحكومة ، او في معرض الشعر والادب ، حتى لقد صار احق بالتصاق صفة مرض (الذات) من السيد عبدالوهاب الصافي .

وصفة السيد عبدالوهاب الصافي - وقد كان معتمدا لجمعية (الرابطة) في النجف - تلخص في انه كان لا يترك حديثا يمر دون ان يحشر فيه اسم (الرابطة) والدعوة للاهتمام بها والسعي لمساعدتها ، الامر الذي جعل الشيخ محمد لخصا الشيبسي يقول عنه قولا فيذهب مثلا -

لقد قال الشيبسي ان الامراض المبدومة (بالذات) اربعة .

١ - ذات الرئة ، ٢ - ذات الجنب ، ٣ - ذات السحايا .

اما الرابع فهو (ذات الرابطة) وهو المرض الذي يلزم السيد عبدالوهاب الصافي ويحمله على ذكر (الرابطة) في كل مكان وزمان اقول لقد كان الشيخ محمد حسن حيدر احق من السيد عبدالوهاب الصافي بهذا الثمت لكثرة ما اذاب نفسه في خدمة هذا البلد . وكثرة ما كان يتردد اسم سوق الشيوخ عـ على لسانه وملاحظته لرجال الدولة في الاهتمام بربى البلد وزراعته وسوقه وواليه وحده ينسب هذا الفضل في اتفات السلطات لوضع بعض الخطط. في تأسيس (النواظم) واشتغال سوق الشيوخ بعض الحيز من اهتمام الحكومة بمشاريمها فكان احق بان يعتبر مصابا بمرض (ذات الشيوخ) .

كان الشيخ محمد حسن مرآة لعدد من الصفات الحميدة وكان مثلا من امثلة الوداعة والطيبة وحسن النية اضافة الى ما عرف به من السخاء بالنفس وبما يملك او ماهو تحت يده .

لقد كنا عنده ذات ليلة (بسوق الشيوخ) وقد طابت ليلتنا وعذبت وكان وجود السيد محمد جمال الهاشمي الذي كانت الشاعرية ، والظرف ، والعذوبة ، تطنى عليه يومئذ اكثر من اى لون آخر من الوان التصدى للصلاة باناس والانصراف الى دراسة الفقه انصرافا كليا فيشرح صدر الشيخ محمد حسن في تلك الليلة ويتغلب على الهاشمي فيما يكيل له تعريضا من نظم مرتجل واسجاع فكاهية مضحكة ، وارتج على الهاشمي المعروف بسرعة البديهة فلم يستطع ان يأتي بالجيد من الشعر

المرتجل بالمهجاه المستبغ قبال الشيخ محمد حسن ، فظل الشيخ محمد حسن يعلو في هجومه الشعري ، وظل السيد محمد جمال يهبط حتى قشلا ذريبا .
واقترح هناك المقترحون ان يتحول هذا السمر الى لون آخر من التهاجي ليس له بالسمر من صلة غير صلة المعنى وذلك بان يأتي احدهم بصفة فيأخذ الاخر الحرف الاخير منها ويأتي بالرد عليها بصفة بدوئة بذلك الحرف كان يقول احدهم للاخر :

- بليد .

- فيجيه الاخر .

- دلو .

- ويقول له -

- واوى

فيجيه

- يزيد بن معاوية .

وهكذا يتخذ آخر حرف من الكلمة مبدأ تراعى فيه الحدود المعينة ، وهي لعبة شاعت بين جماعة من الادباء ، وتوسعت حتى حدد لكل مساجلة منها حدود معينة ، كان تكون المساجلة مقتصرة في تلك الجلسة على المديح ، او المهاجاة ، او الصنعة والحرف . . . !! أما النجاح فيها فللمن يكون اوسع افقا في عالم اللغة والادب ، وأكثر اتصافا ، وتجلوبا للوقت ، واغلب ظنى انى انا الذى ابتكرت هذه التسلية فشاعت يومها بين بعض الادباء .

وفي هذه المساجلة فشل السيد محمد جمال الهاشمى ايضا وتغلب عليه الشيخ محمد حسن حيدر للمرة الثانية وكان الشيخ محمد حسن قد ابداع فى تلك المساجلة لما اتى به من طرائف النور والصفات المضحكة كل الابداع ونمت على وجه الهاشمى بعض الادلة من الخذلان فقام اليه الشيخ محمد حسن مستغفرا لانه قد بدر منه ما يخالف القواعد ، وانما لجرد استظهاره على الهاشمى اجل لقد قام اليه متذرا ومستغفرا وامسك بيده وقبلها عدة مرات ، ولم يتركه حتى اكده له السيد محمد الهاشمى بان المساجلة لم تترك فى نفسه الما او اذى او اى شىء مما

يجرح شعور النفس ، وانما هو الفضل الادبي وحده ومع ذلك فلم ينم الشيخ محمد حسن في تلك الليلة حتى اطمأن بان السيد الهاشمي قد نام ملء جفنيه وليس هناك ما يكدر خاطره

وحين اهدى لي الصديق السيد مير علي ابو طيخ (دلة) قهوة مصحوبة بقصيدة ، اهدى لي الشيخ عبدالحسين الحلبي من البحرين (دلة) من قريض ، وهي اول دلة شعرية في عالم الادب وفي هذه القصيدة عزاني الشيخ عبدالحسين بفقدى ابني (هاتف) وتعرض للشعراء الذين كانوا قد عزوني بشعر اعتبره الشيخ عبدالحسين الحلبي بمثابة (بفلة) اوقفوها الى جانب عدد من (نجائب) الشعر فكانت قصيدة الشيخ عبدالحسين قصيدة عامرة وقد تنقل فيها ، وابدع في التنقل الذي شهد ببراعته من غزل ، الى نسيب ، فمدح فرائد فقد ، فقال من جملة ما قال :-

يا (خليلي) وذا الذ نداء	من خليل اذا يخاطب خله
انت من بعض فضلك اتقوم تجنى	لبنها ونفسها الفضل كله
انت احجى من ان تعزى بشعر	ما اقل الحجي اذا وأضله !!
لك من نفسك الكريمة سلوانا	وعرفانك التسلي وفضله
لك اهدى (نجيبة) من نجيب	اوقفوا قبلها بياك بفلة
البسوها من العويل ثيابا	وسقوها من واكف الدمع وبله
وحشوها من القديم حديثا	ما اجادوا ولا استجدوا اقله

الى ان يقول :

ليت كانت هديتي لك (دله)	ذات نهد يزين صدر (الجملة)
فادعها دلة لتغنى صبا	في هواه عن نضد اقوى الادلة
واقترضها ان شئت دلة تبر	رب فرض يطفى وينقع غله
واذا شئت سبكها من قريض	لم تصب فدلة الشعر سهلة
واذا لم يصنع من الشعر ابريق	لماذا قد خيط او حيك حله ؟
هي ذى (دلة) تصاغ قريضا	لا بفرض ولا بطرق وشعله
لبست من نواقب النجم تاجا	واعارت مصبها للاهلة

وهاج وصف الشيخ عبدالحسين الشعراء وهاجم طعنه في شعرهم فردوا عليه بقصائد ومقاطع وكان من اولئك الشيخ محمد حسن حيدر الذي نظم قصيدة في أكثر من خمسين بيتا امتدح بها الشيخ عبدالحسين الحلبي واعترف بمجزه عن اقتفاء آثاره ولكنه قال رادا :

يا (خليلي) وتلك دعوة مضي بك وانشوق في هواك أعله
قد قرانا (بهاتف) الحق شعرا من رثاء او من قريض بدله
طربا همت في مآتبه حتى لمضاك من ضناه ابله
لك وافت هدية من (نجيب) حسب المهر في المضامير بغله

وعز على الشيخ محمد حسن حيدر ان يرى كل واحد يهدى شيئا للهاتف وهو لا يهدى فقال :-

هو يهدى اليك دلة تبر او لجين من الصفاء - وخله
واخوك الوفي يملك نخلا وهو يسخو متى اردت (ينخله)
هذه دلتى اليك فخذها فهي تسقيك من سلافة زحله

والنخل الذي يشير اليه الشيخ محمد حسن هو كلما يملك مما تركه له اباؤوه من بستان وارض واسعة ما لبثت ان تحولت الى نفقات اتقى ابوه جلها على الناس وانفق الباقي الشيخ محمد حسن نفسه وصار يدلل بما بقي لكي ينفقه على الغير استجابة لسخط نفسه .

قال لي السيد عبدالمهدي المتفكي في اثناء تشييع جنازة الشيخ محمد حسن حيدر قال :

لقد وجدت الشيخ محمد حسن كثير التأثر وهو على فراش الموت في المستشفى حين سمع ان الناس كانوا يندفعون الى التبرع للمدرسة الجعفرية ببغداد وهو لا يملك شيئا يجاريهم بالاندفاع ، فامسك بيدي وقال : لي اليك حاجة يا سيد عبدالمهدي ، وارجو ان تحققها لي وهي انه قد بقي لي من كل الذي كان وما خلفه السلف من ذلك الارث بستان يبلغ معدل ايراده السنوي خمسة واربعين دينارا فاذا مت فكل رجائي هو ان تتولى عنى اهداء الثلث الذي يخصني من هذه البستان الى

المدرسة الجعفرية ولا تأخذك الشفقة فيمن كان يجب ان ينفق عليهم هذا البستان
وايراده .

لقد عدت في اواخر صيف ١٩٣٩ من لبنان فوجدت الشيخ محمد حسن
بمنزله في الكاظمين. وقد علت وجهه صفرة باهتة وبدت آثار وعكة على محياه وقبل
ان اسأله عن حاله قال :

- " اخي جعفر . . . اوشكت ان اموت بعدك "

لقد قال ذلك ببرة عاطفية فكأنه فرى قلبي بمدية ، ومنذ ذلك الحين لم يبرأ
الشيخ محمد حسن من علته ، ولم يشف من مرضه على رغم العناية الكبيرة التي
كان يبذلها الاطباء ، ذلك لان الشيخ محمد حسن كان مرهف الحس ، سريع الغضب
ينور لافل حادث ، ولانه كان من جانب آخر كبير الاهتمام بالناس شديد الوفاء
للصديق . وكان من آية هذا الوفاء انه رقى منبر تأبين الشيخ جواد الشيبلي وهو
في اشد حالات المرض ، وتلا قصيدة في رثائه ولم يفد معه نصيح الناصحين وعذل
الماذلين .

وسامت صحته يوما بعد يوم منذ ان رفعت عنه الحصانة النياية واحيل الى
المجلس العرفي للمحاكمة ، ولقد نظم عن مرضه وعما يكابد من علل وامراض
شعرا كثيرا وصور خيبة أمله بالاطباء في اكثر من موضع واحد من قصائده ومن
ذلك هذه الابيات المقطعة من قصيدة كبيرة :

كم من طيب بانواع العلاج على	يديه عالجت اسقامي ليبريني
فما وجدت علاجا ناجما أبدا	بطيئه مذ به اضحى يداويني
فالسقم لم يبق من قلبي ومن كبدي	الا بقايا براها برى سكين

ولم يزل يمشى به المرض حتى لازم المستشفى زمان ثم لازم بيته ، وكنت على
صلة دائمة به وقد تولى السيد حمدي ال حمدي الاجابة على برقياتى ومكاتيبى حين
عجز الشيخ محمد حسن ان يكتب ، وبلغنى انه فى مرحلته الاخيرة ، وحين ازمت
النية على السفر الى السوق لزيارته ابرق الى حمدي ال حمدي بالتأخر لان المصلحة
اقتضت بنقله من السوق الى بغداد ، وحين صممت على السفر الى بغداد ، فوجئت

بخبر وفاته ونقل جثمانه الى مقبره الاخير فى النجف حيث مشيت مع المشيمين خلفه .
لقد فقدت بموته صديقا نبيلًا وفيًا كريما طالما انست بروحه الطاهرة ، فكان
لموته وقع عظيم على نفسى وكان من اثره انى ظللت لا اغمض جفنى فى كل ليلة الا
على ذكراه الطيبة وهما مبتلتان بالدموع تلك الذكرى التى طالما ملأت قلبى دعة
ونفسى هناء ، وفراغ ايامى مسرات .



السيد ابو الحسن

السيد أبو الحسن^(١)

يرجع اول مع فتي بامام الشيعة الكبير السيد ابي الحسن الموسوي الاصفهاني الى ايام الطفولة التي تبلى الاعمار ولا تبلى ذكرياتها ، تلك الايام التي كنت اجلس انا وابنه الشهيد (السيد حسن) على مقعد واحد في المدرسة العلوية بالنجف ، وكنت ككل التلاميذ شديد الحرص على ان يكون زملائي من الاولاد الاذكياء المبرزين ، او من اولاد الذوات ، فكنت اذا لم اهتم بزميلي من حيث نبوغه ، ورجاحة ذكائه ، اهتمت به من حيث نسبه ، وحسبه ، وقد قيل لي عن هذا الزميل ، ان ابيه عالم من العلماء ، وانه امام جماعة يأتيه به بعض الصلحاء ، وقد اتبع لي ابن ابي والدي زميلي هذا مصليا في جهة باب الفرج من الصحن الشريف في النجف ، وهو المكان الذي يقع خلف مصلاه الاخير بنحو خمسين قدما ، فرأيت فيه رجلا متوسط القامة ، نحيف البدن ، ذالحية تناسب مع صورة وجهه ، وعمامة سوداء تتناسب مع راسه ، وقد اتم به صفات من الرجال ، لا يزيد عددهم على عشرين فضلا ، عرفت منهم يومذاك القاجر الحاج عبدالرحيم البوشهري ، والطاجر اغا احمد الملا تركي ، عزفتهما لانهما كانا من اعضاء المدرسة العلوية ، وكانا من انشط العناصر الآخذة بتساعد المدرسة المذكورة التي درست فيها ، وهما اول شخصين دفعا بالسيد ابي الحسن الى التقدم للصلاة والزعامة ، اما الباقيون من المؤمنين فقد كانت هياتهم المختلفة تدل على تناقصهم من حيث قيمتهم الاجتماعية ، وظللت كلما دخلت الصحن عند الغروب رأيت في المكان نفسه مصليا على فراش متواضع ، وسجادة بسيطة من المنسوج الرخيص ، فيأخذني شيء من الخلاء والزهو لان لي صديقا ابوه عالم ، وامام جماعة ، فكانني لم ار عالما من قبل السيد ابي الحسن ، وكأنته ليس لي في اسرتي اكثر من عالم ، وكان

(١) الهاتف - السنة الثانية عشرة - العدد ٤٣٦ تشرين الثاني ١٩٤٦ .

زميلي (السيد حسن) هذا مموزا ، ولم يكن حالي باسعد منه لو لم اكن مجهزا باللوازم المدرسية وانكتب تجهيزا على قلته احسبه كان قريبا من سد الحاجة ، وكان ذلك سببا لاستشارة بعض الزملاء منى بعض تلك اللوازم فى اغلب الاحيان •

وذات مرة ذهبت الى بيت زميلي هذا ، وكان يسكن احد بيوت آل الشهرستاني بالقرب من سوق العمارة ، لاسترد كتابا لى لا ازال اذكر انه كان كتابا فى (العقائد الشرعية) وهناك رأيت اياه العالم وجها لوجه ، فقد فتح لى الباب بنفسه ، وكس سرتنى ان ارى العالم الربانى يكلمنى ، بل كنت فخورا اذ اتيج لى الكلام مع عالم علوى هاشمى مع ان فى اسرتى عددا من العلماء لم اعبا بهم •

* * *

ولا ادرى الى كم ظل المؤمنون بابى الحسن معدودين لاتزيد صفوفهم على صفيين ، ولكن علمت ان آل (الاخوند) كانوا يؤيدونه بكل ما يملكون من قوة ، ومن ورائهم بعض طلاب العلم الذين يحضرون درسه ، ولعل لتأييد آل (الاخوند) علاقة بتلمذة السيد ابى الحسن على يد ابيهم الاستاذ الأكبر الشيخ ملا كاظم الخراسانى المعروف (بالاخوند) او لعل له علاقة بوفاته لابيهم ، ذلك السوفاء الذى تجلى فى ساعة عسره واملاقه بابهى مثال ، واجمل صورة ، فقد بلغ السيد كاظم اليزدى وهو من مناوئى (الاخوند) يومذاك بسبب الفتوى المتضمنة وجوب اقامة الدساتير البرلمانية فى الحكومة الاسلامية التى عرفت بحركة (المشروطة) ، اقول لقد بلغ السيد كاظم اليزدى ما هو عليه السيد ابو الحسن من عوز وفاقه عظيمين ، فارسل اليه بمشريات ذهبية وهو مبلغ له قيمته المادية يومذاك ، ليسد به بعض حاجته ، فلم يستخ السيد ابو الحسن ، - وهو على ما كان عليه من املاق - ، ان يتناول هذه المساعدة من يد منافس لاستاذه (الاخوند) وان كان غيره لم ير فى ذلك بأسا ، فلقد استمال السيد كاظم اليزدى عددا كبيرا من تلامذة منافسه المقربين باعاناته ، وعلى رغم تأييد المؤيدين للسيد ابى الحسن فقد ظل عدة سنوات لايزيد على كونه امام جماعة صغيرة ، واستاذ حلقة اصغر ، وواحدا من عشرات الائمة والاساتذة الذين تعج بهم التجف يومذاك ، اللهم الا بعض مميزات كان ينفرد بها ، من قبيل نزوعه الى الحرية ،

وتشجيعه للاحرار ، والتبسط في التواعد الفقهية ، والتمسك بالجانب السهل السمح من الاحكام الشرعية ، ومع كل ذلك فلم يكن من الاعلام الخفاقة قبل ان يحيل المرجع الاكبر التاهض بالتورة العراقية ، الشيخ محمد تقى الشيرازى بعض الامور الشرعية اليه ، فقد كان الشيرازى كثير الاحتياط فى اعماله الشرعية حتى لقد كان يحرم لبس (الشعرى) على الرجال ، والشعرى نوع من النسيج يأتى من الشام قيل ان جميع سداه ولحمته من الحرير الخالص ، فضايق مقلدو (الشيرازى) ذرعا باحتياطاته الكثيرة لاسيما فى لبس (الشعرى) المؤلف لبسه حينذاك فى اوساط التجار والاعيان فرجعوا اليه يطلبون منه تعيين من يرجعون اليه فى احتياطاته اذا لم يستطيعوا التمسك انتم بتقليده فدعا الشيرازى وهو المرجع الاعلى حينذاك الى احد اثنين هما شيخ الشريعة ، والسيد ابو الحسن ، اما شيخ الشريعة فقد كان فى مصاف الشيرازى ، وانداده علما واجتهادا لذلك لم تكن الدعوة له كبيرة الفائدة فى شهرته واما السيد ابو الحسن فقد نال من هذه الدعوة شهرة مكنته من ان يخطو خطوة واسعة فى ميدان الظهور ، ومنذ هذا اليوم اى منذ اشارة الشيرازى بالرجوع للسيد ابي الحسن والعمل فى المواطن الشرعية برأيه بدأ نجم السيد ابي الحسن يتألق ، وبدأت صفوف المصلين والمؤمنين به فى صلاته تزداد يوما بعد يوم ، ثم انضمت اليه بعض العناصر اللامعة فزادته ظهورا وجلا .

* * *

وقامت التورة العراقية سنة ١٩٢٠ وارتفع صوت الامام الشيرازى بوجوب الدفاع عن حرية البلد ووجوب طلب الاستقلال فكان صوت السيد ابي الحسن اعلى صوت بعد صوت الامام الشيرازى وبعد صوت الامام شيخ الشريعة ، واصبح للسيد ابي الحسن اجتهاده الخاص فى المسائل الدينية ورأيه المستقل فى الامور الاجتماعية ، لابل لقد اصبح يدنو بعد هذا التاريخ سريعا الى المرجعية العامة ، ومع ذلك كله فقد كان احب اليه لو ان يظل مع الناس غير مترفع ولا شامخ .
وكانت (الفرات) يومذاك من احد العوامل لتعريف الناس بالعلماء ، أو قل

كانت اخدى الدعايات الكبيرة للاشخاص البارزين - و (الفرس) عبارة عن اسطوانة من القماش الابيض المشتمع قامت على قاعدة من النحاس تسرج فيها شمعة ، وتحمل بواسطة حلقة نحاسية فى قاعدتها العليا يحملها الخادم امام العالم سراجا يضىء له الطريق ، وكلما كان العالم كبيرا او كان الرجل محترما جليلا كان (فره) اكبر وقاعدته اوسع ، فكان العوام والسوقه يرون فى (الفرن) ، وفى الخادم الذى يحمله من حيث عمته الكبيرة ولحيته البهية دليلا على عظمة العالم المجتهد ، او المخدوم الوجيه ، ولما كان الاطفال الصغار كالعوام ، وكالسوقه بدون اى اختلاف من حيث النظر الى الامور فقد كنت انا ارى رايهم فى هؤلاء العلماء الذين يغادرون الصحن الشريف بعد اداء صلاة المغرب والعشاء واحدا بعد آخر وقد حملت (الفرات) الكبيرة امامهم ، ولكنى لم ادر لم لم تغير عقيدتى فى السيد ابي الحسن الذى لم يستسخ حمل الفر امامه ، ولم ينجأ الى هذه المظاهر والتقاليد التى كان يلجأ اليها الاخرون .

وتقدمت بى السن قليلا ، فالفيت السيد ابا الحسن يتقل من داره ليسكن دارا فى رأس شازعنا ، وعلى بعد مئة متر لا اكثر من بيتنا ، فاستسنى لى ان اراه كل يوم ، وما اكر ما رأيتة وهو يحمل الخبز بيده وقد جاء به من السوق ، اما زميلى ابنه فلم اعد اراه الا قليلا ونادرا فقد اغتم بعمه سوداء واتجه نحو درس الفقه والشريعة مقتفيا آثار رجال الدين ، وكان لابد ان يفرق بيننا الاتجاه ويجعل كلامنا فى ناحية ، ولو لم تكن جيرانا متقاربين لما رأى بعضنا بعضا .

* * *

وعرضت قضية انتخاب النواب لتأليف اول مجلس تأسيس للعراق فافتى العلماء بتحريم دخول معزكة الانتخاب والترشيح لدخول المجلس نوابا مالم ينجل الموقف ، ويؤيد الانكليز ان ليس هنالك شىء اسمه (وصاية) أو (اتداب) أو (معااهدة) ، وتأزم الموقف ، وكان السيد ابو الحسن من اشد العلماء تمسكا بهذا الرأى ، وكان يرى فى مخالفيه مخالفة للشرع الإسلامى ، وخروجاً على تعاليمه حتى آل الامر الى

نفى العلماء الروحانيين ، واخراجهم من العراق الى ايران ، وهنا ظهر تعلق الناس بالسيد ابي الحسن اشد واكثر ، واذا به مذكور اكثر من غيره من كبار العلماء - الذين نفوا معه كالميرزا حسين النائيني - على جميع الالسنه وحين عاد العلماء من ايران وعاد هو الى العراق كان هو السابق الى المرجعية الكبرى والزعامه الشيعية ، خصوصا وان شيخ الشريعه كان قد توفي قبل ذلك ، وقد فرغ الميدان الا من بعض اقران السيد ابي الحسن ، واذا بانطلاب الذين يحوطين منبره ، ينص بهم مجلس الدرس أو (البحث) كما يسمى ، حتى لم يبق متسع لاحد ، واذا بهذه الجبهه الخاصة من الصحن الشريف تضيق بالمصلين خلفه ، ثم تحف به جماهير الطلاب والمراجعين في اثناء الخروج من بيته وعند العودة ، قبل الصلوة وبمدها فتحدث ضجة كبيرة وكثيرا ما تقدمتها موجات من التكبير والتهليل ومع ذلك كله فقد كان السيد ابو الحسن لا يملك دارا ولا يحمل امامه فتر وسراج ان مشى ليلا ، وليس لديه من المستخدمين الخاصين احد بالرغم من تلك الابهة والعظمة التي تحيط به عند خروجه من البيت للصلاة والدرس وعودته اليه وانتقل من داره ومن محله في رأس شارعنا من المشرق وسكن دارا اخرى في رأس شارعنا من المغرب ، وعلى نفس البعد ، وعلى مسافة لاتزيد عن مائة متر ، وكانت لوالدي به علاقة اعتيادية ما لبثت ان قويت ، واصبحت صداقة كانت تحمل والدي على زيارته مرة في الاسبوع أو اكثر .

وانى لاذكر زيارته لبيتنا عصر يوم من الايام وكان معه اثنان من حاشيته وقد جاء لزيارة والدي عائدا على اغلب الظن ، وتناول عندنا الشاي ، وقد كنت انا الذي اقدم الشاي له ، فسمعتهم يطرى شاينا بشيء من المجب ، فاخبره والدي بان الشاي الذي يطريه انما هو شاي خاص يرسل الينا من ايران ، فقد كان لاخى الاكبر عباس الخليلي صديق ايراني من كبار تجار الشاي في شانغهاي (الصين) اسمه الحاج عبدالرسول على ما اذكر ، وكان يبعث لاخى في كل سنة بعدد مسن علب الشاي المحقومة ، فيبعث اخى بعضها الى والدي ، وكان والدي حريصا جدا على هذا الشاي ، وكان يتأق في شربه ، ولا يسمح لاحد بان يشاركه فيه ، وقد بلغ

اخى حرص ابيه هذا واعتزازه بهذا الشئ ، فزاد حصة ابيه مما كان يصله فى كل سنة ومع ذلك فقد ظل والدى عند حرصه وشحه ، حتى قال اخى لاحد اصدقائه النجفيين الذين يسكنون طهران - وكان قد اعتزم السفر الى النجف لزيارة ابيه وارحامه - لقد قال له اخى على سبيل الدعابة وهو يكلفه بحمل مقدار من الشئ الينا ، قال :

- حذار ان تخون الامانة ، وتلاعب بشئ ابي فى الطريق ، فانك ان فعلت ذلك فمن الهين اذا كنت انا (سألن لك اباك هنا بطهران) ، فان ابي فى النجف سيلمن لك ابا ابيك هناك وهى ام المشاكل كما قد تعلم

اقول لقد أطرى السيد ابو الحسن شائنا ، وبشارة خفيفة لاحت لى من ابي ادركت مقصوده ، فاتيتم للسيد ابي الحسن بعلبة محتومة من هذا الشئ الذى صرنا نبعث اليه بعد ذلك بعلبة منه كلما بعث لنا اخى شيئا منه على ما اذكر

* * *

وبعد مدة يتقدم (السيد ابو الحسن) فيشترى الدار المتصلة بدارنا تماما من جهة الغرب ، وينقض بعض بناء البيت من اساسه ، ويدخل على البعض الاخر شيئا من التحسينات ، ولما كانت العادة المتبعة ان يولم الجيران للجار الجديد وليمة عشاء او ان يهادوه بمقدار من السكر والشئ ، فقد بعث والدى بعدد من الاوز (البط) وعدد من كؤوس السكر الى بيت (السيد ابو الحسن) جريا على هذه العادة ، ولا ادري الى كم بقينا جيرانا ، ولكنى اعلم انه لم يمر كبير وقت حتى كاشفنا السيد ابو الحسن باحتياجه الى شراء دارنا ليتخذ منها ديوانا لزيارته ومراجعته ، فقد اتسمت دائرة اعماله كثيرا واصبح لا يرى طريقا لاتساع بيته الا من جانبنا ، لان الجانب الغربى كان يحيد مدرسة (الايروانى) وهى مدرسة موقوفة لايحوز بيعها وشراؤها ، واما الجانب الخلفى فهو يحيد شارعنا من الشوارع كجانبه الامامى تماما لذلك انحصر امر التوسعة بدارنا ، فاشتراها ، ولا تزال الدار حتى اليوم على هيأتها وبنائها لم يتغير فيها الا شئ يسير ، وانى لادخلها كلما طلبت زيارة (السيد) فاتحسب

باصبعي مواطن حياتي الخاصة في هذا البيت من محل نومي ، وقمودي ، وملعبي ،
 ومكبي ، فكنت أقول لنفسي : هنا كنت اجلس ، وهنا كنت العب ، وهنا كان مجلس
 ابي ، وهذه هي غرفة امي وكم حدثتني نفسي ان اطلب الدار من (السيد)
 ليعيدها لي لانها مسقط رأسي ومهد احلامي وعش الذكريات التي تملأ
 قلبي دعة واطمينا ، ولكني كنت اري (السيد) اكثر مني حرصا عليها ، وانها
 احب سكن الى نفسه ، وادناه الى رغبته ، فاقع في خجلي ، واخرج وانا متقل
 بذكريات الطفولة ، مغرورق العينين بالدموع وكنا قد اشترينا احد بيوت
 اسرتنا وبعدنا عن (السيد) ولم اعد اراه كل يوم كما كنت اولا ، ولكن
 صورته كانت قد ملأت نفسي كلها واتسعت شهرة السيد ابي الحسن وعبرت حدود
 العراق وايران الى جميع الاقطار الاسلامية وكان حديث علمه ورجاحة عقله في
 استنباط الاحكام الشرعية ، وسلامة ذوقه ، جعله حديث الناس في جميع مجالسهم
 فلم يكن يمر يوم دون ان يذكر له رأى جديد في الاحكام الشرعية ، وتبسيطه
 الكثير من العقد الفقهية ، فهو الذي حكم بان لكل قطر اققه في رؤية الهلال ، فاذا لم
 يثبت هلال ذي الحجة في العراق فليس من الشرط ان لا يثبت في الحجاز والاقطار
 الاخرى ، وان على كل حاج ان يتبع اقق مكة دون الالتفات الى قطره . وقبل هذا
 الحكم كان الجميع في اختلاف كبير بصدد موقف الحاج ، ولربما وقف المسلمون
 موقفين مغايرين في يوم عرفة ثبوت العيد عند البعض وعدم ثبوته عند البعض الاخر ،
 والى حد الان ولا يزال البعض من المسلمين غير متفقين في رؤية الهلال ، ولكن الذين
 بدركون قد اتبعوا رأى السيد ابي الحسن واعتبروا اقق الحجاز هو المقياس
 الصحيح وليس اقق اخر غيره في ثبوت الهلال وعدم ثبوته وهم في الحج .

والسيد ابو الحسن اول من افتى باباحة تأجيل الكفارة من الذبائح في الحج
 الى حين حصول القناعة بإمكان الافادة من لحومها ، ذلك لان (الكفارة) قبل فتوى
 السيد ابي الحسن كانت تفرض القيام بها حالا فيجرى ذبح الذبائح وتتكدس اللحوم
 بدون انتفاع لكثرتها في مواطن الحج .

والسيد ابو الحسن هو الذى جراً فحرم ضرب الرؤوس بالسيوف ، ولطم الصدور ، وضرب الظهر بالسلاسل ودق الطبول والصنوج ، والمزامير وما يجرى عادة فى ايام عاشوراء باسم الحزن على ابي عبدالله الحسين .

وهو الذى كان يرى ان الطهارة تشمل عناصر كثيرة ، ومواد كثيرة مما تضيق بها دائرة العلماء الاخرين فكان لا يستحسن ارباب الاديان الاخرى من اهل الكتاب ، وله فى ذلك رأى خاص يخالف آراء الكثير من معاصريه من علماء الشيعة ، وهو الذى كان ينصح الراغبين بوقف املاكهم بالمدول عن تنفيذ هذه الرغبة نظراً لكثرة البراهين الدالة على ضياع الوقف ، وانتهائه الى مختلف الايدي العائنة ، وكان يقول بافضلية الانفاق فى الوجوه المطلوبة عاجلاً والتحرز على قدر الامكان من الوقف الايل للتلف والضياع المحتم .

وهو اول مجتهد حكم بطلاق امرأة معدمة من زوج كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات فلم تجد المرأة من ينفق عليها فتولى هو طلاقها . . . ولربما كان هذا الحكم هو الاول من نوعه منذ اول قيام الاسلام حتى ذلك اليوم (١) .

واحدثت مرة كلمة نشرتها لمعرف الرضا فى عن وحدة الوجود - وهى كلمة من اصل كتاب خطى للرضا فى (٢) - ضجة كبيرة اثار علماء بغداد فافتى السيد ابراهيم الراوى بكفر الرضا فى وتبعه علماء آخرون فجاء أحد الفضلاء بتلك الكلمة موقفاً من بغداد لاطلاع علماء النجف عليها واستصدار فتوى مؤيدة لفتاوى بغداد ، واستمهل السيد ابو الحسن الرسول القادم حتى يقرأها وفى اليوم الثانى قال السيد ابو الحسن للرسول: - انه لا يستطيع ان يوافق على اعتبار الرضا فى كافراً بمقتضى منطوق هذه المقالة ، وذلك لان مثل هذا رأى كثيراً ما قال به بعض علماء المسلمين ولم يكفرهم فيه احد .

قال لى الشيخ عبدالحسين الشيرى ، وهو من العلماء الروحانيين الذين اوفدهم السيد ابو الحسن للشمال واليه يرجع الفضل فى اعادة قسم غير قليل من المغالين

(١) ظهر لى بعد ذلك ان الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء كان اسبق من السيد ابي الحسن فى هذه الفتوى .
المؤلف

(٢) لقد رأيت مسودة هذا الكتاب بكامله عند كامل الجادرجى ، وقرأ لى فصلاً منه .
المؤلف

- الذين يفتقدون على الامام على صفات لا يجيزها الاسلام - الى حظيرة الاسلام ، قال لى الشيخ البشيرى : لم يبق لدى شىء بعد ان غيرت لتلك الطائفة عقائدها ، وطقوسها ، الا ان احملها على اكرام شواربها ، (وقد كان الجميع من تلك الطائفة تقسوس الشوارب ، وتضى بها وتمهدها) ففقت ، قال البشيرى سأتهز من يوم (زيارة الاربعين) التى تقدم فيها الزوار على زيارة كربلاء والشجف من جميع الجهات ، لاعرض هناك الفكرة على السيد ابى الحسن ، واطلب منه ان يشير على من يزوره من تلك الطائفة اشارة خفيفة برغبته فى اكرام الشارب ، وتخفيفه على الاقل وانا الضمين بانهم سيفعلون ذلك عن طيبة خاطر اذا احسوا برغبة السيد ابى الحسن .

وقال لى البشيرى : وحين ذاكرت السيد ابا الحسن بذلك انتفض السيد وقال :

- مالك وهذه القشور ؟ ولم لاترك الناس على سنجيتهم !

وجعل علمه منه واجتهاده ، وسلامة ذوقه ، وحسن سليقته فى استنباط الاحكام وتطبيقها ، رجلا فذا ومن الروحانيين الافذاذ فى التاريخ وبقي عليه ان يثبت لياقته وحكته الادارية لهذه الزعامة الدينية ، ولعل هذه اللياقة هى أهم بكثير من اللياقة العلمية ، فلقد كان فى السلف من العلماء من كانوا كالشمس فى رائحة النهار من حيث المقدرة العلمية ، اما المواهب الادارية والحكمة التى تتطلبها الزعامة فقد كان الكثير منهم دون درجة السيد ابى الحسن الاعتيادية اذ كان السيد على جانب كبير من تلك الموهبة التى يفتقر اليها المجتمع فيتطلبها فى الزعيم الروحاني ، اضاعف ما يتطلب العلم والمعرفة وان العلم والمعرفة انما يطلبان فمن اجل الحياة العملية ، والسيرة المستقيمة التى تحكيها اخلاق الزعيم وحكته .

وجاء دور تجربة الاخلاق وما ينبغى ان يوصف به الانسان فضلا عن الزعيم فعكس السيد ابو الحسن عن نفسه صورا رائعة لسمو الخلق ، وعلو الهمة ، والنبل ، والجرأة ، والسخاء ، وكان تقوية ارادته وعدم ميلاته بمنائيه وخصومه الذين اطردت نسبتهم مع اطراد تقدمه فى ميدان الزعامة والشهرة شأن يذكر عند الذين وقفوا على حقيقته وعند من يقيس اكثر الامور بمقياس منافعه الخاصة ، واضرارها .

وقد اشتهر السيد صالح الحلبي بفرصة تحريم السيد ابي الحسن شمس الرؤوس بالسيف في شهر (محرم) ، والتصريح على الظهور ، والصدور بالسلاسل ، لقد اشتهر بفرصة فتن على السيد ابي الحسن غارة واسعة عنيفة بكل معنى العنف ، ولم يترك نوان من النوان الزرارية بالكفاية ، والتصريح ، الا وصيغ به السيد ابا العباس من فوق المنابر التي كان يرقاها السيد صالح فكان يتصرف من فوقها بمقول المستمعين تصرف الملائكة ، ويهبط بها اني شاء بما كان يملك من مقدرة ، وموهبة ، وجسرة رفعت الى اعلى الدرجات في سماء الخطابة ، والبلاغة .

والسيد صالح الحلبي نشأ او ما نشأ طالبا من طلاب الفقه والدين ، فدرس العلوم العربية على طريقة عصره وولع باستظهار طائفة من نصوص البلاغة فحفظ القرآن ، وحفظ (نهج البلاغة) عن ظهر قلب ، ثم رقى المنبر ذات يوم في بيت صديق له بمنهية (محرم الحرام) حين استبطأوا مجيء الخطيب ، فانس في نفسه مقدرة وزايفه اجماع المستمعين اليه رغبة في الاستمرار على صعود المنابر ، فلم يلبث حتى امتحن الخطابة ، وصار اشهر خطباء المنابر الحسينية على غير قصد سابق . واجتمعت المقدرة والجرأة واللسان الذرب فيه فأخرجت منه شخصا قليل النظير يباهه الجميع ، ويخافه الزعماء ، ولقد بلغ من مقدرة ان التزم قراءة الماتم الحسيني لجمعية (المكاريين) الذين يؤجرون حميرهم وبغالهم للمكافئين بين النجف والمدن المتصلة بها ، فقرأ لهم عشرة ايام بل الاصح انه حاضر لهم عشرة ايام لان خطب السيد صالح كلها اشبه بالمحاضرات منها باى شيء اخر فلم يخرج خلال هذه الايام العشرة عن حديث الحمير ، والبغال ، والقوافل ، واخبارها القديمة ، والحديث ، وقصصها ، فكان الناس بمختلف طبقاتهم يمافون اشغالهم ويحضرون تلك المحاضرات التي ظلت مدة طويلة موضوع احاديث الناس وتفكيرهم وثمار اعجابهم وغبطتهم له على هذه الموهبة .

ومن ميزات السيد صالح انه كان سريع الحفظ ، وكانت بينه وبين الشيخ كاظم السبتي - وهو من مشاهير الخطباء المعاصرين - غضاضة ، فلم يكذب يسمع الشيخ كاظم يقرأ لنفسه قصيدة في رثاء الحسين على المنبر حتى يحفظ الكثير من

اياتها لأول مرة وهناك يصمد المنبر في نفس اليوم ، او اليوم الاخر ، ويقرأ شيئا مما كان حفظ من قصيدة الشيخ كاظم السبتي ولربما اضاف اليها اياتا اخرى منه ثم يروح منددا بالسبتي قائلا - ان هذه القصيدة قصيدة قديمة وهي لأحد الشعراء القدماء ، وذلك بدليل حفظي لها من ايام الصغر ولكن بعض المعاصرين - وهو يعني السبتي - يستغلون جهل الناس فينسبونها لانفسهم ...

هذا السيد صالح كان رجلا شعييا ، وكان كلامه يفعل في مستمعيه فعل السحر واكثر ، وكان يؤلف قوة جد كبيرة لمن يستطيع ان يستمعه ، وقد ذهب الى جانب الدستور (المشروطة) والانتقال العثماني وقفه مشرفة ، كان لها قصتها وشأنها في تهية النفوس لقبول الدستور ونشر الحرية .

ولقد بلغ من جرأته ان تحدى الكثير من كبار العلماء في عصره بمسجده ، وكنايته وامثاله فلقد قال عن السيد كاظم اليزدي :

فوالله ما ادري عمدا في جهنم (أيزديها) أشقى أوري او يزديها

وقال عن الشيخ كاظم الخراساني (الأخوند) وقد كان السيد صالح ممن مؤيديه ولكنها الشنينة التي عرف بها هي التي تحمله على ان يقول في الذين يؤيدهم او الذين يخاصمهم على السواء :

وقناة تقسول وهي تصب الماء قلديت (كاظما) فئت (صبي)

ويقصد بالصبي هنا (الصائبي) في اللغة الدارجة ، ثم هنالك تورية اخرى غير صب الماء وغير الصائبي وهي ان (كاظم صبي) وقد كان رجلا من زهاد أهل السلاح في النجف ، وليس له بالعلم والدين شأن . . . وقال البعض ان هذا البيت قد قاله في السيد كاظم اليزدي وليس في الملا كاظم الخراساني الاخوند . وقال الآخرون بل ان هذا الشعر ليس للسيد صالح وانما المنشد له كان السيد صالح .

وكان السيد صالح من مؤيدي الحاج ميرزا حسين الخليلي ، وقد جاءه وهو جالس يتقبل تهاني القادمين بمناسبة زواج ولديه ورجاه ان يكتب له كتابا في حاجة عسيرة شق عليه انجازها وطلب من (الشيخ) ان ينجز له الكتاب حالاً ففعل ،

و حين ختم الشيخ الكتاب كما طلب السيد صالح ، قال السيد صالح للشيخ الخليلي
لقد اعددت لهذا اليوم قصيدتين احدهما تتضمن تهنئتي ، والثانية تتضمن هجائي . .
وقلت اني سأقرأ قصيدة التهنة اذا انجز (الشيخ) مهمتي ، وسأقرأ الهجاء اذا امتنع
الشيخ ان يقضى حاجتي . . . وهنا قبض الشيخ على الكتاب ، وقال للسيد صالح - اذا
كنت تريد انجاز مهمتك بهذا الكتاب الذي استكتبته فلن تحصل عليه ما لم ترق
المنبر ، وقرأ الهجاء الذي اعدته . . . فالتوى السيد صالح وتمانع ولكن الشيخ
أصر ، وأمس السيد صالح في الشيخ رغبة لسماع هجائه ، فاطاع ومع ذلك فلم يكن
يهم السيد صالح ان يكون الشيخ راغبا او لا يكون ، كما لا يهيمه اذا اقتضى مزاجه
ان يقول كل شيء في احد سواء كانوا ممن يدين لهم بالولاء او من صنف آخر .
وصعد السيد صالح المنبر وهو يضحك ، وقرأ قصيدة هجاء فاخرة استطابها
الشيخ ، واستعادها له مرات ومرات وهذا مطلقا :

الله آل النبي حقهم ما بين آل (الخليل) مقسم

لقد كان الجميع يخشون السيد صالح ، ويخشون صولته ، وانا اعتقد ان عينا
الحاج ميرزا (حسين الخليلي) لم يحمل السيد صالح على قراءة هجائه وارغامه على
صعود المنبر بناء على عدم اكرامه به وعدم خوفه منه ، واما لان طلب الشيخ ان
يسمع هجائه من السيد صالح يعتبر ضربا من ضروب التوقي من نشر السيد صالح
هذا الهجاء ولونا من الوان مجازاة السيد صالح فضلا عن ان الحاج ميرزا حسين كان
له طبع ادبي كثيرا ما دعاه ان يتحرى النكته ويأس بها والا فاني لا اجرده من
الخوف من السيد صالح بعد ان خافه الجميع وتوقوه وحاذروا منه وحاولوا ان
يضموه الى جانبهم ليكتبوا به تحقيق اهدافهم ، او يأمروا على الاقل من شره . . .
الا السيد ابا الحسن هذا الرجل الذي لم يهتم بالسيد صالح ، ولم يكثرث بما لفق ،
واشاع ، وعمل ، فلم يخف السيد ابو الحسن على مركزه الديني الذي كان يناقسه
عليه انداد لهم شأنهم في الزعامة الدينية كال ميرزا حسين الثاني ، والشيخ احمد
كاشف الغطاء ، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، بل اسدى السيد ابو
الحسن من الجرأة ما حملته على تحريم الاستماع الى قراءة السيد صالح !! . .

واندفع السيد صالح بكل قوته الى محاولة تحطيم شوكة السيد ابي الحسن بما كان يلقيه من خطب رنانة ، ولكن القنوى بتفسيقه ، وتحريم قراءته بدأت تعمل اكثر من سحر السيد صالح في نفوس مستمعيه ، وقد كثر الحديث في جميع الاوساط والمدن ذات العلاقة يقضية التحريم حتى لقد ارخ الشيخ على بازي هذا التحريم باليت التالي :

ابو حسن أفتى بتفسيق صالح قراءته ارختها (غير سالحة) وجاء وجوه الحلة وأكابرها بالسيد صالح مسترضين السيد ابا الحسن وملقين به على قدميه ولكن السيد ابا الحسن لم يلبس ، ولم يغير رأيه فيه ، قائلا ان السيد صالح كحرف (أى) التى قيل عنها (اى كذا خلقت) .

وعلم السيد ابو الحسن الكثير من العلماء درسا لم يعرفه الا اقليل منهم وهو ان مجارة العوام الى منتهى حدود المجارة على حساب المصالح الخاصة يجب ان يتجنبها المجتهد ، والزعيم الدينى ، وان كان فى ذلك خسران لزعامته ، وفقدان لمركزه ، لان السيد ابا الحسن حينما قام بتحريم الاستماع الى قراءة السيد صالح الحلى لم يتأكد من نجاحه قبل ما يملك السيد صالح من رصيد شعبى ، ومقدرة سحرية طالما ضمنت له التصرف بمقول الناس تصرفا عجيبا . . . ومع كل هذا فقد اخذ على السيد ابي الحسن فقدان الجرأة والصدع بما يعرف فى كثير من المواطن الاخرى .
وذبح ابن السيد ابي الحسن المدعو (بالسيد حسن) والذي كان زميلى فى المدرسة العلوية ، لقد ذبح وهو ساجد يصلى خلف أبيه فى احد صفوف الصلاة المتراصة ، كما تذبح التعاج وذلك غلى يد احد طلاب العلم الذى ثبت جنونه بعد ذلك ، فما تحرك الاب من مكانه . . !
وما علق على ذبح ابنه بشئ غير حوقلة ما سمعها احد منه اكثر من مرة واحدة . . ! وفى اليوم الثانى مشى السيد ابو الحسن مع الماشين خلف جنازة ابنه الذبيح ، وبعد اداء الصلوة قصد بيت (الاخوند) حيث قضى بضع ساعات هناك لم يره احد جازعا ، ولا باكيا ، ولا متجهما ، وكان لصبره ، وحلمه ، كما كان لجرأته ، وقوة ارادته ، الشأن العظيم عند متبعمي حركاته وسكناته .

و كنت يومذاك اصدر جريدة (الفجر الصادق) فى النجف ، فحملتى حقوق الزمالة ، والصدقة للشهيد المرحوم (السيد حسن) وحملتى حقوق الجوار ، وما وقع من ظلم على هذا الشهيد ، ثم اعجابى بالسيد ابى الحسن ، كل ذلك قد دفنى الى ان اعنى بقضية هذا الشهيد ، عناية فائقة ، واصدر ملحقا خاصا من الجريدة بمقتله ، واسباب هذا القتل ، ثم رحت اتبع محاكمة المجرم واولى اخبار الوفود ، ومواكب العزاء التى كانت تقدم النجف بهذه المناسبة من جميع المدن ، لقد كنت اولى ذلك اهتماما فائقا ، فكان ذلك اول حبر اضعه فى بناء صلاتى الخاصة بالسيد ابى الحسن ، فقد رأيت ذات يوم فى الطريق ، وحين اقبلت عليه مسلما تتم بضع كلمات فهمت منها انه يسأل عن احوالى ، ولم يكن يفعل ذلك من قبل ...

وفى مجلس الفاتحة التى اقيمت بمناسبة وفاة والدى حضر (السيد) الفاتحة ثلاثة ايام متوالية ، وخصنى بعناية منه فى عبارات التعزية ، والدعاء لى بالخير ، وهو مالم يعمل للغير الا نادرا لكثرة اعماله ، ومشاكله ، ولمست محبته بجميع شعورى واحساسى ، ولا اعرف لتلك المحبة سببا غير ترفعى عن اى طمع فى جاهه ، وشهرته ، وماله ، ولم يكن ترفعى بداعى الاستكاف وما شابه ، وانما كان بداعى الحقيقة التى حبيت لى هذا الرجل وانا صغير لم يزد عمرى على عشر سنوات ، واستطيع ان اقول ، ويدعم قولى المطلعون اننى كنت من اولئك القلائل - وهم معروفون - الذين نالوا شرف الاتصال بالسيد ابى الحسن على اساس الولاء والاخلاص ، بدون ان تشوب ولاهم واخلاصهم أية شائبة مادية او مصلحة خاصة ، والقيت نفسى اقرب اليه يوما بعد يوم ، كما القيت نفسى واسع الجاه عنده فلم ابخل بجاهى على بعض المعوزين ممن يلتمسنى فى قضاء حاجته عنده ، واذكر مرة جئنى فيها صديقى الشيخ (محمد رضا ذهب) يلتمسنى ان اكلم السيد ابا الحسن بمنح الشيخ عمران الدجيلى (وكالة) تخوله ان يكون عالما لناحية (الحمزة) فرفضت ذلك لانى لم اجد من المناسب التكلّم فى قضية تتعلق بالدين ، ذلك لان واحدا مثل لايسوغ له الادب والعرف ان يتدخل فى امر لايعنيه ، ولا يعرف مقتضياته ، خصوصا مع رجل كالسيد ابى الحسن ،

وفي امر يتعلق بوكالة الشيخ عمران ولكن الشيخ محمد رضا ذهب ناصر وناصر
وقال انه لا بد وان يكلمه واحد مثلي وعطال بي حتى اقضى بوجوب مواجهة
السيد والتحدث معه في هذا الامر !

وجئت الى (السيد) عصر ذلك اليوم ، وانا اكاد انوب خجلا لارغام نفسي على
التدخل في شؤونه الخاصة ، وقلت له اتنى لا اريد ان ازوج نفسي فيما لا ينيى حينما
اطلب من سيدى حنج الشيخ عمران اللجلى وكالة يستند اليها في ادارة شؤونه
بناحية الحمزة ، وانما ارجو ذلك اذا لم يكن فيه بأس شرعى لو مشكلة اجتماعية
- قال - كيف تريد منى ان ابته وكيلا لجماعة فد لا يمتبرون الاصيل ، وهو انا ،
ولا يرجعون اليه في تقليدهم ؟ قلت - اذا كان هذا هو السبب وجده فاني واجد له جلاء ،
وهو ان يكتب سيدى الكريم للشيخ عمران وكالة مطلقة ، لا يشير فيها الى ناحية
الحمزة ، فان نجح الشيخ في (الحمزة) كان هو المطلوب ، والا فكانه لم يوجد له
القصة مادامت وكاله التي يحملها وكالة عامة وليس هنالك من يؤاخذ (السيد)
عليها ، اذ ليس من بأس اذا لم ينجح في تمثيله الدينى هناك فتأمل (السيد) قليلا
ثم تناول القلم وكتب الموكالة المطلوبة ، ولم يكن هذا دليلا على ليئاليه الاى ، كما كان
دليلا على سلامة ذوقه ، وتمسكه بالمنطق ، ولو كان آخر غيره لرفض كل حل
يأتى به واحد من امثلى ، وعن طريق غير طريق المحامين في شأن دينى مثل هذا
لدى واحد من امثاله .

وكررت زيارتى له في مناسبات العيد ، واللوعكة ، والمودة من زيارة الضيفات ،
فكنت ارى من لديه عطفًا خاصا ، واهدى الى ذات يوم وانا عنده هدية من الكرز
(من السماء) بدون أية مناسبة فاخذتها شاكرا .

لقد كان يتبع جريدة (الهاتف) ويقرأها دائما ويقرأ ما يخصه مما ينشر في
بعض المناسبات ، فلا يشير الى ذلك بشيء ، كانه لم يكن قد رأى او قرأ ، وكان ذلك
مما يزيد عظمته في عيني ، ويزيدني لخالصا له وعقيدة بكبر
نفسه ، ولقد علم ذلك مرة باني قد نشرت برقية جعلته حين جلالة

شاه ايران ، وكان لنشرها اهمية عامة يومذاك ، ولا ادري لاي سبب لم يرد هو نشرها ، وكانت الجريدة لم توزع بعد ، ولم تحمل الى البريد ، فجاءني صهره السيد مرزى حسن البجنوردى ، وابنه الحاج آغا حسين ، وطلبا الى اتخاذ كل تدبير للحيلولة دون نشر هذه البرقية لان (السيد) قد علم بخبر نشر البرقية بطريقة ما قبل توزيع الجريدة ، ولا ادري كيف علم ؟ وقد رأى من المصلحة التى قدرها هو ، وجوب حذف البرقية قبل انتشار جريدة الهاتف وتوزيعها ، وكان الحسل اما ان يكون بتأخير العدد عن الصدور فى ميعاده من الغد ، او قص الخبر من الجريدة ، واخيرا فضلت الحل الاخير ، وكثر حول هذا القص السؤال والجواب من لدن جميع الجهات ، وعلى الاخص الجهات الرسمية ، ومنه يتضح للقارىء اهتسام السيد ابى الحسن بما كان ينشر ، وان لم يتظاهر بذلك ، وقد رأيت يدخل مجلسا عقيب هذا الحادث بيومين ، وكنت انا فيه ، وكان مجلسى بعيدا عنه فخصنى بالفتاة ، وسأل عن حالى ، فلم اسمعه لذلك لم التفت اليه واذا بعدة اشخاص يتبرعون بايصال صوته الى مسمى ، وتبتهى الى هذا اللطف ، وكان لطفه هذا بمثابة الرضا منى ، لقيامى بحذف الخبر من الجريدة ، وكان التفاتا معززا لى عند من رأى هذه الالتفاتة .

وعلى كثر مشاغله فلست اذكر يوما صدنى عن مقابلته او ارجأ ذلك الى وقت آخر ، وكنت كلما دخلت عليه الفيت رزمة من الكتب المرسله من مختلف الجهات كان يطالعها بنفسه ، ويحيب عليها بنفسه ، ولقد قلت له ذات مرة لم لم يعهد بهذه الكتب الى معتمد يقرؤها له ويمرض عليه مضمونها ليربع نفسه بعض الراحة ؟ فاجاب انه تعود هذا العمل ولا يرى فيه اى بأس وانا اعتقد انه كان قليل الاعتماد على الحاشية وقليل الوثوق منهم ، ولكنه لم يشأ ان يقول لى ذلك .

وعلى كثر السؤال وارباب الحاجة على بابه فلا اذكر انه رد احدا عن نيل كرمه ، وعطائه ، الا نادرا فهو والمال عدوان بلدودان لا يجتمان وانه ليحسن اتفاق المال فى محله ، ويحسن العطاء فى محله ، لحد قد لا يحسنه زعيم دينى آخر ولقد عرف فيما عرف به ان امام الثورة الميرزا الشيرازى حينما عرف حاجته وغوزه بعث

له بمبلغ خمسمائة ليرة ذهبية ليشتري بها دارا له وذلك فى ايام حاجته وضحكه ، فلم يمد يده الى المبلغ بل اودعه لدى بعض الخبازين وبدأ يحوله خبزا للطلاب ، والفقراء المعوزين ، ولقد كلمنى صديقى السيد (مير على ابو طيخ) مرة بالسنى فى رفع ما علق بذهن السيد (ابى الحسن) عنه ، وطلب منى استحصال موافقة على تصرفه اى تصرف (السيد مير على) بنصف المبالغ التى تخص احد ارحامه بصفتها حقوقا شرعية اشترط ذلك القريب ان تعطى بيد السيد (ابى الحسن) نفسه ليتصرف بها كيف شاء وحين كلمت السيد ابا الحسن بشأن هذا المبلغ اجابنى اليه ، وقال انه سيبت به حوالة الى السيد (مير على) ليتسلمه من قريبه فينقله حيث شاء اما سوء التفاهم الذى اشار اليه السيد مير على والذى تطرقت انا اليه لازالته فلم يعلق عليه (السيد) بشىء . . . ولم يثبت ولم ينف ، وحين اعلمت السيد (مير على) استمجل وكتب هو الحوالة بنصف المبلغ المودع وارسلها الى (السيد) لتوقيعها فوقها (السيد) فعلا ، وبعد اسبوعين او اكثر ، وفى مناسبة من المناسبات التى حملتنى على زيارة (السيد) قال لى (السيد) ما مضمونه : ان صديقك ابا طيخ قد تمجل واستمجلنا فى الانجاز فقد كنت اريد ان احول له كل المبلغ لانه ان لم يستفد منا مضى ، فليستفد منا اسما على الاقل ، وقد كان يضى ان هذه الحقوق الشرعية التى احلناها له انما هى من مال اقربائه وليس من ماله اى مال السيد ابى الحسن .

* * *

قلت انه كان يعرف ابن يضع احسانه ومعروفه وانى لاذكر يوم قامت الشرطة - بناء على طلب مديرية الدعاية العامة التى كانت تعاكس (الهاتف) يومها معاكسة مقصودة مخصوصة - بوضع يدها على ما كان لدى الهاتف من ورق بلوغها ان الهاتف كان يشتري ورقة من السوق السوداء وحين بلغ الامر مسامع السيد ابى الحسن امر بحمل الورق المعد لطبع رسالته العملية الى دار الهاتف لئلا يقف الهاتف عن الصدور فى ميعاده ، وقد حملته لنا التاجر الحاج مهدى البهبهاني ونشر الهاتف الخبر فى جيته ، و اشار الى عطف السيد ، فقامت قيسامة مديرية الدعاية والنشر

يوحذاك ، اما (السيد) فقد ساء نشر الخبر ولا ادرى على اى اعتبار ؟ ألانا نوهنا بمروغه ام لآنا عرضنا بمن حلول ان ينكل بنا ؟ وكيفما كان فقد عرف وقت احسانه الينا معرفة جيدة

وحين قدم له احد تجار ايران مبلغا من المال يشتري البيت المجاور للمسجد الهندي ويتخذ منه مقبرة يدفن بها عند مماته ، تسلم المبلغ وقال ما مضمونه (يا لله من هذه السذاجة التي تدع الناس يفكرون في الانسان بعد مماته ولا يفكرون به في حياته) وانفق المبلغ في وجوه اخرى .

وزرت ذات يوم بصحبة صديقي السيد باقر السيد احمد الحسنى ، وكان يصحبنا صديقان آخران وكان (السيد) حينذاك في الكوفة ، وفي ضمن الاحاديث التي دارت عنده ، التفت السيد باقر اليه وقال :

- اظن يا سيدى انه اصبح من حقى ازاء اخلاصى ، وولائى ، وتفانى فى حبك ان اطلب منك (فلسا) واحدا او اى شىء نافه آخر لاتخذ منه رمز بركة لى وتذكارا يذكرنى بايمانى ، وتمسكى بولائك .

وحين اتم السيد باقر كلمته التفت الشخص الثانى واعقبه الشخص الثالث وطلبا من السيد نفس الطلب ، وبقيت انا حائرا أأطلب انا الاخر ما طلبوا ؟ وانا اخشى احراجه بعد الذى رأيت من وجومه ؟ ام أسكت ؟ فقد يخالبنى مستكفا عن طلب مثل هذه البركة ؟ واخيرا وبعد دقائق معدودات قلت : واى الناس لايرجو بركك يا سيدى وانى لأمل ان لايقبل نصيبي من عطفتك عن الاخرين ، ومرت اسابيع نيت فيها البركة والتبرك ، واذا بابنه الحاج اغا حسين يزورنى فى البيت ويضع فى خصرى خاتم درنيس ويقول :

ان والده قد انتزعه من اصبعه وبمئ به اليك ولايزال الخائل عندى ، وانا محتفظ به كاثمن ذخيرة من الذخائر الروحية ، وقد علمت انه اهدى الى السيد باقر خانما من الصيق هو الاخر قد انتزعه من اصبعه .

وحين نقل كاهله بالصمل وضاق بالناس خصوصا فى اثناء خروجه الى الصلاة الذى كان يستغرق وصوله من البيت الى الصحن الشريف نحو ساعة وأكثر على

قرب المسافة التي لاتتجاوز بضع دقائق للشيوخ والعجزة اتخذ الحمامة وسيلة للانتقال من بيته الى الصحن وكان يحف به ويمشى في ركابه عدد غفير من طلاب العلم ورجال الحاشية وفي ضمن اولئك بعض اصهاره واصهار اصهاره مثل الشيخ على مردان الذي كثيرا ما كانت الحاشية والاصدقاء يتخذون منه موضوع دعابة قد تصل اخبارها بالسيد فيضحك لها .

وكانت حمامة السيد من اشهر ما يعرف تاريخ الحمير في النجف فقد كانت حمامة (حساوية) بيضاء جميلة تعرف وقت الصلاة ، وتعرف ابن تقف في الطريق والسيد فوق ظهرها ، وتعرف حين وصولها الى باب الصحن اين هي من باب الصحن كأنها كانت تعلم بان احترام الطقوس الدينية لايجوز لها ان تخطو ولا خطوة اخرى من باب الصحن اشريف ، وقد ود الكثير وتمنى غير واحد لو كان سائسا لحمامة (السيد) ، ولربما رووا عنها صفات عجيبة مبالغه في قيمتها ، ولما ماتت هذه الحمامة اجتمع حولها الاطفال والنساء وبدأوا يسحبونها بالحبال الى خارج المدينة ، وكلما اجتازوا مسافة انضم اليهم ابناء محلات اخرى وكانوا يهزجون وفي طليعة هذا الجمهور من الصبيان والنساء كان (عبايه) الفكه الذي الف هذا الموكب ، اما الاهزوجة فقد كانت :

وداعة الله يا جحش والينه هاى هيه يو بعد تلفينه

ومن اشهر الحمير التي يعرفها تاريخ الحمير في النجف كانت حمامة الملا وحيدة ، وهى امرأة شاعرة عدادة ومن العباقرة كانت تضطر لركوب الحمامة لكثرة مجالسها فاشتهرت حمامتها بالنظر شهرة الملا وحيدة ، واشتهر مملوكها الزنجي وعرف بين اوساط الناس عن طريق هذه الحمامة التي كان يتمهدا هذا العبد ويأخذ برسنها كلما خرجت الملا وحيدة الى بيوت العزاء .

وكانت للميرزا جواد الطيب حمامة هى الاخرى كانت ذات شهرة فى النجف وقد كان لها جحش طل حديث الناس زما طويلا وذلك ان بيت الميرزا جواد الطيب كان ملاصقا لبيت الزعيم الروحاني الشيخ حسن الماصقاني فكثيرا ما

كان هذا الجحش يفلت من بيت صاحبه الطيب فيدخل بيت الشيخ الماقماني في
اتناء القائه الدرس على طلابه ، وكثر هذا الانفلات فارسل الماقماني على الميرزا
جواد الطيب وقال له مازحا :

- ياسيدى الميرزا ، ويا جارى العزيز ، لم تترك العجل على غارب ابنتك (يعنى
به الجحش طبعا) ليمت فسادا ؟

فرد الطيب عليه مازحا - قال لقد سميت كثيرا ان اخرج منه طيبا فأبى الا
ان يكون عالما روحانيا فما العمل ياسيدى ؟

قال الميرزا محمد الاردبيلي للسيد ابى الحسن والشيخ الاردبيلي من اطرف
العلماء - قال للسيد ابى الحسن لا اعهد عالما روحانيا وزعيما دينيا بلغ ما بلغت انت
من العظمة والجاه والجلال •

قال السيد - وكيف كان ذلك ؟

قال - لا اعهد ان زعيما روحانيا قد استطاع ان يجتاز بحماره باب الصحن
الشريف وانت تجتاز كل يوم بحمارك الصحن الشريف وتبلغ به الحرم المقدس •

قال السيد - واين هو هذا الحمار الذى تقول ؟

قال الاردبيلي - هذا هو الشيخ على مردان الذى لا يترك مصاحبتك حتى وانت
فى الحرم المقدس تزور •

وظلت هذه النكتة ترافق الشيخ على مردان زمنا طويلا لان السيد ابا الحسن
كان قد استذوقها وانس بها •

وفى السنوات العشر الاخيرة ثقل كاهله بالعمل اكثر واكثر وصار عليه ان يقابل
عددا كبيرا من الزائرين من ارباب الحاجات ، ويقرأ كثيرا من الكتب والاستفتاءات
التي كانت ترد من مختلف الاقطار وبمختلف اللغات ويحيب عليها بخطه ، ولا
يسمح لاحد ان ينوب عنه فى استعمال خاتمه كائنا من كان ، ولقد كان ختمه معه
الى آخر ساعة من حياته ، وكان طبيعيا ان يكمل ، وطبيعيا ان يمرض ، ولو كانت
اعصابه من حديد ، ولقد كان بميسوره ان يرتاح لو كان يريد الراحة ، ولكنه اخذ

على نفسه ان يضرب الرقم القياسي للملء ، فعمل الكثير مما لا طاقة لغيره ان يعمله وهو فى مقبل العمر ، فكيف وهو فى آخر مراحل الحياة . . . لقد زرتة مرة وهو محموم وكان يعد نفسه للخروج والصلوة بالناس ، وقد كانت النجف تنص بالزائرين الايرانيين فاقترحت عليه ان يلزم الراحة فى البيت حرصا على صحته فابى ، وقال انك قد لاتدرى . . . لاتدرى ان عددا كبيرا من زائرى القبات المقدسة يحسب زيارته للقبات ناقصة غير مقبولة عند الله اذا لم يستطع ان يرانى ويأتى بى فى صلاته ؟ وان ادخال السرور والايمان على قلوب امثال هؤلاء البسطاء السذج من الناس امر قد يكون فى مضاف العناية بالصحة ضرورة . . . !!

وساعت صحته فى السنوات الاخيرة اذ ان مزاجا لشيخ مكدود ، مهدود ، يقتل ليله ونهاره بالعمل فلا يترك لنفسه فراغا ، امر لا يدعك تصدق انه يستطيع ان يبلغ الرابعة والثمانين ، وقد بلغ هذه السن وكان الى ما قبل شهر ، من وفاته يستطيع ان يؤدى عمله بنشاط غريب ، حتى ولو حرم وانحرفت صحته .

لقد قلت له قبل شهور وهو فى الاعظمية ، وكنت قد قصدته عائدا له ، قلت له : اننى اراه فى صحة جيدة احسن مما كنت اراه من قبل ، وطالما كنت اقول له ذلك حين ازوره عائدا على اثر وعكة خفيفة ، او مرض شديد ، فيهش ، ويبس ، ويبدو اتعاشه جليا لعين الرائي ، لقد قلت له وانا اضحك ان السر فى تقدم صحتك مثل هذا التقدم منوط بقدمى انا الذى يعتبره بعض المتفائلين من اصدقائى قدوم خير ، فابتسم ، و اشار الى السماء بيمينه ويديه ، وحين هممت بانقيام قال :

ارجو ان تزورنا كثيرا كلما تسنح لك الفرصة ، قلت اخشى ان يكون ذلك حبا (بخير قدومى) وليس حبا بى انا ؟

فضحك وقال (وهب ان الحب من اجل قدومك الميمون افليست قدمك منك؟) ولم يتح لى ان اراه بعد سفرى الى ايران ، وسفره هو الى سوريا ، ولم تقع عيني

بعد هذا الا على جنازته، محمولة على اطراف الايدي ، فاذا بي استعرض الماضي
في دقائق معدودة بكل ذكرياته منذ الطفولة حتى اليوم ، تلك الذكريات الجميلة
التي مرت كالنسيم ، او كالبرق الخاطف ، ولم يبق لي منها غير هذه الخطوط ،
والنقط ، وانا انثرها هنا على صفحات الورق كعرض موجز لاجل فترات العمر .

الشيخ محسن شرارة^(١)

كان عملي يحتم على الخروج في الصباح المبكر من كل يوم من حنف في النجف وكان لا بد لي من المرور بالصحن الشريف ذاهبا او آيضا ، فكنت التقى في طريقي - اغلب الايام - رجلا نحيف الجسم ، خفيف اللحية ، نظيف الملايس حسن الهندام ، على رأسه عمة بيضاء تدل لفتها على ذوق خص به بعض المممين دون الاخرين ، وعلى ان هذا الرجل لا يزال في عنفوان شبابه ، فان حركاته المترنة ونظراته المتركرة في طريقه ، - وسلامه ، وكلامه مع من يلتقيهم في الطريق ممن يعرفونه - تدل دلالة واضحة على ان الرجل وان كان لا يزال في مقتبل العمر فان له عقلا راجحا اكسبه وقارا هو اقرب الى وقار الشيوخ المجريين وعقولهم منه الى عقول الشباب والكهول ، وأقسم اني احبته على غير معرفة ، بل أقسم ان كثيرا مثلي لو اتفق لهم ان يروه - كما كنت اراه - في عرض الطريق ماشيا وهو يتباطئ كتابه لاجبوه كما احبته وان لم يعرفوه ، ثم لفت نظري بمسد ذلك ان طريقه كان نفس طريقي الى بيتي ، ثم علمت فيما بعد انه جار لنا لا يبعد بيته عن بيتي اكثر من بضعة ابواب ، ومع كل ذلك فلانا لم اعرف من هو بعد ؟ وكلما عرفت هو انه رجل تدل هيئته على الطيبة ، وعلى الاجتهاد في تحصيل العلوم العربية الدينية ، وانه على جانب من الاخلاق الحميدة التي يستطيع ان يستشفها كل احد من وراء هذه السيرة الساذجة القوية .

ولا ادري كم مر من الزمن ولكني اعلم انه لم يكن طويلا حينما اصندر المجتهد السيد محسن الامين رسائته التي جمع فيها فتاوى العلماء بتحريم ضرب الظهور بالسلاسل ، وشنق الرؤوس بالسيوف ، وغير ذلك مما يفعله البعض يوم

(١) الهاتف - العدد ٤٣٣ للسنة الثالثة عشرة من تشرين الاول ١٩٤٦ .

عاشوراء باسم الحزن على سيد الشهداء الامام الحسين (ع) تلك الرسالة التي داخل موضوعها كثير من الغايات الشخصية والاعراض والمنافع التي اثارَت بعض الاشخاص وحملتهم على مقاومتها والهجوم على مؤلفها الامين ولم يكذب يمر على صدور هذه الرسالة اسبوع او اكثر وتنتقل من الشام - حيث تم طبعها - الى العراق حتى رافقها كثير من (الدعايات) ضدها ، ووجدت هذه (الدعايات) هوى في بعض النفوس فاشعلوها فتنة شعواء تناولت السيد محسن الامين المؤلف واتباعه بقساوة لا توصف من الهجاء ، والذم ، والشتم المقدع . وخاف الذين آمنوا بقدسية هذه الرسالة ، وصحة فتاوى العلماء لقد خافوا ان يعلنوا رأيهم في وجوب الذب عن موضوع هذه الرسالة والدفاع عن شخصية المؤلف ، وكادت الحقيقة تملن للناس ان انصارها انما يكونون في يوم الرفاه والسعة . . . اما في يوم الضيق فمن العيب ان يبحث المرء عن انصار الحقيقة ، وعن اصحاب المبادئ الصحيحة خصوصا اذا كان مثل هذا اليوم الذي اصبح الرأي العام فيه ضد هذا المجتهد ، واصبح الناس - سواء اكانوا جاهلين او مفرضين او طائفين - سواء في رفض هذه المبادئ ، وسواء في هجومهم على المؤلف ، وعلى فتاوى بعض العلماء الذين انتصروا للسيد محسن وحرموا اسالة الدماء بالسيف ، ورض الصدور بانضرب عليها ، وادماء الظهور بالسلاسل ، باسم الحزن على الحسين (ع) اذ من ذا الذي كان يجرأ ان يخالف للناس رأيا ؟ ومن كان يستطيع الظهور بمظهر المخالف في ذلك اليوم ؟ ومع ذلك كله فقد نزع في ذلك الوسط الصاحب المليء بالخوف من سطوة العوام اسم ما لبث ان توهج واضاء على رغم ما كانت تكتفه من الغيوم السوداء ، وكان صاحب ذلك الاسم هو (الشيخ محسن شرارة) الذي لم يهتـم بثورة الثائرين ، ولم يعبأ بحملة المفرضين وهياج الهائجين ، فكان اول من رفع عقيرته باستنكار هذه الحملة الشيعة واول من اندفع للذب عن تلك الاعراض التي تضمنتها رسالة السيد الامين بشجاعة منقطعة النظير وجرأة نادرة فتحت للخاصين كوة من الرجاء ما لبثت ان صارت بابا واسطا ، واذا بقوى المهاجمين تتجمع كلها فتمطر الشيخ (محسن شرارة) سبا وشتما وقذفا وثلبا ، واذا بالشيخ محسن شرارة

(١) في غير هذا الموضوع من الكتاب اشارة اخرى الى هذه الحركة الاصلاحية .

يقابل كل هذه الهجمات بجرأة المؤمن العارف بما يترتب على المؤمنين من الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واذا بالناس كلهم فى مجالسهم وانديتهم يرددون اسم الشيخ محسن بما تمليه قلوبهم ، وعقولهم ، وامزجتهم ، ولكن من هو هذا الشيخ محسن ؟ وما هى ماهيته ؟ انه رجل لم تقتصر شهرته على الاندية ، والمجالس وعلى السنة الخطباء بل تجاوزت ذلك الى الصحف التى نشرت له عدة مقالات صريحة التوقيع ، وعدة مقالات بتواضع رمزية فاندفع الكثير من الادباء والكتاب الذين يعنىهم امر الاصلاح الدينى الى التتويه بذكر الشيخ محسن ، والدفاع عن آرائه ، ومع ذلك كله فقد ظل الكثير لا يزال يسمع باسم الشيخ محسن شرارة ، ولا يعرفه ، بل اصبح كثير من الناس يودون التعسرف به ولا يجدون الى ذلك سبيلا ، اما الشيء الوحيد الذى كان معروفا عنه هنا وفى سوريا ، ولبنان ، فهو بيته واسرته انه من بيت شرارة وبيت شرارة من اعرق البيوت المعروفة كان لها فى العراق موطن ، وفى لبنان موطن ، ولا يزال احد شوارع النجف يحمل اسم هذه الاسرة ، باسم (عقد بيت شرارة) وقد انجب هذا البيت كثيرا من العلماء وكثيرا من الادباء ، وعددا غير قليل من فحول الشعراء وكان جد الشيخ محسن هو الشيخ موسى شرارة كان مضرب المثل من حيث فقهه وعلمه وأدبه ومواقفه الاصلاحية ، وقد مات وهو ابن سبع وثلاثين سنة!! ولعلما سمع بطالم يجمع بين هذه المواهب وهو بهذه السن الصغيرة!!

واصدرت انا جريدة (الفجر الصادق) ، ونشرت للشيخ محسن شرارة بعض المواضيع ، وانا لا ازال من الذين يعرفون الشيخ محسن بالاسم ، ولا يعرفونه بالصورة ، او قل اننى كنت من المتعظنين لرؤية هذا الرجل الذى يفيض لسانه وقلمه بالايمان والاصلاح ولكنى لم ادر كيف لم يتم هذا ؟ وبعد فترة لعلها كانت قصيرة علمت - وكم كانت دهشتى عظيمة - ان الذى كنت كثيرا ما اراه فى غدوى الى العمل من صباح كل يوم انما كان هو الشيخ محسن شرارة وان رؤيته كانت ايسر لى مما كانت لغيرى وتم الاتصال به ، وسرنى كثيرا انا ارى فيه مثلا من تلك الامثلة الضائعة ، وصورة من صور الفضيلة المفقودة ، وعنوان

للجد والثقانى فى تحصيل العلم والعرفان ، وقد كان الى جانب درسه للفقه والاصول والحكمة منهمكا فى دراسة اللغة الانكليزية والرياضيات ، فكان لايتروك فرصة تمر دون ان يستفيد من صداقة الاطباء واساتذة المدرسة الثانوية الرسمية فى النجف ليجتمع بهم فى خفية من العيون ليدرس الادب الانجلىزى وبعض العلوم الاخرى وكان لاسكندر حريق واندكتور انيس العاملى الفضل الاكبر فى تدريس الشيخ محسن شيئا من العلوم الحديثة الى جانب العلوم الدينية ، ومرة اخرى لاكت بعض الالسن اسم الشيخ محسن بالسؤال لاقباله على تحصيل هذه العلوم . . . !! وكان ذلك سببا من اسباب انكماش الشيخ محسن بعض الانكماش ، والتلكؤ عن متابعة الدروس الحديثة خوفا من احداث موجة اخرى من هياج وثورة كان ينبغى ان يكون فى غنى عنها وهو شيخ روحانى وطلب علم .

وتلمسنا فى الشيخ محسن عالما دينيا ومصلحا اجتماعيا وتوسمنا له مستقبلا باهرا فى ميدان الاعمال وكان ان تجمع حوله جمع من ارباب الشعور والطلاب الذين ينزعون الى فصل الشعور عن اللباب ، والذين يسمون لمحاربة الرياء والجمود بما يستطيعون وكان الشيخ محسن على رعم مجاراته للرأى العام لايجن ان يجابه الرأى العام حينما لايجد بدا من مجابته وتحديه وكان يعرف الساعة التى يجب فيها على المرء ان يقف فى وجه التيار فيقف حينذاك غير عابث ولا مكترث

وتعددت زيارته لى وزياراتى له ، ومن طريق هذه الزيارات المتواصلة تعرفت بكثير من (العاملين) بل ان الشيخ محسن هو الذى حجب لى التعرف بهؤلاء حتى لقد اصبحت صديقا حسيما لاكثرهم ، بل اصبحت اعتر بسبب الشيخ محسن بصداقة كل مهاجر من جبل عامل الى النجف ، وصلنا لى منهم اصدقاؤه كثيرون ، ولم اكن انا الوحيد الذى دنا من العاملين هذا الدنو واقرب منهم هذا الاقتراب بل ان كل من عرف الشيخ محسن صار من اصدقاء العاملين ، ومحبيهم ، وامتزج بى رهط من ادبائهم امتزاجا قويا الى ان اصبحت احسن باحساسهم ، واتسعر بالامهم ، وربما شاركهم فى نظمهم ومقلدضتهم الشعر ، وقتل الفراغ باستعراض نكاتهم الادبية وطالما احيينا ليلالى طوالا فى مسجد الكوفة ، واخرى مثلها فى مسجد

(السهلة) وعلى ضفاف نهر الفرات ، فكانت من احسن الاوقات ، وكان انذى يزيدها حسنا فى عيوننا ولذة فى اذهاننا ، هو الشيخ محسن بما كان يضى عليها من الجمال الادبى ، وروعة الايمان ، وحسن التقدير بل كان هو المحور بين تلك الجماعات لكل حديث علمى ، ولكل مساجلة ادبية ، وهو مع غيرنا من مشايخ الحديث وطلاب الاصول والفقه والحكمة كما هو منا شرارة ملتهبة ، وذكاء متقد وقد درس على الامام السيد ابى الحسن الاصفهائى وعلى الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، وعلى الامامين السيد آغا جمال والميرزا حسين النائينى .

وحينما دعت مدينة (بنت جبيل) نيشل فيها مقام العالم الروحاني أبى الاجابة على هذه الدعوة اباء شديدا ، فكررت عليه بنت جبيل الطلب بعد زمن وألحت وما زالت به حتى اضطر الى الرحيل من النجف اليها وحينما هم بالسفر كان اول عالم اعتمد على كفايته العلمية والاجتماعية ، دون ان يراجع المراجع الروحانية العليا لاخذ الشهادة والتركية والتعريف به كما جرت العادة عند البعض وانى لاذكر ان السيد (ابا الحسن) قد بعث بالشهادة (العالمية) اليه الى يته بمجرد سماعه بازماعه على السفر وكانت شهادة علمية وافية تناقلنا موضوعها ليلة سفره التى كان مدعوا فيها عندى ، اما (الميرزا النائينى) فقد ارسل بشهادته له فلم يدركه رسوله الا وهو راكب فى السيارة كما ان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قد ارسل له بشهادة اجتهاد مفصلة الى لبنان . والشيخ محسن اول عالم يقدر له الطماء مكاتنه فيثون له بالشهادات العلمية بدون طلب منه ويتزنونه من انفسهم المنزلة التى يستحقها .

ويشعر المرء وهو يتحدث اليه بما تفيض به نفسه من العزة والكرامة . والشخصية التى تفرض عليك احترامها واجلالها وان لم يكن لك به سابق معرفة ، وقد دخل مرة مكتبة مكزى فى بغداد ، وراح يقبل الكتب الانكليزية حتم تم له ان يختار منها العدد المطلوب ، واذ سوى الحساب وجد انه لايملك من النقود المبلغ الكافى لتلك الكتب المختارة فطلب من المستر مكزى ان يحتجز له تلك

الكتب فى جانب من المكتبة ريشا يعث له بانماها من النجف ، ولكن مكنزى أبى ان يفعل ذلك وقال له : بل ان الكتب سترزم وستصحبه الى نرله ثم ليكن بسد ذلك ارسال قيمتها فى اى وقت تيسر .

يقول الشيخ محسن - وقلت له : ولكنك لم تعرفنى ولم تعرف هويتى والمبلغ هذا كبير

فقال مكنزى - ولكن الوجه والصورة تكفى للتعريف ..

ولقد ذكرتى هذه الحكاية بحكاية جرت مع السيد هاكوب صاحب معمل زكوغراف بغداد فقد اعتمد مرة على (الجهامة والعمامة) كما يقولون وسلف ممما مبلغا من المال وآل الامر بعد ذلك الى الشكوى فى المحاكم لتمرد ذلك المعمم وتهربه ، فسأته المحاكم وكيف رضيت ان تسلف شخصا لم تعرفه ؟

قال - لانى وجدته ممما فحسبته من رجال الدين .

قال الحاكم - ألم تدر ان ليس كل معمم روحانيا .

قال هاكوب بلقته العامية - "بمدين كالبولياها ، اى بعد ذلك قد فهمت ان ليس

كل معمم روحانيا .

ولكن الشيخ محسن شرارة لاتفرض عليك عمامته الاحترام ، ولا يفذيك هندامه الروحاني بهذه الثقة ، وانما للفته ، وطريقة كلامه ، ما يجعلك واتقا انك امام شخص محترم جليل .

وعاقه المرض فى (بنت جليل) من متابعة رسالته الاصلاحية فدخل (مصحح بحسن) للسلسل زمانا ثم خرج ولم يطق ان يتبع نصائح الاطباء فى تجنب المعمل والخلود الى الراحة ، اذ راح ينفق جهوده فى الدعوة الى توحيد الكلمة ، والوقوف فى وجه الفرنسيين ومطالبتهم بحقوق تلك المنطقة المحرومة من العمران والثقافة والحرية وله وحده كما لابائه من قبل كان فضل هذه اليقظة الفكرية والوطنية والنهضة الاجتماعية فى بنت جليل .

وزرت بنت جليل مع الصديق محمد جعفر الشيبى ، وأخيه محمد حسين

الشيبي ملين دعوة الشيخ محسن شرارة في صيف سنة ١٩٣٦ وقد رأينا العجب مما كان يسود بنت جليل من حماس وطني ، وحرارة ايمان ، وتحفز ووثبة لم يقتصر امرهما على شباب بنت جليل وانما كان فيها الشيخ ، والمرأة ، والطفل على حد سواء ، وكان مبعث تلك الوقدة المتوهجة هو الشيخ محسن شرارة الذي استطاع ان يقضى على كل اختلاف في البلد ويوحد منها الكلمة ويوجهها توجيها مفيدا .

ودخلنا بنت جليل بميد هرب السيارة التي كانت تقل الامام السيد عبدالحسين شرف الدين والشيخ عبدالله السبيتي ، وقد قيل انهما كانا قد جاءا من (صور) لتلطيف الجو الصاخب في بنت جليل ، ذلك الجو الذي كان قد استمد شرارته الوطنية من الشيخ محسن شرارة ، واستمد حرارته من روحه الوثابة المستعرة ، وقد هوجمت سيارة الامام شرف الدين بالحجارة ، وقيل ان بعض المهاجمين من الشباب قد تجرأ على الشيخ عبدالله السبيتي واختطف عمامته ومزقها مما ادى الى رجوع السيارة من حيث اتت ، وقد دخلنا بنت جليل وهي تموج بالغضب ، وتمج بالصخب ، وكانت قبل الشيخ محسن تشكو الركود الذي يقارب الخمول ، ومن يدريني فقد يكون حس الانتقام للشيخ محسن شرارة قد مزج حماس البلدة الوطني وضاعف من هياجها في هذا المكان لان الشيخ محسن كان قد لقي في النجف من اتباع الامام شرف الدين الشيء الكثير من الاذى بسبب مخالفته في قضية (التطير) وشجع الرؤوس بالسيوف ، لان الشيخ محسن شرارة كان في مقدمة انصار الامام السيد محسن الامين الذي حارب (التطير) كما مرت الاشارة الى ذلك ، وكيفما كان فقد وجدنا بنت جليل يومها في اتون مشتعل من الحماس الوطني في وجه السلطة الفرنسية .

وهناك جلس الصديق جعفر الشيبلي وراه (سماور) كبير من البرنز اللماع في بيت الشيخ محسن وراح يصب لنا الشاي في فناجين عراقية كنا قد فارقناها منذ خروجنا من العراق وقد اشتقنا اليها اي اشتياق ، وكان مجلسا شعريا روماتيكيا مليئا بالدعابة والنكت مما يحجم عن ازتياده العلماء الرحانيون في يسوت الناس

فكيف اذا أقلموه فى بيوتهم وحضوا عليه الناس ودعوهم الى المسامرة والنكت ، ان ذلك كان يخفف من وزن الروحانيين عند السواد ولكن الشيخ محسن كان لا يخفف هذا السواد ولا يختشى منه لانه كان يشعر بنى نفسه وبقيمته حق الشعور . وكان شديد الاتصال بى وبجريدة الهاتف ولكنه انقطع بعد ذلك عن المراسلة ، وطالت مدة الانقطاع فلم اتلق منه خبرا وحتى لم يكن له بين الذين عزونى بابنى الوحيد (هاتف) اثر من رسالة او برقية .

وفى سنة ١٩٤٣ تلقيت منه رسالة وافية ، ضافية هى آية من آيات الادب ، واثر من آثار السحر ، وقد بسط فيها حاله ، وشرح لى ما يحيط به من ضيق روحى وما يشعر به من شقاء وان الامور لتجرى على غير مجراها من حيث توجيه الناس ومصالحهم الطمة وقال انه فوق ذلك كله يشكو من اعتلال صحته التى لاتساعد باى وجه من الوجوه على النهوض بالناس ودفعهم الى تغير اتجاههم ، وقد علا رسالته هذه بما عرف عنه من الموهبة الادبية اعتذارا منى على الانقطاع وقدم اجبته على رسالته تلك فى وقتها ولم اعرف بعد ذلك الا انه نزيل مستشفى (الجامعة الامريكية) بيروت ، وقد اجروا له عملية ، ولم يهتدوا الى علته ، وفى الوقت الذى كنت احاول الكتابة له مستفسرا عن حاله تلقيت من اخيه الشيخ موسى شرارة خبر نيمه .

لم تخسر بنت جليل الشيخ محسن شرارة وجدها وانما خسره الفضل والخلق والايمان الصحيح فقد كان قدوة صالحة للاعمال الانسانية ، وعنوانا بارزا من عناوين التضحية فى سبيل اسعاد الامة ، وكان بعد ذلك شاعرا يثنى الامة المفجوعين ، ويبكى لبكاء المظلومين وقد عجل عليه الموت كما عجل على جده من قبل فتوفى وهو فى برده الشباب وخلف فى نفسى لوعة لاتنسى .



المحامي عبدالمحسن القصاب

المحامى عبدالمحسن القصاب^(١)

فى اواسط صيف ١٩٣٤ صدرت جريدة الراعى فى النجف وقد جلت هدفها التمييز عن اليقظة الفكرية فى الفرات وراحت الجريدة تشير الى هذا الهدف فى سطر كتب بالحرف البارز (ان الراعى لسان حال اليقظة الفكرية فى النجف) ثم صارت الجريدة تسمى لتحقيق هذا المبدأ بكل ما وسعها من جهد لتجعل من صفحاتها واسطة للتقارب والتعارف بين المجددين من الادباء والمثقفين من ارباب الاراء السديدة فى مختلف الشؤون ولم تلبث (الراعى) ان عرفت فى جميع الاوساط الادبية بكونها الجريدة التى تمبر عن اليقظة الفكرية فى العراق فكان ان انبرى للكتابة فيها جمع من اكابر الادباء وزعماء الادب منهم الشيخ محمد رضا الشيبى ، والاختل الصغير (بشارة الخورى) ، وأحمد الصافى والشيخ على الشرقى والسيد عباس شبر ، وابراهيم العريض وغيرهم .

ومن خيرة الكتاب والادباء الذين واصلوا نشر ابحاثهم وافكارهم بصورة مستمرة فى هذه الجريدة كان عبدالمجيد محمود ، وكان اسكندر حريق ، وأمين الهلالى ، وموسى كاظم نورس ، ونايف نصر ، وفرحان حمادة ، وذو النون ايوب ، وغيرهم حتى لقد صار فى رغبة كثير من المتأدبين ان يكون لهم اسم بين هذه الاسماء او ان يكون لهم رأى ضمن هذه الاراء ، فكان (الراعى) يتلقى كل يوم رزمة كبيرة من الشعر والنثر المرسله بقصد النشر فلا يصفو منها بمسد الغريبة الا القليل القليل ، فقد كانت (السلة) تلتهم اغلبه وكان البعض منن الطرافة بحيث صار للراعى رأى فى ان يجمع من خلاصة تلك (السلة) الطريفية مادة ازمع على اخراجها فى كتاب باسم (سلة المهملات) وقد باشر فعلا بعد حذف الاسماء بنشر امثال من مضامين تلك السلة فكان لها بعض الصدى فى النفوس ..

(١) الهاتف - السنة الثالثة عشرة - العدد ٤٥٥ - ايار ١٩٤٧ .

وكان من بين هذه الاسماء الكثيرة اسم - عبدالمحسن داود القصاب - انذى كان يبعث الينا من الناصرية بمقالات والقصص شيئا بعد شيء ، وعلى رغم اننا كنا نرمى بما يرسل الينا فى السلة بعد قرائته فقد كنا نعتزف بان لصاحب هذه الرسائل استعدادا ادبيا ان استطاع ان يعنى به ويوجهه توجيها جيدا جعل منه هذا الاستعداد كاتباً ربما صار مرموقاً ، وشاعراً ربما صار مطبوعاً فى المستقبل ، وزاد يقيننا هذا ببلوغه المرتبة التى نرجوها له ما وجدناه عليه من سعى متواصل فى الكتابة دون ان يتسرب اليأس الى نفسه من جراء عدم نشر كتاباته ، واحسب ان ذلك قد طال زمنا لا يقل عن سنة او بضعة شهور كان يكتب عبدالمحسن ويرسل بما يكتب الينا ، وكنا نقرأه ونحن ونرمى بما نقرأ فى بطن هذه (السلة) حتى رأيت من الانصاف ان اكتب له كتابا اذكر له فيه رأيت عن استعداده الادبى ولباقته الفطرية واشير الى ما يجب ان تكون عليه مقالاته ، وما ينبغى ان يراعى فى ذلك ليحقق لنفسه امكان استخدام تلك الموهبة باسرع وجه ومن اسهل الطرق ٠٠٠ وانى لاذكر جيدا كيف اكدت عليه وجوب الاكثار من مطالعة الكتب ، وقراءة آثار الأدباء المصريين اثثرية ، وآثار ادباء المهجر الشعرية قراءة متصلة مستديمة .

وبعد ايام قليلة وردتني منه الرسالة الاولى (وكل رسائله محفوظة عندي) يشكر فيها هذه العناية التى لاقاها من (الراعى) ويعد بانها سينهج نفس النهج المذكور ، وكانت هذه الرسالة مبدأ للتعارف بيننا ، وقد اعقبتها رسائل اخرى لم تقتصر على هذه الناحية بل شملت نواحي اخرى اكتشفت فيها ملكات جعلتني واثقا من انها لو اتيح لها يوما ان تظهر الى حيز الوجود نكان لها شأن ربما كان فيه شيء مما يثير الاعجاب ، ومن هذه الرسائل عرفت ان هذا الفتى موظف فى (مالية الناصرية) وانه فقير الحال ، وان فقره قد يحول بينه وبين اتمام دراسته ، وانه يسمى الان لان يجتاز الدراسة الثانوية ويلتحق بكلية الحقوق اذا استطاع ذلك ولكنه يريد ان يشبع رغبته الادبية فيكون كاتباً ويكون شاعراً ، وكانت اول كلمة نشرها له (الراعى) قصة باسم (صريع الفقر) وهى قصة حياته بالذات واذا اعوزها النفس ان تحكى قصة حياته يرمتها وحقيقتها ، فلم يعوزها شيء لان تكون حكاية

جانب من نفسه وحكاية شيء من طموحه الذي قعد به الفقر فلم يدع له مجالاً لتحقيقه ، وظل عبدالمحسن يكتب ولكن الذي كان ينشر له كان لم يزل قليلاً ، غير ان هذا القليل كان ينشر بالخبر ثم مات (الراعي) بكلمة واحدة قالت فيها الحكومة (ليمت الراعي) فمات ، وخلفه (الهاتف) فاذا بعبدالمحسن اوفر نشاطاً ، واكثر حيوية ، ثم كان من ادنى الادباء الى معرفة الغاية التي يرمى اليها الادب ، فقد بدأ ينضج نضجاً سريعاً يوماً بعد يوم وغداً يمارس الترجمة فيحسن اختيار القطع من الادب الانكليزي ويجيد ترجمتها كما صار ينظم بعض الشعر في بعض المناسبات فيستلفت اليه النظر بعض الاستلفات ، ولم يمر على الهاتف ثلاث سنوات الا وكان عبدالمحسن فيمن يذكر من اعضاء اسرة الهاتف القلمية . . .

وبدا الهاتف ينوه بأسمه كاديب له من الملكات ما يغبطه عليها كثير من ادباء الشباب من اقرانه ، وتسنى له بعد ذلك ان يحقق رغبته فأكمل دراسة الثانوية ، وانتقل من الناصرية الى بغداد ودخل كلية الحقوق .

وما كان انتقل من بلد الى آخر قريب منه وان كان اوسع افقاً بل كان انتقل من عالم الى آخر ، ومن دنيا الى ثانية ، بل من مزاج الى مزاج ، فهو اذا كان يعنى في الناصرية بالصورة التي تحكى احاسيس الناس ، وافكارهم ، وما يحيط بهم من مشاكل وآلام فهو في صحف بغداد لا يذكر من بيته ومن محيطه وما كان يشعر به اى شيء مما كانت تطفح به مقالاته وهو في الناصرية ، وانما صار في بغداد ادبياً من طراز آخر ، ومن نوع ثان ، قد تكون الشقة بينه وبين الذي يكتب في الناصرية واسعة جداً .

انه يكتب اليوم الى الصحف اليومية كتابات ليس لقلبه فيها صلة ، انه يكتب كما تريد هذه الصحف او بالاحرى كما تريد المصلحة الخاصة ان يكتب ، اما الذي ظل يربطه بالماضي والذي ظل يمثل نزعاته الادبية واحاسيسه الصادقة فهو الذي ظل ينشره في (الهاتف) او هو الذي كان يبدو على اساريره في بعض المناسبات مما ينبض به قلبه ولكن صورته المظاهرة في الجرايد السياسية كانت تشغل فراغاً من الذهن اكبر من صورته المظاهرة في (الهاتف) وللمثلة امام العيون . .

ومن هذا الطريق طريق الصحافة السياسية صار له على صالونات الوزراء والاعيان والاكابر دخول وخروج ، لا بل صار له مكان معين ، ومن هذا الطريق تقرب القصاب الى كثير من الوجوه ورجال السياسة ، وبدأ كثير منهم يستميله لسياسته ، والسبب - كما قلنا انفا - هو ان لعبدالمحسن من الملكات ما كانت تجعله موضع اعجاب عند الكثير ، وقد ظهرت هذه الملكات ظهورا يلفت النظر فى ميدان الصحافة السياسية ، وما تقتضيه المناسبات الوقتية لهذا الوزير اليوم ، ولذاك غدا ، ولغيره بعد غد وقد اشار هو الى حياته هذه فى قصته التى عنوانها باسم (قصتى) ونشرها قبيل وفاته فى العدد القصصى من جريدة الهاتف ، ولكن هذه الدالة التى اصبحت لعبدالمحسن على هذا وذاك من رجال السياسة المتنفذين واتى فتحت له كوة من الحياة الرغيدة ، لم تسه حقيقة الادب الكامنة فى نفسه التى تتطلب من الاديب ان يصدع بها ، وان يعطيها ما ينبغى من الرعاية والاهتمام وكلما فى الامر هو انها حالت بينه وبين اجابة رغبته وميوله النفسية زمنا فانقطع عن الكتابة للهاتف مدة خمس سنوات !!.....

نعم انه لم ينس حقيقة الادب - وان كان قد انقطع عن الكتابة للهاتف - ولقد كان ادبه هذا شاهدا كبيرا على قيمة الادب عنده يوم حصل بعض الالتباس عند البعض فى نسبه الى اسرة (آل القصاب) فاندفع عبدالمحسن يصحح هذا الالتباس على صفحات الجرايد ، ويشير فى صراحة تامة الى انه ليس له من الملاقة بآل القصاب المعروفين ما يجيز لاحد ان ينسبه لهم ، وما كلمة (القصاب) المتصلة به - كما قال عبدالمحسن - الا صفة لآبيه الذى كان (جزارا) فقيرا ، وأضاف الى ذلك معلنا يقول : « فضلا عن ذلك فليس لى اسرة كآل القصاب » وان مثل هذا الاعتراف الذى يجرى فى ظرف لم يدع اليه داع ، ولم يطلبه منه طالب ، لدليل كبير على ما تحمل تلك النفس من ادب ، ومعان تم عنها هذه المكاشفة ، وهذه الصراحة ، والشعور بلذة ارسال الحقيقة على سجيتها حتى وان كان ذكرها لا يخلو من احتقار له عند بعض الناس ...

خمس سنوات مرت على معرفتي بالقصاب وقد اشتدت اواصر هذه المعرفة فصارت اكثر من صداقة وانا لم أر عبدالمحسن ولم اعرفه بوجهه حتى جبري انتقاله الى بغداد ، واتفق في احدى روحاني الى بغداد وانا اهم بالدخول الى السينما اذ اوقفني شاب صبيح الوجه ، حلو السمائل ، جميل الصورة ، انيق الملبس وقدم لي نفسه قائلاً :

– انا عبدالمحسن القصاب •

فلت – ومن اين عرفتي ؟

قال – من هذا – واثار الى رفيق في جانبه هو الاخر من أهل الازصرية وكانت له معرفة سابقة بي على ما قال ولكني لم اذكرها •

فقلت – انها فرصة ثمينة اذا تفضلتما فدخلتما السينما معي ليم لي ان اتمتع بروايتين في آن واحد •

قال – ولاجل السينما جئنا نحن ففوجئنا بهذه المفاجأة السارة •••

وهنا في السينما سألت عما لم يتم لي ان اسأل عنه في رسائل او ممن يمت الى عبدالمحسن بصلة ، لقد سألته عن كل شيء فما وجدت شاباً أجراً منه على ذكر الحقيقة ، وما وجدت شاباً اكثر خضوعاً للحق منه ، وزادني في هذه المقابلة ايماناً بأنه يحيا حياة مزدوجة في وجهين متناقضين ، حياة من أجل ان يعيش ، وكلها كذب ، وخداع ، وغش ، ومجاملة على ما وصفها هو نفسه لكي يعيش من وراء هذا عيشاً يكفل له ولاولاده الراحة النسبية ••• ثم حياة كلها نكد ، وشقاء ، وغم ، وهم ، لانها عبارة عن افكار وتأملات قد تظني احياناً على نفسه وتفيض فيحكيها وجهه ، وعيناه ، حكاية اشبه ماتكون بحكاية الرموز التي هي ابلغ من الصراحة ، لذلك كان الذين يعرفونها ويهتدون الى معانيها ومفاهيمها ليسوا قليلين •

هنا ••• هنا ••• عرفت فيه شاباً اخر قد يكون احد عشرات الشبان الذين وهبهم الله شيئاً غير قليل من احساس مرهفة وادراك في فهم الحياة ، وملكة كان يستطيع ان يوجه اليها الانظار ويقدم بها مكانة قد تكون رفيعة من الادب لو لم تجرفه الحياة

الموجة ، التي قضت بان تسخر المواهب لغير غاية غير مدح الساسة وكيال الثناء لهم
والا فقد قضى عليهم ان يموتوا جوعا اذا لم يموتوا ذلا ...

وفى اليوم التالي كنا نتغدى معا فى أحد المطاعم ، وتناول الحديث الوانا اخرى
كثت اشبه ما تكون باستعراض شامل لكل ما يثير السخرية والتهكم فعرفت فيه هنا
ناقدا يحسن توجيه الانظار الى مواطن الضعف ويعرف كيف يثير الضحك ممن
لايرضيه ان حقا ام باطلا .

وكرت بعد ذلك رؤيتى لعبدالمحسن فى كل سفر من اسفارى الى بغداد
وكان يزيد اسفى فى كل فترة انى كنت اكتشف فيه ناحية جديدة من النواحي
الدالة على حسناته الخلقية ولكنى كنت اراها مقيدة فى دائرة ضيقة محدودة مجهولة،
ومع كل ذلك ومع شكواه الطويلة العريضة كنت انس نشاطه فى الحقول العامة وفى
المناسبات الوطنية وفيما يمكن له ولامثاله ان يقوموا به من تحطيم القيسود ولربما
جمحت به مواهبه وانطلقت بعض الاحيان فظهر سافرا للميون ، ولقد ترك بعض
المؤلفات التى تلمس فى بعض فصولها هذا الجموح وهذا الانطلاق ، وكنت انتظر
له الساعة التى يستطيع ان يستغنى فيها عن المجاملة والمواربة والكذب ، والخداع ،
كما كان يصفها هو ليستطيع ان يستخدم الادب ويستغله احسن استخدام ، واكمل
استغلال ، وبعبارة اخرى انى كنت انتظر ان يجىء يوم يصيب فيه عبدالمحسن من
الرزق ما يكفل له العيش فيصرف الى خدمة الادب .

وتشاء الاقدار ان يمشي اليه السبل بطريقة نقلها هو فى قصة كتبها عن نفسه
فى عدد (الهاتف القصصى) فنقل الى لبنان مستشفيا ، وهناك تحسنت صحته بعد زمن
فعاد الى العراق وهو يكاد يشفى تماما ولكنه عاد من جديد لينغمر فى العمل ، وهنا
كان قد صار محاميا ، وقد خاض معركة انتخاب نقابة المحامين داعيا الى انتخاب نجيب
الراوى نقيبا . وقد استطاع (القصاب) فى هذه الآونة ان يكون عنصرا فعالا دل مرة
اخرى على ما يملك من قابليات متعددة ، ثم كان محاميا لبقا استطاع غير مرة ان يوجه
انظار بعض القضاة والحكام نسيبا الى بلاغته ، واسلوب بيانه ، وكان من قبل خطيبا

بارعا ، ولقد خطب في حفلة تأبين الشيخ محمد حسن حيدر نائب لواء المتفك خطبة استطاع ان يوصلها الى مسامع الصم والى قلب الصخر على ما وصفه به بعض الادباء . وكان قد انقطع عن الهاتف - كما قلت خمس سنوات - لم يكتب فيها شيئا لانتماره في تلك المشاغل ، واذا به وعلى غير انتظار يرسل للهاتف حلقة من سلسلة باسم (في مجال محامتي) ويقدمها بكلمة يذكر فيها اهباب القطيعة وقد بدأ الهاتف نشرها في العدد ٣٧١ .

وظلت هذه السلسلة تعمل عملها في نفوس القراء ذلك العمل الذي كنا نتوقه ، لانها كانت سلسلة من مصائب البيوت والاسر والمشاكل المعقدة من الاجرام التي لم يستطع ان يضع يده عليها وينبه الافكار الى خطورتها ويدل على مواطن علاجها غير محام لبق ، واديب حساس ، فكان المحامي عبدالمحسن انقصاب هو ذلك المحامي الذي يملك شيئا من اللباقة ، والادب او الذي يريد ان يملك ذلك الشيء على الاقل وقد اشار في تلك السلسلة التي نشرها له (الهاتف) تباعا الى الدعاوى التي قام فيها وكيل ، ومحاميا ، وسردها بجميع تفاصيلها سردا ابدع فيه ابداعا استرعى انتباه القارىء حيناً ، وفي هذه السلسلة حقق ممتد الكثير في مستقبله الباهر ، اما الكلمة التي قدم فيها سلسلته المذكورة والتي نشرت في العدد المذكور من الهاتف فهي :

” وهكذا وبعد ان انقطعت عن الهاتف اكثر من خمس سنوات لارتفاع ، ولا اهمالا ، فالهاتف استاذي الاول واستاذي الامين ، والهاتف ملء السمع والبصر ، ومفخرتي الادبية اذا افتخرت ... وعنوان الصفحة الاولى من كتاب حياتي الاجتماعية ، ولكنها ظروف العيش ، ورغبة الشباب في الدرس ، وطموحه ، وما دام دولاب الحياة قد عاد سيره الاول ، فلا بد ان يعود هذا القلم لمحيطه الادبي الاول ، ولا بد ان يجيب رغبة الهاتف يوم قالها لي كلمة قبل ثلاث سنوات . ارجو الا تترك الادب ، فاجبته : ولن اتركه ، وسأنتظر هذه المرحلة من الحياة القاسية ، ومتى اشرفت شمس الغد فسيكون كلي للادب وكلي للهاتف ، واذا كان عرفني قراء الهاتف بالامس قصصيا ينزع من النجم الوان صوره ، فاني سأقدم لهم اليوم بصورة اجتماعية جديدة سأنتزعها من صميم المجتمع ، ومن مسلكي القانوني ، فأقدم

لهم فى كل عدد - بمون الله - حادثة مما وقعت فى حياتى اليومية الجديدة ، عسى ان يكون بها فائدة ، وفيها متعة ، وان رضا الهاتف وقراء الهاتف لهو العوض فى ذلك

وكان ما نشره الهاتف للقصاب مرآة صادقة لادبه ولنفسه التى لاشوبها شائبة الخداع اذ لم ينشر فى الهاتف الا القطع التى كان يتناولها من حسه ، ويقتطعها من قلبه ، فاذا اراد احد ان يعرف القصاب الاديب فلن يعرفه من غير طريق الهاتف ، ولقد ساهم القصاب فى عدة اعداد من اعداد الهاتف القصصية زيادة على عشرات القصص المترجمة والموضوعة التى نشرها له الهاتف فكان من اكثر اعضاء اسرته القلمية اتجا ، ومن احبهم الى نفوس القراء .

وظهر اخيرا انه لم يشف من مرضه تماما ، وان مرضه هذا بدأ يشتد عليه ساعة بعد اخرى ، وكان للحماس الذى ابداه فى معركة انتخاب المحامين قبل سنتين كل الانر فى انتكاس صحته ، كما كان لحياة المرح التى تلازم بعض الشباب شىء من الانر على تأزم مرضه ، ففضى وقتا طويلا بمراجعة الاطباء ، ولما يشق قصد لبنان ودخل مصبح (بحسن) للسئل هناك

وفى مصبح بحسن قام بنشاط كبير فى مختلف النواحي الادبية ودعا الى تأليف فرقة مسرحية من المسلولين ، كما قام بتأليف جمعية ادبية نفخ فيها شيئا من روحه فاذا بعدد كبير من اعضائها يستحيل بين ليلة واخرى الى متأدب يعشق الاله وبتبع آثار القصاب التى نشرها (الهاتف) .

وفى مقطوعته هذه التى نظمها فى (بحسن) تصوير صادق لهواجسه وما كان يجول فى نفسه وهو فى آخر ايام حياته حين يقول :

تعالى من ربي بلدى أعيدى ماضى الحب
ففى (بحسن) لى قلب حزين دائم التحب
فلم يلق سوى الوادى يناديه على الرحب

الى الموت بلا حزن ولا عطف ولا نذب

★ ★ ★

تعالى برداء الموت - وا رحماك - غطيني
ففى دمع الندى (غسلى) وبالآهات (تلقينى)
وفى انشودة الاحباب لا (الاعراب) .. فارثينى
وان قالوا - من الميت ؟ فقولى - من بنى الطين

★ ★ ★

على اتقبر رعاك الله خطى آية الذكر
بذوب الرثة الاحمر من صدرى لا الحير
وقولى - شاعر مات غريبا فى صبا العمر
تفتى فى هوى (سلواه) بالاهات والشعر .

وشقاء (القصاب) بعد هذا ملموس فى جميع آثاره الادبية وحتى فى اسماء
اولاده الذين تركهم صغارا ومات وهو فى يافع العمر وزهرته حين سماهم (صواعق)
و (كفاح) و (نضال) فقد كانت كل حياته المنوية والروحية عبارة عن صواعق
وكفاح ونضال .

★ ★ ★

وجريا على عادة (الهاتف) السنوية التى تلزمنا بتذكير اصدقاء الجريدة من
كتاب القصة بحلول موعد صدور العدد القصصى الذى اعتاد (الهاتف) ان يفتح به
كل سنة من سنه ، كتبنا له الى مصحح (بحسن) بذلك ، فبعت لنا بالقصة التى
نشرت فى مستهل السنة الثالثة عشرة من الهاتف ومعها رسالة تفيض بالعتاب
لعدم وصول الهاتف اليه طوال هذه المدة - وكان الهاتف قد انقطع عنه بلا سبب
غير تبدل عنوانه الذى لم يعرف عنه محاسب الجريدة شيئا - وفى ضمن هذه
الرسالة كان يتبأ بموته اذ يقول :

•••• لقد كتبت لكم ما قدرت عليه وانا فى غمرة عيضة من المرض الذى لا يعطف ولا يرحم ، وسواء أنالت القصة عندكم القبول ام لم تتله فقد اديت واجبى نحو الهاتف وانا فى اعنف أزماتى النفسية والحياتية ومن يدري فربما كانت هذه الاقصوصة تحية وداع ابدى من تلميذ مخلص وصديق وفى لاستاذة وصديقه الهاتف ، •

لم اخفى على القراء الحقيقة ؟ ولم اظاهر بالجلد الكاذب ؟ بل لم لا اصارح القراء واعترف لهم بانى بكيت كثيرا ساعة قرائتى كتابه هذا وهو لم يمت بعد ، وبكيت اكثر ساعة قرائتى الكتاب بعد مماته ، وساعة غدوت استعرض اديه وذكرياته التى سجلها (الراعى) و (الهاتف) وانا اعلم ان بكائى عليه غير مجد ، ولكن من لى بمن يبعد عن ذهنى صورته الراسخة رسوخ العقيدة فى قلوب المؤمنين ؟ ومن لى بمن يبعد عنى تخيل هذا الشبح الهزيل المدود على السرير ، الغائرة عيناه والذابلة شفثاه ، والمنظفة شملة بهائه - وهو الشاعر والاديب المرهف الحس - بعيدا عن اهله ، غريبا عن موطنه ؟ من لى ؟ من لى ؟ وكانت كلمته المتقدمة كلمة وداع حقا اذ توفى قبيل نشر قصته ••!!

مات عبدالمحسن القصاب قبل ان يبلغ أديه مداه ، وقبل ان يصل الى الذروة التى كان من المحتم ان يصل اليها لو كان المرض قد امهله ، ومع ذلك فقد ترك فى الراعى والهاتف من الاثر ما يكفى ليحمله ضمن اولئك الذين استطاعوا ان يفيدوا الناس بأديهم اكثر مما هو مطلوب من امثاله •

واننا نعتقد ان لعبدالمحسن حقا - بعد حقه على الادب والادباء جميعا - على بلده (الناصرية) نرجو ان توديه (الناصرية) فى احياء ذكراه بقدر ما نرجو ان توديه فى رعاية اولاده ، وان مثل هذا الحق له على نقابة المحامين اكثر واكثر فقد كان من اعضاء النقابة العاملين ، ومن عناصرها التشطيين ، وممن عرف شرف المحاماة وكرامتها فذب عنها كثيرا بالقول والعمل على قدر ما فسح القضاء له من المجال •
مات عبدالمحسن وبموته انكسر قلم عز على الادب ان ينكسر ، ولكن ذلك ما شاء الله ولا مرد لما يشاء الله •



الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء

الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء^(١)

لقد جاءت اول معرفتى بالشيخ محمد رضا كاشف الغطاء عن طريق ولده الشيخ على كاشف الغطاء ، فقد كنت قبل خمس وعشرين سنة مدرسا فى المدارس الحكومية ، وكان الشيخ على طالبا فى المدرسة الرسمية الوحيدة يومذاك فى النجف ، وكنت اجد فيه كل ما يتطلب المعلم ان يجده لدى تلميذه ، من فطنة ، وفهم ، وطاعة ليوفر للمعلم مجهوده ، وليحقق هدف التعليم على احسن وجه وصورة ، وكنت اوثر الشيخ على على جميع اقرانه أو على اغلب اقرانه - على الاقل - لهذا السبب ، وكان لهذا الاثار قيمته عنده ، فكان يسعى دائما لاقامة الدليل على شكره لى وامتنانه منى باساليب واحدة لم تتغير ، ولم تتبدل طوال الزمن ، وهى ان يتحفنى باعداد مجلة المقتطف كلما وصلت الى ابيه ، ويكتب او كتابين مما كان يصل اليهم بين آونة واخرى من الكتب الحديثة التى كانت بعض المكتبات المصرية ، تجريها فى حسابهم ، وترسلها بناء على طلباتهم ، فكنت اقرأ هذه الكتب والمجلات واعيدها اليهم عن طريق الشيخ على مصحوبة بالشكر مع ابداء الاعجاب برجل من الروحانيين يعنى مثل هذه العناية بقراءة الكتب والمجلات الحديثة ، تلك العناية التى لم تترك كتابا جديدا - فيما يتعلق بالادب والاجتماع والتاريخ - يمر دون الوقوف على زبدته والاحاطة بموضوعه على قدر الامكان . . .

ولقد علمت فيما بعد ، ان هنالك ناحية اخرى تستحق الاعجاب وهى ان للشيخ محمد رضا ، ولايه الشيخ هادى مكتبة نفيسة تحوى اندر الكتب وانفسها ، من مخطوطة ، ومطبوعة ، كادت تنفرد بها هذه المكتبة دون المكتبات الاخرى فكان ذلك حافزا من حوافز توثيق الصلات بينى وبين هذه الاسرة أبا وجدا ، وكنت

(١) الهاتف - العدد ٤٦٢ - السنة الثالثة عشرة - حزيران ١٩٤٧ .

المس نفس هذه الرغبة في توثيق الصلة عند الاب الشيخ محمد رضا وعند الجد الشيخ هادى الشيخ عباس ، ولست ادري اكان ذلك بسبب تقارب شعورنا في تتبع ما يقع تحت اليد من الكتب الحديثة والانهماك في مطالعتها ؟ ام بسبب عنايتي الفاتحة بابنهما الطالب ، او بداعي صداقة ابي لاسرتهما ؟ وكيفما كان الامر فقد رحت أسأل ، واستزيد عن الشيخ محمد رضا وابيه الشيخ هادى الشيخ عباس سؤال من يحلو له ان يعرف عنهما كل شيء كبيرا كان ام صغيرا .

وكان ابي اكثر من يعرف عن هذا البيت العريق ومحلّه من اسرة آل كاشف الغطاء ، وكان لكثير من رفاقي وزملائي في المدرسة وخارجها المام لا بأس به عن هذا الاب والجد بسبب القربى ، او الصداقة ، او الجوار ، فكونت لنفسي فكرة واسعة عنهم احسب انها كانت كافية لاشباع رغبة التطلع واكثر . خصوصا وانني كنت اعرف أسرة آل كاشف الغطاء واعرف شيئا غير قليل عن تاريخها العام .

اجل لقد علمت ان الشيخ محمد رضا هذا هو ابن الشيخ هادى ، والشيخ هادى هو ابن الشيخ عباس الشيخ على آل كاشف الغطاء ، وان الشيخ عباس الشيخ على كان قبل خمسين سنة واكثر من اكبر زعماء النجف بل اكبرهم على وجه التحقيق ، وقد كان يجمع الى جانب علمه ، وأدبه ، مزايا كثيرة جعلت من بيته ديوانا حافلا برجال العلم ، والادب ، والشعر ، وملجأ للخائفين ، والمشتكين وارباب المشاكل الذين يبحثون عن الحلول لمشاكلهم العامة والخاصة . ذلك لان الشيخ عباس لم يكن وجيها في المدينة وحدها وانما كان له عند الحكومة العثمانية وولاتها جاه كبير بحيث يبعد ان يرد له رجاء يتعلق بمصلحة البلد العامة ، او مصالح الناس أو ارباب الحاجات الخاصة ، فكان لا بد ان يسمو الشيخ عباس في عيون الناس ، من حضر ، والعشائر المحيطة بالنجف ...

ولقد سمعت الشيخ جواد الشيبى يقول :

لقد سمعته يقول :- قد كان للشيخ على اشعاع خاص ، هو اشبه بالجازية أو القوة المغناطيسية التي لا يكاد يوجهها الى احد حتى يكهر به ، ويجذبه اليه ..

وان مصدر هذا الاشعاع على الغالب كان حسه المرهف ، وفهمه للامور
ومقتضياتها وأين يجب ان يضع كل شيء وزمان وضعه

والدليل على تلك الميزة - ميزة وضع الامور في مواضعها عند الشيخ عباس -
هو ان للشيخ عباس ابن عم يسمى بالشيخ عباس الشيخ حسن ، وهو جد الشيخ محمد رضا لأمه ، وقد كان اغزر
علما من الشيخ عباس الشيخ علي ، وأكثر احاطة ، واوسع اطلاعا
في علم الفقه ، والرجال ، وسائر العلوم الدينية ، ولكنه لم يبلغ شاو ابن عمه الشيخ
عباس الشيخ علي الذي كان يترأس جماعة العلماء والوجهاء عند حلول المشاكل
والمهمات . والذي كان لادبه ورجحان عقله القدر المثل في تلك الايام .

وسمعت من الشيخ جواد الشيبلي ايضا - وقد كان صديقا حميما للشيخ هادي
والد الشيخ محمد رضا - لقد سمعت منه يقول - ان افضل الاكبر في ثقافة جمهرة
من فحول ادباء الجيل الماضي في النجف يعود الى الشيخ عباس الشيخ علي
والى ديوانه العامر بخيرة اهل العلم ، والادب ، والظرف يومذاك ، وان نشأة الشيخ
هادي العلمية ، وثقافته الادبية ، لمدينة لحد كبير الى هذا (الديوان) الذي كان يحكى
مدرسة ، او منتدى من نوع خاص .

وحين مات الشيخ عباس الشيخ علي ، حزنت النجف واطرافها من القبائل
حزنا لم يعرف له نظير من قبل ، وصارت مواكب العزاء والمعزين تقدم على النجف
تتري حتى لقد استمر ورود مواكب العزاء ووفود المعزين اربعين يوما على ما قيل . . .
وقد القى هنالك من الشعر الفصيح واندارج ما يؤثف عدة دواين يستطيع مؤرخو
الادب ان يعونوا عليها في دراسة ذلك العصر ، واتجاهاته الادبية ، والوانها ، ولقد
ظل الصغار والكبار - على ما قيل - يحفظون اهازيج الرثاء ، واناشيده زما طويلا ،
ويرددونها في الشوارع والازقة . . . !!

وكان من بين تلك المواكب التي قصدت ديوان آل كاشف الغطاء للتعزية كان
مواكب (الشوشترية) ، والشوشترية هؤلاء جالية من مدينة (شوشتر) تسكن النجف
منذ مئات السنين ولها في النجف اليوم كما يعرف الجميع مؤسسة (حسينية) تقيم

فيها الماتم الحسينية في كل سنة بمناسبة شهر (المحرم) ، وقد قدم سوكب
(الشوشترية) على بيت الشيخ هادي ممزيا ، وبعد ان لطموا وقرأوا مرثيتهم وخرجوا
نطق خيبت منهم هازجا بهذه الازوجة باللغة الفارسية الدارجة ، فهزج الجميع
معه وبغمة رتية راحوا يكررونها ويهتفون بها :

عباس على مرد عباس حسن ماند
يك حيف كه ان مرد صد حيف كه اين ماند

والمعنى هو «انه قد مات الشيخ عباس الشيخ على ، وقد بقي الشيخ عباس الشيخ
حسن ، واذا كنا نأسف لموت الشيخ عباس الشيخ على مرة واحدة فاننا لنأسف مائة
مرة لبقاء الشيخ عباس الشيخ حسن في قيد الحياة » وظلت هذه الانشودة موضع
تفككه الناس عدة سنوات .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر كما يقولون فاني اعرف ان الشيخ عباس الشيخ
حسن كان قد استجاب دعوة شبلي باشا الذي فتسح للصحن الشريف في النجف
بابا - هو اليوم يسمى باسم باب العمارة ، او باب سوق القاضي ، او باب الفرج
اقول لقد استجاب الشيخ عباس الشيخ حسن دعوة شبلي باشا الى وضع تاريخ
شعري لهذا الباب فجاء تأريخه الشعري على هذا النحو :

« جلت علت باب سلطان السلاطين » .

وحيث قرىء هذا التاريخ في أحد المجالس الادبية العامة صاح من هناك الشيخ
محمد كاشف الغطاء (وهو ابن عم الشيخ عباس وكان من فحول الادباء واهل
الفطنة) لقد صاح ان هذا التاريخ الذي وضعه ابن عمنا لينقص ثمانمائة سنة عن
تاريخ فتح الباب ١٩٠٠!

وحيث استوضح الحاضرون منه اعتراضه قال :-

قال الشيخ محمد - لان (الباب) مذكر ، وقد انه الشيخ عباس ، فاذا ما اردنا
تصحيحه بحذف التائين ، من التاريخ فلن يبقى لدينا بعد ذلك الا ان نقول - (جل
علا باب سلطان السلاطين) .

وبذلك ينقص العدد في حساب التاريخ الابدجى ثمانمئة سنة
وعلى رغم ان الشيخ محمد كاشف الغطاء لم يرد التتديد بابن عمه فقد
تحول المجلس الى ضحك واستمر حديث هذا التاريخ يروى عدة سنين ! . . .
ولكن الشيخ محسن الخضري قد وضع في الوقت نفسه تاريخا للباب على
هذا النحو . . . لقد فتح الشبلى نحيدة بابا . . .

في هذا البيت وتحت ظل الشيخ عباس الشيخ على نشأ الشيخ هادى الذى
ورث شيئا غير قليل من شمائل ابيه ومزاياه وانجب ولدين كان الاول منهما (مجيد
كاشف الغطاء) الذى خطفه الطاعون وهو لم يزل فى مقتبل العمر وقد ترك امثلة
قلما روى نظائرها فى عالم الفطنة والذكاء وسرعة البداهة ، وكان الثانى هو الشيخ
محمد رضا كاشف الغطاء الذى خطفه السل وهو فى مبتدأ دور الكهولة .

قلت انى عرفت هذه الاسرة معرفة لابأس بها وقد تكون كافية لمجاراة رغبة
واحد مثلى فى مثل ذلك الدور ، وكنت قد رأيت الشيخ هادى يصلى بالناس فى
الصحن الشريف وخلفه عدد من صفوف المؤمنين ، لقد كنت اراه كلما يصادف
مرورى على (باب الطوسى) . . . ثم رأيت مرات فى مجالس النجف العامة مشتركا فى
احاديث علمية او ادبية ، كما قد رأيت ابنه الشيخ محمد رضا على هذا النحو او
بعضه ، ومع ذلك كله ، ومع تلك المعرفة ، ورؤيتى للشيخ الاب ، وللشيخ الابن
- عن طريق الحفيد الشيخ على يوم كان طالبا فى المدرسة - وكثرة ما كان يعينى
هذا الحفيد من الكتب التى يستأذن فى اعارتها جده واباه ، ثم الرغبات المتبادلة بينى
وبين هذا البيت فى توثيق عرى هذه المعرفة اقول ومع ذلك فقد كانت صلتى بهم
لم تتجاوز بعد حدود السلام والتحية حين اراهما فى الطريق منفردين ، أو
مجتمعين وكثيرا ما كنت اراهما معا فاراهما كصديقين حميمين لا فارق بينهما الا
السن والا اللحية البيضاء التى تزين وجه الاب الوقور الشيخ هادى والا الحمرة التى
يصطبغ بها وجه الابن الضاحك المنهمل الشيخ محمد رضا وما عدا ذلك فهما
يتحدثان ، ويتناقشان ، كندين وكزميلين ، لافرق بين احدهما والاخر

ولا ادري متى بعد ذلك تم لى الاختلاف الى بيتهم ، وحضور ندوتهم فى ذلك الديوان الذى بقى رمزا من رموز الشيخ عباس الشيخ على ، وعنوانا لما كانت عليه (مجالس) النجف ويمتد (مجلسهم) - ولاسيما فى شهر رمضان - الى وقت متأخر من الليل يقضى الشيخ هادى فيه شطرا ، ويترك لابنه الشيخ محمد رضا الشطر الآخر ، ليقطع الوقت فى مساجلة علمية ، او ادبية ، حسب مقتضيات الوقت وحضار (المجلس) .

★ ★ ★

واذكر ليلة من لىالى شهر رمضان زار فيها السيد عبدالعزيز الشواف - وكان حاكم مدينة النجف يومذاك - لقد زار ديوان الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء ، وصحبه الشيخ محمد السماوى - وكان يومها قاضى محكمة النجف الشرعية - ومعهما صديقى الحاج مصطفى الصراف الذى كان من اعز اصداق (الشواف) و (السماوى) ، والشيخ محمد رضا كاشف الغطاء معا ، وكان الحاج مصطفى الصراف من المعجبين بالشيخ هادى الشيخ عباس ، ومن المؤتمنين به فى صلاته بحيث قلما شغله شغل عن حضور الصلاة خلف الشيخ هادى ، ولكنه لطارىء من الطوارئ البيئية اضطر لتخلف عن حضور صلاة الجماعة فى الصحن الشريف عدة ايام فافقدوه ، وفى هذه الزيارة من تلك الليلة من شهر رمضان استغل الشيخ محمد رضا المناسبة ليحول المجلس الى مجلس مفاكحة ، ومنادرة ادبية ، فقال موجها كلامه الى الشواف ، لقد قال انه - ينتهز فرصة وجود الحاكم فى بيته ، ليرفع شكوى له ضد الحاج مصطفى الصراف ويتهمه بتضعف ايمانه بترك صلاة الجماعة ، وتفضيل الصلاة المنفردة عليها ، واضاف الشيخ محمد رضا قائلا : لذلك لن اترك الحاكم والقاضى يرحان هذا المنزل قبل صدور الحكم بادانة الحاج مصطفى ، وتفريمه بمقدار مناسب من اكياس الخنطة ، واكياس الرز ، ومقدار من التمر لتوزيعه على الفقراء بمناسبة شهر رمضان ، فما يقول مولانا الشواف والسماوى ورأى السيد عبدالعزيز الشواف فى هذا الاقتراح فرصة جميلة للمطايبة ، والمفاكحة الادبية . فقال :

- وانا مستعد لقبول الشكوى ، والنظر فيها ، ولكن على ان تقدم مكتوبة على الورق فى هذه الساعة ، والافضل عندى ان تنظم هذه الشكوى شعرا .. وسأصدر القرار هنا شعرا وفى نفس هذه الجلسة .

وكثر الحوار فيما اذا كان الوقت يساعد للتعبير عن الغرض بالشعر فى مثل تلك المعجالة والارتجال ؟ واقترح البعض ان تؤجل الجلسة الى يوم آخر ليتقدم فيها الشيخ محمد رضا بشكواه شعرا ، ولكن الشيخ محمد السماوى أصر على أن جمال المفاكهة كله انما هو فى الارتجال نفسه ، فلم ير حينذاك الشيخ محمد رضا بدا من ان يستجيب للطلب فمسك القلم وفى دقائق معدودات وضع المقطوعة التالية امام الحاكم :

من حامل للحاكم الشواف	ذى العدل والوجدان والانصاف
عنى شكاية مستغث يشكى	صنع المذهب - مصطفى الصراف
ترك الصلاة (جماعة) فى وقتها	و (الترك) مكروه بغير خلاف
قد كان عضوا فى الجماعة عاملا	يدعو لها من سائر الاطراف
شهر الصيام أتى وفيه فضلها	بين البرية لم يكن بالخافى
هل كان يأمل (وحشة) ما نالها	او ظن ان (الاقضاء) ينافى
ان كان يرجو راتبا كموظف	فالامر امر وزارة الاوقاف
فاذا اطاع وعاد يغير ما مضى	من فعله والله نعم الصافى
واذا عصى فاحكم عليه بمبلغ	من غير تبذير ولا اسراف
من بر او تمر يوزعه على	ذى علة وارامل وضماف

و (الوحشة) التى يشير اليها الشيخ فى هذه المقطوعة هى اجور تدفع لفقراء يصلون للاموات فى اول ليلة اقبالهم صلاة تذكارية تسمى بصلاة الوحشة ، وكان يريد ان يقول هل ان الحاج مصطفى من هؤلاء الفقراء الذين يبحثون عن اجور (الوحشة) ولم ندفعها لهم ؟ اما الاوقاف فقد كانت يومها وزارة ثم صارت بعد ذلك مديرية

ولقد نقل على الشيخ محمد السماوى وهو استاذ التاريخ الادبى المصروف

فى عصره لقد ثقل عليه ان يرى الشعر المرتجل يجرى على قلم الشيخ محمد رضا بهذه السرعة وهو عالم فقيه وليس بشاعر ولا يجرى على قلمه هو فتناول القلم ، وتولى الرد نيابة عن الحاج مصطفى الصراف وكتب :

للحاكم المعروف بالانصاف	عبدالعزيز الفاضل الشواف
هذا جواب شكايه بلفتها	فى (عرض حال) جله متافى
من ذى الكارم والعلى الشيخ الرضا	علم الافاضل عمدة الاشراف
انا لم ازل لايه حامل رآيه	منشورة بمحاسن الاوصاف
ادعوه سرا وجهرا فى الورى	فى سائر الاقطار والاطراف
واقول فى (الهادى) الهدية والتقى	والعلم امر لم يكن بالخافى
وارى المصلى خلفه صلى بها	خلف (الامام الحق) دون خلاف
فصلام يرمى بسهم جنايه	ويقول لى استغفر وربك عاف
ويروم تجزيتى الغرامة بعد ذا	فكأن الاستغفار ليس بسكاف
وعليه اطلب رد دعواه بها	حكما وجاهيا بلا استيناف
فاحكم وحمله مصارف هذه	الدعوى (بدعوة) مصطفى الصراف

(والدعوة) هنا اراد بها صدور الحكم باقامة وليمة للحاج مصطفى كما لا يخفى على القارىء . وكان قد عز على الحاكم (الشواف) ان يرى المدعى والمدعى عليه مرتجلين خصوصا وهو المقترح ثم لا يكون هو الاخر مرتجلا ، فاخذ القلم بيده وبنفس السرعة والمكوف على الورق اصدر القرار التالى :-

باسم الجلالة سيد الاشراف	اصدرت حكما مقتضى الانصاف
دعوى (محمد رضا الهادى) على	صنع المهذب مصطفى الصراف
لم تخل مما قد يبرر ردها	من وجهة التقويم والاسفاف
اما الصلاة (جماعة) خلف الذى	هو كأسمه هاد بتير خلاف
فالحكم فيها واجب اذ اجرها	نص الشريعة عد بالانصاف
لكن مطلبه بدفع غرامة	قد جاء فى شىء من الاجحاف
اذ كيف يحكم بالغرامة تائب	يستغفر المولى وربك عاف

اما المصارف فهي بينهما اذن والحكم نسبي على الاطراف
حكما وجاهيا يبلغ مصلنا من غير تمييز ولا استيناف

وحظيت تلك الليلة بعدد من القصص الادبية التي اوردها الحاضرون مما
يناسب هذه المفاكحة ، فروى الراوون ما كان يجري مثل هذا في مجلس السيد
حسين القزويني ، وكان اكبر مجالس النجف الادبية في حينه ، وما كان يجري
في مجلس السيد علي العلاق وغيرهما من مجالس الادب التي قلما خلت من مثل هذه
المفاكحات والنادرات الادبية والشعرية المرتجلة (١) وفي تلك الليلة روى لنا
بعض الحاضرين بهذه المناسبة ما كان قد جرى يوم (الهريسة والسلك) في نفس
هذا الديوان - ديوان آل كاشف الغطاء - وهو ان جماعة من رجال العلم والادب
قد لبوا دعوة لتناول (هريسة) في الفطور ، ودعوة لتناول سمك في الغداء عند
الشيخ احمد كاشف الغطاء المرجع الروحاني المصروف (٢) وكانت الدعوة في
نفس هذا البيت ، ولربما في نفس المكان الذي كان يقعده الشيخ محمد رضا تلك
الليلة ، وكانت الدعوة بقصد المطاوعة والتسلية اكثر مما كانت للاكل والشهية ، وفي
مثل هذه الدعوات يكثر المزاح عادة على الاكل ، واشتباك الايدي ، وما شاكل ،
لذلك ما كادت توضع المائدة حتى نسفت عن آخرها في اقل من بضع دقائق ، ولم
يحرم من الطعام الا صاحب الدعوة الشيخ احمد كاشف الغطاء ، والا الشيخ جواد
الشيبي وذلك لتجنبهما ذلك الصراع والمزاح ودخول مغمته .

ولكى يطيب الشيخ احمد نفس الشيخ جواد الشيبي ، سألته بعد ايام وهو
عنده في نفس هذا الديوان الذي يقعده الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء اليوم
عما يجب ان يأكل من طعام ؟ وعمن يريد ان يدعوه معه يوم الاربعاء المقبل وذلك
ككفارة لما سبق وقوعه مما ادى الى حرمان الشيبي من الغداء فاطرق الشيبي
دقائق ثم رفع رأسه وفيما يشبه الارتجال تلا على الشيخ الايات التالية :-

يا من لفاتك بيت من علا سمكا صير غداثي غداة (الاربعاء) سمكا

(١) وفي مواضع اخرى من هذا الكتاب ذكر لمجالس النجف ورد في سياق
الحديث كما ورد ذكرها هنا .

(٢) هو والد عباس كاشف الغطاء مدير البنك اللبناني المتحد اليوم .

وخصني فيه فردا لا يشاركني سواك فالنفس تأبى الشرك والشركا
أما اعتبرت بهم يوم (الهريسة) من ألقوا اناملهم من فوقها شبكا
قالوا لنا سرر (البتى) نقسمها ما بيننا ، والبقايا والجلود نسكا

والبنى نوع من اجود انواع سمك الفرات ، وعلى هذا النحو كانت تجرى
مجالس المفاكهة فى النجف وكانت مجالس آل كاشف الغطاء من بينها تموج بالوان
من متع الادب والمطايبات

وشب الشيخ على كاشف الغطاء ، وخرج من المدرسة ليتفرغ لدراسة العلوم
الدينية ، ثم خرجت انا من السلك التعليمى وتسنى لى ارتياد ديوان الشيخ هادى
وابنه الشيخ محمد رضا اكثر من ذى قبل ، وصارت لى من الدانة على الاب والابن
ما جعلتني ارجوهما للكثير مما يكلفني به البعض عندهما من الحوائج .

وقد كتب لى صديقى المهندس السيد حسن الرفيعى مرة من (مشيفن) وكان
لم يزل يدرس الهندسة هناك فقد كتب لى يطلب منى بذل الجهد فى البحث عن
نسخة خطية لكتاب (تذكرة العين) لعل ابن عيسى ، واثار لى فى كتابه الى ان النسخة
المطلوبة هى نادرة الحصول اذا لم تكن معدومة ، وقد رجا ان اشتريها له اذا ما عثرت
عليها بأية قيمة كانت . واذا ما تعذر شراؤها فى ان ارفع قيمتها وادفع مائة دينار لقاء
استساخها فقط

وجئت الشيخ هادى ، وكانت مكتبته حافلة باكثر عدد من المخطوطات النادرة ،
واحسب انها لم تزل حتى الان ذات قيمة علمية كبيرة واخبرته بقصة (تذكرة العين)
وما كتب لى بخصوصها السيد الرفيعى ، ولم اكنم عنه خبر اهمية الكتاب بحيث
يستدعى دفع مائة دينار لمجرد استساخ نسخة عليه مع الموافقة على جميع الشروط
المطلوبة ، فقال لى ان النسخة المطلوبة موجودة عندى وقال انها تقع فى صفحات
قليلة وليست هى بالكتاب الكبير ، وقام على رغم شيخوخته الى المظان من تلك الرفوف
التي توصل الارض بالسقوف من الكتب وبحث بعض الوقت فلم يعثر عليها
فقال لى لم لاندع الامر الى حين عودة الشيخ محمد رضا الى البيت ؟ فهو ادرى
بموضع النسخة من هذه الكتب ، ولك ان تأخذها وتفعل ما يحلو لك ان تفعل
بها !! ..

وانظرت الشيخ محمد رضا عند ابيه وانا جالس في المكتبة ، ولكنه لم يعد ،
وقمت بعد اليأس على ان اعود في وقت آخر ٠٠٠ وفي الطريق وانا خارج من البيت
الفيث الشيخ محمد رضا في طريقه الى بيته فقصصت عليه القصة بالتفصيل ، فرجا
منى ان اكتب الخبر عن ابيه لئلا ينزعج لانه - اى الشيخ محمد رضا - كان قد
اعطى تلك النسخة الخطية قبل مدة لاحد اولاد الخانجى ، وكان هذا قد زار
النجف ، وزار بعض مكاتب البيوت ، وفي ضمنها زار مكتبة الشيخ هادى ورأى
هذه النسخة كما رأى ثلاث نسخ خطية من كتب قديمة اخرى فطالع امر شرائها
وشراء تلك النسخ من الشيخ محمد رضا بمختلف الوسائل ، ولما يش وعرف انى
- يقول الشيخ محمد رضا - غير بائع شيئا منها ، رجا منى ان اعيره تلك النسخ مقابل
وصل منه زاعما ان لدى مكتبة (دار الكتب) بمصر صورا من هذه النسخ وانه
- اى الخانجى - يريد تصحيح البعض على البعض الاخر ٠٠٠ قال الشيخ محمد
رضا ، ومن هناك ٠٠٠٠ ومن مصر كتب لى الخانجى يقول انه قد فقد هذه النسخ
الخطية الاربع فى الطريق ٠٠!! وقال الشيخ وانا اشك ان يكون الامر صحيحا .
قلت - وكان عليك ان تعلق باب الاستعارة .

قال - واذا تم لى ان افعل هذا مع الخانجى فهل يتم لى ذلك مع غيره ؟
ثم اردف قائلا :- لقد اضعنا عددا كبيرا من كتبنا على هذا النحو وبمثل هذا
التساهل ٠٠٠٠

وتوفى الشيخ هادى الشيخ عباس ، وعلى رغم توسم الشيخ عبدالكريم
الجزائرى الزعيم الروحانى المعروف القابلية واللياقة فى الشيخ محمد رضا ونعته
اياه (بالشيخ) فى تاريخه الذى وضعه ليوم لبس الشيخ محمد رضا العمامة فى اول
شبابه حين ارخ له الجزائرى بقوله : (الشيخ قد لبس العمامة) .
وقد كان للبس العمامة اول ما تلبس فى السنين الماضية شأن لا يقل عن شأن
اختتام القرآن ، واجراء الختان ، وما شاكل وقد اتخذ من تاريخ الشيخ عبدالكريم
الجزائرى فالأ يبشر بالخير لمستقبل الشيخ محمد رضا الروحانى .

أقول وعلى الرغم من هذا التوسم وعلى رغم اعتماد الشيخ محمد رضا نفسه لان يكون شيخا روحانيا ، ثم على رغم بلوغه مرحلة كبيرة من العلوم الدينية والثقافة الاجتماعية التي تقتضيها الروحانية المتجددة ، وابوه لم يزل في قيد الحياة انه على رغم هذه المؤهلات فقد كان يبتعد جهده عن القيود التي كانت تحد من حريته ، وتضفي عليه آفاق اتصالاته الواسعة بالناس ، لانه كان رجلا اجتماعيا يحب الاختلاط بالناس بأقصى حدود الاختلاط ، وان للروحانية قيودا ومراسيم لا تتجاسس مع الانطلاق الواسع ، والاحتكاك بالجمهير ، لذلك ابدى الشيخ محمد رضا بعد وفاة ابيه تهريا عجيبا من اشغال مركز ابيه ، والصلاة بالناس في مكانه من الصحن الشريف .

واقبل عليه الكثير من الفضلاء يحضونه على التصدي للصلاة بالناس ، وكان على رأس اولئك الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذي بعث له بتأييده والالاحاح عليه بالتصدي للصلاة ولم تكن العلاقة بينه وبين الامام كاشف الغطاء علاقة طبيعية على رغم القربى ، ومع ذلك فراح الشيخ محمد الحسين يؤيده ويشد ازره ، اما الشيخ محمد رضا فقد امتنع ، واكتفى بما كانت له من حلقة كبيرة من حلقات التدريس كان يحضرها عدد غير قليل من افاضل رجالات العلم كتلاميذ خاصين للشيخ محمد رضا .

وقد حضر احمد امين ، وعدد من طلاب الجامعة المصرية حين زاروا النجف حلقة من دروس الشيخ محمد رضا ، وقالوا انها كحلقة الازهر الا ان الدرس لدى الشيخ محمد رضا اعمق واوسع افقا من دروس الازهر وكنت انا حاضرا هذه الحلقة وسامعا باذني ما قاله احمد امين .

وكان السيد ابو الحسن ، قد انفرد بزعامة الشيعة ، ولم يكن حاضرا في النجف حين وفاة الشيخ هادي ، وقد بلغه خبر الوفاة وخبر احجام الشيخ محمد رضا عن الصلاة بالناس فكتب له كتاب تعزیه بليغة ، ثم ضمن كتابه هنا وجوب تقديمه للصلاة بالناس وهناك صدع الشيخ محمد رضا بالامر وتولى الامامة في الصحن الشريف وفي مكان مصلى ابيه .

وصلى ، وصلى خلفه جمع من العلماء ، والفضلاء ، والابرار على سبيل التأيد
 لأول مرة ، كما هو متبع عند التقاة ، ولمع نجم الشيخ محمد رضا وكانت لبشاشته
 وسحته المشرقة فضلا عن مواهبه الدينية والادبية اثرها في جميع نفوس ملتقيه ،
 ولقد اخجلتني مرة حين وقف يوجه عتابه الي باسلوب غاية في الادب والرفقة ، وبوجه
 يوحى بالدعة والطيبة ، لقد كان يعتب على لانى وقفت وانا استعرض كتابه الذى
 اصدره عن (الشريف الرضى) فى جريدة الهاتف موقفا ربما شف عن جنوحى
 لرأى الشيخ عبدالحسين الحلى ، وكان قد جرى بين الشيخ الحلى وبين الشيخ
 محمد رضا كاشف الغطاء شيء من الخصام فى دعوى لم يعرف احد وجه الصواب
 فيها ، فقد قال الشيخ محمد رضا انه كان قد اعاد مسودة كتابه (الشريف الرضى)
 قبل طبعه للشيخ عبدالحسين الحلى لان الشيخ عبدالحسين كان ينوى ان يكتب
 شيئا عن الشريف الرضى فاحب الاطلاع على مسودة ما كتبه الشيخ محمد رضا
 ولكنه اساء استفلال هذا الاطلاع - على حد قول الشيخ محمد رضا -
 ونقل جل ما كتب الشيخ محمد رضا فى كتابه ،
 ثم نشره كمقدمة للكتاب الذى اصدرته (جمعية منتدى النشر) كما لو كان الشيخ
 عبدالحسين الحلى هو الباحث عن تلك المصادر والمستتج لتلك الاراء !!!

اما الشيخ عبدالحسين فيقول ان الشيخ محمد رضا كان قد عرض على مسودة
 كتابه (الشريف الرضى) لابداء رأبى فيه ، وقد اضفت الى تلك المسودات هذه
 التحقيقات التى اخذتها بعد ذلك باعتبارها ملكا لى ، وضمنتها المقدمة التى نشرت
 وكان الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء قد طبع كتابه بعد ذلك وعرض فيه
 بالشيخ عبدالحسين الحلى ، واتى على سرد القصة بشكل لم نستسفه نحن من حيث
 التعريض ، وليس من حيث الحق ، لان الحق لم يكن معروفا فى هذه الدعوى ولم
 يزل لليوم غير معروف لدينا ، فالشيخ محمد رضا كاشف الغطاء كان فى غنى عن
 عرض مسودات ما يكتب بقصد التصليح والتهذيب على احد ، والشيخ
 عبدالحسين الحلى فى غنى اكثر واكثر عن انتحال آراء غيره لنفسه بالنظر لطول باعه
 وعلو كعبه وقد ظل كلاهما متحمسا لرأيه ومنهما الاخر بتلك التهمة ولم يستطع احد

ان يقول شيئا فاصلا •

اقول لقد أخرجني الشيخ محمد رضا بذلك الاسلوب من العتاب الرقيق الذي قلما انمحي اثره من النفس لان للشيخ محمد رضا كجده الشيخ عباس الشيخ على اشعاا خاصا كان يسلطه على المتحدثين اليه فيجذبهم اليه ، ولعل لتجده في احكامه الشرعية واطلاعه العلمي الواسع ، ولملكاته الادبية ، ثم لسلامة ذوقه ، بعض الاثر ان لم يكن كل الاثر في هذا الاشعاع •

لقد كان من المعجبين (بالمهاتف) ومن المتبعين لها وقد اهدى للمهاتف بمناسبة احتفال (التحفة) بسنة الهاتف العاشرة ، لقد اهدى لها مجموعة من الكتب النفيسة ومبلغا من المال ، اما مجموعة الكتب فقد تسلمناها مع الشكر ، واما المال فقد ارجعته (لجنة تكريم الهاتف) اليه على اساس ان صاحب الهاتف لا يتقبل هدايا المال من أحد ••••• وكان الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء يقول مفاخرًا بانه يعتبر (الهاتف) اشرق وجه يعبر عن الادب الواقعي ومن ارسخ القواعد في التزام جانب الحق والحقيقة ، وكان يكرر هذا القول في كل مناسبة ، فاذا تأخرت (الهاتف) عن ميعاد وصولها اليه قليلا ، ارسل من يشتريها له ، ويحملها اليه عاجلا ، ولقد استبطا وصولها مرة وهو يستشفى في مصحح (بخنس) ببلنات ، فكتب الى ابنه الشيخ على بسأل باستغراب عن اسباب تأخر الهاتف ••••• ؟

لقد اكرت عليه الزيارات في ايامه الاخيرة من مرضه ، وكان لي في شفائه كل الامل ، وكان يزيد املي ماكنت اراه منه في كل مرة من طلاقة الحيا ، وكثرة الترحيب ، والاعراق في البشر مما لا يختلف شيئا عن حاله وهو في اتم صحته ، ولكن صديقا لفت نظري ونحن عنده : الى شبح الموت المائل حول عينيه ، والجاثم على صدره ، وقال لي ونحن نخرج من زيارته : اننى اخشى ان نفقد الرجل قريبا ، وكان كما قال الصديق ، فلم تمر بضعة ايام حتى نقل الى مصحح (بخنس) ببلنات ، ثم وافته المنية هناك هو لم يزل في اوائل سن الكهولة مبكيا على ملكاته التي سمت به حتى جعلت منه واحدا يجلس الى الحكم كما يجلس الى الازناب ، وجبينه ناضح بالطيبة والوداعة ، وثفره مشرق باسامة لايجهل قيمتها من يعرف قيمته •



الحاج عبدالمحسن شملاش

الحاج عبدالمحسن شلاش^(١)

ادركت الحاج عبدالمحسن شلاش وشهرته كتاجر من كبار التجار ، وكمين من عيون النجف ، ملء المسامع ، فلقد قيل انه يمتاز على تجار الفرات وتجار الحبوب خاصة ، بحدة الذكاء ، وعمق التفكير ، وقيل انه كان من أفهم التجار بمقتضيات التطور ، واسرع من غيره في فهم النظريات الاقتصادية ، يوم كان المتاجر بالحبوب لا يفهم شيئا أكثر من انه يشتري الحب من فلان ، ويوم كان المتاجر بالتمر لا يعرف أكثر من ان يجلب التمر من مكان معين ، او مكانين ، ليبيعه في مكان معين ، او مكانين ، فاذا حدثت بعض الطوارئ التي من شأنها تغيير محل البيع ، او الشراء ، او قلة العرض والطلب ، او زيادتهما ، ألفت الحيرة تسود اغلب اولئك التجار الذين اعتادوا ان يتهجوا نهجا واحدا في عرضهم ، وطلبهم ، وفي شرائهم ، وبيعهم ، اما الحاج عبدالمحسن فقد كانت له ميزة ، هي وليدة خلق ذاتي فطري ، ومزاج خاص ظل يرافقه طوال عمره ، ذلك الخلق الذي من شأنه ان يدرس الامور ، ويطنل في درس كل ظاهرة اقتصادية يشعر بان لها مساسا باموره التجارية ، فكثر لهذا السبب اتصاله بمختلف الطبقات ، من الفنيين ، والمهندسين ، والتجار ، وارباب الحرف ، وزادت بهذه الاتصالات خبرته التجارية ، ومعرفة الاقتصادية ، حتى انفرد في جميع جهات الفرات بسمة خبرته في عالم التجارة ، وكان اول من درس مشروع ارواء النجف من طريق الكوفة بواسطة المضخات قبل ما يقرب من خمسين سنة ، يوم كان اغلب التجار ، ومعظم الناس ، يسخرون بهذه الفكرة ، ولا يعتقدون

(١) الهاتف - العدد ٤٨٢ السنة الثالثة عشرة ١٣ شباط ١٩٤٨ .

ان مثل هذا المشروع مما يمكن تحقيقه ، وذلك لقلّة اتصال هؤلاء التجار والناس
بالعالم الخارجى ، كذلك كان الحاج محسن اول من فتح باب المساهمة لمد السكة
الحديدية بين النجف والكوفة ، ولقت الانظار الى تجديد الافكار الاقتصادية .

نعم لقد ادركت الحاج عبدالمحسن وهو فى اوج شهرته ، مال وافر ، وتجارة
رابحة ، ومكانة مرموقة عند الحكومة ، والعلماء ، وسائر الطبقات نظرا لما كانت له
من المزايا التى اشرت اليها ، ولانه كان وكيل للبنك العثمانى فى النجف ، يدفع
حوالات الحكومة العثمانية (آل رشيد) فى (حائل) عن طريق النجف ، ويقبل
الكثير من الحوالات من مختلف الجهات من الخارج كاستنبول ، وبيروت ، وايران،
والهند ، والخليج بالاضافة الى قبوله للحوالات فى اغلب المدن العراقية ودفمها من
قبيله .

وتقد قيل ان البنك العثمانى قد احتاج مرة - وذلك فى ايام الاحتلال الانكليزى
للعراق - الى مبلغ تقدى من الليرات العثمانية ، فسأل البنك الحاج محسن شلاش
برقيا عما اذا كان يستطيع ان يدفع لحاكم الشامية السياسى المقيم فى النجف مائة
الف ليرة عثمانية نقدا على حساب البنك العثمانى ؟ فابرق بالايجاب وسلم للحاكم
مائة كيس اخرجها من بيته ٠٠!!

وقد بلغنى ان الحاج محسن سمع مرة - وهو بهم بدخول مجلس من مجالس
النجف - مناقشة تجرى عما يملك من نقود فى صندوقه الحديدى وكان صاحب
البيت يؤكد ان محتويات صندوق شلاش لاتقل عن ٢٠٠ الف ليرة ذهبية ، وهنا
دخل الحاج محسن المجلس وصدى احتواء صندوقه على مائتى الف ليرة يرن فى
أذنه ، لقد دخل المجلس ضاحكا واشترك الحضور معه فى الضحك لانهم احسوا بان
الرجل كان قد سمع نقاشهم فى ثروته النقدية وهو بهم بولوج الباب ، وما كاد
يستقر شلاش حتى وجه لصاحب البيت هذا السؤال :-

- كم لك فى هذا البيت الذى تقيم فيه ؟

قال الرجل :- لقد ولدت فيه وقضيت كل عمري ٠٠٠

قال :- أستطيع ان تخبرنى كم هو عدد السلالم التى تصعد بك من باحة دارك هذه الى اعلى السطح وكم عدد السلالم التى تنزل بك من باحة الدار الى اعلى سراديبه ؟

قال :- لا اظننى الا راجما بالغيب اذا ما ذكرت لك عددا معنا .

قال الحاج محسن وهو يضحك :- وكيف جاز لك ان تقدر ما يحتوى عليه صندوق نقودى انا وهو فى بيتى؟ بينما انت عاجز عن ان تعرف عدد سلام بيتك ؟

و كنت وانا صغير اسمع بتمنيات كثير من الامهات لابنائهن بان يوتيهم الله نصف ثروة او مثل ثروة (آل شلاش) و كنت طالما سمعت وانا صغير شيئا من هزو الهازئين بعض الفقراء وتشبيههم على سبيل الهزو (بال شلاش) فى وفرة الثروة وكثيرا ما كنت اسمع هذا الاسم (اسم آل شلاش) يردده اغلب الناس فى كثير من المناسبات كقياس لضخامة الثروة ، واناقة اللباس وجلال الارستقراطية ، فكان من بعض امنياتى ان ارى هذا الرجل ، لارى بعينى هذه الثياب الزاهية ، والعظمة الناطقة ، فى خطواته المثثة التى يخطوها بين علمانه المحشدين حوله ، فلقد كان مضرب المثل فى خطوه ، ولبسه ، واكله ، وشربه ، وانى لاذكر الان كيف وقع عليه نظرى اول ما وقع وكيف وقفت منه وقفة الحائر المدهش الذى لايدرى كيف يوفق بين ما سمع وبين ما رأى ؟

هذا هو الحاج محسن انه يلبس كما يلبس اغلب الناس ، وقد اقتعد من بابخانه تخنا لو ارغمت محاسب (الهاتف) اليوم على اتخاذه مقعدا لزواره لاعتبره اهانة وها هما الاثنان على ما اذكر ، وقد جلسا على التخت نفسه يتحدثان اليه ، ويتحدث اليهما ، كما يتحدث سائر الناس من حيث سقوط الكلفة ، ثم قام هو وظل الاثنان جالسين غير عابئين بقيامه ثم دخل مكتبه !!

هذه اول مرة رأيت فيها الحاج محسن شلاش ، واول مرة اجد فيها البون عظيما بين ما سمعت وبين ما رأيت ، ثم ما ادرى كم مر على بعد ذلك حين توتقت الصداقة بينى وبين ابنه (عبود) ، ولكنى ألفتى اغدو واروح مع زمرة من الاصدقاء

الى بيت آل شلاش ، لنحظى هنالك بجلسة روماتيكية بين عشرات الاصص لضروب الازاهير والورود ، ولم يكن يومذاك (هذا البيت) المتوسط بين الديوان الخارجى وبيت الحرير القائم اليوم قد بنى بعد ، وانما كان عرصة يلهو بها ابنه السيد عبود ، وابن اخيه الدكتور عبدالحميد بزراعة الورود فى وسط المرصة المحوطة بالاصص الضاربة حولها فى خطوط هندسية ، وكنا اذا مللنا هذا المجلس ، وما يدور حوله من احاديث متنوعة قمنا الى الديوان ، والى غرفة صغيرة لانزال هى الغرفة المقابلة لمدخل البيت تماما ، حيث اعد فيها تخت ، وثلاثة كراسى او اكتر ، وقد زينت جدران الغرفة بصور كثيرة لطوائف كبيرة من ملوك ، وامراء ، وعلماء ، وادباء ، واصدقاء آل شلاش ممن زاروهم ونزلوا فى ضيافتهم ، او ممن تعرفوا بهم فكانت هذه الغرفة بمثابة معرض فتوغرافى كان له اكبر الاثر فى ترسيخ الذكريات ، وصور الحوادث التاريخية والاجتماعية فى الذهن ، وفى هذه الغرفة رأيت صورة الحاج محسن شلاش باللباس الرسمى وهو يحمل الوسام (النيشان) الذى انعم به عليه السلطان عبدالحميد خان الثانى ، كما رأيت الحاج محسن فى صور مختلفة من مناسبات مختلفة •

ومرة اخرى لست ادرى متى ، وكيف كانت اول معرفتى بالحاج محسن ، ولكن وجدت نفس الزمرة التى كنت اغدو واروح معها الى بيت شلاش وقد بدأنا نألف مجلس الحاج محسن حين يتفق ان نكون فى بيته ، ويكون هو هناك ايضا ، فيمر بنا فى هذه الغرفة الصغيرة ونحن عند ابنه عبود ، وابن اخيه عبدالحميد ليجلس منا قليلا ، او يستدعينا الى ديوان ضيوفه حين يكون عنده ضيوف ، فكانت موضع عنايته النسبية من حيث المناقشة وعرض خواطره الادبية وافكاره الاجتماعية ، فكان يقرأ لى شيئا مما كان يحفظ من نصوص لرسائل كتبها الشيخ جواد النسيبى الى السلطان عبدالحميد ، والى الملك حسين ، والى الامام يحيى حميد الدين ، ويقرأ لى كثيرا من قصائد السيد جعفر الحللى المكتوبة الى بعض هذه الجهات ، وشيء غير قليل من نصوص ادبية قديمة من خطب نهج البلاغة ومن الصحيفة السجادية فلفسد كان

ميلا للدب وذوافة يستدوق قراءة الشعر والنثر ، وكان له مقام محترم عند اهل العلم والادب ، وكان من ميله للدب وللادباء ان كان اول متصد لطبع ديوان السيد محمد سعيد الجوبى بيروت وقد طبعه طبعا لا يزال على قدمه لا يخلو من جمال واناقة ، لذلك لم يكن من الغريب ان يحاول تصوير الوضع الاقتصادى فى العراق وتنظيم ميزانيته فى ارجوزة تجاوزت الخمسمائة بيت وقد ضمنها مايراه من التخطيط للنهوض بالعراق نهوضا اقتصاديا شاملا ، وعلى الرغم مما ادخل على الايات من تصحيح لغوى ونحوى وعروضى من قبل الادباء فان هذه الارجوزة لم تفقد صفة الاعراب الصحيح عن ذوق الحاج محسن وميوله الادبية .

ويستطيع المرء ان يستشف استمداده الفطرى ومدى تفهمه للامور فى الكثير من الشؤون وان خرجت عن دائرة اختصاصه ، ومن ذلك انه سمى مرة وانا اشرح اسباب انتفاخ الكرة الارضية من وسط خط الاستواء وانقباضها وتقلصها من القطبين المفروزة الى دورة الارض السريعة وهى لم تزل بعد جمره كما يقول الفلكيون الرياضيون ، قال وهو يتسم :-

- ولم لا نعزو هذه الظاهرة ظاهرة الانقباض والتقلص فى القطب الى (قلة الحرارة) ونعزو التمدد والانتفاخ بين مدار السرطان والجدى الى (شدة الحرارة) ؟ ولم اكن يومها من الاطلاع ومن الاحاطة بحيث استطع ان ارد عليه بالجواب الصحيح فسكت ... لقد كان حقا يحسن تصور الاشياء ، ويحسن طريق الاحاطة بالامور من جميع وجوهها واحوالها على قدر كبير بالنسبة لامثاله طبعا ، فلقد قيل لى انه وجه مرة الى جمع فى احد مجالس المطاية سؤالا قال فيه :-

- من منكم يستطيع ان يعرف بم يمتاز التين على أكثر اثمار الدنيا ان لم يكن على كل اثمارها ؟

فاختلفت الاجوبة فى العلل والاسباب ، وقال بعضهم انما يمتاز بما يحتوى عليه من مادة البروتين ، وقال بعضهم بل بما يحتوى عليه من عناصر التغذية الكاملة ، وقال البعض انه اشجرة الوحيدة الملائمة لكل الامزجة ، وقالوا شيئا مثل هذا ، ولما عجزوا عن الاجوبة الصحيحة ، قال الحاج محسن :-

– ان التين هو الثمرة التي لا نواة فيها حتى لبأمكانك ان تتناولها من الميزان وتضعها في فمك دون ان ترمى منها شيئا ، قشرا كان ام نواة ، أو أية فضلة اخرى لذلك يحق اعتبار التين ثمرة اقتصادية لا يذهب الثمن الذي تدفعه فيها ضياعا !!

وإذا كانت القاعدة أن يرث الأبناء صداقة الآباء فقد سارت الامور هنا بعكس القاعدة اذ انتقلت الصداقة من الأبناء الى الآباء فاذا بي انا وجمع من اصدقاء عبود شلاش (الابن) نصبح اصدقاء حميمين للحاج محسن شلاش (الأب) ثم تتطور هذه الصداقة فتصبح صداقة عميقة ، كان من آثارها التفكير الجدى فى مواضيع وطنية اقتصادية عامة ، وكان منها ان تألفت شركة ذات رأس مال محدد للقيام بتجربة استخدام (زالال الزهدى) واستخراج سائل سكرى من التمر يقوم مقام السكر الخاف ، وقد عهدت الى ادارة الشركة فأصبحت مديرا لها ٠٠٠ وقد رأيت ان من توسيع هذا المشروع المبادرة باستخدام التمر فى صنع بعض الحلويات ، واشكولاته ، والدعاوة للتمر دعاوة واسعة كان من جرائها قيام اغلب مقاهى النجف وبعض مقاهى مدن الفرات بتقديم الحليب والتمر الى الزبائن فى مقاهيهم وبيوتهم بدلا من الشاي والسكر ، وقد اسندنى الحاج محسن فى هذه الخطوة اسنادا يرجع اليه الفضل فى نجاح المشروع ، وكنا جمعا كان منهم السيد حسن زينى ، ومحمد رشاد عجينة ، والحاج على البهبهاني ، والسيد عبود شلاش ، وغيرهم ، وكل الغاية كانت غاية وطنية بحتة ، لان المال الذى وضع اساسا لهذا المشروع كان مالا قد وضع على سبيل التجربة ، ولقد استمنا يومذاك بالسيد عبدالرسول (الشكرجى) – وهو اليوم صاحب صيدلية النجف – بالنظر لخبرته فى صنع الحلويات ومعرفة بكيفية طبخها ، وبنينا لاجل ذلك معملا جهزناه بمختلف الادوات واللوازم لاستخراج زلال (الزهدى) واعداد التمر ليكون صالحا لصنع مختلف الحلويات ، كما شرعنا بوضع مقدمات لتوسيع هذه الشركة الوطنية واتخاذ فرع تجسريى للمنسوجات الوطنية ولاسيما نسج (الشامنج) والمناديل البلدية ، وخطت الشركة خطوات سريعة ، وارسلت كميات من التمر بمختلف انواعه الى خارج العراق للاستعانة برأى الخبراء الكيماويين فيما اذا كان من الممكن استخراج

مادة سكر نجامدة يستعاض بها عن السكر واستخراج سائل لا يتطرق الفساد اليه فكان الحاج محسن شلاش اول رجل فكر فى انتفاع العراق بتمره باقى حدود الانتفاع ، ولما كان الحاج محسن - كما قلت آنفا - لا ينظر الى الاشياء الا بمنظار واسع ومن جميع الجهات وبمختلف التصورات فقد راح يستعمل خبير شركتنا ، وهو السيد عبدالرسول (الشكرجى) فى تجارب كثيرة قبل وصول آراء الخبراء الكيماويين عن التمر من الخارج وما يمكن الافادة منه .

واذكر من تلك التجارب التى قام بها الحاج محسن فى معمل شركتنا التجريبي انه قام بحمس نواة التمر على النار ، حتى اذا صارت كحبة القهوة بعث بها الى بغداد للتحليل ، والاطمينان من صلاحها لو اراد استعمالها بدلا من القهوة ، وقد قام فعلا بدقها وغليها على النار كما يفعل بالقهوة ، ثم اجرى تجارب بان خلط مسحوق النواة - وكان يشبه القهوة لونا وطعما - بالقهوة بنسبة الربع والثلث والنصف واكثر حتى جعل منها مشروبا لذيذا بعض اللذة ، وقدمها الى الضيوف دون ان يخبرهم باصلها وفصلها فكانت تجربة النواة هذه لم تخل من بعض النجاح او كثير من النجاح لو كان قد مشى بها الى النهاية

وكرر استخدام الحاج محسن لوسائل الشركة فى اقامة عدد من التجارب ولم يكن احد منا بقادر على منعه من ذلك لانه كان قد اسهم بسهمين من اسهم الشركة المذكورة باسم ابنه عهود شلاش ، ولانه رجل له مقامه واحترامه فى نفوسنا ونحن لم نزل شبانا كاولاده تفترض فينا اطاعته والصدع باوامره ، ولكنه مضى فى تجاربه الخاصة بمعملنا واصح خيرنا السيد عبدالرسول الشكرجى يعمل له فى معملنا اكثر مما يعمل لشركتنا ، حتى استفدت تجاربه الخاصة اكثر رأس مالنا الذى كنا اعدناه لتجارب معينة ، لذلك اضطررت انا لتقديم استقالتي من الشركة بعد ان اوضحت فى كتاب الاستقالة هذه الاسباب ، ولم يطل بقاء الشركة بعد خروجي منها اذا ما لبثت ان انحلت .

اما الحاج محسن فقد ترك التمر ومتوجاته وتصنيعه وانصرف الى توسيع الحركة الصناعية الوطنية من طريق نسج (اليشامينغ) ، فكان اول من انزل الى

السوق هذه اليشامينج باسعار زهيدة رخيصة سدت يومها نقصا كبيرا ، وكان المنتظر ان تعقبها حركة مصانع ميكانيكية واسعة خصوصا وانها قد نجحت نجاحا باهرا ولكن الامر قد وقف ثم ما لبث ان تقلص .

لقد كانت للحاج محسن مواهب مختلفة الالوان وصفات تسترعى الانتباه في كثير من الميادين وقد ضاعت بسبب عدم اهتمامه بنفسه ، او عدم معرفته بما ينبغي عليه ان يعمل للافادة منها افادة كاملة ، او على الاقل ليصون بها نفسه من حاسديه والحاقدين عليه ، لذلك كثر اللفظ حوله ، واختلفت الاراء فيه ، وهو على الغالب اكبر السبب في هذا اللفظ وهذا الاختلاف لانه كان يجهل طريقة الاعلان عما يقوم به ، وقد زاد طرز حياته الخاصة وما كانت تكتنفها من اهمال لنفسه في المأكل والمشرب والملبس في الطين بلة ...

وكنت انا في طليعة اولئك الذين انتقدوا الحاج محسن شلاش ولربما نالوا منه بسبب احدى الحفلات التي اقيمت لمدرسة الغرى الاهلية في التجف لجمع التبرعات ، وذلك حين وجدت جميع التجار والمدعوين لم يتوانوا ولم يدخلوا بتبرعاتهم حتى لقد دفع شخص - لم يرض بذكر اسمه في قائمة التبرعات - مبلغا كبيرا كان يساوي كل تبرعات الحاضرين ، الا الحاج محسن شلاش الذي كان يجلس حينذاك في الصف الثاني كما يجلس المدعوون العاديون ، فانه لم ينبس ببنت شفة ، ولم يكتب شيئا في سجل المتبرعين ...!! فلم يكن حديث الناس يومها الا حديث هذا الرجل وهو الحاج محسن الذي كان يدعو الى مساعدة المدرسة ، بينما يحجم هو عن هذه المساعدة ...!! وكم كانت الدهشة عظيمة عندي وعند البعض حينما علمنا - ولكن بعد فوات الفرصة - ان صاحب التبرع الكبير الذي طلب ان يظل اسمه مجهولا لم يكن الا الحاج محسن شلاش نفسه ...!!

لقد دعاني مرة لتناول الغداء عنده ، وقال ان عندي طعاما قد اعد لي اعدادا خاصا ، واذا دخلت بيته وجدت اخاه الحاج رؤوف واولاده حول خوان حوى طعاما لا بأس به ، وقد جلس هو بعيدا عنهم ، فدعوني الى مشاركتهم ، فصاح بهم

الحاج محسن من مكانه قائلا :- انه مدعو عندي ... ولا حاجة له بطعامكم ، وحين جيء بطعامه الخاص الذى دعانى من اجله ، فلم يكن غير كبد مشوية ، وادغفة خبز ، ورازنجيتين او ثلاث رازنجات ... وكان هذا كل الذى اشتهى هو ان يمدوه له غداء فى ذلك اليوم ، وقد عافت نفسه الالوان الاخرى ، فاقبل على الكبد بكل شهية ... ولعل الذى يراه وهو يقبل على مثل هذه الاكلات ، ولا يرى طعام بيته لن يتركه دون ان يسلقه بالسنة حداد ، وان ناقيه من هذه الناحية كانوا كثيرين ، بينما كان يجهل جلهم ان الرجل قد يفضل فى كثير من الاحوال بعض المأكول الشعبية المختصرة وهو عند صديق ، او فى ناحية من النواحي ، اقول ربما كان يفضل ذلك على اشهى الاطعمة التى تطهى كل يوم فى بيته .

واننى اعرف ان بعض فلاحيه لايمرون مأكله اهتماما حين كان يخرج الى زيارة ارضه فى القرية ، فلا يعدون له اكثر من سمكة مشوية بينما كانوا يرتبكون كل الارتباك حين كان يمر بهم اخوه الحاج رؤوف أو أحد ابنائه !! ذلك لان للحاج محسن مزاجا خاصا ، وحرية خاصة فى الطعام ، ولا ازال اذكر انه طرق بابى ذات ليلة والساعة كانت حوالى الحادية عشرة ، وتمعجت من مروره بى فى مثل ذلك الوقت فقال :- لقد كنت فى زيارة الشيخ عبدالكريم الجزائرى - وهو على مسافة ثلاث دور من بيتنا - وعند خروجى من دار الجزائرى استلقت نظرى ضوء بيتك من النافذة وانا مار فى الطريق وحسبت ان لديك زوارا رأيت ان اتم (السهرة) معهم عندك ... ثم قال :-

- والان خبرنى هل تمشيت ؟...

قلت :- لقد كان ذلك منذ وقت بعيد ...

قال :- وماذا كان عشاؤك ؟

فخرجت من سوء المصادفة وقلت له :-

- انه كان (ماشيا) ولم يكن معه شيء من (مذهب الكلب) او مذهب الخنزير .
و مذهب الكلب اصطلاح نجفى كما يعرف الكثير ، وهو كناية عن الدبس

وقيل عن المين او البصل والله اعلم (١) ، •

ورحت اتعثر باذيالى من الخجل وجثته بما كان عندنا من بقية عشائنا فاقبل على (الماش) بشهية كبيرة واقى على مسمعى محاضرة طويلة عريضة عن الماش ، وفوائده ، وقال ان الماش نعمة ربانية انعم الله بها على الفقراء ، فلولا الماش لمات مدينة النجف التى قضت نحو الف سنة وهى لاتعرف الفواكه والخضر ، لئحالة الارض وفقر المدينة ، فجاء (الماش) يعوض جميع ما تتطلبه الاجسام من عناصر النمو المفقودة ، والتغذية الكاملة ، ومن يدريك - قال - ان لا يكون فى (الماش) شىء من المواد المنعشة التى تعود اليها هذه الاحلام اللذيذة التى يراها الانسان بعد اكلة الماش فى النوم •

وعلى رغم شدة خجلى مما قدمت للرجل فى تلك الليلة من بقية الماش غير المؤدم ، فقد كانت تغالبنى ضحكة طويلة عريضة لتلك انفسفة (الماشية) التى اسمضى اياها الحاج محسن شلاش ، وانا موقن بان عشائه الذى عافه نفسه تلك الليلة ، والذي ظل ينتظره فى بيته لم يكن يقل عن نونين او ثلاثة من الطعام ، بل لعله كان من انفس المآكل ولكن للحاج محسن خلق خاص ، وطبيعة حرة ، لايعرف قدرها الا الاحرار ، والاصيوف الحاج محسن ، والجالسون على مائدته ، ولقد جلست الى مائدة آل شلاش مئات امرات لاسيما فى المناسبات التى يكون فى ضيافتهم زوار من الاجانب ، او المعارف ، او المدعويين من أهل البلد والاصدقاء ، فوالله ما رأيت على مائدته شيئا يشير الى بخل وتقتير ، ولم اجد فى اغلب الاحيان غير اجود المآكل ، واطيب الاطعمة ، واوفر الزاد ••• ولكن مزاجه الخاص - كما قلت - قد جعل الناس يفهمونه على خلاف حقيقته ويروون عن تقتيره وبخله القصص والنوادر ، وصحيح ان الرجل لم يكن سخيا بالشكل المفهوم عن السخاء عند الناس ولكنه لم يكن مقترا وبخيلا بالشكل الذى كان يقوله الكثير من الناس • لقد اسهم فى الثورة العراقية اسهاما فعلا وانفق من كيسه كثيرا من المال ، وهو الذى دفع المبلغ المئين ثمنا لابرة المدفع التى سرقت من معسكر

(١) فى غير هذا المكان من الكتاب ذكر آخر للماش ومذهب الكلب •

الهنيدى (معسكر الرشيد) اليوم وجىء بها الى الكوفة لاستعمالها فى المدفع الذى غنمه الثوار من الانكليز فى معركة (الرارنجية) والذى تم تدمير السفينة النهرية الحربية (فاير فلاى) الراسية أمام مدينة الكوفة بواسطته . ثم لحقه كثير من الاذى بعد ذلك اذ اقتحم جنود الاحتلال الانكليزى داره وسرقت بسبب دخول الجنود الى بيته نقود وحلى كثيرة ، ثم سجن ، وحوكم من قبل مجلس عسكري انكليزى صارم .

والحاج محسن من المساهمين فى المشاريع المتسوعة ، وقد مد الكثير من المشاريع بالمال والمساعدة وهو اول من حمل (الحاج رئيس) على حفر جدول يمتد من الفرات الى النجف مخترقا مساحة شاسعة من ظهر الهضبة من طريق كربلاء ، وقد حضر الملك فيصل الاول تدشين هذا الجدول وانفق عليه ٣٠٠ الف ربية ثم مات (الحاج رئيس) قبل ان يتم المشروع فاخفق المشروع ووقف فى عرض الطريق ، ووجهت للحاج محسن انتقادات كثيرة وعزى اليه اخفاق هذا المشروع .

ولقد أبى اباؤه شديدا عن قبول الوزارة حين دعى اليها لأول مرة ، ثم تكررت عليه الدعوة فأبى . . . ، وما زالوا به حتى قبل الوزارة ، ولقد حدثنى مرة عن استيزاره فقال :- لم اكن افهم معنى ما روى عن شخص كان قد عرض عليه منصب القضاء فى العصر العباسى فرفض قبوله وحين سئل الرجل عن سبب رفضه المنصب قال :- انما رفضته لانى كنت اخشى ذل العزل . . . لقد قال لى الحاج محسن - ولم اكن افهم هذا المعنى - معنى ذل العزل - الا عندما قدمت وزارتها استقالتها ، فاذا بى وبعد ذلك الابهاء الشديدا الذى بدا منى حين عرض على الدخول فى الوزارة ، والذى حمل الملك فيصل على ان يصير على مساهمتى فى الوزارة . . . ، اذا بى استحيل الى شخص غريب ، كل همه ان يتمسك بالكرسى ، كتمسكه بدينه وكرامته واكثر . . . !! وقال وهنالك فقط علمت معنى الخشية من (ذل العزل) الذى كان يتوقاه الرجل المذكور عندما عرض عليه منصب القضاء فى العصر العباسى وهناك فقط رحت امعن فى بلاغة تلك الرواية ومدى واقعتها .

وراح الحاج محسن بعد ذلك يتقلب فى الوزارات ، وانا من الذين يعتقدون انه عمل للناس وهو خارج الوزارة اكر مما عمل لهم وهو فى الوزارة ، ولست ادرى أهو لانه كان مقيدا محدود المجال ، ام لانه انشغل بمراسيم الوزارة وشؤونها فانصرف عن العمل الكثير فلم يستطع ان يفيد الفائدة المرجوة من امثاله .

ولقد خاض وهو وزير للمالية كثيرا من البحوث المالية ، وناقش وهو نائب فى المجلس النيابى ثم وهو عين فى مجلس الاعيان الكثير من القضايا الاقتصادية وكان له فيها رأى ذو قيمة ، ولقد رأيت الكثير من الدائنين على العمل ، والمولعين بمتابعة الاشغال بانفسهم ، ولكنى لم ار كانحاج محسن رجلا جادا فى اعماله ، لا يهاب بردا ، ولا يخشى حرا ، ولا يعوقه مطر ، ولا تصرفه عاصفة عن تصميمه ، ومتابعة العمل الى ان ينجزه ، ولا أقول الى ان ينجزه على وجه الاكمل لانى كثيرا ما كنت اختلف واياه فى بعض الاعمال ، وكنت اعلمه برأى وموضع اختلافى معه فيرمى بالاستبداد ، على ان ابتكاراته كثيرا ما اثارى اعجابى به .

وانى لاذكر ذات مرة وانا اجتاز شارع السراى فى النجف ، وهو واقف يراقب البنائين فى اقامة اسوار ملك له يقف فى جوار خان المخضرات اليوم ، وهو ملك كان قد انتزعه من هضبة او تل على الاصح كان يمتد على طول الطريق العام ، وكان قد اقام فى وجهه هذا التل عددا من الاساطين والاسس وتركها اعمدة قائمة منذ العهد العثمانى ، فما لبثت هذه الاساطين والاسس والاعمدة القائمة ان مالت على مرور الزمن ، فاذا بها تموج وتميل على غرار برج (بيزا) بل واشد من ذلك ميلا وبقيت على هذا النحو ثلاثين سنة او اكثر .

اقول - انى لاذكر وانا مار من هناك انه رآنى ، فنادانى من بعيد ، وحين اقبلت عليه قال :-

- هل سبق لك ان رأيت هذا العدد من الاعمدة المائلة من قبل ؟

قلت :- نعم لطالما كنت اراها وانا مار

قال :- أتريها الان ؟ انها قد استقامت واعتدلت فكأنها لم تملم ولم تموج

يوما ما ...

فظنرت فاذا بها كما قال وليس اثر للميل فيها مع انه لم يهدمها ، ولم يقمها
من جديد ...!!

قال :- أستطيع ان تحزر كيف اعتدلت هذه الاعمدة ؟

وحين اخفقت ، قال :- لقد اقمتمها بالآلة التي يرفع بها مسواق السيارات
سياراتهم الى الاعلى حين يرينون انتزاع احدى عجلاتها ... لقد اقمتمها (بالجك)
وانا ادفمها بالتدريج ، واسوى البناء من تحتها حتى اعتدلت واستقامت ...!!

وكان الحاج محسن مومنا ، شديد الايمان بمقدساته ، وكان من ايمانه
انصرافه الى تعمير كبير من الاضرحة المقدسة بقصد التوبة ، وقد انفق على ضريح
مسلم ابن عقيل ، وضريح المختار ، وبعض الجهات الاخرى مبالغ طائلة ، ومن
ايمانه هذا كان التزامه بالاستخارة عن طريق (السبحة) التزاما شديدا ، فاذا ظفر
بمن يعرف اصول الاستخارة ، راح يطره بطلباته التي لاتقطع بان يستخير ويظل
يستخير له الى ما شاء الله ... وسألته مرة عما اذا كان يرى لكل أمر عدة وجوه
فيستخير الله عن الاخذ باى وجه منها ؟ ام انه يستخير لامور مختلفة تعرض له ؟
فقال لى بل انه يستخير لامور مختلفة لايمت بعضها الى بعض بصلة فهو يختزنها فى
ذهنه حتى تحين الفرصة ويجد من يحسن الاستخارة بالسبحة فيمطره بوابل من
طلباته ، وقال انه يجد فى هذه (الاستخارة) اطمينا بناجاح الفكرة التي تخالجه ،
وحين رآنى اوافق على ان للاستخارة اهمية من ناحية اخرى غير ناحية الايمان
المتغلبة عليه وهى السيطرة على التردد وحمل الاخذ بها من الموصوفين بالتردد على
الاقدام والاستمرار فى العمل الذى كان قبل الاستخارة يقدم المتردد فيه رجلا ويؤخر
اخرى ، انه حين سمع بتعليلى هذا وان لم يعجبه من عدم ايمانى بالاستخارة حمد لى
هذا الرأى وقال انه رأى له قيمته الفلسفية ، وطلب منى ان ادلى برأى هذا لمن
يحتاجه فى تمسكه الشديد بالاستخارة ، فقلت له ولكنك رجل قسوى الارادة ،
ورأى هذا انما يفيد ضعاف الارادة الذين اعتادوا التردد فى امورهم ، اما امثالك
فلا احسب ان الاستخارة ذات جدوى لهم ...

كان على رغم انصرافه الى الجد انصرافا يستنفد كل قواه الذهنية ، والفكرية ، وكل ما اوتى من نشاط ، وحيوية في الحركة والانتقال ، لقد كان على رغم ذلك رجلا ظريفا لا يدع الفرصة تقوت دون ان يتنزهها في انماش نفسه بالنكات ، والدعابة ، وطالما اجتمع بكثير ممن عرفوا بهذا الطرف في مقهى الحاج باقر ، ومنهم الحاج عبدالظاهر ، وطالما اتاروها عجاجة من الضحك والدعابة الصارخة ، وكثيرا ما يلجؤون الى نوع من النظم الدارج الشعبي المبدوء بحرف النداء (ايا) فيجىء مهاؤم الفكهى على هذا النحو .

« أيا مداس خضره أيا جنتك قدره »

ويكثر حينذاك النظم على هذا الاسلوب ، وعلى ما تمدهم به القريحة من هذا القبيل فيموج المجلس بالضحك ، ويدع الحاج عبدالظاهر ، ويتعثر حين يندفع بعجلة لهاجم الحاج عبدالرزاق شمس ، او الحاج عبادى الحسين ، او الحاج عبدالمحسن شلاش ، والحاج مرزوق العواد ، وطائفة كبيرة امثال الحاج عيسى الخلف وغيره ، ولربما ادى الطرف بهم الى مخادعة الحاج عبدالظاهر لايقاعه في داهية بقصد اثارة الضحك ، وكان الحاج عبد متسرعا وكثير العثرات ومن ذلك عشر مرة وهو يهاجم احد اترابه بمثل هذا البحر والروى فقد بدأ وهو يهزج قائلا :-

- أيا انت مداسى .

ولم يشعر الا وقد عثر به اللسان لتسرعه فاذا بالمصرع الثانى يجىء على هذه الصورة .

- أيا رالك براسى . . .

فميج الجالسون بالضحك والتصفيق ، ولليوم والبعض من النجفين يحذرون المتعثرين والمتسرعين فى الكلام قائلين :-

- حذار من عشرة الحاج عبدالظاهر .

وعلى ذكر الحاج عبدالظاهر اذكر ان الحاج محسن شلاش قد نصب له ذات يوم (مقلبا) فقد اتفق مع حكومة القضاء فى احد ايام العيد بان تبعث شرطة

التجف على الحاج عبدالظاهر وتخبره بان الامر قد صدر بان يرسل الحاج عبد
مخفورا الى بغداد وان الشرطة سترسله مع حارس منها بدون ان تضع قيودا في يديه
احتراما له ولاسرتة الكريمة ...

وهكذا فعلت الشرطة وارسلت بالحاج عبدالظاهر الى بغداد ، وتوات بمسد
تسفيره اخبار اهله في التجف بان الامر ليس اكثر من مقلب دبّره الحاج محسن
شلاش لمجرد التفككة لكي يطمئن اهله .

وفي بغداد كان الحاج محسن شلاش والحاج عبادي الحسين وبعض الرفاق
ينتظرون وصول الحاج عبدالظاهر في احدى غرف محطة بغداد التي افرغوها لهم .
وهناك وبدون ان تتصل اصواتهم بخارج العرقة استقبلوا الحاج عبد باهزوجة:
(أيا) وبشيء كثير من قشور الرقي ، وعرف هنا الحاج عبد بالقلب ولا تسلم عن
هياجه وثورته ، وقد سمعت انا الحكاية من الحاج عبد نفسه وقال لي :- لو لم اشفق
على الحاج محسن - وكان يومها وزيرا للمالية - لمزقت له الكشيدة ، ولاخرجته
من المحطة حاسر الرأس لذلك اكتفيت بشيء خفيف من اللطائف .

قلت له - وما كان هذا الشيء الخفيف ؟

قال - (انت تدري ، اكو شي غير الدمغات) ؟

وكان هذا لونا من الوان فكاهات طبقة خاصة من التجار ومن اللذين اوردت

اسماهم هنا .

* * *

وفي احدى زياراته لدار الهاتف كنت مشغولا بأمر مستعجل فناديت فراش
المكسب (حسن) قائلا :-

- أعد يا حسن للحاج محسن القهوة ...

ثم انهمكت في عملي ، وقد شجمني على ذلك خلق الحاج محسن شلاش
نفسه ونفور طبعه من القيود والرسميات بحيث يحمل مجالسه على اخذ نصيبه

من حريته ، والاتجاه الى عمله غير عابىء بوجوده ، لذلك لم التفت اذا كان الفراش حسن قد سمعنى حين ناديتى ؟ وانه قد جاء بالقهوة الى الحاج محسن شلاش ؟
وبعد مضى عدة ايام قام الحاج محسن بزيارة اخرى لمكتب (الهاتف) فناديت الفراش حسنا ان يعد له القهوة حسب العادة ؟ فاذا بالحاج محسن يعترضنى قائلا - اذا كنت صادقا فى طلبك ، فغير اسم الفراش حسن باسم فراشك الحقيقى ، لاننى اشك فى ان يكون اسم فراشك هذا (حسنا) .

قلت - ولكن اسمه (حسن) فعلا . . .

قال - لقد رأيتك تناديه قبل ايام ، وانا فى زيارتك بان يحضر لى قهوة فلم يحضرها حتى خرجت من مكتبك وانت مشغول دون ان اشرب القهوة ، فلم لايحتمل ان يكون بينكما شبه تواطؤ بان لا يأتى الفراش بالقهوة اذا ما ناديتى (حسنا) !! وان يأتى بها اذا ما ناديتى باسمه الحقيقى . . . ؟

وهنا قص على وهو يضحك القصة التالية :-

قال :- كان لرجل حديقة غناء فى ضواحي المدينة وقد حوت الوانا وانواعا من الورد والفواكه ، وكان اصداؤه يزاحمونهم فيأتون به الى حديقته ليطعمهم منها ، وليهاديهم باقات من ورودها ، فيمثل الرجل امرهم ، ويخرج بهم خارج المدينة ، حتى اذا اقبلوا على الحديقة ، طرق الرجل الباب ، ونادى باعلى صوته :- أن افتح الباب يا (حسن) ويظل يطرق الباب وينادى حتى يكل الاصدقاء ويأسوا ويوقنوا ان (حسنا) هذا قد ذهب لشأن من الشؤون ، وانه غير موجود فى الحديقة ، وحين يطمئن صاحب الحديقة من انصرافهم يطرق الباب صائحا :-

- افتح الباب يا فهد .

يفتحها له . . .

قال الحاج محسن كان ذلك لان الاتفاق كان قد جرى بينه وبين فلاحه ان لايفتح الفلاح الباب حين يناديه (يا حسن) ويفتحة حين يناديه باسمه الحقيقى وهو فهد .

وقال الحاج محسن ... واذ كنت حقا تريد ان تسقيني فجان قهوة فساد
الفراش باسمه الحقيقي لاننى ايقنت ان اسمه ليس (حسنا) ..

وتواضعه وعدم اهتمامه بنفسه امثلة تثير الضحك وتروى عنها القصص ، ومن
ذلك انه ركب القطار يوما من بغداد وكان يومها وزيراً للمالية فصادف ان يجيء
ركوبه فى احدى العربات التى كان قد استقلها موظف يدعى (ممدوح افندى) وهو
يعمل امينا لصندوق لواء الديوانية ، ولم يكن (ممدوح) هذا يعرف ان الذى يشاركه
العربة انما هو الحاج عبدالمحسن شلاش وزير المالية ، وهى الوزارة التى يتسببها
السيد ممدوح ، او ممدوح افندى كما كان يسمى يومذاك ، وكلما عرف هو ان
رجلا ممما بمة من هذه العمائم التى يتخذها تجارا ذلك العصر رمزا للتجارة
والحرف ، وان مجالسه فى المقصورة هذه رجل لا يلائم ذوقه ، فقد كان ممدوح افندى
قد شغل مكتب العربة بقينة من الحمر ، واقداح واوانى من (المزة) والنقل ، ولا يبعد ان
سيكون هذا سبب نفور وابتعاد بينه وبين هذا التاجر الذى صار جليسة فى هذه
العربة ... مما قد يتفحص لممدوح افندى عيشه فى هذا الطريق ... كما توسم
ذلك .

وعرض ممدوح افندى على الحاج محسن حسب قواعد المحيط مشاركته
فيما يشرب ويأكل وهو اشد ما يكون غيظا وحنقا على هذه الظروف والمصادفات
التي جمعت بينه وبين تاجر محافظ كهذا ... قائلا بشيء من الحنق :-
- تفضل چلبى اشرب ...

فقال الحاج محسن : سألبي طلبك فى تناول النقل و (المزة) ، اما الخمرة فلن
اشربها ، ولكن ذلك لا يمنك انت من ان تأخذ حصتك منها كاملة ، ثم اقبل الحاج
محسن على تلك المستحضرات يأكل من هذه وهذه كما يلذه ويشتهيه !! فراد
ذلك من حنق ممدوح افندى خصوصا وقد تناول الحاج محسن القسم الاكبر من
الدجاجة التى كانت توسط المائدة ...

وحين مشى السكر بممدوح قليلا وجه خطابه الى الحاج محسن وبنفمة من

القضاء ، وبشيء من الزرابة والتهكم قال بلفته الدارجة :-

- امين جاي الجلبى ؟

قال الحاج محسن :- لقد جئت من بغداد •

وعلى نفس النعمة والزرابة تابع ممدوح افندى اغنيته قائلا :-

- ويروح وين الجلبى ؟

- قال اننى اقصد مدينة كربلا ...

فاستمر ممدوح وهو يأتى بحركات استفهامية مضحكة يشرك فيها يديه وسحنة

وجهه ويحيل كل وجوده الى استفهام مزر تحت تأثير الخمرة والحنق قائلا :-

- مشروب تشرب جلبى ؟ ...

قال - ليحفظك الله اننى لم اشرب الخمر كما قلت لك من قبل •

قال ممدوح - شوية شوية جلبى ...

قال - ارجو المذرة لاننى لم اعتد شرب الخمر •

وتستمر اسئلة ممدوح افندى ومضايقاته وتهكماته على هذا النسق طويلا ،

وفى هذه الاثناء يقف القطار عند احدى المحطات فيجيبىء خادم الحاج محسن

شلاش وكان يستقل الدرجة الثالثة من القطار ، يجيبىء الى عربة سيده ويسأله

عما اذا كان له شغل او أمر فيجيبه الحاج محسن بالنفى ، ويستقل ممدوح افندى

مرور الخادم ويعود الى تهكماته سائلا ؟

- خدام عندك جلبى ؟

قال - ذلك من نعم الله وافضاله ...

وعلى رغم سعة صدر الحاج محسن وحلمه فقد برم بمضايقه ممدوح افندى

وسئم من هذه التهكمات والزرابة فاراد ان يستوضح عن هوية هذا الرجل فتوجه

اليه سائلا :-

- وما اسم جنابك ؟

- فاعتدل ممدوح افندى وبشيء من الفخر والاعتزاز وبنفس النعمة اجاب :-

- ممدوح افندى جلبى •

قال الحاج محسن - وما هو عملك ؟ ووظيفتك ؟

قال - صندوق امينى جلبى •

فسكت الحاج محسن وعلم ان الرجل من الموظفين التابعين لوزارته التى يرأسها ، ولكن ممدوح افندى راح هو الآخر يسأل على اساس مقابلة التصريف بالمثل قائلا :-

- وشسم جنابك جلبى ؟

قال - انا عبدالمحسن شلاش

ولم يكده يلفظ اخر حرف من حروف (شلاش) حتى ترامى ممدوح افندى على قدمى الحاج محسن وهو يقول وبنفس النغمة السابقة ورويها •

- داخل على الله جلبى مروتك اغاتى جلبى وين آنه اولى جلبى ..

سامحنى بالله جلبى

* * *

كان عمر الحاج محسن حين توفى ٦٨ سنة وانى على يقين انه كان يستطيع ان يعيش مالا يقل عن عشرين سنة اخرى لو كان قد اتزم بما يريد الطب ان يلتزم به ، ولكن النفس المجبولة على هذا النسق من الحياة والتي لاتعرف غير العمل ديدنا ، لاتخضع لناموس اسمه الطب ، او غير الطب ، فكان على رغم انحراف صحته فى السنوات الاخيرة دؤوبا على العمل ، وكان مثلا اخر للذين يقفون نفوسهم لمختلف المنافع ، فلقد كان مريضا ، وفى حالة غير مرضية ولكنه لم يتوان عن القيام بنفسه بدرس مشروع آبار التجف ، وكان يحذر التجفين من مغبة المياه المتغلغلة فى أسس المباني ، ويصدر فى ذلك الكراسات وهو لاينسى ان يتفقد اصدقاءه ومعارفه ، ويتبسط معهم بكل انواع التبسط فى كل فرصة وان لم تساعده حاله الصحية •

وقبل يوم واحد من وفاته منعه الطبيب من الحركة حين احس بضعف طارىء يتاب قلبه ، ولكنه ابى الا ان يزور مسجد (السهلة) فى عصر ذلك اليوم فيقطع

عشرة اميال بسيارة ولده (محمد) وحين مر في طريقه على (دار الهاتف) رغب ان ينزل ليزورني ، ولكن ابنه استمهله ليري ما اذا كنت انا موجودا بدار الهاتف في تلك الساعة ام لا ؟

وكان من سوء حظي انني حرمت من رؤيته الاخيرة ، وكان آخر عهدى برؤيته قبل وفاته بسبوع او اكثر ولقد كان له بالهاتف صلة لن تنسى فقد اقرض (الهاتف) في اول تاسيسه قرضه مالية ابي ان يأخذ صكها الا بعد جهد كبير مني ، وحين حان موعد دفع المبلغ قال - انه كان يجب ان لا يسترد هذه القرضة لولا علمه بمزاج الهاتف وترفمه •

مات الحاج محسن شلاش ، وانقطعت كل علاقاته بالمجتمع ، ومع ذلك فان علاقاته الروحية ، وذكرياته المفعمة بالخير والنبل وال عاطفة لم تنقطع ، وسيظل كثير من عارفه يذكرونه ما عاشوا اما (الهاتف) الذي يحوى كثيرا من مقالاته واخباره فسيظل الحاج محسن منه ملء العين ، وملء القلب ، ولقد ودعته عند مشواه بدمعة كان كل معناها : انني لن انساه - •



السيد سعد صالح

السيد سعد صالح^(١)

لم يمر على هروب اخي الكبير عباس الخليلي المحكوم عليه بالاعدام من قبل المحكمة العسكرية البريطانية في الكوفة عقيب فشل الثورة النجفية سنة ١٣٣٦هـ والتي وضعت خطتها لتكون ثورة عراقية عامة فاختفت ، اقول لم تمر شهور حتى اتقيت (سعد صالح) لأول مرة في صحبة احمد الصافي الشاعر وانا جالس عند صديق لي في النجف كان يومها يشتغل ببيع السجاير ، وهو الشيخ مهدي زرندى الذي ترك بعد ذلك بيع السجاير وصار من الفقهاء والوعاظ ، وكنت اعرف (انصافي) معرفة جيدة من قبل ، لكثرة ما كنت اراه مع اخي ، اما السيد سعد فاني لم اكن رأيت بل لم اسمع باسمه من قبل .

ووقف الصافي جريا على العادة يسأل بالتلميح والاشارة عما اذا كنا قد عرفنا شيئا عن مقر اخي عباس ومصيره ؟ فقد كان الخوف يومذاك من السلطات البريطانية يعقد الالسن حتى ليحذر المتكلم ان يصرح بالاسماء ، والافعال ، وحتى كان الكثير من الناس يتفاهمون بالكنايات ، والرموز ، وحاول سعد ان يستوضح معنى هذه الكنايات من الصافي ولكن الصافي او ما له بمواصلة السير ، وليس من شك ان الصافي قد افهمه في الطريق عنمن كان يسأل مني ، كما لاشك انه عرفه بي بعد مغادرتهما لي ، ذلك لان سعدا لم يرني بعد ذلك في السوق ، أو الصحن او الشارع ، الا وكان يسألني عن اخي ، واخباره ، ومن هنا عرفت انه السيد سعد جريو كما كان يسمى يومها منسوبا الى اسرته وهي اسرة من اسر النجف المعروفة ، كما عرفت ان السيد سعد هو الاخر من اصدقاء اخي وانه قد دخل في زمرة طلاب

(١) الهاتف - السنة الرابعة عشرة - ٢٥ شباط العدد ٥٢٢ .

العلم لدرس العلوم العربية وهو بعد ذلك من الاحرار الوطنيين الذين كانوا يعملون على قدر طاقتهم للتخلص من الاحتلال الانكليزي .

وكان السيد سعد يلبس يومها اللباس البلدى المتعارف من قباء ، وعباءة ، ويشماغ ، وعقال ، وهو اللباس الذى اعتاد ان يلبسه الكثير من النجفيين حتى ابناء العلماء ، والتجار ماداموا صبيانا وشباناً .

وحين بدأت ادرس انا الاخر العلوم العربية ، كان يلزمنى درسى المرور بمدرسة (الاخوند) الكبرى فى النجف كل يوم صباحا ، فكنت ارى سعدا من بعيد ، ومن قريب ، فقد كان سعد يومذاك من مرتادى مدرسة الاخوند ، وكان للسيد سعيد كمال الدين هناك غرفة او غرفتان على ما اذكر ، كاتنا مجمع الاحرار من الشباب ، وكان السيد محمد على كمال الدين من انشط المدرسين فى تدريس (المقدمات) والعلوم العربية ، فكانت تجتمع عنده طبقات كثيرة لتدرس ولتقرض الشعر ، ولتساجل ولتتذاكر فى الشؤون الوطنية ، وبث الافكار السياسية ، وانا وان لم اكن ضمن المترددين على هاتين الغرفتين ، لانى كنت من طبقة اصغر ، ومن المتأخرين مرتبة فى المدرس عنهم ، ولكنى كنت ارى الداخلين والخارجين من غرفة السيد سعيد كمال الدين فى هذه المدرسة كل يوم ، وكان (سعد) من اكثر الداخلين والخارجين والمتصلين بهذا الوكر الادبى السياسى او (مقل الاحرار) كما كانوا يسمونه فيما بينهم ، ثم زادت معرفتى (سعد) بسبب مداعباته لاساذى الشيخ على الدشتى الذى لايتفق ان يمر عليه سعد - وكان الدشتى يجلس للتدريس فى المر العام - الا ويستفزه سعد بكلمة من المزاح يجيب عليها الدشتى حيناً بمثلها ويعبى فى اكثر الاحيان عن الاجابة فيكتفى بضحكة من ضحكاته الخاصة التى لم يسمع لها صوت

ونشبت الثورة العراقية ، وبدا بعض النشاط على هذه الطبقة من الشبان ، فى الذهاب الى جبهات القتال ، والاياب منها ، ونقل المكاتب من جهة الى جهة ، واصدار جريدة (الاستقلال) و (الفرات) فيتردد اسم سعد خفيفا الى جانب اسم السيد محمد على كمال الدين الذى عمل مع السيد محمد عبدالحسين فى جريدة

(الاستقلال) ، وهى جريدة النوار التى كانت تطبع بمطبعة الشيخ صادق الكسبي ،
ولست ادرى ان كان (سعد) قد حرر فيها شيئا ، ولكنى كنت ارى انه يكاد لا يتخلى
عن ملازمة السيد محمد على كمال الدين فى الجريدة ، كما كان يلزم قبالا السيد
سيد كمال الدين . وقد قرأ عليهما الدروس العربية وآدابها .

وحين انتكس النوار فى جبهة الفرات الايمن لاذ جمع كبير من الشباب
الاحرار بالفرار ، وقد سمعت بطائفة من اسماء القارين حينذاك ، وكان اسم السيد
سعد من بين اولئك ، ولست فى صدد وضع تاريخ لسعد ، او لتلك الحركة لسكى
اتباع كيفية فراره ، واتجاهه ، وانما اريد هنا - شأنى فيما عرضت من هذه البحوث
قبلا - ان اسجل ما احتفظت به ذاكرتى ، وما كانت له علاقة بذكرى بانى الخاصة . . .
ولم ادر الا وسعد طالب بدار المعلمين ، وقرأ احدى الجرائد ولعلها جريدة
(الاستقلال) البغدادية لعبدالغفور البدرى فقرأ له مقاطع من الشعر ، ويزور النجف
بهشة جديدة ، وبعمرة خضراء ، فارى منه اشياء اخرى غير التى رأيت ، وسمعت من
قبل ، فقد كان (الصحن) فى النجف يومذاك ناديا يضم مختلف الطبقات من
اساتذة العلم ، والادب ، والطلاب الوطنيين ، والاعراب ، فلا يكاد يدخل احد الغرباء
الصحن ، حتى توجه اليه الابصار ، من كل حلقة وكل جانب ، وتبدأ الاستفهامات ،
والاجوبة ، والتعليقات تتراقص على الشفاه ، وعلى الحواجب ، ترى من هذا ؟ . . .
واحيانا يرمز للغريب (بالطير) فيقال - شنهو من الطيور هذا الطير ؟ ومذا كم
هو هنا ؟ وما هى صفته وهويته ؟ والى آخر مناحى الفضول الذى عرفت به النجف
اكثر من غيرها .

وفى الصحن الذى هذا بعض مزاياه عرفت ان (سعدا) قد انتهى دراسته بدار
المعلمين ، وانه يشتغل مديرا لمدرسة الايتام ببغداد ، ثم معلما فى المدرسة الجعفرية
ببغداد ، وموظفا بالمالية ، وانه تلميذ فى كلية الحقوق ، وان له صديقا حميما هو
السيد صالح جبر ، وانهما يعيشان فى فندق عند مبدأ الجسر القديم من الرصافة (وقد جل
صدر الجسر اليوم فى محله) وصار انفندق اثرا بعد عين وقد كان قدفا متواضعا ، يسكنه

الثغراء ، وتقوم فيه مكاتب بعض المحامين ، وكان منهم السيد داود السعدى ولعل
 مكتب جريدة (دجلة) وهى جريدة السعدى ، ومكتب جريدة (الرافدان) لسامى
 خنده كان فى نفس هذا الفندق على ما اذكر ، اجل لم اكن اعرف سعدا الى حين
 ذلك التأريخ الا معرفة محدودة ، لانه على ما اشرت اليه ، والتي ظلت طويلا لانه
 على السؤال عن احوال اخي منى ان التقانى فى الطريق ، أو السوق ، وحين جاء
 النجف ليشغل محاميا بعد استقالته من وظيفته الادارية (وقد كان وكيلًا لقائم مقام)
 صرت انا احد الذين يترددون على بيته ، فقد فتح بيته للناس ، وجعل منه ديوانا ،
 وبدأت ترتاده مختلف الطبقات ، وكان هو اول محام نجفى تخرج من الحقوق ،
 وزاول المحاماة ، فاقبل عليه الناس يمهدون اليه بمهماتهم ، وامورهم ، وليس شئ
 كالمحاماة تعطى الفكرة الصحيحة عن شخص ان كان حسنا ، ام سيئا ، مستقيما ام
 غير مستقيم ، كبير النفس ، ام صغيرها ؟ . . . وقد عرف الناس فى سعد شخصية
 ممتازة من حيث رعايتها للحقوق ، والتزامها بواجب المحامى الذاب عن حقوق
 موكله ، بكل معنى الذب ، وبدأت تحوط اسمه هالة من الاجلال والاحترام ،
 وكانت النجف قد شرعت تدب فيها الاختلافات ، فسعى الى ازالتها ، ووفق بين
 النزعات المختلفة ، فاذا به بين ليلة وضحاها يصبح شخصية لها شئ من الواجهة
 نم بدأ يزيد نفوذه على مرور الايام ، ويكبر فى العيون يوما بعد اخر ، وفسح له
 فى المجال ليمثل عضوا فى هيئة مدرسة الثغراء ، ومدرسة الثغراء اول ما اسست فقد اسست
 لغرض سياسى اكثر منها لاغراض علمية ، وكان الملك فيصل الاول يعتمد اعضاءها للممثل
 فى الحقل الوطنى ، ومن طريق هذه المدرسة صار لسعد شأن آخر فوق الشأن
 الذى اكسبه اياه المحاماة ، وصار لاخذ رأيه من لدن رجال اللواء ، والقضاء ، قيمة
 فى المهمات والظواهرى ، وزاد ترددى على بيته وبدأت اعرفه عن كتب معرفة قد
 تكون جيدة واكيدة ، ولعل اول من عرف فيه بعض المزايا التى عرفتها دون ان يكون
 لاحد فضل دلالتى عليها ، لقد عرفته صادقا ، وهو يقدر الصدق ويفضله على جميع
 الصفات ، وعرفته جريئا ، وهو يعطى الجرأة كل ما ينبغى ان تعطى لتكون جرأة

محمودة ، وكان سعد يبدو خشنا ، وهو كذلك حيناً لمن يعرفه وكذلك دائماً لمن لم يسبق له التعرف به عن كتب ، وهناك كثير من الناس تم وجوههم عن خسونة ، وكبرياء ، وغرور ، حتى انا اتصل بهم انتصلون عن كتب تغير رأيهم فيهم ، وعلى ان في سعد شيئاً من الخسونة الحقيقية ولكنه مع ذلك طريف ، وظريف بكل معنى الطرافة والظرافة ، حتى لقد يمجز ان يباريه الكثير من الظرفاء في سوق النكتة ، والدعابة ، والمزاح .

جلس مرة يلعب الورق في احدى الليالي وهو متصرف في لواء الكوت وكان شريكه في لعبه السيد (نافع) وهو أحد موظفي لواء الكوت يقابلهما شريكان على اساس المباراة ، فخسر سعد ونافع في الجولة الاولى من اللعب ، ثم خسرا في الجولة الثانية ، والثالثة ، وقبل ان يتما الجولة الرابعة قال سعد :-

لقد حضرني بيتان في شريكى السيد نافع وقبل ان يسأل رأى السيد نافع ويستأذنه قرأ البيتين التاليين مخاطباً شريكه السيد نافع :-

أجهدت نفسك لاعبا لكن لعبك كان ضائع
والضرر طبعك دائماً كذب الذى سماك (نافع)

* * *

وخاض سعد معركة انتخابات البلدية في النجف ، وخاض معركة انتخابات المجلس النيابي لأول مرة ، فبرزت شخصيته لكل عين ، ولأول مرة توسم فيه يبدو النظر صورة الزعيم المنتظر ، وتنبؤوا له بالمستقبل الباهر ، وقد آزره الشباب والشيوخ على حد سواء ، ولم ينفرد عنه في تلك المعركة الا بعض خصومه .

وكتت يومئذ اصدر جريدة (الفجر الصادق) في النجف ، فدعوت الى تأييد رأيه في انتخاب رئاسة بلدية النجف ضد الحاج عبدالرزاق شمسة مرشح الحكومة حينئذ ، وأصدرت من الجريدة ملحقاً بتأييد السيد سعد الذى كان يؤلف رأى الاكثية من النجفيين في ترشيح رئيس اخر للبلدية غير الحاج عبدالرزاق ، فشكر السيد سعد موقفي منه واعتبر ذلك من قبيل التضحية ، والسبب هو ان مبالغ كثيرة كانت

قد بذلت يومذاك من قبل الحكومة لمن يقف الى جانبهم كما قد اشيع بان محاولات كثيرة قد بذلت لايقاف جريدة (الفجر الصادق) على الحياد على الاقل اذا صعب استمالتها الى جانبهم فاختفت تلك المساعي مع (الفجر الصادق) .

وكان السيد جعفر حمندى حينذاك حاكما فى النجف ، وقد قام المحامى على محمود الشيخ بتقديم شكوى ضد السيد جعفر حمندى لدى وزارة العدلية متهما السيد جعفر باهاتته له عند مراجعته المحكمة بخصوص موكلين له فى الكوفة ، وقال فى شكواه ان الحاكم اى السيد جعفر رمى اوراق دعوة موكليه بكل حق وغضب وتحقير فى وجهه اى فى وجه على محمود الشيخ ، وتقدم ستة شهود من أهل الكوفة يشهدون ضد الحاكم على وقوع هذه الالهانة بحضورهم ، وكان اغلب الشهود من بعض الفلاحين الذين تعموا (بالكشايدي) واحتذوا (بالقادر) ليظهروا بمظهر التجار المحترمين وارسلوا الى وزير العدلية باعتبارهم من وجوه البلد و (جليتها) على ما قيل يومذاك ، وقد تناولت جريدة (الفجر الصادق) هذا الخبر بتعليق ساخر لاذع وسردت الحادثة على ما كان قد اتصل بها من اخبارها وعنونت كلمتها ونقشها بالكلمة التالية - (شوية عقل يا أهل الكوفة) ، وكان من جراء ذلك ان اقام الشهود الستة الدعوى ضدى باعتبارى صاحب جريدة الفجر الصادق وطلب الشاكون رؤية الدعوى فى محكمة (طويريج) لان القضية كانت تخص حاكم النجف فلا يجوز رؤيتها من قبله ، وكان حاكم ابو صخير (ذيان النبان) من اصدقاء السيد حمندى ومن اصدقاء (الفجر الصادق) فلا ينبغي تحويلها الى (ابى صخير) وان كانت (ابو صخير) اقرب محكمة للنجف ، وجاء سعد يطلب منى توكيله فى هذه الدعوى فابيت ، وألح على كثيرا فما زدت الا اباة ، ولم يكن لابائى سبب الا لانى خشيت ان يعد موقف سعد هذا بمثابة رد الدين (للفجر الصادق) ازاء موقفها الحماسى فى انتخاب البلدية وتأييدها المطلق له ، وهكذا عرضت الدعوى على محكمة (طويريج) وصدر الحكم بادانتى من قبل الحاكم رشيد الصوفى ، وجاء دور التميز ، فلم ار فى هذه المرة مناصا من توكيل سعد فوكلته ، فتم نقض الدعوى ، واعيدت الغرامة ، وظللت اشعر له بالفضل ، وزادنى ذلك حبا له وايمانا بشهامته .

ويمر بعض الزمن فيقع بين سعد ومؤيديه من جهة ، وبين الشيخ محمد رضا الشيبى من جهة ثانية ، شىء من سوء التفاهم وكانت لى بالشيبى يومها صلة جد وثيقة ، وكنت من اكثر التوهين باسمه ، والمدافعين عن رأيه فى كل مناسبة كانت تمر ومن اكثر المتبعين لشعره ، وأدبه ، بحثا ، واستظهارا ، واستشهادا ، ومناقشة . . . وهذا ما بدأ يفضب سعدا ويسؤوه لحد ما .

وقد عز على سعد وجماعته حينذاك ان يرونى مندفا الى جانب الشيبى اندفاعا الشاب المتحمس المؤمن ، وشق عليهم ان يفسحوا لى المجال بينهم كما كانوا يفعلون فلم اشعر الا والوجوه تتغير بعض التغير ، ولعل هناك من حاول ان يخفف من غلوائى فلم ألن ، فكان ذلك سبب تجهم (سعد) فى وجهى ، وكان ذلك سبب ابتعادى عن سعد ، وعن حضور المجالس التى يرتادها هو واصحابه ، ثم ما لبث ان ادى ذلك الى نفور ، ثم السعى لتحويلى من النجف ، وانا حينذاك مدرس فى الثانوية الى ثانوية البصرة ونقل محمد مهدي الجواهري الى محلى فى النجف ، وحين تمت استقالتي من (المعارف) ، وحين وقع شىء من سوء التفاهم بين الشيبى وياسين الهاشمى تصدت جماعة ياسين الى الشيخ الشيبى متهمة اياه بانه كان يسمى لاثارة النجف وتكدير صفو الوزارة الهاشمية فى هذه المدينة ، وقد ظننى سعد طرفا للشيبى فى النجف يكتب لى الشيبى من بغداد ، واسمى انا هنا لتنفيذ آرائه على قدر امكاني واعمل لاستفزاز النجف بقدر ما استطيع . . . وقد كاشفنى يومذاك متصرف لواء كربلاء بهذا الامر ، واخبرنى به الشيخ على الشرقى بصورة خاصة فازداد بعدى عن (سعد) ولعلى وانا بعيد عنه قد طفت على العاطفة فنسيت الكثير من مزاياه ، أو لعلى وانا بعيد عنه قد فاتنى ان اعرف له مزايا اخرى كان يجب ان اعرفها اشباعا لرغبتى المتطلعة للمعرفة ، وليس لشيء آخر .

وسامت العلاقة بينى وبين الشيبى فى هذه المرة ، ولكن هذا لم يدنى من سعد ، ولم يدن سعدا منى ، فقد كان سعد سىء الظن وليس ممن يغير رأيه بسهولة وقد زاد ما جبلت عليه انا من خشونة واعراض لقد زاد ذلك شيئا من سوء ظنه

بى ، اذ كنت انا الاخر متجنباً فتح باب التفاهم ، والقاب ، حتى مات ولدى (هاتف) وكان سعد يومذاك متصرفاً للواء الحلة ، فابرق الى يعزنى ، وقد عجبت كثيراً لانى كنت اخال مثل هذه المجاملة ، والمطايبة ، بعيدة عن طينة سعد ، وقد رددت عليه جواب البرقية بكتاب احسب انه لم يخل من عتب على ماض عزوت اسبابه اليه وحده ، ثم شكرته كثيراً على تفضله ، وتمزيته اما هو فقد عقب على تلك البرقية بزيارة قام بها للنجف فزارنى فى بيتى ، وزار آل الصافى فى بيتهم معزيا بوفاة السيد محمد رضا الصافى (والد الدكتور على الصافى) .

* * *

ودعت لزيارة سوق الشيوخ من قبل صديقى الشيخ محمد حسن حيدر وكان السيد سعد متصرفاً للواء المنتفك وفى اثناء مرورى بالناصرية ألح على السيد سعد بقضاء ليلة عنده ، التقيت فيها بعدالله القصاب وكان يومها متصرفاً للواء الديوانية فجاء الى الناصرية لمناكرات خاصة بينه وبين السيد سعد بخصوص تأليف جبهة من المتصرفين فى وجه صالح جبر الذى كان وزيراً للداخلية ، وعند عودتى من سوق الشيوخ مرت بالسيد سعد بناء على ما قطعته من وعد على نفسى ، فاولم لى وليمة دعا اليها بعض الوجوه والادباء وكان بين المدعوين السيد سعيد كمال الدين ، والشيخ محمد حسن حيدر ، وبعض ادياء سوق الشيوخ ، وهناك فى بيت المتصرف جرت مساجلة شعرية بين السيد سعيد كمال الدين وبين الشيخ محمد حسن حيدر وقد حكم فيها سعد وسجل حكمه بايات من الشعر ليست تحت يدى ، فكان مجلساً من أعمار مجالس الادب وقد بدا لى فيه سعد مكشوفاً بطهارة قلبه ، وصفاء نفسه ، وقد ارانى هنا ما لم اكن قد رأيت من طيب السريرة والوداعة .

وهناك فى المنتفك طغى نهر الفرات ، وزادت نسبة الطغيان اكثر من كل سنة ، وكان الخوف على المدينة من الفرق يأتى من مكان يعرف (بابى جداحة) فراح يبذل سعد كل ما كان يملك من مجهود ليحول بين المدينة التى طالما غرقت حينما تبلغ مناسيب الماء هذا الحد واقل منه .

و كنت وانا بسوق الشيوخ في هذه الدعوة التي اشرت اليها اؤكد للناس بان
الناصرية لن تفرق مادام سعد على رأس هذا اللواء ، ولقد اقترحت على وجوه (السوق)
وانا في بيت السيد محمد والسيد عبد الصاحب السيد ادريس بان يبدأ هذا (القضاء) منذ الان
بتقديم رمز يشير الى امتنانه من مساعي (سعد) ومجهوده في حفظ هذا اللواء ومزارعه
من الفرق في تلك السنة ، على رغم تجاوز الطغيان حدود الخطر بدرجة هائلة ،
وقد رأيت ان اسهم انا الاخر في مثل هذا الرمز كواحد من أهل السوق ، وهكذا
كان ، وقدم التصميم ، وصيغت قنطرة فضية تشير الى (ابى جداحة) واعد اطار
فضى خاص لصورة سعد وقوض الشيخ محمد حسن حيدر للقيام بنظم أبيات
مناسبة وكتابتها بخط فنى جميل تحت صورة سعد ، وتقديم الاطار والقنطرة والابيات
باسم سوق الشيوخ الى سعد صالح .

و حين عدت من (السوق) الى الناصرية - وكان قد بلغ سعدا ما كنت قد
اقترحه وجرى التصميم عليه في السوق - لا منى على ما وقع منى وقال :-
- أعلم انك قد اوقعتنى فى ورطة من حيث لا تدري ؟...
قلت - لا احسب شيئا من ذلك قد وقع ...
قال - فاذا انهد سد (ابى جداحة) ، وانهار امام هذا الفيضان الخطير ، فابن
موضع هذا الرمز ، والتكريم ، والشعر ؟
قلت - لن ينهد ولن ينهار ...
فهز يده وارسلها ضحكة استغراب !!... وقال بما معناه :-
- ان (النجفية) لتلاحقك اينما ذهبت - لان النجف اذا اعتقدت بشىء حسب
ان ذلك واقع حتما !!...
. و انتهى الفيضان وسلم لواء المنتفك من الفرق ، وكانت اول سنة يسلم فيها

هذا اللواء بجميع مزارعه منذ ٣٥ عاما وصيغت القنطرة ، وصيغ الاطار وكتب لى من
الناصرية بان اكتب الى سعد بان يبعث بصورته لكى يتم ادخالها فى الاطار المصوغ
لتقدم له مع الرمز على سبيل التكريم ، وقد كتبت اليه فجاءنى منه الكتاب التالى وهو
واحد من عشرات مكاتبه التي احتفظت بها كموذج لتواضع لم يعرف عنه احد

شيئا الا القليل ، وفي هذا الكتاب يقرأ نقارىء لونا من الوان انكاره لذاته بصورة لا عهد لنا بها ، ولونا من اخلاصه ، واحاسيسه المرهفة ، والتي تصلح ان تكون درسا من دروس الوطنية الصادقة ، وهو بعد ذلك صفحة من أدبه الرفيع الذى لو لم تطف السياسة عليه لرأى فيه - الذين لا يعرفونه - ادبا المعيا يشار اليه بالبنان وهذا هو الكتاب :-

• تحياتى واشواقى

قرأت كتابك ، وايات الاستاذ حيدر ، فوجدتهما بفيضان بالعاطفة النبيلة اكثر من فيضان (ابو جداحة) بالفقرات العذب ، ومع انى لا استكثر عليكما كصديقين طفيان العاطفة ، الا انى استكثر هذه الضجة حول اسداد (ابو جداحة) ، والاسداد الاخرى ، فمثل هذا العمل يعد من الواجبات الصغيرة التى يقوم بها رجال الادارة !!••

لاتعدنى يا اخى مبالغا اذا قلت لك انى اعتبر التناء الكثير على العمل اقليل ذما للعامل ، ولا تعدنى متواضعا اذا قلت لك بان محافظة الناس من الفرق باجبارهم على الاعمال الترابية اكثر ايام السنة لا اعتبره مفخرة !!••

نعم لو تمكنا من تنظيم انرى باتشاء التواظم فى دلتا الفرات ، وعمل مجرى (ابى جداحة) ، وجسور الطريق الذى ينفذ منه هذا المجرى ، وتخليص المزارع من الفرق ، وتخليص الناس من الامراض التى يسببها الفيضان بدون تكليفهم بالاعمال الترابية الشاقة ، حتى فى الايام التى يجب ان ينصرفوا فيها لجمع محصولاتهم ، وتصفيتها ، اقول لو عملنا كل ذلك لكنا جديرين بالحمد واثناء ، اما والامر كما ذكرنا ، فلا مفاخر ولا مدائح !!••

ارجو ان لاتذكروا شيئا فى صحيفتكم عن (الرمز) ، ولا عن كتابى هذا ، وسأفتح الشيخ محمد حسن حيدر بشأن الاحتفاظ بالرمز ، وقد قبلت ابياته الا بيتين منها بكل تقدير وامتنان •

اما رسمى ، فلا توجد لدى نسخة منه ، ولا احبذ وضعه بالاطار لو وجد ، فقد يكون فى ذلك ما يقلل من تأثير عاطفة الشاعر النبيل نحو صديقكم المخلص ، •

سعد صالح

وقدم له الرمز والابيات المطبوعة ، وكنت قد بعث الى سوق الشيوخ باحدى صور سعد التى كانت لدى على رغم التماسه بالاكتفاء بالابيات كما ورد فى كتابه وقد قام بتقديم الرمز والصورة وقد من سوق الشيوخ حضر خصيصا لهذه الغاية فى الناصرية ، اما الابيات فهى :-

عليك (لواء) الحمد شكرا يرفرف	لانك فى دنيا الملا (متصرف)
بحزمك كافتحت الخواثر وانجلي	عن الشعب ليل بالكوارث مسدق
وقفت امام الخطب سدا ممنعا	وذا موقف انى يحاكيه موقف
فله ايام عليك عصيبة	تهدد امالا لنا وتخوف
طفنى الماء فيها والسدود ضعيفة	وهمة ارباب المزارع اضعف
فقاومته حتى تشى عنانه	وكافحته حتى انتشى وهو اعجب
فيا (سعد) ما زالت خطاك سديدة	وما زالت الامال باسمك تهتف
بك الزرع لاقى من يرق لحاله	ولم ير قبالا من يرق ويبطف
اليك اتى (سوق الشيوخ) مكرما	جهادك فى رمز عن الحب يكشف
يقدمه ذكرى لموقفك الذى	سيبقى مدى الاجيال وهو مشرف

وجاء سعد من الناصرية الى النجف ليقضى فيها اياما من اجازته واقسم على ان لا يخرج من النجف وفى نفس احد عليه معتبة أو موجدة ، وكان قد قضى قبل هنا مدة طويلة فى النجف بعد الفترة التى سميت بحركة (رشيد على) وفى تلك الاثناء جلس للناس فى بيته كما كان يجلس يوم كان محاميا مقيما فى النجف ، وجدده عهده باصدقائه ومحبيه ، فقد لاح له انه كان جافيا فى اعين الناس لطول ابتعاده عن النجف ، ولا يبعد ان يكون قد بلغه رأى البعض فيه انه رجل خشن ، بعيد عن الملاينة والمطابفة لزاثيريه ، وملتقيه ، فجاء فى هذه المرة من الناصرية ليطرد هذه الفكرة عن رؤوس الذين كانوا يرون هنا الرأى فيه ، فما ترك احدا الا وزاره ، وما ترك عابا الا ورفع عنه شئ كثير من الاعتذار ، ولعل للخصومة السياسية أو الاصح خصومته (لصالح جبر) يومذاك بعض الاثر فى اندفاعه هذه

وتلطيف مزاجه ، او انه كان يريد ان يقول بان اعراضه عن الناس ومخاشنته لهم اذا كان ذلك فيما مضى صحيحا ، فهو اليوم لم يعد ذلك الرجل الذى يستطيع أحد ان يقول عنه شيئا .

والحق ان سعدا كان قد اعرض زما عن التجف قبل اقباله عليه ، اما اليوم فان اقباله على هذا النحو تجاه الكبير منهم والصغير قد صار حديث الجميع ، فقد تفقد مرضاهم ، وزارهم فى بيوتهم ، واسهم معهم فى اعمالهم ، وخفف كثيرا من اثقالمهم ، وطالما صحبته فى زيارة عدد من النوات ، وكنا ذات ليلة فى زيارة بعض العلماء والشيوخ ، وحين تم لنا ان نرور عدة بيوت سألتى :- اترى هنالك من يقتضى لنا زيارته بعد ؟ قلت - اذا لم تر بأسا فلنزر الشيخ قاسم محى الدين . . . وهكذا فعلنا وقد كانت ليلة لم يزل يذكرها جميع من حضرها فقد كان فيها سعد مرحا ، وقد فاض مرحة حتى تجاوز الحد فاذا به يدع فى ارسال النكتة ، واذا بظرف الشيخ قاسم المشهور تضيق دائرته امام ظرف سعد الواسع حتى كدنا ان لانسبح للشيخ قاسم صوتا .!

وهكنا ظل ينتقل من بيت الى بيت ، ومن محل ، الى محل ، واتخذ من (دار الهاتف) مقراله ، واستطاع ان يفيض عليها من المحبة ما اخجلنى امام نفسى حين كنت اذكر ايام الجفوة ، وكانت التجف قد بدأت تشعر بضعف يتناها فى جميع نواحيها لاسباب كثيرة ليس هذا وقت حصرها ، أهمها كان ارتحال عدد كبير من كبار رجالها عنها اما بحكم الوظيفة ، او التجارة ، او الامور الاخرى ، وقد تناول هذا الارتحال او الهجرة على الاصح حتى رجال الادب وأهل العلم ، فاستطاع سعد خلال هذه الايام التى اقامها فى التجف ان يجدد لها امالها ، ويبعث نشاطها من جديد ويخفى عنها نقاط الضعف ، وغدت التجف تموج مرة اخرى بافكارها واعمالها ، ودب النشاط فى مفاصلها فنسيت كل مواطن ضعفها على الرغم من قصر اقامة سعد فيها . . .

واعقبت هذه الزيارة من سعد زيارة اخرى جاءت مكملتها لما بدأ به من عمل يزيد حبا فى النفوس ، وفى كل هذه الزيارات كنت من أكثر المتصلين به ، سواء

فى بيته أو فى (دار المهاف) ، أو فى بيوت العلماء ، والوجهاء ، وقد كثرت الولايم
اتى اقيمت على شرفه واشتدت اواصر الانفة بين قوم وقوم بسببه ، وزالت خصومات
كثيرة بتتيجة هذه الاجتماعات ، والولايم ، وكثر المجون الادبى والمساجلات
الشعرية ، وعادت لتنجف بعض مزاياها فى ارسال النكبة البلاغة ، وانادرة المرتجلة
وكانت والله من الذ الايام بل من احلى ما مر على النجف فى تلك الاوقات من اطايب
مجالسها بفضل سعد .

ولزم سعد بغداد بحكم نيابته فى البرلمان ، وبحكم استيزاره ، فقلل ذلك من
ترده على النجف ، ولكن سعدا ظل متصلا باجمع من طريق الروح ، فلقى الناس
الذين يعرفونه والذين لا يعرفونه فى سعد مأملا فى فضاء حوائجهم ، وتسهيل ما
يستطاع تسهيله لراحتهم فلم يفرق بين طائفة وطائفة ، ولا بين جنس وآخر ، وفى
مدة جد قبيلة أصبح اسم سعد لاما فى جميع الاوساط .

وانتقل (المهاف) الى بغداد ، فعدت الى سائف عهدى به ، ازوره كثيرا فى
اوقاته العامة والخاصة ، ولم تكن له اوقات خاصة ، لولا المرض الذى لازمه منذ
ستين فاضطره الى ان يجلس مجنسا خاصا للاصدقاء حين لا يكون بمقدوره ان
يجلس للناس جميعا .

واصدقاء سعد نوعان حزبي ، وغير حزبي ، وكنت انا من اصدقائه غير
الحزبيين ، وغير السياسيين ، ولقد كان يعلم بصلة كثير من اصدقائه بخصومه صلة
وثيقة ، ومن اولئك كان سعد عمر ، فما اشار والله بشيء من هذا لاصدقائه ، ولا
انكر عليهم مثل هذا الاتصال لان سعدا كان قد تغير - لقد تغير كثيرا - فلم يعد
يهتم بمخالفة اصدقائه لارائه ولكنه طالما طرد البعض وشتم البعض من الذين كانوا
يترددون على مجلسه وعلى مجلس خصومه فينقلون عنه حديثه لخصومه ، وينقلون
عنه حديثهم له ، وانى لاذكر ذات مرة وقد كان سعد مدعوا عندى لتناول الغداء ،
ان نال احد المدعويين ممة من الشيخ على الشرقى ، ولم يكن الشيخ على الشرقى

حينذاك على حال مع السيد سعد ، وانا تربطنى (بالشرفى) رابطة صداقة أكيدة يعرفها سعد ، فالتفت سعد الى المتكلم وهو يتسهم وقال :- والمأذرة ؟ (والمأذرة كلمة تبيهية تقال لكى يتوقى الشخص ذكر أحد بالسوء اذا كان هنالك من لايرضيه مثل هذا الذكر السئ) .

ومعناها انه : اى عذر تقدمه عن نيلك من هذا الشخص وله صديق صميم بيننا - وهو يعينى - ؟ فرد عليه المتكلم قائلا وماذا يهم ؟

قال سعد :- اذا كان لا يهملك انت لانك شعبان فانى والله جوعان واخشى ان يتقم منا (الخليلى) بسبيك ويحرمنا من الغداء ، وكانت لباقة منه صرفت الحديث الى ناحية اخرى .

وكنا ذات يوم - ونحن فى النجف هو وانا - عند حسن محمد على حاكم صلح النجف يومها ، وكنا فى غرفة المحكمة فى النجف ولم يكن معنا نحن الثلاثة احد ، وقد انجر الحديث الى أمور خاصة استلزمت ان يسرد (سعد) تاريخ تصدع علاقته الودية بصالح جبر وفى هذه الاثناء طرق باب الغرفة ودخل المحامى (فاضل عباس ممله) فصرنا اربعة ، وظل سعد يروى القصة التى كان قد بدأها عما كان قد وقع بينه وبين صالح جبر ، لقد بدأ يرويها بخذافيرها ، ويستعرض موقفا يستدل منه على ان له بذمة صالح جبر مبلغا من المال لم يشأ ان يطالب صالح جبر به بعدما وقع بينهما من الجفاء ورجا سعد منا نحن الثلاثة ان نكتم ما دار من الحديث عما يتعلق بدينه على صالح جبر لان وصول هذا الخبر الى صالح جبر مما يسئ الى سعد . . . على ما قال .

وبعد بضعة ايام اتصل بى سعد بالتفون من بيته فى النجف - وكان قد ذهب الى بغداد وعاد الى النجف - وسألتى بلهجة جافة خشنة قائلا :-

- الم تستطع ان تكتم القضية اسبوعا واحدا ؟

قلت - أية قضية تمنى ؟

قال - او بعد هذا الاثناء مجال للتباه والتجاهل ؟

وهنا علمت ماذا كان يعنى ، فلم اتمالك نفسى ، وخففت اليه مسرعا ، وانا اشد ما اكون غضبا ، وهياجا ، لسوء ظنه بى وسألته :-

- أسمعتنى من قبل ناقلنا عنك حديثنا الى أحد ؟

قال - لا ... وارجو ان لا تذهب بك الظنون مذهبها فقد كان ذلك منى مجرد سؤال لاغير ؟

قلت - لا ... ابدا ... انه لم يكن مجرد سؤال كما تقول ... وانما كنت تضى امرنا واقصا .

وتابعت الحديث قائلا :- ارأيتنى ناقلنا لك عن أحد خبرا فيه شىء من معنى النسيمة والوشاية بأحد ، وانت تعرف اننى اعرف عنك الشىء الكثير الذى قد لايجوز نقله ؟

قال - لقد قلت لك كلا ...

قلت - فالذى لاينقل لك شيئا عن أحد لاينقل عنك شيئا لاحد .

قال - لقد قلت لك انه مجرد سؤال فلا تذهب بك الظنون هذه المذاهب .

ولم ادر اكان قد قنع فى وقته حقا بانى لم اكن انا الذى اوصلت الخبر الى (صالح جبر) ولكنى علمت من سعد بعد زمن بانه قد عرف الذى نقل القصة الى صالح جبر وسماه لى ، وما كان من صالح جبر الا ان اسرع وبعت بالمبلغ الى سعد صالح ...!!

* * *

وسعد ظريف ، ويتقن النكته كل الاتقان واذا احسن احد التكتيت استقبله بالاستحسان حتى وان دارت على سعد الدوائر ، وان لهجة استحسانه غالبا هى كلمة (جايها) (اى انه اتى بها فى محلها) وهو يرسل هذه الكلمة عند سماعه النكته المرتجلة البليغة ، وانى لاذكر ذات ليلة وقد خرج جميع زواره من بيته ولم يبق غير (تومان عدوه) ولم يكن سعد فى تلك الليلة على حال من الرغبة فى اطالة السهرة فطلب من (تومان) التجهيل بالخروج من البيت قبل ان يداهه احد من الزوار الذين

يخجل من الاعتذار انهم وتلزمه المجاملة بالبقاء الى جانبهم ، فاستمهلته (تومان) ريشا يتم له (نف) سيكارته ، وتدخينها ، وفي تلك الاثناء قدم زائران محترمان على سعد وما كادا يجلسان حتى تكلم (تومان) وقال :- انها نعمت الصدقة ، لان سعدا في شوق لا حياء جانب من هذه الليلة بالسمر والاحاديث وانا جد مشغول في هذه الليلة وقد اعتذرت اليه قبل مجيئكما راجيا ان يطلق سراحي فلم يقبل ، وقد ارسلكما الله نعمة له لتقضي معه ليلة ارجو ان تكون سعيدة ، كما ارسلكما لي نعمة لانني سأستطيع بواسطتكما ان اذهب نشأني .

اما سعد فقد خفته الضحكة ، وحين هم (تومان) بانخروج توعدده سعد بالهمس وهدده قائلا :-

- ارجو ان لا يكون الصبح بعيدا يا تومان ... فقال تومان - لعنني الله ان لم اخرج في هذه الليلة من المدينة ونتواجه الوجوه بعد شهر وكان بإمكان سعد ان يروي لرائيه القصة ، ولكنه كان يحاذر من أحد زائريه وقد كان سريع التأثر ان يعتبر هذه القصة بمثابة طرد له وذلك لمزاج خاص عرف به ذلك الشخص ، فظل سعد يتعاب وظل زائراه يتساءبان الى ماشاء الله ...!!

وعرضت علبة السجائر الجديدة لشركة النصر التي اتخذت صورة سعد على الغلاف شارة ورمزا لها لقد عرضت هذه العلبة على السيد جواد الحيدري وهو عند سعد فلم يعرف السيد جواد صورة سعد ، وظنها صورة رئيس الشركة كما لم يستطع اسيد جواد قراءة كلمة سيكارة (سعد) المطبوعة عليها بانخط الكوفي وظن ان المكتوب (ساعة أو ساعد) فقال السيد جواد للذي قدم له العلبة - قال له :- ان لم يكن الافضل ان تصدر هذه العلبة مجردة من هذا (البجم) المنحوس . فقال سعد - ولقد قلت لهم والله ذلك قبلك فلم يوافقوا ، بل ارادوا ان يحققوا في سيجارتهم الشطر المشهور (يكفيك شاهد منظري عن مخبري) وانت اعرف بقيمة سيجارتهم ... قال هذا وضحك ... وضحك الجميع ...

وقال مرة للسيد حسين كمال الدين على اثر مولود جديد ولد له (وكان

السيد حسين كمال الدين قد التزم بقافية الميم فى تسمية ابنائه كعصام ، وسهام ، وهمام ، وسلام) لقد قال له السيد سعد : اخشى يا سيد حسين ان تنتهى جميع هذه القوافى الميمية والسججات لكثرة مواليديك ويصل بك الامر الى (الصخام ، واللطام) .
وقيل له مرة ان شرطيا سريا يتخطى امام داره ليتجسس عليه وعلى زواره الداخلين عليه والخارجين منه ، فقابل سعد فى اليوم الثانى مدير الشرطة وسأله عن ذلك ، فانكر المدير ان يكون ثمة شىء من هذا القبيل ، فعاد سعد الى بيته واوصى خدامه بان يستعدوا لنكته عملية ، وهى ان يتجسسوا على الجاسوس ، حتى اذا راوه اليوم يفعل ما كان يفعل كل يوم فليقبضوا عليه وليدخلوه الى الدار ٠٠٠ وكان كما اراد وكانت نكته عملية اذ وضعت رجل الجاسوس فى (فلقة) اعدت خصيصا لذلك الجاسوس وكانت كل ضربة تنزل على قدمى الجاسوس تعقبها هتافات من (صلوات) الخدم ، وسعد يراقب الامر من بعيد ويضحك ، ولم يعد يرى احد لجاسوس شبعا حول بيت السيد سعد بعد ذلك !!

وسعد شاعر ، وخطيب ، وله شعر كثير اغلبه بصور نزغاته الوطنية وقيل منه فى النواحي الاخرى وقد وضع لمدرسة الغرى اناشيد وطنية جيدة كانت تشدها المدرسة الى وقت قريب .

ولقد انشده مرة المستر (كرملى) ونحن فى قارب بدجلة ايسانا بالانكليزية تتضمن تمنياته الطيبة للعراق وشعبه وتمنى فى شعره ان يظل العراق دوما فى رخاء من حيث ارضه ، وبساتينه ، ومزارعه ، ورد عليه سعد مرتجلا بثلاثة ابيات بالعربية تتضمن نفس التمنى للانكليز ، وقد قال فيها ان هذه التمنيات مجرد الفاظ ينبغى ان يرد عليها بالالفاظ ، وحينما تكون التمنيات اعمالا فانه سيرد عليها بالاعمال ، وقد كتبت ابياته الثلاثة وكدت ادسها فى جيبى ولكنه طلبها منى ليدخل تعديلا عليها وما كاد يأخذها منى حتى وضعها فى جيبه ولم يعدها الى ، ولقد رثى نفسه قبل ان يموت باسبوعين بقصيدة فى نحو ستين بيتا سماها (بالاشباح) ولما كان لا يستطيع ان يمسك القلم بيده فقد كان ينظم الابيات ويحفظها ثم يتلوها على من يحضر ليكتبها عنه ، وقد كتب شطر منها بقلم حسن الاسدى وشطر اخر بقلم محمد على كمال الدين ، وشطر

بقلم ابنته (سلمى) وهذه ابيات منها :-

الاشباح (١)

ابوارق الامال والالام لوحى نعلك تكشفين ظلامى
فلقد بدا شبح الهموم على الدجى حلكا ركاما قام فوق ركام
يوحى الى نفس الكئيب كآبة خرساء تخلع مهجة الضرغام
متوسطا شبحين ذاك لمحنة الوطن الاسير ، وذا لفرط سقام
فلعلتى شبح رهيب كالردى ولموطنى شبح جريح دام

وسعد زعيم من زعماء السياسة المحنكين دون اقل شهرة ، ومقامه السياسى معروف لدى الجميع ، وقد طغت السياسة عليه حتى لم يعد لمن يعرف سعدا عن كتب ان يتبين فيه شيئا غير السياسة ، وهو رجل كان من القابلية واللياقة بحيث يستشف كثيرا من الحوادث ، ويتكهن بكثير من العواقب قبل حدوثها ، وله اراء جد صائبة يُنفرد بها بين مئات السياسيين فى هذا البلد ، ويقدرها له الذين عالجوا المشاكل السياسية عندما خبروا بواطنها ، فقد اوتى حظا كبيرا من الذكاء والفطنة وان لاصابته الهدف وحسن قيامه بما يعهد به الى نفسه فى اشد الاوقات حرجا ، الاثر الكامل الملموس ، ولعل ذكاه كان ابرز خصلة من خصاله الفريزية ، وقد يفضب سعد على امر ، او شخص ، وان غضبه وان كان مأمون العواقب ولكنه ليس من السهل انتزاعه لشدة وقعه من ذهن المفضوب عليه ، فسعد على رغم ابتعاده عن الانتقام ، واطمينان المفضوب من العاقبة عند مقدرة سعد منه ، فان لون اعراضه لن يتحملة المفضوب عليه ، بل يود لو انه انتقم منه لكان خيرا له من هذا الاعراض والاهمال ، ولعل هذا اللون من الغضب قد افقده بعض اصدقائه ، واشهد انه عرف فى نفسه ذلك فجنبها على قدر الاستطاعة هذا المحذور .

ولقد قال لى يوما وهو وزير للداخلية وكانت جريدة (الشعب) تساوؤه بصورة خاصة لان خصومة سعد لصالح جبر السياسية كانت قد بلغت اوجها حينذاك

(١) وقد نشرت القصيدة فى الصحف بعد وفاته .

وكانت جريدة الشعب وصاحبها يحيى قاسم من اشد اصدقاء صالح جبر ومؤازريه
لقد قال لى سعد - والله لو مات - وهو يعنى بذلك يحيى قاسم - قال والله لو مات
فلن اكسبه شرف اغلاق جريدته ٠٠٠٠

وسعد حين يرسل الرأى السياسى يرسله مدعوما بالادلة التى لا تقبل التشكيك ،
فهو يعتمد المنطق فى جميع تفكيره ومن طريق المنطق يسمى للظفر •

وكم رأيتة وهو متحمس لرأى ثم لا يلبث ان يعود لينقضه من اساسه حين
يبدو له رأى آخر سواء كان هذا الرأى له أو لغيره ممن يسمع به ، مادام يلمس
فيه الحجة الصائبة ، لذلك كان سعد ابدا ما يكون عن العناد فى آرائه السياسية
وكانت سليته فى القضايا الوطنية منطقية مقولة ، ولعل لجرأة سعد اثرا كبيرا ايضا
فى شخصيته لا تقل عن مواهبه وقابليته السياسية والادبية ، والجرأة فيه قديمة
ترافقه منذ الصغر وبسبب هذه الجرأة دون غيرها فقتت احدى عينيه على يد اسماعيل
هرندى وهما طفلان يلعبان ففر اسماعيل هرندى خشية بطش اهل سعد ،
وسويت القضية على طريقة ذلك المصر ، وكان لجرأة سعد اثر محمود فى بروز
اسمه ، وفرض شخصيته ، فقد كان للجرأة بعض سيئاتها فى حق البعض عليه
خصوصا حين تتجاوز هذه الجرأة الحد وتكون صراحة اكثر مما تطبق هضمها
النفوس • كل هذا قد يكون من سعد رجل سياسة لا يشق له غبار •

وصادق سعدا كبير من الرجال على اختلاف نزعاتهم من حزبين وغير حزبين ،
وبالامكان القول ان كثيرا من اصدقائه قد صادقوه تحسنا بمنزلته ، وحبا بروحه ،
واعجابا برجاحة عقله ، وتعلقا بمبادئه القومية العربية ، وكان عبدالوهاب محمود
وعلى ممتاز الدقترى وكامل الجادرجى وعدد آخر من غير الحزبيين ممن اكثر
الملازمين لمجلسه فى ايامه الاخيرة وقلما زرته ولم اجد عددا من هؤلاء وامثالهم
يخوضون واياه مختلف الشؤون كانهم فى ناد لا يومونه الا ليغدوا انفسهم بمسا
يطيب ، وما ينبغي ان تغذى به النفوس الحرة التى لا يقيدتها اى قيد ولا يمنعها مانع
من ان تقول ما تحس به ، واشهد انهم برواه كاصدقاء قانس بهم ، واحتلات نفسه

من مودتهم واعجابهم به ، وولاتهم له ، واشهد ان لهؤلاء ولبعض الاصدقاء الحميمين غير من ذكرت الذين كانوا يزورونه غيا كل الاثر فيما بدا عليه من جلد اكثر مما كان يتحمل مريض يعانى آلام مرضه سنتين كاملتين ، فقد كان يتناسى بوجود الاصدقاء مرضه ، وقد كان الدكتور عاصم الحياى ، وصديقه الدكتور مهدى الصندوق الذى قد يرافق الحياى بعض الاحيان لمعالجة اسنانه اثر محمود على نفسه .

وأخر زيارتى لسعد كانت قبل وفاته بخمسة ايام ، وقد كان كل من ذكرت هناك كما كان الدكتور احمد الجلبى ورأيت سعدا انشط ما يكون فى حديثه وأكثر ما يكون مرحا ، وكان الحديث يدور حول هندسة الدور الحديثة ، وشكا هو وتبعه الدكتور الجلبى فى الشكوى ، لقد شكيا معا كانا يعانينا من حمى بيتيها وقالوا انها لا يستطيعان ان يسخنا حماميهما الا بعد ان يفتحوا احدى الخفيات ويتركاها مفتوحة تصب الماء مادامت النار تشتعل فى الاتون .!! والا انفجر خزان الماء .!! وتاولا فى حديثهما المهندس السيد محمد الحسنى بالدعابة وعزوا اليه عن طريق الفكاهة هذا الخلل لانه هو الذى بنى لهما بيتيها مع العلم بان ليس هنالك مسن علاقة بين هندسة البناء ومد الانابيب ولكن الدعابة كانت قد تحكمت فى نفس سعد تحكما قويا ، وجر حديث السيد سعد الى ذكر (اسطه خاجى) وافاض فى التكيث ، وابدع فى تلك الليلة ابداعا عظيما ، واسطه خاجى هذا بناء نجفى معروف ، قيل انه لا يبنى جدارا ويتمه حتى يتبأ بسقوطه فى موعد معين خلال اسبوع أو أقل من ذلك .!! .!! وحين يسأله الناس متعجبين عن صدق تبؤه حينما يرون الجدار وقد انهار - انهم يسألونه عن السر فيجب الاسطه خاجى قائلا :- «البنية بنايتى وأنا اعرفها» .

وكان سعد قد احس بدنو اجله فى ايامه الاخيرة ، وكان قد بلغ سعدا ان السيد مرزا القزوينى قد زاره وكان سعد نائما .!! .!! وقيل له انه ربما كان قد جاء من الحلة الى بغداد لحضور تشييع (سلمان البراك) فشاء ان يشهزها فرصة لزيارة سعد . فقال سعد :- بل الاصح انه اراد ان يشيع جنازتين فى آن واحد (وهو يعنى بالجنازة الثانية نفسه) .

قلت لقد احس بدنو اجله فى الايام الاخيرة على رغم انه لم يحدث له شىء جديد غير ما كان يحدث له من قبل ، والدليل على ذلك هو احضاره اخاه السيد طلب وابن عمه السيد حسين جريو من النجف لتسجيل وصيته قبيل وفاته بيومين فقط ، وقد كان جلدا ، وحين طفرت من عين اخيه الدموع لآمه على البكاء قائلا :- « ان الموت مصير لا بد منه وان الانسان يجب ان يهيء نفسه لقبوله بالحسنى ، وكان من شعوره بدنو اجله هو تصديه لرثاء نفسه فى آخر أيامه وهو لم يفعل ذلك من قبل ولم يتحدث به . وعلى ان سمدا كان جلدا فقد بدا عاطفيا فى أيامه الاخيرة ، اذ راح يستعرض الكثير من اصدقائه القدماء ومن الذين حالت بينه وبينهم الحوائل السياسية او غير السياسية ، مما كان هو نفسه السبب فى الجفاء او كانوا هم السبب فى ذلك ، لقد بدأ يستعرضهم بالحسنى . . . ويذكرهم بالخير . . . وينص النظر عن كثير مما وقع لهم معه فلا يذكر الا اطيب ايامه معهم . . . وكانوا كثيرين . . . وكان يستعرضهم واحدا واحدا فى بلدانهم ، وديارهم ، وكان منهم اموات ، والكثير منهم احياء ، ولم يكن ذلك عن عاطفة وحدها ، وانما كان يمازجها شىء من الفلسفة التى ترى ان الواجب يقضى بان لا يحتفظ الانسان بغير الذكريات الطيبة من الماضى . . . اما السيئات ، فيجب ان لا يفسح لها المرء فى المجال حتى ولو باشغال جانب صغير من نفسه . . . ووالله لقد اعتذر حتى لخداميه محمد ، وسلمان ، وسمعته يرثى لهما ويذكر انهما قد سهرتا كثيرا من أجله . . . وتعذبا كثيرا فى سبيله ، كما اعتذر الى جواد موسى مما كان قد سبب له من اتعاب فى اثناء ملازمته له فى سفره الى اوربا للمعالجة ، ومما قد يكون قد ند منه شىء فى هذا السفر فى حق جواد موسى الذى كان يحب سمدا كثيرا ، وشعر سمدا منذ سنتين ، وكان مرضه يتطلب ان يكون بعيدا عن التفكير والهم ، وكان ذلك - على واحد مثل سمدا - عسيرا ، وقد تحدث ذات ليلة ولم يكن عنده أحد سواى ، وتطرق الحديث الى راحته فقال :- لقد سعى كثيرا الى الراحة فلم يوفق ، واذا ما استطاع ان يبتعد عن اجواء التفكير ، وانشغال البال بالمرعجات ، فان ما كان يتلقى من الكتب والرسائل ، ومن احاديث زواره ، كاف ليجمله سابحا فى عالم

ليس له نهاية من الاخيلة المزعجة والهموم .

وقيل ان دواء سعد منحصر في تركيب جديد اكتشف حديثا بامريكا وهو كفييل ببناء ما كان يتهدم من الاعصاب وما كان يضر من العضلات وينظف من جمرتها يوما بعد يوم وهو المرض الذي كان يشكو منه ، وكب الى امريكا وطال الانتظار ، وقد وصل الدواء المجرب الذي انحصرت المعالجة به ، لقد وصل في اليوم الذي فارق سعد الدنيا .

واحسن سعد بعد منتصف الليل بان حاله ليست على مايرام ، فسئل عما اذا كان بحاجة الى طبيب ؟ فقال ما مضمونه ليس هناك من فائدة فقد قضى الامر ، وكان سعد مالكا شعوره الى آخر لحظة من حياته وعلى رغم ما بدا عليه في ايامه الاخيرة من رقة في العاطفة ، ولين في الطبع ، وشفقة على اولاده الصغار وزوجته ، وهو يرى انكسارهم ونفاد صبرهم وسيل دموعهم فهو لم يدع احدا يرى دموعه ويشهد ضعفه الذي خلقه المرض .

لقد كان سعد بارزا في حياته ، والذين برزوا وماتوا كانوا كثيرين ولكن امثال سعد كانوا اقل من القليل فهو نسيج وحده من حيث مواهبه الخاصة ومن حيث وطنيته وتوفر ملكات الزعامة السياسية في نفسه تلك المواهب التي استدرت دموع اصدقائه وغير اصدقائه على حد سواء حزنا عليه ، وشمورا بالخسارة الفادحة ، فكانت فاجعة البلاد به عامة ، وراح ولم يكسب من دنياه غير هذا الشعور ، وهو كل ثروة الذين يعيشون للناس ، وتوفى قبل اوانه ، في الوقت الذي اوشكت الزعامة الوطنية والسياسية ان تنحصر به .



السيد محسن الامين

السيد محسن الامين^(١)

المفروض عرفا - ولنا ندرى من الذى فرض ذلك العرف - هو ان يكون العالم الروحانى رجلا جافا خشنا تدل على ذلك ما كله ، وملابسه ، وافكاره ١٠٠٠! وسواء كان هذا المفروض حقا ام باطلا فقد وجدنا اكثر العلماء الروحانيين يعيشون على هذه الوتيرة ، ويتهيبهم اكثر الناس نجفاهم ، وعدم فهم افكارهم ، ولترفهم عما يحوط الناس ويكتنفهم ، اما الذين انطبق عليهم تعريف المؤمن من هؤلاء الروحانيين وهو ان المؤمن يكون هشا هشا فقد كانوا قليلين ٠٠٠ ومن هذا القليل كان السيد محسن الامين العالمى ، فقد طرق اسمه اذنى منذ اول ادراكى بانه رجل عالم مجدد ينزع الى تسيير الامور ، ويدعو للتبسط ، فمالت نفسى له ، وقسرات بعض توجيهاته وافكاره هنا وهناك ، فدلتنى المقروء على روحانية من صنف آخر غير ما كنت قد الفت ان ارى فى التجف على الغالب ، لذنك هفت نفسى اليه ، وتقت الى رؤيته ، وكلما ازدددت قراءة لافكاره ، ازداد ايمانى به كعالم افهم ما يقوله ، واعرف ماذا يريد ان يقول ، وكم كنت وانا صبى أمر على المسجد الهندى ، ومسجد الخضراء ، ومسجد الطوسى ، واخيرا الصحن الشريف فى التجف ، فاسمع العلماء يتدارسون ويتباحثون ، فكان ذلك عندى كالرطانة واذا كان ذلك حقا باعتباره درسا من الفقه والاصول الذى هو فوق مستوى ادراك الرجال فضلا عن الاطفال ، فاین الحق فى هذا الكلام الذى يتداولونه فى مجالسهم ، ويرسلونه تعبيرا عن اغراضهم ؟ انه لايزال رطانة من الرطائن ، لا يستطيع ان يفهمها كثير من الكبار ، وجميع الصغار على الاطلاق ، ولكن قد ينطلق من بين هذه الرطائن التى

(١) الهاتف - السنة السابعة عشرة - العدد ١١٤٣ - ٩ مايس ١٩٥٢ .

ينطق بها العلماء كلام مفهوم بعض الاحيان ندى جميع الكبار والكثير من الصغار فترتاح اليه النفوس ، وينفذ الى القلوب ، ولم نعرف سبب هذا الاختلاف ، حتى قيل لنا ان هذه اللغة المفهومة كلها او بعضها ، والروحانية التي تدفع بها وتزينها انما هي لغة المتجددين من العلماء وروحيتهم فكانت آثار السيد محسن الامين من هذا الوصف في الطليعة .

ومن الحق ايضا ان اقول - ان هذا الذي سمي بالتجديد لم يكن جديدا وانما كان هوقديم الذي شرحه غير واحد من شراح الفلسفة بل كان اللب والاساس من الدين ، ومن العلوم الاجتماعية ، ولكن الذي اخرج العلماء على قواعد الايمان ، وانحرف بهم عن الطريق الذي يفرض على المؤمن ان يكون هشاشا بشا هو الذي اخرجهم على مغزى التشريع ، وقواعد الدين ، واتحى بهم ناحية هي واصول الدين الصحيح على طرفي تقيض ، فاذا بنا لانعرف منطوقهم ، ولا محمولهم ولا ما يهدفون اليه فيما يخص المجتمع وليس فيما يخص بحوثهم المويضة .
وما لنا وهذا الان ؟ وكل ما اريد ان اقول هو ان اول ما جذبني من السيد محسن الامين كان هذا الذي يقوله السيد محسن فيهمه الناس ويتحسسون بخطرهم وقيمتهم .

وازدادت معرفة روحية به عن طريق ابى . . فقد كان ابى زميله في الدرس مدة طويلة ، وصديقه مدة اقامة السيد محسن في التجف طالبا للعلم ، ثم علمت ان للسيد محسن اندادا من العلماء ، وهم الآخرون كانوا ينفذون الى النفوس بدعواتهم الاصلاحية ، واحاديثهم الشهية ، والفرق بين السيد محسن وغيره هو ان السيد محسن لم يكف بالكتابة والتوجيه والارشاد بل راح يعمل على قدر الطاقة لتتزيه الدين من الشوائب ، والقضاء على كل تعقيد يوسع الخرق ، ويسمى في العمل على تشيئة جيل صالح منذ ان بعث به (الشيخ محمد طه نجف) الى دمشق ليكون هناك المرجع الروحاني ، والامام المرشد ، وقد توجه اول ما توجه الى تأليف كتب أدبية ، اخلاقية ، مدرسية ، وتأليف كتب خاصة بتاريخ سيرة الحسين (ع) وقد عرض لهذه السيرة عرضا مجردا من كثير من الشوائب والاكاذيب على قدر الامكان

لاتخاذها مصدرا لخطباء المنابر الحسينية ، وانزم الخطباء بمراعاة خطته في المآتم الحسينية واول عمل قام به بعد ذلك هو تحريم الضرب بالسيوف والسلاسل في يوم عاشوراء ، ومقاومة الذين يستعملون الطبول ، والصنوج ، والابواق ، وغيرها في تسير مواكب الغزاء بيوم عاشوراء فكان ذلك اول ذريعة اتخذها مخالفوه وخصومه لمهاجمته ، وقد ايدهم في نشاط الحملة ضده كونها جاءت متفقة ورغبة العوام (السواد) كل الاتفاق لذلك اتسمت الحملة ، وكان المجتهد الشيخ عبدالحسين صادق في (النبطية) ، والامام السيد عبدالحسين شرف الدين في (صور) ممن خالف دعوة السيد محسن الامين ، فبثت هذه المخالفة في نفس السيد محسن روحا جديدة زادت حماسا وثورة في وجه القائلين بجواز الضرب بالسيف على الرؤس في يوم عاشوراء ، وحملة الغضب على اصدار (رسالة التنزيه) التي بنى احد اسباب غضبه على الرواية القائلة (من اغضب ولم يغضب فهو حمار) وكانت غضبة مضرية ، أدت الى مشاكل كثيرة ما كادت تبدأ في (جبل عامل) بلبنان ، حتى انتقلت الى العراق ، وتحولت من مشكلة اصلاحية ، الى مشكلة شخصية ، وقد كان آل صادق وآل شرف الدين ، وآل الأمين ، اصداقهم ، ومؤيدوهم في التجف فاندفعت كل جهة الى هدفها بكل نشاط ، واتجه الجميع الى كبار العلماء يستفتونهم في أمر الضرب بالسيف كمظهر من مظاهر الحزن على ابي عبدالله الحسين (ع) ، فافتى (السيد ابو الحسن) الاصفهاني بحرمة الضرب بالسيف ، وقال ما مضمونه ان استعمال السيوف والسلاسل والطبول والابواق وما يجرى اليوم من امثالها في مواكب الغزاء بيوم عاشوراء باسم الحزن على الحسين انما هو محرم وغير شرعي^(١) .

وافتى الميرزا حسين النائيني والامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وجميع كبار العلماء بشرعية الضرب ٥٠!! وجوزوا تلك المراسيم ، وكان (السيد ابو الحسن) لم ينفرد بعد بالزعامة الروحانية ، بل كان في طريق انفراد بهما وكان وقوف منافسيه - وقد اجتمعت فتاواهم على خلافه - مما يؤخر وصوله الى مركز

(١) - رسالة السيد ابي الحسن الفارسية - الطبعة الاولى .

انزعامة الدينية التجري ، فقد تلقى اغلب الناس الفتاوى المخالفة للسيد ابي الحسن المؤيد للسيد محسن الامين بشيء من الارياح ، وزاد من هياج الناس في وجهه السيد محسن الامين تبنى الخطيب الشهير السيد صالح الحلبي فتاوى العلماء وشنه الفارة الشمواء على السيد محسن الامين وكان السيد صالح من مشاهير الخطباء الذين قلما توجد الطبيعة بامثالهم من حيث اللبابة ، والخبرة ، والجرأة^{١١} فصرخ بالناس وهاجمهم ضد السيد محسن الامين وانقسم الناس الى طائفتين على ما اصطلاح عليه العوام (علويين) و (امويين) وعنى بالامويين اتباع السيد محسن وكانوا اقلية لا يعتمد بها ، واكثرهم كانوا مستترين خوفاً من الاذى . . . واتخذ البعض هذه الدعوة وسيلة لمجرد مهاجمة اعدائه واتهامه اياهم (بالاموية) . . . ففكر الاعتداء على الاشخاص . . . واهين عدد كبير من الناس ، وضرب البعض منهم ضرباً مبرحاً . . . وبلغت الجرأة بالسيد صالح الحلبي ان يتناول على السيد ابي الحسن ويتناول السيد محسن بالسب والشتم ، وتجاوزت به الجرأة كل حد حتى قال في السيد محسن قوله المنكرة :

يا راكبا اما مررت بجلق فابصق بوجه (امينها) المتزندق

وقد قيل ان البيت المذكور كان لاحد (العالميين) وقد نسب الى السيد صالح الحلبي لانه كان الصق به من غيره لما هو معروف به من جرأة وعدم مبالاة .
ومثل هذه الجرأة وان كانت قد اثارت نفوس القيساري ، وهاجت قرائح الشعراء المدركين والعارفين حقيقة الاصلاح فانها لم تفعل ولا بقدر الذرة في نفس السيد محسن الكبيرة خصوصا وكان قد استعرض مواقف النبي محمد (ص) وآل البيت في دعوتهم الاصلاحية فيما الف من كتب مدرسية ساق فيها الشواهد والامثلة لما ينبغي ان يكون عليه الداعي الى الاصلاح من استعداد لتقبل جميع صنوف الاذى وضروب العذاب وقد احسن الشيخ مهدي الحجار وقد كان من (الامويين) في الطلبة حين قال من قصيدته يخاطب السيد محسن :

تأس يا (محسن) فيما لقيت بما لاقاه جدك من بغي ومن حسد

(١) مرت اشارة اوسع من هذه عن السيد صالح الحلبي في استعراض ايام السيد ابي الحسن .

وبدافع اعجابي بالسيد محسن ، وانطباعاتي عنه منذ الصغر ، وإيماني بصحة دعوته ، أصبحت (امويًا) ، وامويًا قحًا في عرف الذين قسموا الناس الى امويين ، وعلويين ، وكنت شابًا فائر الدم ، كثير الحرارة ، فصيت حرارتي كلها في مقالات هاجمت بها العلماء الذين خالفوا فتوى السيد ابي الحسن والذين هاجموا السيد محسن ، ولما كنت يومذاك موظفًا فقد نشرت مقالاتي في الجرائد بتوقيع مستعارة ، وتبني في عملي هذا عدد من (الامويين) على حد ذلك الاصطلاح ثم ما لبثنا ان تعارفنا نحن (الامويين) وكان الشيخ محسن شرارة في الظليعة من اولئك التحمسين لمبدأ السيد محسن الامين الاصلاحى ، ونست اذكر شيئًا كثيرًا مما مر ، الا اننى كنت قد احسنت الدفاع عن السيد محسن بقلمى ، ولسانى ، حتى لقد هددت بالقتل والاعتداء حين انكشف امرى للبعض .

وكنت اجد في كثير من الاحيان رسالة او أكثر وقد القى بها من تحت باب الندار وهى تتضمن الى جانب التهديد بالقتل شتائم بذيئة تدل على خسة ، وجبن ، فكنت أسعى لالتقاطها قبل ان يعرف احد عنها شيئًا ، ذلك لان لى أما كانت ملتهبة العاطفة ، وكنت اخشى ان يصل اليها خبر التهديد فنجن وتغص على حياتى ، وكان لى من حسن الحظ من يدفع عنى الشر ، ومن الحق ان اشير هنا بالثناء الى الشيخ عبدالكريم الجزائرى ، فقد كان ممن ذب يومذاك هو والزاهد اناسك الشيخ على القمى والفقير الشيخ جعفر البديرى فقد ذبوا عن السيد محسن بحرارة ودافعوا عن رأيه دفاعًا جريئًا وكان ذلك سببًا لاتصالى الوثيق بالشيخ عبدالكريم الجزائرى ولكن التيار كان جارفًا ، والقوة كلها كانت فى جانب (الملويين) ، وكان هؤلاء (الملويون) واتباعهم يتفنون فى التشهير بالذين سموهم (الامويين) ، وبلغ من الاستهتار ان راح حملة القرب وسقاة الماء فى ماتم الحسين بيوم عاشوراء ينادون مرددين : (لن الله الامين - ماء) بينما كان نداؤهم من قبل يتلخص فى ترديدهم القول (لن الله حرمة - ماء) فابدلوا الامين بحرمة نكايه ، وشتما ، وبعد عدة سنوات ، وحين أثرت هذا الموضوع ، موضوع تحريم الضرب بالسيف فى جريدة الهاتف ، هاجت التجف ، وماجت ، وكادت تحدث هناك فتنة ، وهنا تحول النداء

على ايام في المآتم الحسينية الى المناداة باللحن على افواه سقاة الماء صارخين
(لحن الله الخليلي - ماي) •

ولا تسلم عن عدد الذين شتموا ، وضربوا ، واهينوا بسبب تلك الضجة التي
احدتها فتوى السيد محسن الامين يومذاك وكان السبب الاكبر في كل ذلك هو
(العالميون) اعنى - اهل جبل عامل - الذين كانوا يسكنون النجف طلبا للعلم وكان
معظمهم من مخلفي السيد محسن •

وممن دافع عن السيد محسن خارج النجف كان السيد مهدي القزويني في
البصرة ، وكان السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني في بغداد الذي ساعدنا نحن
الذين تولينا الكتابة والدفاع عن السيد محسن مساعدة فعالة ، على ان دفاع هؤلاء لم
يكن مستغربا حينذاك بقدر ما كان يستغرب دفاع الشيخ على القمي ، ودفاع الشيخ
جعفر البديري لبعدهما عن روح التجدد •

وقد اثار هذان الاخيران في ذمهما عن السيد محسن دهشة جميع الاوساط
واستغرابهم •

اما السيد محسن نفسه فان لرده على خصومه اسلوبا خاصا ينهج به نهج خصمه
في الرد من حيث الطريقة لامن حيث الشتيمة ، وانه ليدع في العرض على ذلك
النسق وبشيء كثير من الانسجام والتبسط حتى ليدخل بكلامه الى قلوب قرائه
بدون استيذان ، ولاعجب فقد كان اديبا بارعا وشاعرا اجاد في كثير من مواضع
الشعر •

فمن امثلة ردوده ان بعض صحف بيروت كانت قد نشرت له تحريمه
نشح الرؤوس بالسيوف ، والضرب على الصدور ، واستعمال الزامير والطبول في
مواكب الامام الحسين (ع) ، فانبرى له أحد كبار الروحانيين المستترين مقندا ومكفرا
ومشعرا به في رسالة مستقلة طبعها وقد جاء في بعضها قوله :

«ومن فواجع الدهور ، وفظائع الامور ، وقاصصات الظهور ، وموغرات
الصدور ، ما نقلته بعض جرائد بيروت في هذا العام عن نحترم اشخاصهم من

المعاصرين الوظيفيين (يريد به السيد محسن) من تحييد ترك المواكب الحسينية ، والاجتماعات الغزائية بصورها المجسمة في (النبطية) وغيرها ، فما ادري اصدق الناقل ام كذب ؟ فان كان صادقا فالمصيبة على الدين جسيمة عظيمة
وقد راعى السيد محسن في رده اسلوب منتقده في سخرية مؤدبة جميلة اذ قال :

« ان غذا التهويل وتكثير الاسجاع لايفيد شيئا ونو اضيف اليه اضاعفه من قاطعات النحور ، ومجففات البحور ، ومفطرات الصخور ، ومبشرات القبور ، ومهدمات القصور ، ومسقطات الطيور ، بل ان من فجاجع الدهور ، وفطائع الامور ، وقاصمات الظهور ، وموغرات الصدور ، اتخاذ الطبول والزمور ، وشق الرؤوس على الوجه المشهور ، وايراز شيعة اهل البيت واتباعهم بمظهر الوحشية والسخرية امام الجمهور ، مما لايرضى به عاقل غير » .

وقد اخذ بعض هؤلاء الخصوم من الروحانيين على السيد محسن محاربه هذه البدع من التطيل والتزوير ونبس الاكفان والضرب بالسيف والسلاسل فقالوا مفرضين عليه :

« أبكى السماء والارض بالحمرة والدم ولا يبكي الشيعى بالدم المهرق من جميع اعضائه » .
فرد السيد محسن على هؤلاء بما يلي :

« اتنا ما رأيناكم أهرقتم دما طول عمركم لنحزن من بعض اعضائكم لتهرقوه من جميع اعضائكم ، فلماذا تركتم هذا المستحب المؤكد تركا ابديا ، وهجرتموه هجرا سمرديا ، ولم يفعله احد من العلماء في عمره ولو بجرح صغير كبضمة الحجام ، ولماذا لم يلبسوا الاكفان ، ويحملوا الطبول والابواق ، وتركوا هذه المستحبات يفوز بها العوام والجهلة دونهم ؟ » .

واستطاع السيد محسن ان يوجه مساعيه توجيها عمليا فيحول بين ارباب الماتم الحسينية وبين القيام باية حركة تنافى والشريعة الاسلامية على قدر امكانياته وفي ضمن حدود تفكيره ، حتى الخطباء ، خطباء المنابر الحسينية استطاع

السيد محسن ان يفرض اطاعه على كثير منهم فيحصر خطبهم ضمن دوائر معينة من الوعظة ، والارشاد ، وقراءة سيرة (الحسين) ، وتاريخ شهادته ، بيد ان كانت الفوضى قد عملت عملها فيهم حتى بلغ من تصرف الخطباء ان صاروا يروون الكثير من الاخبار المنقحة ، والروايات المدسوسة على المنابر ، وهي اخبار ، وروايات ، ربما كانت اقرب الى الكفر منها الى الاسلام عند علماء الشيعة المدركين والواقفين على فلسفة الاسلام .

أما النجف وسائر المدن الاخرى فقد قابلت دعوة السيد محسن ، وقتوى السيد ابي الحسن ، برد فعل قوى ، شديد ، ظهر اثره فى أول شهر محرم من تلك السنة ، فقد ازداد عدد الضارين بانسيوف والسلاسل ١٠٠! وازداد استعمال الطبول والمزامير والنسوج والابواق ١٠٠! وكثرت الاهازيج والاناشيد التى تتضمن التهمة والتحدى تلك الحركة الاصلاحية ١٠٠٠ فخاف (الامويون) واختفى الكثير منهم طوال العشرة الاولى من (المحرم) وبعدها بايام ، وانسحب البعض من الميدان كرها او اختيارا ٠٠٠

وبنح السيد محسن خبر هذه الضجة ، كما بلغه خبر الذين ذبوا عن رأيه ، وداغموا عن حركته ، وظهر لى من شكره لى وثائه على يوم القيمة لأول مرة : انه كان قد عرف كل شىء عن الحركة فى العراق وفى النجف وهو فى دمشق ، فلقد كنت قد اصدرت (جريدة الفجر الصادق) وكنت يومذاك فى ريعان الشباب وشدته ، وعصيته - كما قلت - وكنت جريئا بقدر ما كانت تقضيه طبيعة الشباب المؤمن بحقه ان لم اكن اكثر ، فكانت لى مع السيد صالح الحللى مواقف مشهورة ملأت بها (جريدة الفجر الصادق) واستطعت ان اتقم للاصلاح الدينى منه انتقاما ضج منه السيد صالح الحللى وهاج ، وضح معه انصاره ، وهاجوا . فهددوا ، وواعدوا ، ولكنى لم ابال بالتهديد ، والوعيد ، ولم يخفى الابراق ، والارعاد .

ومن الحق ان اذكر ان اندفاعى فى تحدى السيد صالح على تلك الصورة من الجرأة التى لم يقدم عليها احد من اقربائى لم يكن وليد جرأتى الفتاة وحدها وشبابى

الفائز وحده ، وانما كان لها ما يسندها - كما اشرت - من الامور المشجعة ، فقد كان (الحاج عطية ابو كلل) يؤيدنى فى موقفى لعدة اسباب ، والحاج عطية كان اكبر زعيم يهابه المتشدقون بقوتهم ، والمفرورون بسلاحهم - وأن اهم اسباب تأييد الحاج عطية لموقفى من تلك الجرأة التى سجلت منها جريدة الفجر الصادق جزءا غير يسير ، هو ان الحاج عطية كان من مقلدى (السيد ابى الحسن) اضافة الى ان للحاج عطية صلة صداقة جد متينة باسرتى ، حتى كان من مظاهر تلك الصداقة انه خرج من بيته ذات يوم على اثر مشاجرة جرت بينه وبين اولاده وأهله زعلان غاضبا وعلى ككرة بيوت ارحامه ، واصدقائه ، فانه لم يقصد بيتا غير بيت عمى الميرزا كاظم الخليلى وقد مكث فيه عدة ايام لم يترك اولاده فيها طريقة لم يسلكوها لكسب رضاه ، حتى رضى وانتقل الى بيته ، هذا فضلا عن اتفاق كان قد جرى بينى وبين الحاج عطية على ان تقوم بيت الدعوة لحمل (المواكب) ووفود المدن على ان يتخذوا من يوم ٢٨ صفر من كل سنة - وهو يوم وفاة النبى - يوما من الايام الدينية الرسمية لكى يقصد الزوار من جميع الجهات مدينة النجف على غرار ما يفعلون فى زيارة (كربلاء) فى يوم (الاربعين) وهذه الحركة وان لم تحل من نكاية للنجف بمدينة كربلاء لسبب ليس هذا محل ذكره ولم يكن باعثها الاول منفعة النجف ولكنها كانت حركة لها اهميتها الروحية ، والسياسية ، والاقتصادية • بالنسبة لمدينة النجف. تلك الحركة التى كان الحاج عطية بطلها الاول والاخير ، وقد تكلت بالنجاح ، ومنذ ذلك اليوم والنجف تنص بالمواكب والوفود لزيارتها فى هذه المناسبة حتى لزم الامر - لكثرة الازدحام ، وكثرة المواكب ، ان تستدعى الحكومة قوة احتياطية من الشرطة للمحافظة على الامن والنظام لهذا اليوم من كل سنة ••!! وللان والكثير لا يدرون بان محدث هذه الحركة كانت (جريدة الفجر الصادق) وكمان الحاج عطية (ابو كلل) ، وقد اصبح عشرات الالاف يؤم النجف فى كل سنة. من مثل هذا اليوم •

اقول - كان كل هذا مما يسندنى ، ويشجئنى اكثر للوقوف فى وجه السيد

صالح الحلبي ، الذي كان الجميع يخشاه ويتهيونه بالإضافة الى ما كنت اتال من تأييد (الامويين) وان كانوا قليلين يومذاك .

ولكى تتكلم الحملة على السيد صالح بالنجاح ، ويتم الانتقام لدعوة السيد محسن الامين الاصلاحية قامت (جريدة الفجر الصادق) بالدعوة للخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي الذي يسكن الحيرة (الجماعة) يوم ذلك ، ليحل محل السيد صالح الحلبي في مهمة الخطابة في المآتم الحسينية ، فلقبت الدعوة اقبالا غير قليل بالنظر لما كان يتمتع به اليعقوبي من مواهب ومميزات ، وشعر الناس بعد وقت قصير بما كانت تترك (مجالس) اليعقوبي من لذة في نفوسهم ، ونجحت الفكرة ، واصاب السيد صالح الحلبي شيء كثير من الفشل والانكسار ، وبان اثر هذا الانكسار والفشل على السيد صالح اكثر حين لمس انصار الحركة الاصلاحية ، ضعف السيد صالح وانكساره ، وبدا الجو يتغير ، فلم يعد يتردد اسم (الامويين) كثيرا كما كان يتردد من قبل !!...!!

وزرت دمشق مصطافا لأول مرة وكان اول عمل عملتمسه ان قمت بزيارة السيد محسن الامين ، وكان يسكن بيتا الى جوار (المدرسة الحسينية) وجاء عنده ذكر الحركة الاصلاحية فافاض (السيد) كثيرا في وصف العلل والاسباب التي تؤول الى فشل تعميم الاصلاح ، وما يسود الناس من فوضى وقال ان الحركة الاصلاحية بحاجة الى ايد فمالة لازالة الموانع والعراقيل لكي تتمكن من انتشار هؤلاء الجهلاء من جهاتهم .

وقد اعطى الدعوة ، والمظة ، والارشاد ، والجرأة اهمية كبيرة ، وقال انا يجب ان نعد للاصلاح خطباء ماهرين ، وحين جاء ذكر السيد صالح الحلبي وهو العدو الاول والاكبر لحركة السيد محسن الاصلاحية قال عنه السيد محسن بهذا المضمون الذي أكاد أوردته بالنص :

هان السيد صالح الحلبي هو احسن خطيب عرفته المناير الحسينية ، وانا اود ان نعد الخطباء على غراره اذا ما اردنا ان ننبه الناس ونوقظهم ، ونوجههم توجيها صحيحا !!...!! .

ثم اضاف قائلاً :- « اما موقفه ضد الحركة الاصلاحية وضدى انا بالذات ، فله
تفسير خاصة لايجوز ان تصدني عن قول الحقيقة !! » .
ودعاني السيد محسن في تلك الزيارة لحضور مجلس من مجالس المآتم
الحسينية تقام في تلك الليلة بدمشق فقلت له :
- اننى اشكو التخمّة لكثرة ما حضرت هذه (المجالس) وما سمعت من
احاديثها .

قال - ولكنك ستسمع في هذا المجلس ما لم تكن قد سمعت وسترى
خطباء جددا اعددتهم لمثل هذا ، وانا اسمى لاعداد الزيد منهم
ثم قال - « واني الزمك بالحضور في هذه الليلة فايك ان تخلف ،
ولكنى خرجت ولم اعد .. »

وبعد يومين او ثلاث زرته في بيته المذكور فلاننى على عدم حضوري
(المجلس) في تلك الليلة وأكثر من زيارتي له مدة اقامتي في دمشق وقد
علمت انه ينوى القيام بجولة في بعض الاقطار الاسلامية كالعراق ، وايران ،
للقوف على المصادر التاريخية النادرة لكي يعول عليها في اخراج موسوعته الكبرى
(اعيان الشيعة) .

وجاءت الاخبار تنبئ ان السيد محسن قادم الى العراق فاختلف انصاره في
امر هذا القدوم فمنهم من رجحه ، ومنهم من لم يرجحه ، ذلك لان الفتنة فتنة
(الامويين) و (العلويين) لم تكن قد خمدت بعد تماما . وان رد الفعل وان كان
قد بدأ اخف من السابق ولكنه لم يكن بحيث يستهان به او تتجاهل عواقبه ، وقد
كتب البعض الى السيد محسن ينصحه بتأجيل قدومه الى وقت انسب وذلك خشية
ان يلقى مالا يليق به من الاعراض ، والتنديد ، والتحرش ، بصفته البطل الاول في
تلك الدعوة التي مست السواد في الصميم ، ولكن السيد محسن كان جريثا وكان
غير هباب ، فتحرك من دمشق ولست ادري كيف ؟ كيف انقلب الوضع مرة
واحدة ؟ وكيف دبت في النفوس روح جديدة !؟ فاذا بالجماهير كلها تتحرك ،
وتستعد لاستقباله ، وجاءت اشارة (السيد ابي الحسن) بوجود التهيؤ لاستقبال

السيد محسن ملهبة لشعور الناس ، فاذا به يستقبل استقبالاً لم تشهد النجف نظيراً له في كل المناسبات الماضية .!؟ واذا بالسرادق الكبير - وهو أكبر ما تملك النجف - يقام خارج المدينة . . . فلم يبق عالم ، او تاجر ، أو وجيه ، او وضع ، دون ان يخرج الى استقباله على نحو من الجلال الذي لا يوصف . . . واذا (بكلو الحبيب) وهو من الزعماء ، ومن وجوه الطبقة التي يسمونها (بالمشاهدة) والمعروفة باستخدامها السلاح في حل مشاكلها ، اذا (بكلو الحبيب) الذي كان أكبر دعامه (للسيد صالح الحلبي) وأكبر خصوم (السيد محسن الامين) اذا به يدنو من السيد محسن ، ويأخذ يده ، وينهال عليها بالتقيل ، مرة بعد اخرى ، وهو يقول ويردد هذا المضمون - ولعن الله من غشني فصورك لي (امويًا) فما هو ذا وجهك النوراني يشع بالايان فاعفر لي سوء ظني ، واعف عني ، فانما كان الذنب ذنب اولئك المفرضين المارقين الذين شوهوا الحقائق وقالوا عنك ما قالوا .

وكان وجه السيد محسن يشع بالايان حقاً ، وكان بهيا وفي غاية البهاء ، فقد كانت له جاذبية ، وسحر ، يشعرك بنفس وادعة بعيدة عن التقيد ، لاغموض فيها ولا ابهام ، فلا يكاد يراه الرائي الا وأحبه . .

ونزل في ضيافة السيد ابي الحسن اول منازل ، ثم انتقل الى بيت الشيخ خليل مغنية على ما اذكر وقد زرته هناك وكان محله غاصا بطبقة كبيرة ، ومن بينهم عدد ممن كان قد تالب عليه ، أو كان يؤلب الناس عليه الى عهد قريب ، ولكنهم ما كادوا يرونه حتى ذابوا امامه كما يذوب الثلج امام شمس الصيف الساطعة ، وبالغ الحاضرون في استقباله وجاملونى وانا ادخل مجلسه سترًا لمواقفهم النابية ، وخوفًا من ان اشير - وانا العارف بفعالهم - انى ما كانوا يبذلون من مجهود ومساع للنيل من السيد محسن والحط من شأنه ، وكان معظمهم من (العاملين) كما قد اشرت الى ذلك .

وبولغ في اكرام السيد محسن والاحتفاء به ، وكثرت الولائم والدعوات التي اقيمت تكريماً له ، وفرضت (شخصيته) نفسها على خصومه فرضاً ، فبالغوا هم

الآخرون في تكريمه ، وتبجيله ، ولم يخرج من النجف حتى سقط اسم (الموليين) و (الامويين) نهائيا من سجل الاستعمال ١٩٠٠!

وانهتكم مدة اقامته في العتبات باستنساخ طائفة من الكتب الخطية وتبضع المصادر اللازمة لموسوعته (اعيان الشيعة) وقد اجتمعت به عدة مرات ، وكلفني بتهيئة عدد من تراجم اسرتي فاحلت امر ذلك الى محمد الخليلي الذي كان اخبر مني بهذا الموضوع وادري .

وسافر الى ايران وطاف باكثر مكباتها العامة ، والخاصة ، وعاد من زيارة ايران والعتبات الى سوريا ليتفرغ لتأليف (اعيان الشيعة) وما لبث ان اصدر بعض الاجزاء ففدت ، وفي صيف احدى السنين جرى ذكر هذه الموسوعة في الشام وانا مائل بين يديه ، فقلت له - لقد حوت موسوعة (اعيان الشيعة) الى جانب اللب كثيرا من القشور ، وكم كان جميلا لو كان سماحة (السيد) قد اخرجها مغرولة نقية صافية . . فقال لي ما مضمونه :

« لقد مرت عدة قرون ولم يتصد احد لمثل هذا المشروع ، وقد تصدبت انا وجمعت ما جمعت ، فاذا كان ثمة بينكم من يصلح للعمل فليقدم ، وليتول هذه الاجزاء بالغرولة ، وليخرجها خالصة فلقد سميت كثيرا ولقيت عناء جما ، في سبيل الحصول على المصادر والمعلومات اللازمة ، وليس هنالك من مشقة لمن يتقدم الان منكم لعزل ما ترمدون عزله وانتقاء ما تريدون انتقاؤه ولنر احقا انكم عاملون ، ام انه الفضول ؟ . . »

وكان الحق كما قال ، فلقد كان فضولا بحثا ، والا فابن اولئك - وانا منهم طبعا - اولئك الذين كانوا ينتقدون (اعيان الشيعة) لاحتواء مجموعتها على الكثير مما لم يكن مقتضيا ؟

ولماذا لا يتصدون الى تنقيته او تلخيصه وليس ذلك عليهم بصير ؟

وخير مؤلفات (الامين) عندي هو (ابو فراس الحمداني) فقد ضرب به مثلا رائعا لاحد اساليب التأليف من حيث الدرس والتحليل والاستنتاج . فانت حين تقرأه لاتصدق ان كاتبه رجل روحاني قضى عمره بين الكتب الصفراء القديمة اكثر

مما قضاه فى قراءة الكتب المشرفة الحديثة • فقد ابدع فى العرض والتحليل ، واستخلاص الرأى ابداعا غاية فى الكمال ، وسرعان ما خرج الكتاب من الطبع حتى نفذت نسخه ، وكان سوق القاهرة من أكبر الاسواق التى استفدت •
وزرته فى صيف سنة اخرى بدمشق ، وقد جاء فى ضمن الاحاديث حديث المراقيل التى طالما وضعها فى طريقه المتزيون بزى رجال الدين والمتلبسون لباسه وهم ابعد من يكونون عن الدين ومفهومه ، واهدافه فقال :

- اننى رجل اومن بالعمل كثيرا ، وقد جئت انشام اول ما جئت ولم يكن للعمل قيمة ، فسميت لجمع القلوب ، وتأليف الافكار ، وعملت على توحيد الكلمة ، ودعوت الى نبذ الخصومة ، والى العمل فيما يصلح شأن الناس بدون تفرقة ، وكانت دعوتى عملية ، اقول عملية ، لاننى سميت من طريق العمل لازالة تلك المراقيل ، ورفع سوء التفاهم ، وجمع الكلمة ، وكنت اكثر ما اخشى فانما اخشى اولئك الذين يعتمدون الاقوال وحدها فى تسديد خطى المجتمع اولئك الذين افسدوا التوجيه بما غدوا به الناس من نظريات ، وافكار غير عملية وغير مجدية •
ثم قال :

وحين مر الشيخ عبدالكريم الزنجاني بدمشق ورغب فى المكوث هنا بعض الايام رأيت به يميل الى صعود المنبر فى الجامع الاموى ليلقى محاضرة دينية ، فخشيت ان تزيد محاضراته متاعبى فيخلف لى بعض المشاكل التى كنت قد تغلبت عليها بصد عناء طويل ، لاننى لم ادر ما الذى كان سيقوله ، فسميت جهدى لصدده فلم افلح ، وصعد المنبر وخطب ، وانى احمد الله اذ لم ينقل الرجل كاهلى فى خطابه بما كان قد اثقله غيره من المحسوين على الدين ، الذين يرسلون القول جزافا دون التفكير فيما اذا كانت النتائج لتلك الاقوال عملية ومجدية ، ام غير عملية وضارة • كما قد تعرف انت بعض اولئك ؟

وكان قد نقل كاهله حقا من جراء تلك الحملات الشنيعة التى شنت فى وجه دعواته ، ومن جراء ما كانت تفيض به كتبهم ، وخطبهم ، ورسائلهم من الافكار

والاراء غير العملية والبيدة عن التطبيق ، والمخالفة للهدف الذى يرمى اليه الشرع ،
ولعل دعوة السيد محسن الامين العملية الى الاصلاح هى ابرز صفاته على الاطلاق ،
فهو لم يكف بمحاربة البدع فى قضية المواكب الحسينية ، بل عمد الى تأسيس
المدرسة المحسنية للبنين ، ومدرسة اخرى للبنات ، وسعى لوضع كتب مدرسية ،
تهذيبية للتربية والتوجيه ، وقد تجاوزت هذه المؤلفات العشرات ، وبلغ من أمر
اتجاهه العملى ان حمل عددا ممن عثر بهن الحظ من المنحرفات اللواتى أبجن عقتهن ،
وتجردن من عصمتهن لقد حمل عددا منهن على العودة الى حظيرة العفة ، وأمر
باخراجهن من دور الدعارة والمبغى ثم دفع ببعضهن الى ازواج شملوهن بالفسو
والففران فمسن شريفات ، ورزقن باولاد صالحين ، بركة مساعيه العملية .

كثيرون اولئك العلماء الذين خبرتهم عن كتب ولكنى قلما وجدت كالسيد
محسن الامين زعيما روحانيا كبير النفس ، على الهمة ، نبيل القصد ، سليم الذات ،
اغرم بالاصلاح العملى وتحمل فى سبيله العذاب والمشقات ، هذا زيادة على ما ملك
من خبرة علمية واسعة ، وطول باع فى الفقه ، والاصول ، والتاريخ الاسلامى ،
والعربى ، فقد كان من كبار المجتهدين ، ومن فحول العلماء ، وله فى الشعر والادب
يد جد طويلة وكان من الافئذ الذين قلما تجود الطبيعة بامثالهم .

وكان آخر رؤيتى له فى صيف ١٩٣٩ ، وقد وجدته كعادته بين طائفة من
الاوراق والكتب المبعثرة هنا وهناك على الارض تحوط ثلاثة اطراف مجلسه وكان
معى صديقى الاديب الفلسطينى عبدالغفار كاتبه ، الذى التقائى مصادفة فى دمشق ،
وعرف رغبتى فى زيارة (الامين) فابدى هو الاخر رغبته فى ان يمتع عينيه بهذه
الزيارة لاول مرة كما قال : وفى هذه المرة كان السيد محسن هو الذى يفتح باب
داره فى وجهنا ويقوم بتقديم قدحين من شراب الليمون بنفسه لنا ، على رغم
اصرارنا عليه بملازمة محله ، ذلك لان القائم بخدمته كان قد بمت فى شغل ولم
يعد ، والاغرب من ذلك اتنا وجدناه اشد ما يكون انهما كما فى الكتابة وهو محموم!!
وعجبنا كيف يقوم باعماله الكتابية وهو محموم منذ نهار امس على ما علمنا ؟ ولكنه
كان يستزيد مع ذلك النشاط ، ويدفع بنفسه دفعا الى العمل ، على رغم شيخوخته .!!

فيقوم بمراسيم الضيافة لزمائره بنفسه ، كما لو لم يكن لديه من يقوم على خدمته ؟
ثم يفنى نفسه وسط تلك المجامع من السكب ، والاوراق التي تحيط به ، وفي
ضمنها كتب خطية يحتاج قراءتها الى ايمان وانعام تامين .

واعترضته وقلت - ان عليه واجبا تجاه نفسه لاسيما وقد اصبحت هذه
النفس ملكا للمجتمع فلا ينبغي ان يفرط فيها وينهكها بالعمل في الاوقات الاعتيادية ،
فكيف به وهو محموم منذ نهار الامس ؟

فقال وهو يحدق الينا -

قال - من عجائب التجارب انني اجد في عملي ، وانا منحرف الصحة ، شيئا
غير قليل من السلوى ، وراحة اقبال ، حتى لقد كدت احصر أمر علاجي في وعكسي
وما يتابني من مرض اعالجه بالدأب على العمل ، والاعرب من كل هذا انني وجدت
نشاطي في العمل يمشى بنسبة طردية مع المرض حتى لقد استطعت ان اقول انني
انتجت اجود ما انتجت من البحوث والمؤلفات وانا منحرف الصحة ؟! . . .

وانتقل الحديث الى الامزجة والعادات فقرط مسامنا بطائفة من الاخبار
والتوادد والطرائف عمن شذوا في خلقتهم وطباعهم وامزجتهم وكان كما قال
- لم يعقه مرض ، ولم يقعه حادث عن مواصلة البحث ، والتقيب ، والتأليف ،
وكان يعاني في مرضه الاخير شيئا كثيرا من الضعف ، حتى لقد عسر على جسمه
ان يودي وظيفته الطبيعية من تناول الاغذية ، والتوم بالقدر اللازم ، اما الذي لم يطرأ
عليه اى تغير يذكر فهو اقباله على المطالعة ، والبحث والتأليف ، ثم هذا المزاج المرح
الرائق الذي قلما شوهد عند الروحانيين كما شوهد عند السيد محسن فهو مزاج
ظل يرافقه الى ساعته الاخيرة .

مر ذات يوم (بشتورة) قادمة من بيروت الى الشام فوقفت السيارة هناك ونزل
سائق السيارة لتزويد سيارته بالماء بينما ظل السيد محسن داخل السيارة وكان قد
حسر رأسه ووضع عمامته الى جانبه ، والمعروف عن اشتورة وزحلة انهما من اشهر
المدن التي تجيد عصر الخمر وتاجر بها ، وكثيرا ما يعرض باعة الخمر والعرق

خمورهم على المارين ، واستلقت هية السيد محسن وهو داخل السيارة حاسر
الرأس احد باعة العرق وظنه من الاعيان والامراء المحافظين المريقين فدنا اليه
وعرض عليه بضاعته قائلا له : ان لديه عرقا لم تصعبه للان آنية بمثل هذه الجودة
والظم والتكفة . . . فهو من اعلى الاصناف والذها وارخصها .

وليس من شك ان هذا البائع لو كان قد عرض عرقه - بمثل ما عرض - على
روحاني آخر لاقام هذا الروحاني الدنيا واقدمها ولعد ذلك اهانة ما بعدها اهانة ،
واذا تجلد وتلف مزاجه ، وغفر للبائع جهله فهو على الاقل سيقابله بشيء من التجهم ،
والاستعاذة ، والزراية ، والاعراض عنه بشيء كثير من الاستهزاء والاحتقار ، ولكن
السيد محسن توجه للرجل بوجه بشوش ، وانطلاق وبشر وقال :

- من المؤسف اننا قد اعتدنا تموين انفسنا بالعرق فى كل سنة ابتداء من اول
الموسم . . . !!

لقد كان يذكر من النجف صورا لم تمر على بال وكان لا يكاد يلتقى باحد من
النجفيين وهو فى الشام الا وسأله عن الكثير من الناس والكثير من الامور التى أنفها
يوم كان يدرس العلم فى النجف ، وقد قال لى مرة انه يقرأ الهاتف من أنفها الى
ياثها فتمر عليه فيها اسماء ذات علاقة جد كبيرة بماضيه وذكرياته العزيزة ، وقال لى
مرة انه لا يتصور ان احدا يستطيع ان يعنى معنى القناعة بمختلف صورها ما لم تكن
(النجف) من اهم ما يمر على عينيه من اشرفة الحياة . وصورها العامة ، وقال لى انه
يتذكر شخصا ضخم الجثة بدينا كان يفتش الارض مما يلى باب الفرج من
الصحن الشريف فى النجف فيعرض للبيع مفاتيح واقفالا وسكاكين ، ومحابر خزفية
وسبجا وخرزا ، وكلها من القديم الصدى ، والعتيق والنفائات . ولست ادري من اين
يجمها ويشتريها لبيعها على طالبيها من المحتاجين الفقراء بارخص الامان ، وكنت
ارق عليه - قال السيد محسن - فارغم نفسى وارغم اخواني العاملين على ان يشتروا
منه بعض الحاجات وان لم يحتاجوا اليها ولم يكن حالنا ونحن طلاب علم بالحال
المجردة من التقدير ، وقد ابتمت منه مرة سكتا صغيرة لبرى القلم وهى لم تنزل
عندى الان تذكرنى بهذا الرجل البدين الضخم الجثة والبشوش الضحوك الذى

لا يستر جسمه غير ثوب وعباءة خفيفة وعمامة بيضاء هي هي نفسها في الشتاء والصيف فكنت افكر كيف يستطيع رجل كهذا ان يقيت اهل بيته من عمل محدود كهذا؟ ولكنها القناعة التي فلما وجدت لها حلا في مدينة (النجف) .

قلت للسيد محسن - ان الرجل المذكور لم يزل حيا وهو على ما وصفت من رافة الحال وضيق الرزق ، وقد اسنوفنى مرة عنده صديق انحنى على معروضاته ليبحث عن حاجة مينة بين تلك الاكوام من الخرز ، وقطع الزجاج والمسامير المختلفة والمفاتيح والاقفال ، وكان هذا الصديق معروفا بالدعابة والظرف فراح يداعب الرجل ويداه تبخشان بين تلك الاكوام من المسامير وقطع الحديد عما كان ينشد ، وسأله - وهو يشير الى بطرفه ليوجه انتباهي اليه - لقد سأله مازحا :

- ما هي اعز امانيك من دنيائك ؟

قال - موته مريحة ...

قال الصديق - ما اسهلها طلبه ، وما ايسرها ؟

قال الرجل - وكيف ؟

قال الصديق - ادع الله ان يميئك بانشكل الذي تريد وهو يفعل ...

قال - انه لا يفعل .

قال الصديق - الم يقل الله عز وجل « ادعوني استجب لكم » .

قال - اذا استجاب الله دعاء الناس جميعا فانه لن يستجيب لى دعائى .

قال الصديق - وما هي هذه الذنوب الجسيمة التي اقترفتها حتى ضممت

ايمانك بالله في استجابة دعائك ؟

قال - وهو يضحك - ليس هنالك ذنب او جريرة ، ولكنى معتقد ان الله اذا

استجاب دعائى واخذنى اليه فانه لن يستطيع ان يظفر بيغل او حمار بمثل ضخامتى

وقناعتى وهو دائب يوصل الليل بالنهار كذا وعملا لقيت ثمانية عشر فردا من افراد

العائلة التى ينوء بقوتها كاهلى ...

وهنا انفجر السيد محسن بالصحت ، لقد ضحك طويلا وظل يضحك ،
وحملنى سلامه الى الرجل القانع وقال لى ذكره بى فانى احسبه غير ناس .
ثم قال : ولم ازل اذكر رجلا من رشت كان يدرس العلم فى النجف وكان
اهله من الاغنياء وكان يتناول منهم بين آن واخر مرتبا يضمن له عيشا مرفها وحياة
رتية ، هذا فضلا عما كان يتلقى منهم من المنسوجات الحريرية والرز الكيلانى الماخر
فكان يقسم كل هذا بينه وبين عدد من طلبة العلم الفقراء ويساوى بينه وبينهم قائما
بما يسد منه الرمق ولا يحتفظ من ذك الرز المعروف بجودته باكثر من (طبخة) أو
طبختين ليدعو عليها بعض رفاقه فى بعض المناسبات من الاعياد .

واذكر من اهل القنعة فى النجف رجلا هو الاخر من طلاب العلم ، وقد
كان فقيرا ممدما حتى بلغ من عوزه ان راح يصوم بعض الشهور من السنة ليوفر
على نفسه الطعام والشراب والتدخين بعض التوفير ، وعلى رخص التبغ وتوفره حينذاك
فلم يكن يوسع الرجل ان يشتري منه شيئا ولو كان من اردأ انواعه فكان يعمد الى
الصيدان التى ترمى بها باعة التبغ بعيدا ، فيأخذها منهم ويسحقها ثم يشحنها فى
(سييل) له كان قد صنعه بنفسه من الطين ، وقد اضطره الاحساس بالجوع ان
يقصد - وفى خفية من الناس - بين آونة وأخرى احدى آبار النجف القديمة فى
خارج المدينة فكان يصطاد فيها طيرا من طيور الحمام التى تعشش بكثرة هناك ، كان
يصطادها بطرق شاقة قد تكلفه بعض الاحيان تمزيق ثيابه او خدوش يديه ورجليه ،
ويأتى بهذا الطير - بعد ان يذبحه هناك ويتف منه ريشه - الى غرفته فى مدرسة
الشيخ مهدي ، وهناك يطبخه فى خفية من الناس ، لان مس هذه الطيور فضلا عن
ذبحها قبيح اذا لم يكن حراما فى نظر جميع العوام بدون استثناء . . . وكان هذا
الرجل شاعرا واديبا وكان على رغم عبوس الايام وتجهمها ومعاكستها له قائما
ضحوكا لا يعرف الجزع الى نفسه سيلا . . .

وكانت آخر رؤيتى للسيد محسن فى الفندق بدمشق حينما تفضل فتملنى بالطفافه فى رد
الزيارة ، وحين خرجت لتوديعه الى الشارع لم ادر اننى التى عليه نظرة لن

تكرر بعد هذا ، وانسى افارق وجها لن اسعد برؤيته ورؤية امثاله مدى العمر .
لقد كان سراجا وهاجا ، بل كلن منارا يهتدى به التائه ، والفرق بينه وبين
الكثير من العلماء المرشدين العاملين ، هو ان اكثر اولئك قد نفعوا الناس ماداموا احياء ،
اما السيد محسن الامين ، فقد نفع الناس فى حياته ، وضمن لهم النفع فى معاته وذلك
بما خلف لهم من آثار علمية جليلة وآثار عملية مشهودة .



الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء

الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء^(١)

لم تكن شهرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء يوم وعيت تتجاوز شهرة استاذ من افاضل الاساتذة ، وقد رأيت اول مرة وهو يباحث عددا من طلاب العلم في الحجرة الواقعة في الزاوية من الركن الجنوبي الشرقي من الصحن الشريف في النجف ، وما زلت اذكر اول ملتقى اياه ، واتصور هيكله حينذاك ، فلقد كان رجلا طويل القامة ، اسود اللحية ، حلو التقاطيع ، تدل ملامحه وهو يدخل الحجرة ويخرج منها على شخص كثير الثقة بنفسه ، وكثير الاطمينان من مقدرته ، ثقة واطمينا نا خالصين من أية شائبة من شوائب الفرور والمجرفة التي عرف بها بعض اساتذة العلم ، وكلما فهمت - وانا في مبتدأ الطريق من دراسة الادب - هو ان الشيخ محمد الحسين من اساتذة العلم المرموقين ، وانه فوق ذلك كاتب مبدع ، وشاعر بليغ ، ولكنني كنت قد سمعت باسم اخيه الاكبر المرجع الروحاني الكبير الشيخ أحمد كاشف الغطاء (واند الاستاذ عباس كاشف الغطاء مدير البنك اللبناني المتحد انحالي) قبل ان اسمع باسمه ، وكنت قد رأيت الشيخ احمد وهو يصلي بالناس كل يوم في الصحن قبل ان اري الشيخ محمد الحسين ، وكنت قد سمعت باسم ابيهما الشيخ علي آل كاشف الغطاء قبل ان اسمع باسميهما ، فلقد كانت لابييهما الشيخ علي آل كاشف الغطاء شهرة كبيرة كسبها من سفره الى اسطنبول ومقابته السلطان وكبار الوزراء ، والقادة ، والعلماء ، واقامته في اسطنبول زمنا طويلا .

وان رؤية اسطنبول ، ومقابلة السلطان ، والوزراء ، والقواد ، والقضاة ،

(١) جريدة الايام العدد ١٣٥ - ١٩٦٢/٩/٢٣ .

ورجال العلم في ذلك اليوم لا يبعد له في هذا اليوم شيء حتى الطواف بالدنيا كلها
والتعرف بجميع شخصيات العالم من الميكادو الى البانديت نهرو وفخرو شيف فالملكة
اليزابت فاديناور وكندي وكل زجال الدنيا وشخصياتها ، فلم يكن يحىء ذكر
الشيخ على كاشف الغطاء الا وتفخر الافواه اعجابا بهذا الرجل الذي رأى كل هذا ،
واجتمع بكل هؤلاء القادة والرجال !!٠٠٠

وزاد احترام الانكليز له في اثناء الاحتلال ، واعتبارهم الاسناد والاوراق
الموقفة من ولده اوراقا رسمية لها حكم اسناد الطابو وحكم الاسناد المصدقة من كاتب
المدل !!٠٠٠ قد زاد هذا شيئا من احترام الكثير من الناس له وان كان احترام كهذا
من جانب الانكليز قد قلل بعض الشيء من شأنه عند الاحرار والوطنيين .

وهناك شيء آخر له قيمته في شهرة الشيخ على ثم في نشأة ولديه - الشيخ
احمد الذي صار بعد ذلك مرجعا من اكبر المراجع الدينية وزعيما كاد يفرد بزعامه
الشيعة وحده ، ثم تلاه أخوه الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذي صار هو
الاخر من اكبر الزعماء الروحانيين بعد اخيه - الا وهو المكتبة ، فقد كان للشيخ على
كاشف الغطاء مكتبة انفردت بالكثير من الكتب العربية المفقودة وضمت مئات من
الكتب النادرة التي بذل الشيء الكثير للحصول عليها ، وكانت تعتبر المكتبة الاولى
في الشرق من حيث جمعها للنادر والمفقود من الكتب ، وعلى الرغم مما بيع منها بعد
وفاته فهي اليوم لاتزال في عداد المكتبات المهمة وان كان مجموعها لا يزيد على
بضعة الاف كتاب جمعها بشق الانفس كما يقولون ، ولقد روى فيما روى عن حرصه
في اقتناء الكتب انه بينما كان منهمكا مرة في نقل كتاب خطي من أحد الجوامع
بإسطنبول اذ جاء أحد الضباط للقبض عليه بناء على أمر السلطان عبدالحميد الثاني
متهما اياه بالتواطؤ مع (ابى الهدى) في تدبير مؤامرة سياسية تمت عليها قصيدة نسب
نظمها الى ابي الهدى ، وابو الهدى هذا كان من اقرب المقربين الى السلطان
عبدالحميد ٠٠٠٠ ولكن الشيخ على قال للضابط :

- كل من حدثك بانى سأتارك عمل استساخ هذا الكتاب قبل ان اصل الى

نهاية الفصل الذى يستلزم الانتهاء من استنساخه نحو ساعة أو أكثر فلا تصدق ذلك . . .

وهكذا اضطر الضابط بداعى الاحترام ، الى الانتظار حتى يتم الشيخ نقل هذا الفصل من الكتاب ، وبعد ان قبض عليه انكشف الامر عن بطلان تلك التهمة واطلق سراح الشيخ على وابى الهدى واجزل له العطاء من السلطان ومن صديقه ابى الهدي .
لقد كان الشيخ على يجمع كنه على هذا النحو من الحرص والتهاك ، حتى اتم جمع تلك المكتبة النفيسة الثمينة .

وكان لهذه المكتبة شأن كبير فى مد ذنك الاخوين العالمين الكبيرين بتلك الثقافة الواسعة فى أول نشأتها وقبل انفصالهما عن ابهما ، وكان لتلك المكتبة ضدى كبير فى الاوساط العلمية ، وعلى رغم حرص الشيخ على تلك الكتب فقد كان لا يتوقف عن اعارة الكتب للكثيرين ممن يعرف ومن طريق اعادته بعض الكتب النادرة لوالدى استطعت ان اعرف اصل هذا الشيخ وفصله ، وشيئا عن بيته ، وآله ، واستطيع ان اؤكد بان الشيخ على لم يكن يمتنع عن اعارة الكتاب حتى للمشكوك فى اهتمامهم بالكتب ، والمحافظة عليها ، وكان من اولئك الشاعر محمد مهدى الجواهرى الذى اعتاد ان يستعير بعض الكتب منه ، ويعيدها اليه سالمة صحيحة ، ذلك لان الشيخ على لا يمتنع اذا ما تأخر ميعاد اعادة الكتاب ان يمت بخادمه فيجر المستعير اليه جرا ، ولن يمتنع من ان يلقيه ارضا ، وينزل فيه ضربا ، بتلك النصا الغليظة التى كان يستعين بها فى مشيته .

واذكر مرة - والشئ بالشئ يذكر كما يقولون - ان الشيخ هادى الضمى قرأ للشيخ على كاشف الغطاء بيتين من الشعر يتضمنان طلب جبة أو قباء ، فاستحسن الشيخ على البيتين ، ونادى الخادم فجاء له بجبة من جبه والبسه اياها ، وبعد يومين وهو يقبل الصفحات فى كتاب (نقحة اليمن) استقصا موضوع كان قد شغل باله ألفى البيتين مسطورين هنالك !! وعلى رغم ان الوقت لم يكن مناسباً فقد بعث خادمه يدعو الشيخ هادى فى تلك الساعة من الليل اليه وحين جاء به انزال عليه بمصاه والشيخ هادى يستغيت ويطلب معرفة السبب !! . . .

قال الشيخ على - وقد انهك يده الضرب - اريد ان اعرف ماى هذه الجراءة
التي تحملك على ان تسرق بيتين من نفحة اليمن وتتحلها لنفسك لتستجيزنى
عليهما جبة ؟

فقال الشيخ هادى - ولكن من قال لك اننى اتحللت البيتين ؟ ان الامر ليس
اكثر من انى قرأت عليك البيتين متملا فاكرمتنى جبة ٠٠٠ فعلام كل هذا الغضب
وهذه الشدة ؟

ولعل اول باب فتح لشهرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الفطاء فى خارج
التحف كان عن طريق المراسلات التي جرت بينه وبين أمين الريحاني تلك
المراسلات التي تتضمن تبادل آراء فى ردود اعجبت جميع قراء العربية على اختلاف
نحلهم ، ثم جمعت وطبعت باسم (المراجعات الريحانية) ، وعلى انى قرأت هذه
المجموعة فى ذلك الوقت البعيد ، فلم يزل يطلق بذهنى شىء غير قليل منها .

وعلى ان الشيخ محمد الحسين كان اقل تقيدا بالتقاليد من العلماء الروحانيين
الآخرين وأقل مراقبة للرأى العام وأكثر العلماء جرأة فقد حاول التهرب من مقابلة
أمين الريحاني فى اثناء زيارته للتحف مراعاة للسواد الذي كان يعتبر الريحاني
ملحدا ، او مماثلا للانكليز على الأقل ، او لشىء آخر تبادل الى ذهن الشيخ فرأى
الشيخ ان من الصلاح الاعراض عنه .

ومع ذلك فقد تمت هذه المقابلة ، ووقع نظر الريحاني على مسودات اوراق
كانت امام الشيخ ، فسأل عنها فقبل له - انها مسودة رسالة للشيخ تتعلق بالفرائض
الدينية من صلاة ، وصوم ، وحج ، وغير ذلك ، فقال الريحاني يخاطب الشيخ
بهذا المضى :

• • ان الذى اعرفه هو انك لم تخلق لهذا فانت ارفع شأننا من ان تقضى
وقتك بمثل هذه الامور وتناف اصلاح المجتمع • • •
وحين هم الريحاني بالقيام من عند الشيخ قال : • لقد كان الامام كاشف
الفطاء من اعز اصدقائنا فاصدده الدين علينا •
وظل الناس يتحدثون عن زيارة الريحاني للشيخ طويلا ، وعماد دار بينهما من

احاديث ادبية ، واجتماعية ، ودينية ، عامة ، وخاصة ، ولكن الشيخ لم يسلم من النقد والمؤاخذة من لدن الكثير من اولئك المتصين الجامدين الذين كانوا لا يرون من حق الروحانيين ان يصادقوا اشخاصا من غير دينهم ، وعلى غير طرائقهم ومع ذلك فلم يعدم الشيخ الجماعات التي كانت تؤمن برسائته ، وتذب عنه ، وتدافع عن مثل مصادقته للريحاني وتأسيسه بصداقة الشريف الرضى والسيد المرتضى للصائبي التي كان من امرها ان رثياه بتلك المرئيتين المعروقتين

وهذا اللفظ قد نبه الكثير ممن لم يكن متنبها بعد الى مقام الشيخ محمد الحسين ، وعلو كعبه ، ولاول مرة يلتفت الناس الى ان روحانيا من طراز جديد سيبثوا مقام الزعامة الروحانية ، وذلك قبل ان يتاح لهم ان يسمموا قباواه ، ويشهدوا أحكامه ، وان كانوا قد شهدوا شيئا من هذا التجديد عند اخيه الشيخ أحمد من قبل .

وتأيد رأى اولئك ، كما اتسمت دائرة شهرة الشيخ اكسر واكثر حين انعقد اول مؤتمر اسلامي في القدس ، وحين توحدت الفرق الاسلامية من الوفود وغير الوفود على اختلاف مذاهبهم فائتمت به في صلاتها في ذلك المسجد الكبير ، وأقبلت الصحف وحتى الصحف الاجنبية تنوسم في هذا الاتحاد - اتحاد المذاهب والطوائف الاسلامية تحت زعامة كاشف الغطاء - خطورة كبيرة ، وتوقع ان يضمن المستقبل خلق زعماء روحانيين من طراز الشيخ محمد الحسين يستطيعون ان يقضوا على الكثير من الاختلافات الطائفية خصوصا لما كان لخطبه البليغة الرنانة من الاثر العميق في النفوس .

وحين عاد الشيخ محمد الحسين من المؤتمر الاسلامي كانت شهرته إقبامة بالاضافة الى شهرته العلمية كاستاذ برع في تدريس العلوم الدينية براعة جملت طلابه يمتازون على الكثير من طلاب الدين في اتساع افكارهم ، وتحرر عقائدهم ، تحررا نسبيا وعلى الاخص في طريقة اجتهادهم اقول كانت هذه الشهرة قد شقت له طريقا لا حبا بين طرق زعماء الدين المتلوية .

وعرف الشيخ محمد الحسين عن طريق التجديد في الاجتهاد والفتاوى
 عمة العلم وعن طريق الادب الذي كان قد مكّنه من الشعر والنثر تمكينا قويا وجعل
 ، فذا من الافذاذ ، ولكنه كبشر لم يستطع ان يتجرد عن العاطفة التي كانت تتحكم
 ، احيانا فقد كانت بينه وبين السيد (ابى الحسن) الاصفهاني الموسوى - وكان
 لسيد ابو الحسن) حينذاك قد انفرد بزعامة الشيعة في مختلف جهاتهم
 فرادا كاد ان يكون مطلقا - لقد كانت بينه وبين السيد ابى الحسن حزازات
 يس هذا موضع شرحها ، وقد حملته هذه العواطف اى حملت الشيخ على ان يتناسى
 رلو لحين فكرة التجديد ، ومبدأ الاجتهاد الذى يجب ان يتمشى فيه العقل
 والنصوص الدينية جنبا الى جنب ، فمضى يناوئ اتجاه (السيد ابى الحسن) الذى
 كان قد ايد السيد محسن الامين فى تحريم شحج الرؤوس بالسيوف ، وادماء الصدور
 باللطم ، والضرب عليها فى يوم عاشوراء ، اذ كان السيد ابو الحسن قد اعتبر ضرب
 الظهور بالسلاسل ، وشحج الرؤوس بالسيوف واللطم على الصدور ، ودق الطبول
 والصنوج ، مما كان يجرى فى ايام عاشوراء بدعة من البدع التي يحاسب عليها
 الله ، ومع ان مثل هذا التحريم كان من مبادئ الشيخ محمد الحسين وكان مما
 يتفق واتجاهاته الاصلاحية ولكن العواطف كانت قد عملت عملها فلم يؤيد السيد
 ابا الحسن فى فتاواه وقوبلت فتاوى السيد بحملة قوية من الحملات الرجعية التي
 غذاها خصوم السيد ابى الحسن واستغل السيد صانع الحللى سكوت الشيخ وعدم
 تأييد السيد ابا الحسن فى حملاته المختلفة على (السيد ابى الحسن) تلك الحملات
 التي عملت عملها فى وقتها ، ولكن (السيد) ما لبث ان استظهر عليها حتى تلاشت مع
 الزمن ، الا انه لم يستطع ان ينفى (التطير) والتزمير ، والتطيل ، ودق الصدور
 الذى بدأ يتضاعف يوما بعد يوم حتى يومنا هذا .

وكنت يوم ذاك الى جانب السيد ابى الحسن ، بل اننى لم اكن قد تعرفت
 بالشيخ محمد الحسين عن قرب بعد ، وان كنت اعرف ان أبى من اصدقائه ، وقلما
 كان يتخلف عن زيارته ، اما هو فقد رأيت فى بيتنا عدة مرات ، وأكثرها كان على
 أمر زلة قدم أبى فى الحمام التي كسرت بسببها ساقه فلزم الفراش قبل ان يجبر الكسر

مدة طويلة مكنتني ان ادري فيها الشيخ محمد الحسين عن كتب وهو يفضل بزيارتنا عدة مرات ، ولا اكتم القارىء ، لقد كنت اشعر بعدم الميل اليه يومذاك بسبب موقفه من حركة السيد (ابى الحسن) الاصلاحية ولم اكن ادري ان الانسان لا يستطيع ان يعرف نفسه بعض المعرفة الا بعد زمن طويل ، وحين اصدرت جريدة الفجر الصادق تحاشيت على قدر الاستطاعة تأييده ، وصرت اهاجم السيد صالح الحلى الخطيب الشهير الذى شن غاراته على السيد ابى الحسن - مستندا على تأييد الشيخ - وكانت مهاجمتى للسيد صالح حقة ولكنها كانت قاسية عبرت عن طيش الشباب وحرارته وغروره لحد كبير .

والحقيقة ان مصاحبة السيد صالح الحلى للشيخ واستاده عليه قد الحق بسمعة الشيخ محمد الحسين بعض الضرر ذلك لان السيد صالح قد اشتهر - حقا أم باطلا - بكونه رجلا زنيا يستجيب لمواطنه الآنية دون الالتفات الى المصالح العامة ، والدواعى العقلية ، والفكرية ، ثم هو بعد ذلك جرى في الحق والباطل ، جرى في الجد والهزل ، وقد يسلك في مزاحه مسالك وعرة ملتوية ليس هذا محل شرحها ولقد صادف مرة ان مر السيد صالح بحرم الامام على (ع) والشيخ محمد الحسين يصلى بالناس فى الرواق ، ومن عادة الشيخ محمد الحسين ان يجهر فى الصلاة ويتلو الايات مضخمة مضخمة بعض التفضيم والتضخيم ، وما كاد السيد صالح يسمع الآية الكريمة (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) متلوة على فم الشيخ بذلك النحو من الاداء المفضم ، المضخم ، حتى قال يخاطب الشيخ مازحا وهو بار من امامه :

- انك ياسيدى كسمكت ابى خريزه (السردين) والله لو ظلمت انفع فيك دهرنا لما كبرت ، ولما صرت حوتا قبال السيد ابى الحسن ، فلام هذا التفضيم والتضخيم للرحمن الرحيم مالك يوم الدين!!؟ .

وحين اتيج لى بعد ذلك ان اتصل بالشيخ - وان اكون مغمورا بالطافه بحيث بلغ من دالتي عليه ، ومن اللطف الذى افاضه على ، ان صرت لا امتنع ان امشى معه فى صراحتى الى ابعد حد ممكن اذا لم استطع ان امشى الى النهاية - اقول وحين اتيج

لى ذلك لم أخف عنه ما كنت اشعر به فى السابق من عدم الميل اليه واسباب ذلك ،
وقد ازددت حبا له بل كدت اعبده عبادة حين رأيت يجينى بهذه الآية ولا يزيد
عليها قائلا :

- « عفا الله عما سلف » -

وكررها مرتين ... وهناك تجسست لى طهارة نفسه ، وتجلى لى صندوق
ايمانه ، وابتداه عن التدجيل وكان بإمكانه لو ازاد ان يورد لى الف عذر وعذر من
الاعذار المعقولة عن موافقه السالفة لفعل ولكن قد قمت ...

وشخصان لم ادع غيرهما (عما) لى ، وان لم يكونا لى عمين حقيقيين ، احدهما
الشيخ عبدالكريم الجزائرى ، واثنيهما الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، وهما
الاخران كانا لايفضلان لقبا او نعتا ينماتنى به غير العمومة ، فاذا ما قلت لاحدهما
مثلا - كيف ترى (يا عمى) ان يكون الامر القلانى ؟

رد على قائلا سيكون كذا وكذا (يا عمى) ...

وعلى رغم خروجى على حدود هذا الادب فى بعض الاحيان لاسيما حينما
اكون غاضبا وحين أتناقل عن استعمال هذا النداء واخطب الشيخ محمد الحسين
بالخطاب المتعارف قائلا له - يا شيخنا ! ويا مولانا ويا سيدى .. فانه لم يغير خطابه
ولم يرد على بغير ما كان يرد قائلا : يا عمى ..

وحين نجحت الحركة القبلية فى الفرات التى تزعمها هو فى اواخر سنة
١٩٣٤ وفى أوائل سنة ١٩٣٥ التى استغلها ياسين الهاشمى وجماعته من
العشائر التى كانت قد التفت حول الشيخ محمد الحسين وفى طليعتهم كان الحاج
عبدالواحد الحاج سكر ، والسيد محسن ابو طيخ ، تلك الحركة التى اطاحت
بوزارة على جودة الايوبى اولا والمدفعى ثانيا ، وجاءت بوزارة الهاشمى كعاد
الشيخ محمد الحسين ينجرى بتيار الحزبية وكاد يستكين ، ويستسلم ويتنامى
زعامة الدينية من حيث لا يدري فقد استطاع زعماء العشائر وكلهم كانوا من
الحزبيين ان يجروا الامام الى جانبهم فيحققوا بذلك الاطاحة بحكومة المدفعى وعلى

جودة الايوبى خصوصا وقد لقوا من جباب الشيخ عبدالكريم الجزائرى تأييدا كبيرا ، وكان ما عرف عن الامام كاشف الغطاء من طيبة القلب ، وسماحة النفس ، والاعتقاد ببراءة الذمة ، ما ساعد على اختفاء اغراض هؤلاء الشيوخ الحزبية وانطلاء اغراضهم هذه عليه فقد بدوا انهم لا يريدون الا الاصلاح الذى يدعو اليه الامام كاشف الغطاء ، حتى اذا جاء الهاشمى الى الحكم تكشفت النيات ، واذا بهم يحاولون جر الشيخ الى تأييدهم بصفتهم الحزبية ٠٠٠ ولم يبق منهم على اخلاصه وعهده الا القليل وكان من هذا القليل الشيخ خوام الصديع ٠٠٠

وكتب يومذاك لا ازال فى ريمان الشباب ، وكتب حاد المزاج ، وكتب اصدر جريدة الراعى ، ولم تزل فى بقية من تلك الحرارة التى ادرت بها جريدة الفجر الصادق الهائجة الصاخبة من قبل ، فهجت ، ودفعتى الغيرة على مقام الشيخ ، ومركزه ، فجنته وانا احرق الارم غيظا ، وقلت له - ماذا تعمل يا سيدى نفسك ؟ اتريد ان تتنازل عن الزعامة الروحية الى ياسين الهاشمى ؟

فتجهم وجهه وقطب جبينه وقال :

- ولكن ما الذى ترانى عملت يا عمى ؟

قلت - وما الذى تريد ان تعمل ؟ فلقد اصدرت ذلك (الميثاق) تحت تأثير نفر استغلوا طهارة نفسك وكان ينبغي ان لاتثق بهؤلاء وان تحاطب والان تريد ان تدفع فى تأييدك لياسين الهاشمى اكثر من السابق لتمكنه من التكيل بالطرف الاخر من الاحزاب والمشائر ؟ (وكنت فى ثورة لاتوصف من الهياج) والميثاق الذى اشترت اليه هو مواد وشروط بلغت نحو ١٤ شرطا على ما اذكر ، لم تخل مسن طرف كان يجب ان يخرج بشكل آخر ، وقد حسن وضعه بتلك الصيغة نفر من المتطرفين كانوا قد جاؤوا من بغداد وسائر جهات الفرات ، وكان ابراهيم ذيبان الغبان الذى صار نائبا فى المجلس بعد ذلك ، وقد طبع هذا الميثاق ووزع على الجماهير فى حينه وكانت المواد والشروط تدعو الى التجزئة والانقسام والى امور ليس هذا محل ذكرها وذكر كيفة وضمها وطبها ٠٠ وكان اغلب رؤساء العشائر تؤيده ليس لشيء الا لغرض الاطاحة بالوزارة والائتلاف بياسين الهاشمى .

واحسنت ان الشيخ بدأ يهدأ فقال :

ولكن من قال لك (يا عمي) اننى سأمضى فى تأييدى لياسين الهاشمى الى هذا الحد الذى تقول ؟

قلت - ليس من اعتراض ان تمضى فى تأييد من تريد من الساسة لو كنت سياسيا ، اما وانك زعيم روحانى فلا يسوغ لك باى وجه من الوجوه ان تميل الى جهة دون جهة وانت فى هذا المركز من الزعامة الروحانية .

ولست ادرى أنا الذى وقفته بعد ذلك حيث وقف ؟ ولكنى ادرى ان خطته قد تبدلت ، وقد سبب هذا التبدل ارفض اولئك الزعماء عنه خصوصا بعد ان عجزوا عن ضمان تأييده لهم ، وكان ان اصدر السيد محسن ابو طيخ كتابا باسم (المبادئ والرجال) عرض فيه بالامام ، فكان ذلك من الادلة على اختلاف النيات والاهداف فقد كان الامام يريد شيئا ، وكان اولئك يريدون شيئا آخر ظل مضمرا فى صدورهم حتى قامت الوزارة الهاشمية .

اقول ولست ادرى أنا الذى وقفته حيث وقف ، ولكن الشيخ قد تبدل ، وقد لحقتنى بسبب هذا الاتصال وبسبب سفرى الى الشامية الشيء الكثير من المضايقات ، وقد بدأت السلطة تطاردنى منذ تلك الساعة ، وناثى من حقد رشيد على الكيلانى ، وسوء ظنه اذى كبير ، وقد سحب امتياز جريدة الراعى منى ، وعطلتها الحكومة الى الابد ، ولم يدع صالح حمام - وكان يومها وكيلاً لقائم مقام النجف - وسيلة من وسائل التنكيل الا واستعملها معى ومع بعض اسرة الجريدة القلمية ، وكان موسى كاظم نورس يومذاك مأمورا لدائرة بريد النجف ، وكان من اسرة الجريدة القلمية فى الطليعة ، ومن السواعد التى قامت جريدة (الراعى) ثم (الهاشمى) على تأييدها الادبى وشد ازرها ، وكان صالح حمام قد ناوأ موسى كاظم نورس مناوأة قوية لعدم تمكين نورس اياه من الاشراف على المحظرات التليفونية والبرقيات كما كان يريد وذلك لعدم وجود نص قانونى يخول القائم مقام مثل هذا الاشراف ، وضادف ان اتصل بى داخل الشمالان تليفونيا من بغداد طالباً منى السعى لدى الشيخ محمد الحسين بالاسراع فى اجابة كتابه الخصوصى الذى كان قد بعث به الى الشيخ فكان صالح

حمام يتحرق لمعرفة ماهية هذا الكتاب ومضمونه ، وما كان قد جرى بيني وبين داخل
 الشعلان من حديث بالتلفون مع اني انا نفسى يعلم الله لم اكن اعرف اى شيء عن
 هذا الكتاب وفحواه ، ولم اكن فى الامر اكثر من وسيط ظن بى داخل الشعلان
 الخير فكلفنى بمتابعة كتابه عند الشيخ واشتدت الخصومة والشكاوى الرسمية
 السرية بين صالح حمام وموسى كاظم نورس واتهى الامر باستظهار موسى كاظم
 عليه فظن صالح حمام ان لى فى هذا الاستظهار يدا فزاد ذلك من غضبه ، وراح
 يهاجم الراعى ، وصاحبه ، بكل ما يملك من مجهود سرا وعلاية .

وعلى ان (الشيخ) قد جمع نفسه ، او هو قد بدا يجمع نفسه ، ولكن الجهة
 الثانية وهى الجهة المعارضة لياسين الهاشمى وجبهته قد سخطت على (الشيخ) ووصفته
 بالحزبية ، وكان معظمها يتألف من قبائل الشامية ، وكان علوان الحاج سعدون
 يومذاك على رأسها فحضر الشيخ فى يومه الجبهتين ، ووقعت بينه وبين البلاط
 الملكى جفوة ، واحسب انها هى التى حملته على ان يقول عن الملوك ما تضمنته
 مقطوعته الشعرية التالية ، اما الانكليز فكان يكرههم ، ويندد بهم اينما اتسع له ذلك ،
 وله فيهم اقوال كثيرة ربما كانت على خلاف رأى ابيه الشيخ على .

ومن اقواله الكثيرة ما يلى :

م فيها والعرب	كم نكبة تحطم الاسلا
فتشى تجدهم السبب	والانكليز اصلها
من ويلات حرب أو حرب	بل كل ما فى الارض
وصيروا الناس حطب	هم اشعلوا نيرانها
لضربنا ولا عجب	واستخدموا ملوكنا
كان والا لا نقسب	فملكهم بفرضهم
فى كل شعب فانشب	هم نصبوا عرشا لهم
التاريخ عنهم وكتب	واسوأة .. ان حدث

ولقد شاع آثذ ان هذه القبائل التى يرأسها علوان الحاج سعدون والتى

كانت تميل لجهة المدعى ستغزو القبائل التي يرأسها الحاج عبدالواحد الحاج سكر
التي ناصرته ياسين الهاشمي وانت به الى الحكم وكانت من اجلافه .

وقيلة (آل قنلة) تنشط في جنوب الكوفة الى شطرين ، احدهما يقيم في
(المشخاب) ، وهذا النشط واحلافه يؤلف جبهة قوية ليس من الهين اخضاعها ، اما
الشطرن الثاني فهو اندي يقيم في المهناوية وهو محاط بقبائل مناوئة له ، وعلى اثر
هذه الاشاعة كان لابد ان تتأثر - اول ما تتأثر - قبيلة آل قنلة التي تسكن المهناوية
(الشامية) بالنظر لقلة عددها وسط تلك القبائل المناوئة لها ، وكان الجو قد اكفهر ،
واوشكت الواقعة ان تقع يوم جاني عبيد آل عبدالسادة وهو أحد مشايخ آل قنلة
(المهناوية) وخال اركان العبادي ، لقد جاني هو والسيد هاشم الزامل في نحو
الساعة الحادية عشرة ليلا وبسطا لي القضية وقالوا ان الامر في غاية الخطورة فاذا
وقعت الواقعة بين العشائر المتخاصمة وقعت البلاد في جرب اهلية لايرف مداها غير
الله ، وقالوا لي انهما لن يبرحا من بيتي حتى يطمئنا بانتي استطعت ان احمل الالام
الشيخ محمد الحسين على التدخل في الامر ، وكان الشيخ محمد الحسين قد بدأ
يشيح بوجهه عن تلك القبائل التي قامت - اول ما قامت - على تأييده وبدأت هي
الاخري تنكر له ، وهنا تركت السيد هاشم وعبيد آل عبدالسادة في بيتي وجئت
الشيخ في ذلك الوقت من الليل ، وشرحت له الكيفية ، وطلبت منه ان يوفد من قبله
شخصا الى الشامية لمعالجة الحالة والحيلولة بين هجوم قبائل الشامية احلاف المدعى
على آل قنلة احلاف الهاشمي .

واصر الشيخ على ايفادي انا من قبله رسولا الى الشامية ، وعبنا حاولت
التملص ، ولكي يحملني على الموافقة حملا طلب من جعفر الاعسم ان يرافقني في
هذه المهمة ، فسرت معه برسالة من الشيخ وانا منكره ، ولم يصبح الصباح
حتى كنا في الشامية ، وكان اجتماع الشيوخ والرؤوساء في بيت الحاج رايح ،
وادلى كل واحد من الشيوخ برأيه في القضية ، وكان مرزوق العواد اصلبهم عودا ،
وأشدهم حماسا ، وقد اتهمني هناك بانتي انما يهمني من الامر هو ما يهمني آل قنلة

- بصفتي صديقا لهم - وليس لمصلحة العامة في مجيئي انهم اصبحوا شأن ، وسأني في ذلك المجلس ما جوبهت به من لدن مرزوق ، ولكن علوان الحاج سسمدون والحاج رايح قد طيبا خاطري ، وأكدوا لي ان الجميع سيحترمون امر الشيخ ، ولن يبدروا منهم نحو هذه القبيلة آية بادرة ورجوا ان ابغ الشيخ بان اقل ما ينتظرون منه هو التخلي نهائيا عن تأييد سياسة ياسين الهاشمي ذلك لانهم لم يكونوا قد اعتقدوا بعد تماما بان الشيخ كان قد كف عن التدخل ، وانه ليس على صفاء مع اولئك ، خصوصا عندما تجلي له اي للشيخ ان الجماعة التي ايدها كانت ترمى الى هدف حزبي ليس له دخل بما كان يهدف هو اليه من الاصلاح الشامل وانهم قد قلبوا له ظهر المجن .

وفسر ذهابي الى الشامية عند الحكومة تفسيراً غير صحيح ، وجاء في تقرير (القضاء) والشرطة ، اتى كنت الوسيط الوحيد بين علي جودة الايوبي وجميل المدفي - اللذين كانا يعملان متحدين - من جهة ، وبين الشيخ محمد الحسين وبين هذه العشائر من جهة ثانية بقصد اثارها ، وهاجها في وجه وزارة الهاشمي ، فكان من نتائج ذلك تعطيل جريدة (الراعي) ، وملاحقتي من قبل الحكومة كما مرت الاشارة الى ذلك ، والمضحك في الامر هو انني لم اكن يومذاك اعرف السيد علي جودة الايوبي ، ولم التق به ، بل لم ار وجهه . . . والغريب انني لم يتفق لي الاجتماع به الا في سنة ١٩٥٨ أي بعد اربع وعشرين سنة من هذا الحادث . . .!! حين اتصل بي تلفونيا مبدئياً اعجابته بكتابي (كنت معهم في السجن) الذي قال لي انه لم يتسن له ان يقرأه الا في هذه الايام فاحب ان يتفضل بتسجيل اعجابيه ، وهنا تمت المعرفة بيني وبينه . . .!! لاول مرة عن طريق التلفون .

أما جميل المدفي فانه لم يتفق لي التعرف به ، والتحدث اليه الى ان مات . . . ولكن من يستطيع ان يقنع الشرطة ؟ ومن يستطيع ان يبدل عقلية الحكومة وطراز تفكيرها . . .؟؟

قلت ان الشيخ محمد الحسين كان طيب القلب ، نقي السريرة طاهر النفس ، فكانت هذه الصفات تساعد كثيرا على تقبله الاقوال ممن يضع ثقته فيهم .

ولقد استطاع صالح حمام - وقد كان قائم مقام النجف حينئذ - لقد استطاع ان يكسب ثقته وان يفهمه عنى بانى لم اذهب الى الشامية الا لاغراض سياسية تخصنى ... ونسى الشيخ رحمه الله انه هو الذى اوفدنى ، وانه هو الذى الح على فى الذهاب الى الشامية وانى كنت مكرها فى الامر ، لقد نسى ذلك كله فراح يحوّل ... ويظهر العجب ... وقد بلغتى حوقلته فانقطعت عنه سنة كاملة اظهر لى فيها العطف الكثير ، وحاول ان يعرف سبب القطيعة حتى تم ذلك عن طريق الشيخ قاسم محى الدين الذى تعهد للشيخ بان يحملى الى حملا وان يجعلنى كما كنت اولا - مشمولاً بلطفه وعطفه ، وأكد لى هناك الامام انه لم يتقبل من صالح حمام اقواله فى وكل ما فعلت اقوال صالح انها اثارته عنده الدهشة والاستغراب !! ولكنه لم يصدق ما قيل وكان يريد ان يعرف الاسباب التى حملت الحكومة على ان تقول فى ما قالت ولكننى انقطعت عنه ...

وكان من تأثير صالح حمام على الشيخ ان حمله حين تضعضت ثقة الحكومة (بحمام) وكثرت شكاوى الناس منه ومما استعمل من اساليب للضغط على الحريات ، والتدخل فى شؤون البلد ، بسبب ما استمد من قوة صالح جبر وسد صالح وثقتها فيه فى اول الامر ، لقد حمل صالح حمام الشيخ كاشف الغطاء على ان يبرق للحكومة برقية هذا نصها :

« صالح ، صالح للبلاد »

هذا فى الوقت انذى كان الشيخ فد امتنع من الاتصال بالحكومة وكان غاضبا عليها !!

وتذكرنى تورية اسم (صالح) باسلوب الشيخ الذى قلما خلا من البراعات الفنية التى يتضمنها انجاس والتورية وسائر ضروب البديع وهو يرسل ذلك عفو الخطر وبدون قصد كلون من الوان سرعة البديهة الطبيعية .

ولقد كنت حاضرا المجلس الذى ضمه وضم الاستاذ أحمد أمين فى النجف ، وكان الشيخ قد ناقش أحمد أمين وعاتبه على ما اورد فى كتاب (فجر الاسلام) عن الشيعة ، ثم انتقل الحديث الى الشعر فسأل أحمد أمين الشيخ عن تاريخ نظمه لاجدى

فصائمه التي تخص زيارته لمصر ، وكانت قوافيها (غنية) وكان من تلك القوافي
(البزوغ والنزوغ) قائلا :

- متى كان هذا (البزوغ والنزوغ) الذي اوردموه في قصيدتكم عن مصر؟
فقال الشيخ - لقد كان ذلك قبل بزوغ (فجر الاسلام) ونزوغه .
فضحك احمد أمين وأقسم انه لم يرد بهذا السؤال التعريض والتمسز ،
فأيده الشيخ وقال - وانه هو كذلك لم يقصد الا الدعابة .
ولقد كتب الشيخ مرة الى السيد عباسي شبر موصيا اياه بشخص امي قروي
ولكنه كان كريم النفس أبا ومروفاً باشهامة ، قائلا : « انه أبي ولكنه امي » .
ومن البراعات الادبية التي اتصف بها أدبه هو الايجاز ، فقد كان يحسن
فن الايجاز ويتقنه لحد يثير الدهشة ولقد رويت لقنون ايجازه نصوص ذات
قيمة في معرض الامثة .

وسئل مرة وهو يتسلق جبل (صافي) الرابض على صدر مدينة (جباع) ببلدان ،
وكان على القمة من هذا الجبل مدفن ولي يسمى (ياصافي) وقد كثرت فيه الأقوال
والاحاديث ، ورويت عن معجزاته الروايات ، وهو محل يرتاده الكثير بقصد
الزيارة والثبوة ، ويقصد اتمتع بتلك المناظر الزاهية الجميلة من فوق مدينة
جباع .

لقد سئل الامام الشيخ محمد الحسين وهو يتسلق هذا الجبل باتجاه مزقد
(صافي) لقد سئل عن حقيقة هذا الولي وقيمه القدسية ، وكان التعب قد اعيا الشيخ
وهو يصمد فقال وهو يضحك :

- « يا صافي ما اكثر اتابك ، واقل ثوابك ،

وكان ايجازه هذا كافيا لتجريح تلك الأقوال والشهادات بقدسية الولي (صافي)
ومعجزاته ، وقيمه الدينية ، وظل اهل جباع يفرغون في مسامع الصاعدين الى
(صافي) بقصد اتقرب الى الله ظلوا يفرغون في مسامع الصاعدين قول كاشف
الغطاء : -

« يا صافي ما اكثر اتابك واقل ثوابك ، » .

وتمكنه من الشعر لا يقل عن تمكنه من الشر ولربما حوت رسائله الخاصة الكثير من شعر المناسبات الذى يرسله عفو الخاطر كما حوت الكثير من صنوف البديع والجناس والتورية المرتجلة وهى رسائل تبرع عن الاساليب الادبية التى تجمع بين الشعر وانتثر فى الجيل المتقدم ولم يترك لنا منها صوراً لانه لم يتعود ان يجعل لرسائله مسودات ، لذلك حرص الذين رافقهم التوفيق بمكاتبته على رسائله هذه التى تعد من ازخر الاثار الادبية بالفن ، والبراعة الدالة على منتهى ما يتصور الانسان من مقدرة تحكيها عصاره فن مليء بالابداع ، وافكار غاية فى السمو ، مع انه ليس غير أدب مرتجل يسيل به القلم كما يسيل العسل من الانحاء اذا فتحتها وكثيراً ما اجتمعتنى الصدفة به وهو يجبر رسالة الى احد فاستغل هذه الفرصة وانقل من تلك الرسائل شيئاً حتى اجتمع عندى شيء غير قليل من هذه الصور الحية ، وهذه احدى رسائله التى كتبها لامين خالص حين دعاه ليقضى اياماً من الصيف عنده فى الشمال يوم كان امين خالص متصرفاً بكرركوك اثبتها هنا كنموذج لما كان يفيض به اديه المرتجل على انورق بدون مسودة ، وكصورة من اروغ الصور الفنية ، وازخرها بالمعاني والافكار لادب الجيل الماضى الذى ظل ينسج على منواله الكثير من علماء الادب حتى اليوم .

سلام شائق ، ودعاء وامق ، وتحية مخلص

وردنى كتابك الكريم ، وكنت انتظره انتظان الليل للشفاء ، او الارض
المجذبة لماء السماء ، فاعاد لنا تلك الذكريات الطيبة ، والشويعات المنعشة ، التى هى
صفوة العمر ، بل هى العمر ، وما نسيناكم فاقول بكتابكم ذكرناكم . . . ولكنى -
ذكرتكم ذكر الزلال على الفلما فلم انتفع من برده ببلال
اسائل عن لا احب وانما اريدكم من بينهم بسؤالى
واظوى على حر السمير جوانحى واظهر للعبدال انى سنالى
ولا والذى عافاكم وابلى بكم فؤادى ما من السلوى يالى

اما دعوتكم لنا ان نزرركم ، فهى دعوة اخ شقيق ، بل دعوة ولد بار ، لآب
أبر ، وما احوج هذا الجسد النحيف الذى صار كعمود الخلال ، او من عالم المثال ،

فما احوجه الى المتع بتلك المناظر البديعة التي نوهت عنها بكتابتك الذي التقط الفاظه من تلك الازهار ، وقوة معانيه من تلك الصخور والاحجار ، ورقة اساليه مسن نسيمات هاتيك الاسحار ، وما الازهار الا سجايك ، وما الانهار العذبة الا طباعتك ، وما الافاح والشقيق والمهر الاحديشك ، وقديمتك ، وما الخمائل الا تلك السمائل .

نعم ما احوجنى الى التمتع بالمنعشات الثلاثة - بلادك ، ورؤياك ، وحديثك ، ولكن أنى لى بان تسعدنى الظروف والاقدار بهذه الامانى والاطوار « وكيف يطير مقصوص الجناح؟ » .
وانا :-

اهم بامر والليلالى كانما تطاردنى عن نيله واطارد
نعم ايها العزيز

ليهنك عيش بال(لشمال) منعم فبعذك عيش (بالجنوب) منكدم
بودى لو أنى ازورك ساعة لعلى منها نظرة اتزود
ونعماك فى تلك الورود فأنى على حسك البلوى اقوم واقعد
رضينا بان تبلى الليالى جديدا اذا كانت النعمى لكم تتجدد

وانت ايها الاديب اللبيب تعلم انى لست من اشعر ولا قلامه ظفر ، ولكنها اشجان تهيج فى الفكر ، فتملى على اليراع تلك الشذرات التى هى من ذوب الفؤاد ، وصباية القلب ، جرت على عنق الخاطر ، وجرى القلم ، ولعلها دون ما تجنه الجوانح وبعض ما فى النفس ، .

وبعد كل ذلك فاكتر مايمجيك من الشيخ هذا الجلد والصبر على العناء والاجهاد ، فهو بالاضافة الى كثرة مراجعته والوقوف على بابه ، وخروجه للصلاة بالناس ظهرا وعشاء والقائه سلسلة من البحوث فى كل مساء فان معدل ما يتلقى فى اليوم ليتراوح بين خمسين او ستين رسالة ، وقد يتجاوز المعدل فى بعض المواسم المائة رسالة تأتيه من مختلف الاقطار الاسلامية ، وحتى من الاقطار الافريقية ،

والاميركين ومعلمها استفتاءات شرعية ، ومسائل اجتماعية ، وأدبية ، كان يقرؤها جيباً ويحجب عنها بنفسه وكان الكثير من تلك الاجوبة يكتبها على نفس الرسالة ، ويمدها الى صاحبها ، وكنت ارى بعض هذه الرسائل حين متاح لي بالفرصة ، فسأله في نيتها الى قراء الهاف ، وقد نقلت قصفاً ادبية رائعة من اجوبته في الكثير من الاسيات في جريدتى وكان بين تلك الرسائل والاستفتاءات رسائل من مختلف المذاهب والاديان ، وكثير منها كانت ترد اليه من رجالات العلم والادب المسيحيين اقيمين ببغداد واهماجرين منهم ، وكان يجيب على كل منها في حدود مستواها ، ومضمونها ، بذلك قل الصفاء الذين تم الانفاع بهم فقها ، وادباً ، واخلاقاً ، من امثال الشيخ محمد الحسين كشاف الغطاء ، ثم هو من الجراة بحيث لا يهاب احداً ولا يحترم قوة في الوجود اذا ما تنكبت طريق الحق والمنطق ، واذا ما عرض له ان يغير ويبدل ويعدل فليس ذلك على حساب التهيب ، والخوف ، وانما على حساب المصلحة التي تبدو له ، والتمتضيات التي تعرض امامه والا فهو ابعد الناس عن تهيب الرأى العام او السلطة المشهورة ، وقد نمت هذه الجراة مع نموه وحبست لها الجاوبة في مختلف ادوارها حسابها الكامل .

اردت ذات يوم ان اقوم بدعوة منظمة تهذيب خطباء المنابر الحسينية في جريدة الهاف ، فندت المهزلة حدا لا يطاق من جراء صعود عدد من اشباه الاميين المنابر الحسينية ، والانيان باحاديث منقفة مكذوبة على الله ، ورسوله . واوانيائه ، ورجت الى الشيخ مستفتياً عن رأيه في هؤلاء الذين يرتقون المنابر على هذه الكيفية ، والذين كثيراً ما يسممهم الشيخ بنفسه ، فرأيه يكاد يتفجر عيظاً ، وقد صب جام غضبه عليهم ، وعلى الذين يستقرؤونهم في بيوتهم وهم يعدسون شأنهم ، ويعرفون عجزهم فاستكتبته ، فكتب لي رأيه فيهم ، واعتبر الاصفاء الى مثل هؤلاء الخطباء وحضور مجالسهم والاستماع الى خطبهم من الامور المحرمة التي لا يجوزها اشرع بوجه من الوجوه ، وقد حدد في هذه الفتوى مؤهلات الخطيب وواجبه تحديداً جيداً دون ان يهتم بالرأى العام وما يمكن ان ينتهي اليه الامر . ولما كنت اعلم بخطورة المهمة التي اقوم بها نظراً لكثرة عدد المسئولين الذين

سيصبحون خصوما للجريدة ، اندفعت اعد العدة وابحث عن الكتاب والمساعدين الذين يمكن التعاون معهم في هذه الحملة وتهيأت لى اسباب الحملة عند بعض المفكرين من الروحانيين ، وكانت جماعة (منتدى النشر) فى طليعة المؤمنين بالانكسار ، وكان الشيخ محمد الشريعة ، اشدهم ايمانا ، واجراهم فى الصرخة ، وكانت جمعية منتدى النشر قد تهيأت لذلك فى فتح صف من صفوفها المدرسية لاعداد خطباء تتوفر فيهم هذه الشروط ، ولقد رجحت انا ان استعين بعد ذلك فى هذه الصرخة التى نويت ان اصرخ بها بخطباء المنابر المثقفين ثقافة عالية ، ومن لى يكونوا مضمولين بقوى تحريم صمودهم المنابر ، وكنت احسب ان الخطيب الشهير الشيخ محمد على يعقوبى سيكون فى مقدمة هؤلاء الذين يمكن الاستعانة بهم فى هذه الحملة ، ولكن شيئا من (البرودة) حينذاك كان مستحكما بينى وبين يعقوبى حملة على ان يطلب مواجهة الشيخ محمد الحسين ويقنع به بان يسحب منى تلك الفتوى التى لو كانت قد نشرت لاضافت حسنة اخرى الى حسنات الشيخ محمد الحسين الكبيرة والكثيرة العدد فى ميدان الاصلاح الدينى ، والاجتماعى ، وقد لقي الشيخ محمد على يعقوبى نفسه من او تلك الزعانف المحسنين على رجال المنابر ، والذين دافع عنهم يعقوبى الامرين فيما بعد ، وقد جوزى منهم بما جوزى شتمار ، ويستطيع المرء ان يطل موافقة الامام كاشف الغطاء بسحب الفتوى منى بمختلف التعليقات والاسباب ماعدا الخوف من رأى العام ، ذلك لان الامام فى سنه الاخيرة قد برهن على انه لا يهاب سلطة ، ولا يخشى مجتمعا ، ولا يهتسب بتهديد .

والشيخ كاشف الغطاء اول داع للاصلاح الدينى ، والاجتماعى ، واول مجتهد اتقن اداء مهمة الاجتهاد ضمن حدود الامكان ، لذلك كان من الغريب ان يعدل عن رأيه ، ويسحب الفتوى منى .

ومشت جمعية المنتدى فى أمر اصلاح خطباء المنابر وفتحت صفنا خاصا للخطباء وكانت للشيخ محمد الشريعة وقفته التى لاتسى ، وحدثت هذه الوقفة ، ضجة كبيرة فى وسط النجف لم يعب بها الشيخ محمد الشريعة ولم يلق ، ولم

يتضعف ، وتبلورت الضجة والنقمة على جمعية المنتدى حتى صارت ثورة فلم يزد الشيخ محمد الشريعة ذلك الاثبات واستهزاء بالتهديد الذي لقيه ، ولم يكن الشيخ محمد رضا المظفر ، عميد المنتدى حاضرا في النجف يومها فاصاب اعضاء المنتدى امام تلك الثورة شيء من الخور فقرروا ايقاف حركتهم الاصلاحية بالاجماع ولم يعارض هذا القرار الا الشيخ محمد الشريعة .

ولو كان المشروع قد نجح لكنا قد حصلنا على عدد اكبر من نظراء الخطيب الشيخ احمد الوائلي والخطيب السيد جواد شبر وغيرهما ممن انتجتهم جمعية منتدى النشر .

* * *

اقول ان الشيخ محمد الحسين كان اول داع للاصلاح الديني والاصلاح الاجتماعي ، وكان يتمتع بسليقة قل ان تمتع بها زعيم روحاني في استنباط الاحكام ، فلقد لامني حين سمعني اخطب في حفلة تأييد السيد ابي الحسن الاصفهاني حين قلت « ان السيد ابا الحسن كان اول مجتهد حكم بطلاق امرأة معدمة من زوج كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات » ، فقال لي الشيخ محمد الحسين « بل انا الذي كنت اول من حكم بطلاق امرأة من زوج مسلول وكان ذلك قبل حكم السيد ابي الحسن بسنوات ، فيكون الشيخ بناء على ذلك اول من اخذ الحق - حق الطلاق المفروض ان يكون بيد من اخذ بالساق - من الرجل وطلق الزوجة دون اخذ موافقة الزوج ، فسألته عن المسوغ ؟ عن المسوغ الشرعي لا المدني طبعا الذي يبيح له اصدار مثل هذا الحكم بينما لم يسبق لاحد من الائمة فضلا عن العلماء من استطاع ان يقضى بمثل هذا او ما يشبهه ؟

فاجابني بكل ثقة وصرامة قائلا : « ان المجتهد مشرع يا عمي ؟ » !!
ومن هذا يستبان ان الشيخ كان يعطى الاجتهاد حقا لم يعطه احد قبله من الفقهاء .

ومع ذلك فقد كانت له اراء شرعية لم يتح له ان يخرجها على رغم جرأته فلقد

قال لي مرة وانا أسأله عن الامام الثاني عشر (صاحب الزمان) والخصائص المذهبية الواردة عنه لقد قال لي :

• ان الاعتراف بوجوده على هذا النحو ليس من الضروريات ••!!
ومن هذه الآراء ايضا انكاره (للرجعة) وقد اورد ذلك في الطبعة الاولى من كتاب (اصل الشيعة واصولها) ثم اضطر الى اغفال ذلك في الطبعات الاخرى بسبب الضجة التي احدثها رايه هذا على ما قيل •

ولكني اعتقد ان ذلك كان قبل عدة سنوات وقبل ان ترسخ قدمه في ميدان الزعامة اذا صح ، لاني وجدته اجرا الزعماء في السنين الاخيرة •

وقال لي مرة اذا كانت في الاسلام احكام لاينبغي ان تتبدل وتغير على مدى الايام ، فان هنالك احكاما تستلزم التبديل والتغير اذا تطلبها العقل ، والمنطق ، والمستلزمات الشرعية ، ولكن الكثير من المجتهدين - تعوزهم السليقة ليجروا مثل هذا التبديل ، والتغير ، فتظل تلك الاحكام جامدة وبعيدة عن الهدف الذي يرمى اليه الشرع •

وقال خذ مثلا وصية الميت التي يوصي فيها بانفاق ما يخصه من ثلثه على بناء (السييل) وهو محل لعرض الماء مجانا للشرب في طريق القوافل ، وفي مداخل المدن ، كلما كان يفعل المسلمون في العصور السابقة اجابة لحض الدين عليه ، وطلباً للمثوبة قال : فهل من المعقول او هل من الشرع ان تنفذ وصية الميت بعد ان توفرت اليوم مياه الشرب في كل مكان ، واصبحت وسائل النقل من السرعة والسهولة بحيث يفطر الانسان صباحا في البصرة ويتغدى ظهرا في القاهرة هل من الشرع ان تنفذ هذه الوصية لمجرد انها وصية يجب على الوصي تنفيذها ؟

وقال : لقد كان بناء المساجد في العصور الاسلامية السابقة ، من اقرب المقربات الى الله ، يوم كان المسجد محلا لاداء الصلاة ، ومدرسة يقوم فيها الطلاب بتلقي العلوم ، ومنتدى يجتمع فيها المسلمون في كثير من المناسبات وملجأ للغرباء الذين يفدون على المدينة ، ويوم كانت ابواب المساجد بمثابة الجرائد تلصق عليها الاعلانات ، عن فقدان حاجة ، او المشور على حاجة ، وغير ذلك من الاغراض ، فهل يمكن ان

تكون المثوبة في بناء هذه المساجد - انا زاد عدد المساجد عن الحاجة - هي عين المثوبة
بعد ان فتحت المدارس الكافية ، وتأسست المستشفيات وبنيت الاندية ، وتكاثرت
المرافق الاجتماعية والمؤسسات التعاونية ، لو ان رجلا اوصى بان ينفق من ماله الخاص
به (اي من ثلثه) على بناء مسجدين او اكثر في المدينة ؟

قال اني لا اعتقد ان المثوبة الحاصلة اليوم من تأسيس (سبيل) للماء ، وبناء
مسجد ، هي عين المثوبة السابقة ، فالاسلام يوم كان يحض على اقامة المساجد
وتصيرها كان يتبنى منها كل تلك الفوائد التي ذكرت وأكثر من نشر دعوته
والتبشير بسنته العادلة ، وايصال صوته الى الغايبين عما يرمى اليه الاسلام الصحيح
من هدف عملي في حياة الانسان العامة ، لذلك .. (قال الشيخ) .. لذلك قد حملت
مرة احد الاثرياء من رؤساء العشائر وكان قد جاءني ليأخذ رأبي في بناء مسجد
في قرينته ، وكان فيها مسجد آخر لقد حملته على ان يبنى بعض الغرف في مصح
(حماما) ويهدبها مجانا للمسؤولين المراقبين ، وقلت له ان الثواب في ذلك عند الله
اكثر واكبر مادام في قرينته مسجد يكفي لاداء المهمة كما تحققت ، وقد علمت انه
بنى غرفة او غرفتين في مصح (حماما) ، وان افاضة المساجد عن الحاجة - كما قال
الشيخ - هو الزائد الذي قيل عنه انه كالتأصص ، وهو الذي يلزم المجتهد باعادة
النظر في الحكم ، ولقد تسبب من عدم ادراك الناس ، وعدم تصدى المجتهدين لافهام
بناء المساجد ، ان كثر عدد هذه المساجد واصبح الكثير منها مقفلا ومهملا ولحق من
جراه ذلك شيء من الاهانة بالطقوس الاسلامية فضلا عن ضياع المال وانفاقه سدى .
ولم اجد شخصا يعدل عن رأيه بالسرعة التي يعدل الشيخ محمد الحسين عن
رأيه حين تضح له الحقيقة ، ويتجلى له الحق ، وكثيرا بل واكثر من الكثير الذي
رأيت فيه الامل يدلي برأى خاص كان يؤمن به منذ زمن ثم لم يكف بتغيير رأيه
وانما راح يمدد الاخرين على المواطن اني لم يصب فيها من قبل ، واذا تبجح الكثير بما قد
اصابوا في كثير من الاراء فانه ليسرد لك في المناسبة كثيرا من المواقف التي التبس
فيها عليه الامر ..! وهي صفة لزبدة العلماء المحققين .

زرتة ذات ليلة بمستشفى الكرخ ببغداد فانفتحت عنده جمعا من
الشايع والوجوه وكانت صحته مما تسمح بالجلوس للناس وقد
وجدت الجمع يخوض في بحث كتاب (وعاظ السلاطين) للدكتور على
الوردى الذى كان قد صدر منذ ايام قريبة ولم يترك أحد من الجالسين شيئا لم يقله
عن افساد الوردى لافكار الناس ، وكفره ، واستهزائه بالدين والائمة
الذى تضمنه كتابه على حد رأيهم ، وكان الشيخ يحتدم غيظا ، ويحوقل ، ويستعبد ،
وقد علمت ان ارشد العمرى كان عند الشيخ منذ دقائق فافرح الشيخ غضبه فى
اذن العمرى ، ولم يترك العمرى الشيخ حتى وعده وعدا اكيدا بأنه سيتخذ جميع
الاجراءات الممكنة فى حق الدكتور على الوردى وفى حق كتابه هذا اذا ما اصبح
الصباح

وكت قد فرغت من مطالعة الكتاب المذكور فى ذلك اليوم ، لو اليوم الذى
قبله ، فانبريت الى القوم افند ادعاهم ، واروى للشيخ آراء الوردى على حقيقتها ،
وكان ردى على اولئك المتحمسين فى هجومهم على الوردى عنيفا وكان دليلي او قل
تأثيري على الشيخ قويا ، بالرغم من انى كنت واحدا ، وكانت الحاشية التى احاطت
الشيخ جمعا كبيرا . وفيهم بعض الشعراء والادباء اللبقون المعروفون فلقد قلت
للشيخ :

- او لم تتقتى ياكثر مما استحق من نموت ادبية فنية كدت ترفضى بها الى
الضراح الارتفاع ؟ - وكان الشيخ قد كتب مقدمة كتابي « عندما كنت قاضيا » المطبوع
فاضفى على وعلى جريدتى - الهاتف - بالشيء الكثير مما لا استحق من ثناء وصفات
سواء فى طبعة الكتاب الاولى او الثانية ؟ -

قال - بلى .

قلت - تناس كل ذلك يا عمى . . . واعتبرنى قارئا يحسن فهم ما يقرأ على
الاقبل . . . وانا اوكد لسيدى العم اننى قرأت الكتاب من الفه الى يائه فلم اجد فيه
شيئا ولا شبه شيء مما يقول هؤلاء القوم ، وانا واثق بانك لن تخرج بغير هذه
النتيجة او باقل مما خرجت بها انا حين يتسنى لك الاطلاع على الكتاب بنفسك .

فانطلقت اسارير الشيخ هنا ، وهذا ٥٥٠ ولم اتركه حتى حملته على ان يوفد احدا في تلك الليلة الى ارشد العمري ليخبره بانه كان قد تسرع في طلبه بمعاينة الدكتور الوردى لانه لم يكن قد قرأ الكتاب بعد ٥٥٥ وعلى انى لم اسمع رأى الشيخ بعد قرائته كتاب الوردى ولكنى كنت واثقا بانه سيؤيدنى فى الكثير مما قلت عن هذا الكتاب اذا ما اتم قراءته ، ذلك لانه لم يوجد بين كبار علمائنا المتأخرين من كانت له مثل هذه الاحاطة الفقهية ، والادبية ، وحسن السليقة التى عرف بها الشيخ كاشف الغطاء ، فقد كان بدون شك اكبر علماء عصره الروحانيين ، وكان افضلهم فى جميع مراتب الاجتهاد ، ولكن امورا خاصة تتعلق بشؤون الزعامة هى التى لم تجعل الانفراد فى زعامة الشيعة اليه وحده ، وامورا تخصه نفسه هى التى لم تدعه ان يشغل المكان اللائق به كأكبر زعيم روحانى ثم العصر الاخير .

وفى اثناء الحرب الثانية كان على رأس مديرية الدعاية والنشر السيد كمال عبدالمجيد وكان قد حرم جريدة الهاتف - لسبب ليس هذا محل ذكره - من تخصيص حصة لها من الورق بينما كانت لجميع الصحف حصص معينة ، فكنت اشترى ورق الصحف من السوق السوداء ، ومن الصحف التى كانت تشتري (البند) من حصتها بنصف دينار او اكثر قليلا . فاشترى به انا منها بتسعة دنانير ٥٥٥ حتى اشتريت مرة البند الواحد بأحد عشر دينارا ٥٥٥ ولم ادع (الهاتف) يتوقف عن الصدور فكان (الهاتف) يعانى ازمة شديدة حملت السيد (ابا الحسن) الزعيم الروحانى الاكبر على ان يخص الهاتف بمقدار من الورق الذى جلب له لكى يطبع به رسالته الدينية ، ويبدو ان الامر قد بلغ الشيخ محمدا الحسين كاشف الغطاء فبعث لى بمبلغ من المال مصحوبا بالرسالة التالية :

« عزيزى اعزك الله بعزه ومدك بعنايته

انت تعلم ان صحيفتك الغراء منذ فجر نشئها الى اليوم تصلنا تباعا ، ونحن وان كنا نساعدنا بالمساعدات الادبية من تنويه ، وتحيز ، وغيرها ، ولكن لم يتفق لنا طول تلك المدة من مساعدتها مساعدة مادية ، وعلى اثر ازمة الورق ، وغلاء الاجور ، كنت اود ان اضع لى فى تلك المائدة اصعبا ان لم تكن يدا ، لذلك تجاسرت

(كذا) بتقديم هذا المبلغ الضئيل ، ولك الفضل في قبوله (كذا) ولا يحسب مولاي (كذا) ان لهذا علاقة بأية قضية ، فالله شهيد انه من خالص ما في يدي ، وكن على ثقة بان دعائي ، ودعائتي ، هي خير لك من اضافة هذا المبلغ قل ام كثر ، والله يحفظك ويرعاك بدعاء اميك الروحاني البار ، •

محمد الحسين

٣٠ شعبان ١٣٩١

وقد زرته بعد تسلمى المبلغ والرسالة بساعة واحدة ، ولاول مرة أقبل يده ، لاننى لا اذكر انى قبلت يد احد غير يدي ابوى واخى الكبير حين بدأت اشعر ، لقد قبلت يده لاننى لم اجد وسيلة تحمله على قبول استرجاع المبلغ منى بغير هذا النحو من الالتماس الذى عبرت فيه له عن غاية امتناني ، وشكرى ، ورجسوت منه اعفائى عن قبول المبلغ ، ولم ازل به حتى وافق على ذلك مكرها ، ومرة اخرى قبلت يده حين تفضل وزارنى فى بيتى على اثر تصميمى على الانتقال (بالهاتف) الى بغداد ليحول بنى وبين هذا التصميم ، فكان تقبيل يده بمثابة آخر ما فى كنانتى من وسيلة فى الرجاء منه بتركى وشأنى ، ولقد لقيت من لدنه الشيء الكثير من الرعاية ، والعتف طوال السنين التى اتيح لى فيها التشرف بالاتصال به وهى رعاية وعناية قلما لقيها شبه متمرد منلى ، من زعيم روحانى كبير مثله •

لقد كان الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء نسيج وحده علما ، وأدبا ، وفنا وكان زعيما روحيا فذا ومصالحا كبيرا سيظل التاريخ زمانا طويلا يبحث عن نظير له بين جماعة الروحانيين فلا يوفق وقلما شوهد شخص يجمع بين عدد غير قليل من زعامات انفرد بها فى العالم الاسلامى والعالم العربى ، فقد كان زعيما روحيا ، واسع الاطلاع تخرج الكثير من العلماء على يديه ، وكان منهم السيد محسن الحكيم المرجع الروحاني الاكبر اليوم ، وكان خطيبا قل نظيره من حيث بلاغة الكلام ، وفصاحة اللفظ ، ونفوذ معانيه الى قلوب مستمعيه ، وكان زعيما من اكبر الزعماء فى عالم الادب ، شعرا ، وثرا ، ثم هو بعد ذلك محدث بارع ، ماخلا حديثه من

الملح الادبية ، وانكت الفنية ، اما الشخصية فحدث عنها ولا حرج ، ولقد انجيت
اسرة كاشف الغطاء عددا كبيرا من نوابغ اهل العلم والادب ولكن الشيخ محمد
الحسين كان من انبغ من انجيت النجف في تأريخها الطويل العريض •

وافته المنية وانا اصطاف في ايران ولم تغنني تلك العيون الثرة التي هطلت
على ثراه من دموع المسلمين الذين حضروا تشييعه الذي قل مثله في التاريخ •

اجل لم تغنني تلك الدموع الغزيرة الثرة عن ان اذيب قلبي فاسكبه من بعيد
قطرات ظلت وستظل رمزا لكآبة عميقة ، وحزن ممض ، وجرح لايندمل •



الشيخ عبدالحسين الحلبي

الشيخ عبدالحسين الحلبي^(١)

كانا اثنين ذاتك اللذان يحملان نفس الاسم ونفس النسبة • ولم يكن الفرق بين الاسمين يزيد على اضافة اسم عبد الى الحسين وتجرد الثاني من هذه الاضافة • وعلى رغم التفاوت بين الشخصين في العمر وفي منحنى التفكير والاتجاه • فقد التبس الامر على الكثير ممن لم يعرفهما فظن ان الشيخ حسين الحلبي هو الشيخ عبدالحسين الحلبي ، وانهما اسمان لمسمى واحد • وكنت انا من هؤلاء الذين التبس عليهم الامر • ولا ادري بالضبط متى بدأت أميز بين الاسمين • ولا متى عرفت كلا منهما المعرفة الكافية ، وكلما دريت به هو اني صرت بعد حين اعرف اين موضع الشيخ عبدالحسين الحلبي من هذا الرهط • فكنت انظر اليه نظرة اكبار واعجاب نلقيتها من ابي • ومن اخي الاكبر ومن اعمامى • ومن الفت التقاءهم في المجالس • ثم مالبت هذا التلقين الطيبي ان صار اساسا بنيت عليه عقيدتي غير الاختيارية ثم عقيدتي الاختيارية •

وعلى الرغم من وجود عدد غير قليل من فطاحل الادب يوم وعيت ، وعلى رغم امتلاء ذهني بأسماء طائفة منهم من الذين رأيتهم كالشيخ جواد الشيبلي • والسيد رضا الهندي ، والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي ، والشيخ هادي الشيخ عباس ، والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء والشيخ عبدالكريم الجزائري ، او الذين لم اراهم كالشيخ آغا رضا الاصفهاني • والسيد محمد سعيد الجبوبي من المعاصرين ، وعلى الرغم من عدم ترك هؤلاء اى مجال لذكر اشخاص آخرين لبعدهم ،

(١) مجلة العرفان - صيدا - مجلد السنة ١٩٥٧ •

وامتداد شهرتهم ، فان الشيخ عبدالحسين - وكان اصغر اولئك سنا ومن الطبقة التي تليهم - لم يعدم الوسيلة الادبية التي يستلقت بها الانظار الى نفسه مع وجود اولئك الجهابذة • واعلام الادب في دنيا العربية •

وسواء صح هذا ام لم يصح فاني اؤكد أنني كنت قد سمعت بأسم الشيخ عبدالحسين كاديب يوم كانت سماء الادب مزدانة بتلك الشمس ، ومضيئة بتلك الكواكب ، ونم تكن يوم ذاك مدارس منتظمة ذات صفوف مرتبة ، ولا شهادات ذات سمات معينة ، ولا امتحانات يتعين بواسطتها درجة اشخص وفضيلته • وكل ما كان هناك ان كانت حياة عملية يشخص فيها المرء بجميع مواهبه معكوسا على العيون ، والقلوب ، والادمة ، في شعره ، ونثره ، وتفكيره ، واتجاهاته ، فاذا بها لوحة مكشوفة لا تكاد تعرض عليها الصورة حتى يبين منها ما يعجب وما لا يعجب ، وما يمكن ان يرسخ في الذهن او ما لا يمكن من الذي يذهب جفاء •

واللوحة هذه او المحك الذي تتميز به المواهب هو فيما تسخ من فرض احتفالات الاعراس ، والافراح ، واحتفالات المآتم ، والذكريات ، ومجاسن التندر ، والدعابة ، وما تفيض به الرسائل التي يبعث بها الغائبون عن النجف الى اقيمين فيها ، فنشأ من كل ذلك فجرة عن الشاعر ، والناثر ، والمنحدث ، لاتبث ان تجول في اذهان خصة حتى تم اذهان العامة ، ويظل يتناقلها الجميع ثم تأتي الايام عليها بالتمواهد المؤيدة ومن هنا تحصل الشهرة لمن يستحق الشهرة •

وكان الكثير من المنادين يحفظون الشيء الكثير من نوادر اعلام الادب ، وبنات افكارهم ، ويتحدثون بها متأدين ومتندين ، والدليل على شهرة الشيخ عبدالحسين الادبية في ذلك اليوم هو ما كان يتناقل قراء الادب من آثاره الادبية الى جانب ما كانوا يتناقلونه لكبار الاعلام • وأني لا ذكر لان نادرة ادبية حفظتها له واما في اول شبابه واول عهده بمعرفة اسمه والتميز بينه وبين الشيخ حسين الحلبي •

فقد روى عن احد اغنياء النجف الذي طالما كان يستخدم مواهب بعض الادباء بما كان ينفقه عليهم وما كان يقيمه لهم من ولائم ودعوات كسبا للشهرة • لقد روى

ان هذا الفنى القبى عاد مرة من زيارة القبات فدعا جمعا من الادياء بهذه المناسبة وكان من ضمن مدعويه : الشيخ عبدالحسين الحياوى • والسيد محمد حسين الكيشوان ، والشيخ عبدالحسين الحلى ، وغيرهم ، وهناك ثر عليهم مجموعة من الخواتيم النفيسة التى جاء بها على سبيل الهدية والصوغة ودعا كل واحد لاختيار خاتمه بشرط ان يقول شيئا من الشعر بهذه المناسبة فكان ان تناول كل شخص خاتمه ، وقال شيئا ، اما الشيخ عبدالحسين الحلى فقد ختم المجلس بيتين ناقلهما جميع الادياء والمتأدين يوم ذاك لما فيهما من جمال التعريض والتورية فى مجال الدهابة وظل البيتان حديث القوم زمنا طويلا وهما :

لقى الخواتيم لنا فانتشرت حتى تافسنا عليها معه
 فلا تسل لنا فكل واحد ادخل فى (خاتمه) أصيبه
 كذلك كنت احفظ له بعض التشابيه الرائعة فى ذلك الدور البعيد وقبل ان
 اشب وادرك مما كان يجرى على السنة المعجيين ومن ذلك كان قوله واصفا :

اطلع لى قده وخده فخلت غصنا عليه ورده
 وهى تشابيه واوصاف تتوفر فيها كل ملكات الشاعر المبتكر المبدع فى ذلك
 اليوم ، فضلا عما يتصف به هذا الشعر من السلاسة والانسجام والمذوبة •

وحين تقدمت بى السن الفيت الشيخ عبدالحسين يتسنى عرشا آخر غير عرش
 الشعر والادب ، وان ملكاته فى التحقيق والبحث كانت موضع اعجاب الجميع ،
 بحيث لم يستطع اكبر العلماء والمؤلفين من معارفه الاستغناء عن القاء نظرة منه على
 مؤلفاتهم قبل دفعها للطبع ، سواء كانت هذه المؤلفات تخص علم الفقه او علم الاصول
 او تخصص التاريخ الاسلامى او علم الرجال • او تخصص اللغة وتاريخ الادب ، فكان
 الشيخ عبدالحسين موسوعة عجيبة ، ودائرة معارف غرر منها الكثير من العلماء •

وحين عثر على النسخة الخطية المشوهة من ديوان مهيار الديلمى لم يجدوا من
 يمكن الركون اليه فى اكمال ما نقص منها وتصحيح ما وقع فيها من الفسوط • ورد
 ما خرج منها عن القواعد الى حظيرته غير الشيخ عبدالحسين حين تم الاقدام على
 طبعاها ببنفاد •

ولقد نقل لي الشيخ محمد السماوي قال ان النسخة الخطية كانت من حيث رداء الخط والتشويه بحيث كانت تتعذر على غير الشيخ عبدالحسين قراءتها وتصحيحها . وقال لي السماوي : وصادف وجودي في الكاظمين فاستعان بي الشيخ عبدالحسين ذات ليلة على قراءة بعض فصول النسخة للاطمينان من صحتها قبل دفعها للطبع . ولقد اعتذرت عن المبيت معه في الخان . لان الفصل كان شتاء . ولاني كنت شديد الاحساس بالبرد فلم تكن عيني لتغمض قبل التأكد من ان نقل عدد اللحف التي تلقي على قد بات يقيد لي كل حركة من حركاتي . والحق ان الذين عرفوا السماوي يؤيدون مبلغ احتياطه وخوفه من البرد حتى ليظن ان ثقل ما عليه من الالبسة قد يتجاوز ثقل جسمه مرة ونصف مرة او اكثر وان الفرو الذي لايسقط عن كتفيه طوال الشتاء هو فرو مخصوص زاد وزنه على اثقل انواع الفراء .!! .

وقال السماوي : ولكن الشيخ عبدالحسين الحلبي أكد لي بأن الخان الذي يدعوني للمبيت فيه معه ، يعمل في جانب منه ندف قد لا يقل عدد اللحف التي عنده عن عشرين لحفا ولم يزل بي حتى قنمت . ووالله لقد اراني من جلده . ومن سرعة خواطره . ومن استنباط ما شرد من ذهن المحققين المجائب وهو يراجع نسخة الديوان ويقلب رأيه فيه .

واقسم اني تجاوزت في اعجابي به - يقول السماوي - حد الغبطة وقضينا ثلثي الليل ونحن نحقق ونصحح ، وحين نمت بدأ يلقي على من اللحف اثقلها حتى اشرت له من تحت اللحاف بالاكفاء .

وعند الصبح - قال المرحوم السماوي - وعند الصبح . لم اجد من اللحف الا باللحاف الاول الذي كان يغطي جسمي مباشرة اما تلك الانتقال الملقاة على فلم تكن لحفا وانما كانت اجلالا للحمير ، وقد القى الشيخ عبدالحسين على منها ما استطاع ، ذلك لان الشخص الذي كان يعمل في الخان لم يكن ندافا كما قال بل كان جلالا يخيظ اجلال الحمير كما فهمت في الصباح .!! .

* * *

واول تماس لي بالشيخ عبدالحسين الحلبي كان في سنة/١٩٢٩ وكنت اصدر

يومها جريدة الفجر الصادق • وكنت قد ازمعت النية على نشر ترجمة لرسالة كان
 الفها بالفارسية الزعيم الروحاني الميرزا حسين النائيني قبل ان يصبح مرجعا دينيا
 كبيرا ، وكان قد نقلها صالح الجعفرى الى العربية لتشر تباعا فى الفجر الصادق
 وكان الجعفرى يومها من محررى الفجر الصادق • وكانت هذه الرسالة عشوانا
 للحضارة الاسلامية التى تنظر الى الامور - فيما يتعلق بثقافة المرأة والرجل ، وفيما
 يتعلق بالحرية والعمل ، وفيما يتعلق بالمسؤوليات - نظرة مستقيمة تدل على منتهى
 النضج والاعتدال مما يعبر عن رأى (النائيني) المصلح المدرك الذى يفهم مقتضيات
 المسلم المعاصر فهما صحيحا ولكنه حين بدأ يخطو الى الزعامة الدينية وجد ان هنالك
 مجالات واسعة سيستغلها خصومه لهاجمته بسبب هذه الازاء التى تضمنتها رسالته ،
 والتى تتنافى دعوتها مع الزعامة الروحانية التى يؤيدها الرجعيون والجهلة تأييدا
 مجردا من كل تفكير حر مستقيم •

فسمى النائيني الى جمعها • وبذل على ما قبل يومذاك ثسراء كل نسخة مالا يقل
 عن ليرتين ذهبية • وهو مبلغ جد كبير كئمن لرسالة لم تزد صفحاتها على عشرات
 الصفحات • وهذا ما حفزنى على نشرها فى جريدتى والاشادة بها وتوجيه الناس الى
 مطالبيها ولكن هذه المحاولة قد حملت (النائيني) على بذل مجهود كبير للحيلولة دون
 نشرها • وكان من هذا المجهود قيام الشيخ عبد الحسين الحللى بالتوسط لسحب
 الرسالة من قلم التحرير وحمل الجريدة على العدول عن نشرها •

ولاول مرة اجلس الى الشيخ عبدالحسين فى مقبرة آل الحولاوى فى
 الصحن الشريف مدة ساعة اشرح له رأىي فى تخطئة هذه الاساليب ، وابسط له
 مذهبي فيما تخلف مجاملة العوام من قبل العلماء من الاثر السئ فى المجتمع ، وابدى
 له معارضتى وتصميمى على المضى فى ترجمة الرسالة ونشرها • وكم دهشت • وكم
 تعجبت حين رأيت هذا الرجل الذى بعثه (النائيني) ليقتنى قد بدأ يؤيد رأىي •
 وينفخ فى من روحه • ويضرب لى المثل على ان هذا الدين لا يقيمه الا الحق والا
 الصراحة وقال :-

لقد انتفع الاسلام من صراحة السيد جمال الدين الافطاني ، وجرأة الشيخ محمد عبده اضافة ما يمكن ان ينتفع احد من مجاراة الرأي العام ، ومجاملة العوام ثم قوى في عزمي وصار يقص على بعض الامثلة التي تزيد من قوة ارادتي ومضى في عقيدتي وروى لي بعض الخواطر الادبية بلغة وبسبب هادئة . وكلمات موزونة كأنه كان امام ند من انداده . لا تلميذ صغير من تلاميذه . ولقد كان هو هذا طوال ما رأيت كان مجموعة من تواضع . وموسوعة من علم وأدب وتأريخ . ولست ادري ما الذي قال للثاني وما الذي قاله له الثاني ولكن الامر سوى ممي من طريق الشيخ جواد الجواهري الذي ارغمني على المدول عن نشر الرسالة ارغاما ليس هذا موضع شرحه .

وبعد زمن علمت بان الذي قال بأن الشيخ عبدالحسين كان من جماعة السيد كاظم اليزدي . وانه من خصوم دعاة الحرية (والمشروطة) لم يكن يعرف عن الشيخ عبدالحسين الا حضوره ببحث السيد كاظم . اما اختلافه معه في الرأي والعقيدة فلم يعرف احد عنه شيئا . ولا ادل على ذلك من ملازمة الشيخ عبدالحسين للشيخ عبدالله المايقاني مع انه كان يختلف وواياه اختلافا كليا في كثير من الامور ، ولكن هذه الملازمة لم تتاف مع هذا الاختلاف الاساسي

وقوى اتصالي به . وكان لاحد ابناء عمي وهو الشيخ سعيد ماتم حسيني يقيمه في كل سنة في بيته مدة عشرة ايام يحضره عدد غير قليل من فضلاء النجف واعلامها . وحين يرفض عقد المجلس من كل ليلة يتأخر بضعة انفار من اولئك الفضلاء ويتحول مجلسهم الى مجلس ادبي خاص ، وكان الشيخ عبدالحسين من حضار هذا المجلس . وفي هذا المجلس عرفت للشيخ عبدالحسين اشياء كثيرة لم اعرفها من قبل . لقد قل من يدانيه في ملكة ارجاع المسائل الى مصادرها . كما قل من يجازيه في مناقشة التشريع من ناحية الفقه ، وفيما يحفظ ويستظهر من اشواهد العلمية والادبية . ويمتاز على العدد الكبير من تلك الحوزة بما كان يضيفه على المناقشة والافصاف من جمال الاستعارات والجناس وحلاوة الصياغة . وأنى

لإذكره مرة وهو يناقش الشيخ جعفر البديري في مسألة فقهية استنبط لها الشيخ عبدالحسين من المفاهيم ما يفاير رأى (البديري) مغايرة أساسية . وحين احتدم الجدل واحتدام الجدل عند الشيخ عبدالحسين حركة للجذع مستمرة بين الانحاء قليلا وبين الاعتدال ، ثم توجه نحو اليمين ، وتوجه نحو اليسار ، ثم بسط الكف على الأرض . فإذا انتهت المناقشة بالظفر ، خمدت هذه الحركات رويدا رويدا ، وعاد الشيخ عبدالحسين الى وضعه الطبيعي . والا فلا بد انه قائل شيئا ، وبهذا الشئى اعتاد ان يختم المناقشة فلا ينبس بعدها بكلمة فى اصل الموضوع ، أقول وحين احتدم الجدل بينه وبين الشيخ جعفر البديري ورأى انه غير قادر على ان يغير للبديري رأيا قال له أسمعنى يا سيدى الشيخ :-

- ان فقهك عتيق . عتيق وكفى .

ولم يكن أحد يعرف ان من الفقه ما هو جديد وما هو عتيق ولكن الأدباء من امثال الشيخ عبدالحسين كثيرا ما يوجدون ما لم يوجد ، ومنذ ذلك اليوم صار الفقه جديدا وعتيقا ، وظل الفقه العتيق يرمز الى الافكار الجامدة التى تعجز عن تسخير الاذهان لاستنباط المعقول من الامور واصح اصطلاحا عند الكثير .

ولم يبق من ثم يعرف للشيخ عبدالحسين الحلي قيمته العلمية ومقامه الادبى الرفيع حتى البقال حين كان يقف عليه الشيخ ليشتري شيئا كان يطفح وجهه بالبشر لالشي . الا لان الشيخ عبدالحسين قد اشترى منه شيئا ، وحتى العوام كانوا يعرفونه من مشيته الرتيبة وهو قابع بماءته فيسلمون عليه وياخذون يده بقصد التقبل على الرغم منه . وحتى الشباب والطامحون كانوا يفهمون بان لهم بين علماء الدين علما اقل ما يقال عن علمه ان فقهه جديد على حد تعبير الشيخ عبدالحسين نفسه . وانه لم يؤخره عن الزعامة الدينية الا عدم التزامه بما يلتزم به المرشحون للزعامة فكان لا يمتنع ان يناقش الصغير والكبير . وان يعلن عن رأيه بدون توقف وحذر ، وان يدخل حلبة ليس له فيها من ند ونظير ، لانه لم يفكر يوما ما بالزعامة الروحية . ولو كان يفكر فيها لتجنب حتى نظم الشعر .

وكان من مفاخر اهل العلم والادب ان يذكروا انهم تتلمذوا على يد الشيخ
عبدالحسين • او تتلمذوا على تلاميذه • وكان من مفاخرهم ان يذكروا بانهم قرأوا
شعرهم في مجلس كان من متصدره الشيخ عبدالحسين الحلبي • وان قصائدهم
قد حظيت منه بالاستعادة • بل كان اكثر من هذا ••••• فقد طالما كان حكما
بين جهتين في مسألة فقهية • أو مسألة أدبية • او قضية تاريخية ذات علاقة بالفلسفة
الروحية او التحقيق الادبي • وكان اكثر من هذا كله ايضا ••••• لقد كان حكمه
الفصل فيما يعرض عليه فلم يستأنف حكمه مستأنف • ولم يميزه مميز •

اجل انه لم يبق من يجهل مقام الشيخ عبدالحسين العلمي والادبي من كبير
أو صغير عالم او جاهل • اما الجهة التي ران عليها الجهل • وعشى عنها الغباء فجهلت
حق الشيخ عبدالحسين فهي جهة الحكومة فقط •

لقد كان لي قريب شاب عرف بشدة الكسل بين أقرانه حتى لقد كان يتناقل
والله ان يتناول اللقمة من الخوان ويدنيها من فمه •••!! وهو نفسه يدرك هذه الاحوال
وكثيرا ما تحدث قائلا : لا احسبني لشدة كسلي قادرا على ان أقوم بادنى خدمة لا قرب
شخص مني اذا ترك الامر لي وحدي ، وقد قال لي قريبي الكسول هذا يوم تم تعيينه
موظفا في الحكومة ، لقد قال لي وهو يضحك مازحا :

– لم اكن اعرف مدى غباوة الحكومة ، وبلادتها ، وعدم ادراكها ، الا يوم
قبل تعييني موظفا في ملاكها •

اما انا فلم اعرف مدى غباوة الحكومة وبلادتها الا يوم قررت ان تجسرى
للشيخ عبدالحسين الحلبي امتحانا لكي تعينه قاضيا شرعيا في محاكمها ، ولم اعرف
مبلغ جنابة الحكومة على الحق والعدل والقضاء الا يوم اعلنت الحكومة ان الشيخ
عبدالحسين الحلبي لم يجتز الامتحان بالنتاج المطلوب •••!!

ولست ادري ايجوز ان يجرى احد امتحانا لاديسون في الكهرباء ؟ ولمسام
كورى في طبيعة الراديوم ؟ ولماركوني في الراديو ؟ فاذا جاز هذا جاز لاحدنا ان
يعطى لنفسه حق اجراء امتحان للشيخ عبدالحسين في الفقه وفي القضاء الشرعي ••
ومالنا وهذا ؟ وانما اريد ان اذكر بان الشيخ عبدالحسين قد سامت احواله المادية

كنتيجة لعدم رضوخه للتقاليد ، ونتيجة لعدم مجاراته المحيط الذي كان يفرض عليه فروضا غير ملائمة لجبلته وحيويته ، وزادت الايام فى سوئها حتى اضطر لبيع مسكنه ، وحتى تنازل عن كتبه ، وكانت له بال الشيبى - وبالمرحوم الشيخ جواد الشيبى خاصة - صلة قوية نسجها الادب الرفيع الذى يتحلى به الشيخ عبدالحسين ويتحلى به بيت الشيبى . فرأى آل الشيبى ان يعرضوا عليه القضاء الشرعى
 واشهد انه على رغم حاجته الشديدة يومها للمال وعلى رغم فقد انه كل رجاء فى تحسن وضعه المالى فقد امتنع عن اجابة الطلب ، وكان له الحق ان يمتنع . ذلك لان القضاء الشرعى العراقى فى دور الاستقلال لم يكن قد شهد من قبل ولن يشهد من بعد ندا للشيخ عبدالحسين ، ولان نزول الشيخ الحلى على نظام (الروتين) الحكومى وقبوله دخول الامتحان كان لا يخلو من منقصة لامثاله ، ولكن آل الشيبى أصروا .
 وما زالوا به حتى استقدموه من النجف الى بغداد ، وحتى ارغموه على دخول الامتحان الشكلى ، وتم كل شيء ، وظهرت النتيجة بانه لم يستطع اجتياز الامتحان بالنجاح المطلوب . . . !! وكثر يومذاك الحديث عن السبب الذى آل اليه الامر على تلك الصورة ، وكان الشيخ على الشرقى حينذاك رئيسا لمجلس التميز الشرعى .
 والشائع المعروف انه كان كل شيء فى هذا الامتحان ، وكانت بين آل الشيبى وبين الشيخ على الشرقى جفوة طال امدها ولم تنزل حتى اليوم فاتهم انصار الشيبى الشيخ على الشرقى بما آل اليه الشيخ الحلى ، ودافع الشيخ على الشرقى بكونه تلميذا من تلاميذ الشيخ عبدالحسين ، وانه درس عليه شطرا غير قليل من حياته المدرسية فليس من المعقول ان يوقع بالشيخ عبدالحسين من اجل خصومته لآل الشيبى . وكثر يومها اللفظ والحديث وصار الناس صفين متعارضين بين متهم ، وبين مدافع ، فما رأيت والله ايمانا فى تلك الازمة والنفس فى اشد انفعالها لما وقع ، يحاكى ايمان الشيخ عبدالحسين الحلى ، ولا نفسا اكثر هدوا فى تلك العاصفة ولا صدرا اوسع حلما . من نفسه ومن صدره . وقد تلقى تلك الصدمة بصبر ما مثله صبر . ويحلم عز نظيره فى مثل هذه المعامع بينما ظلت قصيته تدوى فى اندية النجف طويلا .

ومثل هذا الموقف النبوي ، المخجل من الحكومة كان موقف النجف واكثر .
 تلك المدينة التي نهلت من فيض الشيخ عبدالحسين نحو خمسين سنة كاستاذ
 لمجاهدها وكركن من اركان أدبها الرفيع وكعميد من عمداء الفقه والبحث والتحقيق .
 تلك المدينة التي تساوى العالم والجاهل . والكبير والصغير في معرفة الشيخ
 عبدالحسين بحقيقته . لا ادري كيف رضيت لنفسها ان تراه يغادرها الى البحرين
 بصفة رئيس للتميز الشرعى دون ان تحرك النجف ساكنا ؟ وهى تعلم - اى
 النجف - ان الشيخ عبدالحسين قد افنى زهرة عمره فى سبيل عزتها العلمية .
 وشهرتها الادبية . وهو عمر لو قضى الشيخ عبدالحسين بعضه - والبعض اليسير
 منه - فى مصلحة خاصة لبني نفسه ما بنى . وعمر ما عمر . وكانت التبعة تقع
 فى الدرجة الاولى على الزعماء الروحانيين . وكان بوسع هؤلاء الزعماء وحدهم
 ان يحولوا بين الشيخ وبين السفر من اجل العيش ، وكان المسؤول الاكبر فى ذلك
 السيد ابو الحسن الزعيم الروحاني الكبير .

وانى لاذهب الى ان موقف اهل بغداد مع عبدالوهاب المالكى فى القرن
 الرابع الذى حمله ضيق ذات اليد على السفر الى مصر ، والذى اجتمع حوله
 العلماء والفضلاء ليحولوا بينه وبين الهجرة فقال انه لو وجد من يدفع له كيلا من
 الباقلاء فى اليوم لمدل عن الهجرة . فبكى الجميع ولكن لم يظهر احد استعداده
 لسد هذه العلة ، اقول اننى لاذهب الى القول بان موقف بغداد فى القرن الرابع مع
 عبدالوهاب - على نبوه - كان الطف بكثير من موقف النجف مع الشيخ عبدالحسين
 فى القرن العشرين .

وكانت لى بال الشيبى صلة وثيقة ، وكان لهذه الصلة الفضل فى توثيق
 اتصالى بالشيخ عبدالحسين بل ليتمكن اعتبار هذه الصداقةمنى للحلى مدينة لتلك الصلة
 بال الشيبى اكثر من غيرها اذ هى التى زادت علاقتى وثوقا بالشيخ الحلى حتى
 تحولت الى صداقة متينة نشطت منذ اول يوم وصوله الى البحرين . وقد ظفر الادب
 الرفيع منها بخير مجهوده من الشعر والنثر . اما الشعر فقد ضمت جريدة (الهاتف)
 منه اغلبه ان لم يكن كله . واما النثر فأنى محتفظ له باضارة من ارووع

الرسائل وابلغها وقد حكى الكثير منها ادق الاحاسيس وكشف عن اتجاهات ليس
 بإمكان احد ان يكشفها مالم يكن من الموهوبين ، واعتقد ان دراسة هذا الشعر والنثر
 والتصدى لمرض حياة الشيخ عبدالحسين الادبية قد تكون ذات فائدة كبيرة في
 دنيا الاداب الحية ، اما هو فانه لم يجن من علمه وأدبه الرفيع شيئا وهو حى ، أفيمكن
 ان يجنى منه شيئا وهو ميت ؟

اقول لقد توثقت هذه الصداقة بينى وبينه حتى كتب لى مرة من البحرين

يقول :

(... وانى آمل ان لا ابقى خائبا دائما من رسائلكم الخاصة التى تبهج نفسى
 وتزيدها نشاطا . وبالله أقسم وما على يمين : ان عمدة ما استفيد من الهاتف هو
 تجدد ذكرى صاحبه آنا فآنا ، ثم تغذية الروح بما يجرى به ذلك اليراع السيال
 من محرره لما فيه من أدب جم . وفن نافع . و اخلاق جميلة

وراح يفمرنى بمواطنه ويبعث فى (الهاتف) من روحه الادبية ما يقصر
 القلم عن وصف اثره فى رفع مستوى هذه الصحيفة ، وصارت لاتمر مناسبة
 دون ان يستفلها ليفيض بأدبه على الهاتف وصاحبه فيضا لايعرف قدره ، ولا يدرك
 مداه الا الادباء والا الذين نهلوا من معين (الهاتف) وصاروا شعراء وكتابا عن
 طريقه ، وما معين (الهاتف) الا عدد من نوابغ الشعراء والكتاب المجلين وكان الشيخ
 عبدالحسين الحللى فى طليعتهم ، فهذا هو يبعث للهاتف بقصيدة من البحرين ضمن
 رسالة خاصة ويعنونها بكلمة (الود) مهنيا ، بمناسبة عيد رمضان من سنة ١٣٦١ ،
 ويقول فيها :

حتى اوطانى اذا سمعت	بالتحايا الفر اوطان
واصبحا با عهدتهم	وهم فى الله اخوان
لهم فى كل مكرمة	اثر بالفضل ملآن
كيف يخفى فضلهم وله	بينهم من لطفه شأن
(يا خليلى) انت لى وكفى	بك عمن لى قد كانوا
انت فى مرءآك منشرح	لى ومن ذكراك سلوان

لك ودى لا ارتياب به	ما وراء الحسن برهان
اعرب (الراعى) (لهاتفه) (١)	عن مزايا بك تزدان
ومعان للكمال غدت	هى روح وهو جثمان
انما (الراعى وهاتفه)	لشبات الفضل ديوان
وهما سفر فان فكمت	نفس من يهوى فستان
لك يولى العيد بهجنه	وهى الطاف واحسان
فاستق الاقداح فيه اذا	صح ان اليوم نشوان
وخذ الافراح منه وما	هو الا بك جذلان
واستمعها من فمى نغما	للتهانى هى الحان
لك اهديها محبرة	وعليها (الود) عنوان
كعمود الدر فصلها	بديع الصنع مرجان
كل عقد لاتوازنه	دلة تهدى وفتجان

وهو يريد بالدلة والفتجان هنا تلك الدلة التى اهداها لى السيد مير على والفتجان الذى اهداه لى الشيخ جواد فسام فى أبيات من الشعر حملت عددا من ائمة الشعر حينذاك على مباراتها ومجاراتها حتى كان من تلك المباراة والمجاراة قلادة ازدان بها جيد الشعر ، وكانت قصيدة الشيخ الحلى عين القلادة (٢) .

وزادت افضاله الادبية حتى راح يقرط اذن (الهاتف) بما يرينا من العقود التى حوى (الهاتف) الشئ الكثير منها مما يصلح ان يكون نواة دراسة ادبية عميقة لائمة الشعر والادب فى التجف ، ولا بد للقارىء ان يلمس حتى فى المناسبات الخاصة ، مزاجه واتجاهاته ، ومنحى تفكيره ، فهو حين يقرض كتاب (فى قرى الجبن) مثلا وهو احد مؤلفاتى القديمة فانما يقرضه بما يستوحى منه وما يجب ان

(١) الراعى ، والهاتف ، الجريدتان اللتان اصدرتهما انا فى التجف ، ثم انتقلت الهاتف بعد ذلك الى بغداد .

(٢) يجد القارىء بعض الامثلة من قصيدة الدلة فى عرضى لايام السيد مير على والشيخ محمد حسن حيدر من هذا الكتاب .
المؤلف

يكون له من الاثر فى نفسه ، وما قد يستتبط منه من القواعد ، كقوله من أصل قصيدة بهذا المعنى :-

بنى المهدم الجبن ورخا نهدم المبنى
تقلنا مع الايام من وهن الى وهن
واخلدنا الى الارض ولكن بغية الدفن
غنيا نحن بالراحة والراحة لا تقضى
وما الراحة للانسان الا العمل المضنى

واشهد انه راح ضحية تفانيه فى خدمة العلم والدين والادب . وكان صاحب رسالة ادبية لانه قد خلق لشيئى غيرها ، وانه ليهيجه الموضوع الادبى الخلقى اكثر مما يهيجه اى شئى فى الدنيا حتى وان كان ذا مساس بحياته المادية وقد كان يسكن بالقرب من بيته شخص يبيع الخضروات ما رآه مرة فى الطريق الاوقف اليه واخذ يده وطبع عليها قبله حارة وقال :

«عمى الشيخ عبدالحسين يمته حتى نصلى وراك؟» فاجابه الشيخ ذات يوم «انت ابدى» وانا اصلى وراك» فففز (الخضرواتى) كالمذموم وهو يستغفر قائلاً :
- استغفر الله يا شيخنا استغفر الله ...

وهذا الجواب وحده من الشيخ (انت ابدى وانا اصلى وراك) يدل على كم هو راغب عن الجاه والرعاة ، وعازف عن الشهرة وجاهز منذ اليوم الاول على عدم ترشيح نفسه للزعامة الروحية حتى ليرضى بان ياتم بياتع المخضرات فى سبيل ان يترك لشأنه . ويميش غير مقيد !!...!!

ولقد كان للهاتف يوم باسم (يوم الهاتف الادبى) وهو يوم الاثنين من كل اسبوع وقد جرت العادة ان يجتمع الادباء فى هذا اليوم بمكتب الهاتف ويبسنداً احدهم بتسجيل ما يتداولون فيه من احاديث ونقاش فينشر ذلك فى الهاتف تباعاً ، ثم حدثت هنالك امور تعطل بسببها هذا اليوم وسحبت من الجريدة اخباره ووقائمه ، ولقد كان لتعطيل هذا اليوم صدى فى نفوس بعض الادباء ، ولكنه كان فى نفس الشيخ عبدالحسين عاصفة . وغاصفة هو جاء اكسخت كل شئى امامها وقد ظهر

اثرها فى قطعة ثرية رائعة وقصيدة شعرية اروع منها ، بمنها من البحرين جاء فيها :

فقدت سبعين عاما لم تزد كرى لها كفقدى (ليوم الهاتف) الادبى
قد كان لى سلوة عما اكابده - اعاذك الله - من هم ومن وصب
قالوا ابدال عاما من سواء ولا والله مالى بذاك المام من ارب
سئمتها صحفا ليست مطهرة ولا بأيدى كرام سادة نجب
ما كنت انفتت فى يوم بها ذهبها فكيف اتلف فيها وقتى الذهبى
ولم تكن راحتى يوما بها وكفى ان لا يكون بها فى ساعة تمبى

وكل القصيدة على هذا النمط وهى دليل على ما كان يعطى الادب من أهمية .
وما كان يريد ان يكون الادب وتكون الصحف عليه من جلال وكمال ومنفعة .
وكان برا بالنجف . وكان متفانيا فى حبها ، وكان يرى ان السعادة تحل بين تلك
الاجواء الادبية التى تحكيها مجالسها . فمن هناك . فمن البحرين كان يكتب لى
سائلا عن كل جزئية وكلية حتى عن (ياجه) الشيخ محمد جيون والمشاركين فيها
والتي عقد الهاتف عنها فصلا وعلق عليها البعض تعليقات ادبية فكمية فى حينها ،
وكان يتعقب ندوة (الصفوة) التى كان يرأسها السيد على بحر العلوم ، والتي اعتادت
ان تجتمع فى كل يوم اربعا بيت السيد مير على أبى طيخ وتتحول هنالك الى ندوة
علمية لغوية ادبية . فكان يكتب لى سائلا عنها ، مستنهما عما يدور فيها من نقاش
ادبى ، ومن طرائف شعرية ، وكان يتعقب حركة (جمعية منتدى النشر) خطوة
فخطوة وان له الفضل الكبير على النجف - فى خلق المناسبات الادبية . واناشها
بعد ان طرأ على أدب النجف شئى غير قليل من الخمول ، والقنور والركود بسبب
انتقال طائفة من رجالات ادبها عنها . كآل الشيبى . والشيخ على الشرقى .
واحمد الصافى ومهدى الجواهرى واحسنت النجف على أثر مغادرة الشيخ عبدالحسين
الى البحرين بالفراغ الكبير ، وبالخلعة التى خلفها فى جميع النفوس ، وظلت ذكراء
مله القلوب ، وراحت الايدى تتخاطف كل عدد من اعداد الهاتف الذى يحوى
شيئا عن خواطره .

وعند قيامه بالزيارة الاولى للعراق قادما من البحرين استحات النجف كلها

الى مهرجانات أدبية حتى ضاقت اوفاته باندعوات الكثيرة • ولتمتلاء بيته بكبار العلماء ورجال الادب ، واسمته النجف قصائد فاضت بالحب والاخلاص والتجلة لتمامه العلمى • واحتفت به احتفاء قل نظيره ، وقد طال بطول ايامه التى قضاها هنا •

وحين رجع الى البحرين لتقى فى الطريق شيئا غير قليل من عدم الراحة وحين وصوله الى البحرين مرض مرضا شديدا وقد كتب لى على أثر ذلك يقول :-
••••• واند من كل مالاقت اذية هى الوحشة التى لازمتى فى البحرين ، فليتنى لا رأيت العراق من قبله • اوليتنى لم اجد فيه نعيما مما يلذ من موجودات العراق •••••

وبادلت النجف عين هذا الشعور فقد أحست بوحشة أكبر • وبألم أَمْض • وتمنى كل واحد لو ان الشيخ عبدالحسين لم يقدم النجف • ولم يجدد عهده بها • وطفح الشموران شعوره وشعور النجف على الكثير من صفحات الهاتف •
وسامت صحته • واعتل جسمه • اما الذى لم يسؤ ولم يمثل فهو شعوره ، واحساسه ، وقلمه ، وقد ظل تفكيره خصبا يفيض بالحيوية • لقد ظل كما وصفه هو من قصيدة عامرة بقوله :

تظلمت من المرأ	الى العود الى البدا
وسرحت به طرفا	حديد الطرف لا يخسا
وفكرا لم يزل يخطو	ولكن قلما يخطأ
حديدا لم يكن ينبو	اذا شمس ولم يصدأ

وحدث بينى وبينه ما يشبه الجفاء وليس هذا مورد ذكره - فانقطعت مكاتيبى عنه • وانقطعت مكاتيبه عنى • ولكن ذلك لم يمنعه من ان يقصدنى ببغداد قصدا - وكان قد جاء من البحرين ليقضى اياما فى النجف - ففمررتى بلطفه ، وشملتى بعطفه وطوانى بحلمه • ورأيت فى هذه المرة شبح الموت ماثلا فى ضمغه وهزاله • وهالنى ان أراه فى هذا الضمف • وفى هذا الهزال وقد اهدى لى آخر صورة له وقال انها الصورة المفضلة عنده لانها تحكيه وهو فى شتاء العمر •••••!!

ولم يكتب لى بعد ذلك ان أراه • وكانت الهاتف قد تعطلت عن الصدور •
فحرمت • وحرم القراء • وحرمت النجف فى فترة هذا التمهيل من التمتع بذلك
الادب الساحر • والعلم الزاخر • والمثل الاعلى للخلق الرضى والقلب الطاهر •
وكانت وحشة اخرى شعرت بها النجف تفوق ما سبق لها من شعورها بغيبة
الشيخ عبدالحسين • ذلك لأن هذه الوحشة لن يزيلها من الدهن مزيل مادام
الشيخ عبدالحسين قد مات فى البحرين !! • وبموته انطوت صفحة من المع صفحات
العلم والادب فى هذه المدينة المقدسة فوالهفتى على تلك الذكريات الحية •



الشيخ قاسم محيي الدين

الشيخ قاسم محى الدين^(١)

تعود بى الذكرى الى ايام الطفولة وانا صبى العب مع الصبيان فى آخر الشارع او فيما يلى آخر الشارع من محلة العمارة فى النجف ، وفى هذا الشارع كان يقوم بيتنا كما يقوم بيت الشيخ امان محى الدين (والد الدكتور عبدالرزاق محى الدين) . وكنت ارى بين مرتادى هذا البيت شابا يلبس (اليشماغ) ومن فوقه عقال احمر داكن . ولا يستلفت النظر لولا مشية خاصة يخيل الى الرائي انه يجبر قدميه فيها جرا . ويميل فيها نحو اليمين ونحو الشمال اذا ما اسرع فى خطواته ، ولولا انه كبير كان اكثر بروزا من عقاله الذى كان ينفرد بلونه الاحمر الداكن بين مئات «العقل» فى ذلك اليوم . ثم رأيت بعد ذلك غير مرة عند اخى فى مدرسة اسرتنا آل الخليلي ، ثم عند اخى فى بيتنا ، فعرفت انه الشيخ جاسم محى الدين . وانه يسكن فى الطرف الاخر من محلة (العمارة) وبالقرب من (السور) ، وانه ابن اخى الشيخ امان محى الدين ، وانه يقوم بزيارة خاله بين آونة وأخرى لمحض الزيارة أو لارتياح مجلسه ، والتمتع بما يدور فيه من الاحاديث الادبية والعلمية ، فقد كان لخاله الشيخ امان ديوان تحضره طبقة من أهل الفضل والادب ، ويمتد بعض الاحيان الى منتصف الليل ، ثم تزوج الشيخ جاسم ابنة خاله وما زلت اذكر خروج العروس الى بيته ، واذكر صفا من طلاب العلم الذين قاموا بالزفاف وقد لحنوا التسيح تلحيناً راقصاً جميلاً يهز السامعين . فكان البض منهم ينشد وهو فى حال اشبه بالرقص أو الدبكة صارخاً بنغمة حلوة خاصة :- الله . الله .

(١) جريدة اليقظة - ١٩٥٦/١١/٣٠ .

فيجيب الآخرون بتلك النعمة وعلى رويتها ولحنها :- سبحان الله .
وقد ظلت مدة طويلة وأنا أردد هذه الأزوجة الجميلة بلحنها ، ونغمتها ،
كلما ركضت ، أو صعدت السلم ، أو هبطت منه ، وقد صار تردد الشيخ جاسم على
بيت خاله بحكم هذه المصاهرة أكثر وأكثر .

ولم أدر كم مضى حينما بدأ اسم الشيخ جاسم يتردد على المسامع ، ولكني
القيت ان صورة ذلك الشاب - المعقل - المتردد على ذلك النحو الى بيت خاله بدأت
تغيب عن الذهن ، وتخل مجلها صورة لشخص في عمة بضاء ، وجبة نقية ، وعباءة
خفيفة تدل على شيء من الأناقة النسبية ، وأنه كان يجلس للدرس ويتحلق حوله
عدد من الطلاب الذين يدرسون المقدمات ، والآداب العربي ، وبعض الفنون التي
اختص بها الشيخ جاسم ، وانفرد من دون انداده واترا به من طلاب العلوم العربية
والدينية بتدريسها حتى اشتهر بذلك . وحتى تسكائر عدد طلابه الذين بدأوا
يدرسون عليه المقدمات والعروض منها بصورة خاصة ، ولم يتفق الا القليل - من
شباب ذلك اليوم الذين شقوا طريقهم فيما بعد وكان لهم شأن في الفقه ، وفي
الشعر ، والآداب - من لم يأخذ بالنصيب الوافي او القليل من الدرس على يدي الشيخ
جاسم محي الدين في النجف ، ومن اشهر هؤلاء كان الشيخ محمد كاظم الشيخ
راضى ، والشيخ محمد رضا المظفر ، ومحمد مهدي الجواهري ، وسلمان الصفواني
والدكتور عبدالرزاق محي الدين ، وصالح الجعفرى .

وكان الشيخ جاسم وحيد امه ، ولم يكن لها غيره ، فغيت به كثيرا ، وفتحت
له بيتها ليتخذ منه ديوانا على غرار ديوان خاله ، ومجلسا يسمر فيه طلاب السلم
والآداب من امثاله . فكان يقضى اوقات الفراغ في بيته لاهيا بقرض الشعر والمساجاة
في النظم . ومزاولة التقية - وهي نوع من انواع التسلية الادبية المصروفة في
النجف اذ ينشد المنشد بيتا من القصيدة ، وحين يصل الى نهاية البيت يقف
منتظرا نطق الآخرين بالقافية التي يكونون قد عرفوها بالقرينة والسياق وقلما كانوا
يخطئون في التقية (١) .

(١) لقد جاء وصف التقية في مواضع اخرى من هذا الكتاب وصفا كاملا .

واشتهر مجلس الشيخ جاسم محبى الدين بمثل هذا اللون من الادب والتسلية، وبدأ
يؤتمه الكثير من انداد الشيخ ، وزملائه ، وتلاميذه ، وصار للشيخ جاسم بعض
الشان عند اهل العلم وارباب المجالس . فلقد كان جريئا ، وكان فصيحاً ، واذا
اجتمعت الجراء وافصاحة عملنا الاعاجيب . وكان الى جانب ذلك يستظهر الكثير
من الطرائف العلمية والنوادر الادبية وكان يبحث عنها فى الزوايا والخابيا ويفتس
عنها فى جميع المظان ليستشهد بها فى اماكنها ، ويأتى بالجانب الساحر منها عندما
تجىء المناسبة ، وقد دفعت به هذه الرغبة الى ان يحفظ طائفة كبيرة من الامثال ،
والنصوص ، والاقوال ، وطائفة كبيرة من شعر القريض والشعر العامى حتى كان
اشبه بخزانة نفيسة من الطرائف والبدائع الادبية .

والى جانب ذلك كان يحفظ الشيء الكثير من صور المشاكل ، والمسائل
الفقهية المويضة ، وطرق حلها عند البض دون البض ، ويحفظ تاريخ الكثير من
القضايا التى اهملها التاريخ ، كما كان يروى عددا من القصص الممتعة التى كان
ينفرد بنقلها وكيفية حكها ، واذا اضفنا الى ذلك سخاءه وكرم نفسه وجه للناس
ادر كنا سبب تجمهر الادباء والمثاقدين حوله وكثرة عدد طلابه الذين كان يسخرهم
لكثير من الاغراض فيلبون اوامره بطيبة خاطر ، ولما كانت حالته المادية يومها حالة
ضيقة ، ضنكة ، بحيث لم يكن من السعة ليستطيع استخدام احد للقيام
بشؤونه كان يهدى الى طلابه بان يستسخوا له بعض الكتب ، ويفرشوا له مجلسه ،
ويجلدوا كتبه ، وقد ظل يستخدم طلابه هؤلاء لمختلف الاغراض حتى بعد اجتيازهم
مراحل التلمذة ، وحتى بعد بلوغهم مراحل الاجتهاد ، وذلك لما عرف به من قوة
الشخصية ، وما كان يتبع من اساليب تحملك شئت ام ابيت على تنفيذ الكثير من
اوامره .

وكان صالح الجعفرى ، والدكتور عبدالرزاق محبى الدين يلقيان من العناية
والمشقة اكثر مما يلقاه الآخرون ، فيما كانا يقومان به من ملء الجرار بالماء ، ومن
فرش ديوانه ، ومن وقوفهما فى خدمته الخاصة والعامه .

وقد تعرضت جريدة الهاتف ذات مرة الى هذين الاديبين فى سياق

محاكمات أدبية كانت تمقتها جريدة الهاتف بين آونة وأخرى على لسان الادباء فكانت تقيم الدعوى على صفحتها من قبل البعض ضد البعض ، وقد فرضت الجريدة اقامة الدعوى مرة من جانب (الجعفرى) وزميله عبدالرزاق محيي الدين على الشيخ جاسم ، ووجهت الدعوى توجيهها ادبيا فكها ثم اوقفتها مرة كمدعين ، ومدعى عليهما مرة اخرى ، وقد ظلت تلك المحاكمات موضع تندر الكثير من القراء .

وطالما ابدى الشيخ قاسم اسفه - وذلك على سبيل الدعابة طبعاً - لقد كان يبدى اسفه لانى لم اكن من ضمن طلابه الذين قرأوا دروس العربية عليه قائلاً :-
- ان الانتساب له ، وتلقى اندرس عليه ليعد مفخرة للطلاب ، وان الذين لم يكتب لهم ان يأخذوا العلم منه لم يكتب لهم التوفيق ! (انه كان يقول ذلك مازحاً) وقد قال لى ذات يوم :-

- ليس عليك من بأس اذا لم تتلق علومك العربية على ، ولكن هل هنالك بأس لو عرفتى بأستاذك الذى درست عليه العلوم العربية ؟

قلت له - انه الاستاذ عبدالمنعم الكمام ، فضحك الشيخ جاسم وقال :- الم اقل لك ان من الخير لو كنت تحيب حين تسأل : بأنك قد درست على ؟
قلت - وما الضائر فى قولى الحقيقة بانى قد درست على الشيخ عبدالمنعم الكمام ؟

قال - ان استاذك هذا كان من ابلد تلامذتى ، ولكنك استنكفت ان تتصل بى مباشرة وتقول بأنك درست على بينما لم تستكف ان تتصل بى من طريقه !!
ولم يمر بعض زمن حتى لمع نجم الشيخ جاسم ، وكان له فى قصبة (القاسم) من لواء الحلة محبوبون زادوا على مرور الزمن خصوصاً بعد ان اصطبغ الشيخ جاسم بصبغة العالمية و (الوكالة) ، وبعد ان ايدته المراجع الدينية فكان عالماً تلزمه ظروفه بقضاء بعض الوقت من كل سنة فى تلك النواحي من قصبة القاسم ، واصبح بعد ذلك يدعى بالشيخ قاسم .

وفى قصبة (القاسم) مدفن الولى (القاسم) سليل الائمة الاطهار ، وقد قدم الشيخ قاسم للناس هناك كما يقعد فى التحف وعمر مجلسه بالزائرين وبالضيوف الذين

كانوا يقدون الى ضريح (القاسم) للاستجابة بزيارته فينزلون في ضيافة الشيخ قاسم، وجل ضيوفته هناك كانوا من فضلاء النجف وادباؤها ، وقد قضى الخطيب السيد صالح الحلبي وعدد من تلامذته في بيت الشيخ قاسم في قصبة (القاسم) اياما وصلت اخبار نكتهم الادبية وقصصهم الى اقصى مدن الفرات ، وللان وأهل القاسم يذكرون تلك الايام التي قضها السيد صالح في ضيافة الشيخ قاسم وما طعموا به الادب من ملح ولطائف .

وقد قصد مرة السيد احمد الموسوي الهندي زيارة الامام الحسين ، ومن هناك عرج على زيارة (القاسم) ونزل في ضيافة الشيخ قاسم ، ثم اتم رحلته بزيارة الكاظمين ، وعاد الى النجف وكتب للشيخ قاسم محيي الدين شاكر له حسن ضيافته وموجها له هذين البيتين :-

الهى لك الحمد اذ قد قضيت لي الفوز مكتملا (بالحسين)
ويسرت لي شرف الانتقال من (القاسمين) الى (الكاظمين)

★ ★ ★

وكثير هي المناسبات التي بعثها وجود الشيخ قاسم في النجف ، وفي (القاسم) لقرض الشعر والمساجلات الادبية .

وحين يبلغ الشيوخ من رجال الدين مرحلة العالمية يتغير الشيء الكثير من اخلاقهم وسيرتهم ، فاللحية يجب ان تطول اكثر ، والعمة يجب ان تكبر اكثر ، والضحكة يجب ان تقلص وتتجمع فلا تزيد على ابتسامة خفيفة ، اما الكلام فيجب ان يقل او يقتصر اكثره على الحمد له والحوقة والاستغفار واما المشية فيجب ان تكون موزونة ، رتيبة ، ثقيلة ، ولكن الشيخ قاسم وقد وصل مرحلة (الوكالة) قلما التزم بكل هذا او باكثره ، فكان كثير الدعابة والمزاح ، بشوش الوجه دما ، حتى يشق عليك ان تفارق مجلسه ، او ان تطول غيبته عنك ، او غيبتك عنه ، بمقدار ما يشق عليك الجلوس عند امثاله ممن تهبوا للزعامة الدينية ، او ممن كانوا وكلاء للزعماء أو أقل من الوكلاء . واني لاعرف رئيسا روحانيا انقادت له الامور حتى كان من اكبر المراجع الدينية ان لم يكن اكبرها ، ولم اعرف انه قد اتفق لهذا الروحاني

ان ضحكك أو ابشم ، وقد وضعت على لسانه روايات اذا لم تصح فهي تلامم وضعه
كل الملائمة ، فلقد قيل عنه انه سأله السائلون مرة :

- هل اتفق لكم يا مولانا مرة أن ضحككم ؟...

- فأجاب على ما يزعم الرواة - لقد اجاب قائلا :-

- ولم لا ؟... فقد يتفق ذلك بعض الاحيان !؟...

اما مشية الشيخ قاسم فهي كما كنت رأيتهما وانا طفل صغير هي . هي . لم ترد
ولم تنقص ، فهو يخط الارض بقدميه كالأيمشي في بعض هزة نحو اليمين ، وفي
بعض هزة نحو الشمال - وهذا في النهار طبعاً - لان الشيخ قاسم كان اعشى لا يخرج
في الليل اذا ما استتينا أيام شبابه . وقد قيل عنه انه رأى سودة ذات ليلة فسلم
عليها ، ولكنه ظهر بعد ذلك ان تلك السودة كانت حماراً . . وقيل انه كان
يستغل عشواته فيمضي في دعايته ومزاحه لحد بعيد ، فهو حين يرى الشيخ كاظم
السوداني مثلا ، يتظاهر بأنه لم يعرفه ويروح محذفا اليه وسائلا :- أسطه
بمرور هنا ؟

وأسطه بمرور عامل بناء ، خلق منه الشيخ قاسم شخصية فكهة مضحكة ،
وكان للشيخ قاسم خادم امي قروي اسمه (مشكور) فسماه بالشيخ مشكور ، وحين
اعترض المقترضون عليه قال :-

- ان خادم المشايخ يجب ان يكون شيخ الخدام ، فما هو وجه استنكار لقب
(الشيخ) على الشيخ مشكور ؟ فضلا عن ان هناك كثيرا ممن يحمل لقب (الشيخ)
بيننا وهو اقل فضلا من الشيخ مشكور !!

اجل ان الشيخ قاسم لم يتغير على الوجه العام ولكن هنالك حالات كانت تلزمه
بان يكون اقل دعاية ، وقل مزاحا ، وقل تحدا في غير الفقه والحديث الشريف ،
وذلك حينما يكون في مجلسه اناس لا يستطيعون ان يسمحوا للعلماء بان يكونوا
على تلك الصفة من الانطلاق ، ففي مثل هذه الاحوال يضطر الشيخ قاسم الى ان
يكون على خلاف سجيته وطبيعته ، وكانت بين الشيخ قاسم وبين حضار مجلسه علامة
يرعاها هؤلاء كل الرعاية عندما يكون في مجلسه شخص لا ينبغي ان يضحكوا امامه

ضحك الإدمين ، او يظهروا امامه بمظهرهم الحقيقي البعيد عن الرياء ، وكانت العلامة هذه هي ان يمد الشيخ قاسم يده الى لحيته كمن يريد ان يمسدها او يريد ان يستنفر ربه ، ويرفع رأسه الى السماء ويقول في شبه تهدة او آهة :-

- يا مستعان يا الله .

وهنا يقيد اصحابه انفسهم ، فيسكون عن الدعابة والمزاح والانطلاق على السجية وأخذ الحرية التي اعتادوا ان يأخذوها كاملة في مجلس الشيخ قاسم الخاص .

واذكر مرة ان كان الشيخ محمد علي الجعفري شقيق صالح الجعفري يناقش قضية اضطرته الى دخول جدل عنيف في بيت الشيخ قاسم ، وكان يحضر ديوانه آنذاك رجل كان من المناسب ان لا يطول هذا الجدل امامه ، فراح الشيخ قاسم يرفع رأسه الى السماء ويمد يده الى لحيته ممسدا ويكرر القول :-

- يا مستعان يا الله . . . يا مستعان يا الله .

فقال الجعفري - لاتربك نفسك يا شيخخي ، فانتى لىن اعبأ (بالمستعان) وغير المستعان ، ولن اسكت حتى اثبت للجالسين خطأهم . وكان ان امتل الجالسون لامر الشيخ ، ونزلوا على رأى (الجعفري) ، وكفوا عن المناقشة ، فاضطر الجعفري ان يكف هو الاخر .

واتسمت دائرة الشيخ قاسم محيى الدين ، وطاب مجلسه بالعلماء والادباء ، وبعد صيته ، وتجاوز النجف ، وحين سافر الى لبنان لأول مرة جاء معه بشاعر زجلي معروف بالارتجال يسمى (ابا سظام) وانزله عنده ، وجمع فى بيته شعراء الزجل من النجفيين وفتح فى وجوههم باب المساجلة بالمدح مرة ، والمهاجاة اخرى ، وظل بيته عدة ايام كسوق عكاظ مزدحما بالمشاهدين من كل جانب حتى لم يمد لاحد موضع قدم للوقوف فى داره .

ومثل هذه المساجلة جرت بينه وبين عدد من علماء جبل عامل الذين درسوا العلم فى النجف ، وعدد من ادبائهم حين زار تلك الربوع فكانت مساجلات ومباريات قلت نظائرها ، وقد اشارت اليها مجلة (المرقان) فى بعض اعدادها ، وعلق

عليها الكثير من الابداء ، واكثر ذلك كان قد جرى بينه وبين الشيخ محمد رضا الزين فقد اخذ الزين - في بعض ما اخذ على الشيخ قاسم - في معرض سماجة اللفظ عند المراقين قولهم :-

(منجاسة ، ورازونة ، وعتوى ، وبزونة ، ومنالك) فاخذ الشيخ قاسم على اللبنانيين والعاملين قولهم -

• (جمطاسة ، وطنجرة ، وتطرطش اوواعيك ، وهونيك)

ودخلت هذه الالفاظ وغيرها في الشعر ، فكانت منها قصائد عامرة حفظها الكثير من ادياء النجف وادباء النبطية ، ونشر الكثير منها في مجلة (العرفان) والبعض منها نشره (الهاتف) في بعض المناسبات •

وكان للشيخ قاسم مجلس خاص يقتصر اتياده على طبقة محدودة ، كان منها الشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد كاظم الشيخ راضي ، ومحمد الخليلي ، والسيد هادي فياض ، والشيخ محمد جواد الشيخ راضي والسيد محمد جمال الهاشمي ، واشخاص آخرون لسنا في صدد حصرهم ، وفي هذا المجلس كان الشيخ قاسم ورفاقه يتسطون اكر ، ويمتنون بحرية كاملة في لهوهم الادبي البريء الذي لو اتبح لجامع ان يجمع الوانته لكان منه سفر في متع لادب النجف الحر المشرق •

واني لاذكر يوما وقد تم الاتفاق فيه على ان يزور جمع من هؤلاء الرفاق بيت السيد محمد جمال الهاشمي ليلا وان يلهوه بالحديث على قدر الامكان ريثما يتسنى للشيخ محمد الشريعة ان يفك رباط خروف كان للسيد محمد جمال فيسلمه لخدام آل الشيخ راضي ، ويذهب به هذا الى بيت الشيخ قاسم محيي الدين حيث يكون هنالك الشيخ عبدالجليل العادلي بانتظاره لذبحه وطبخه •

وهكذا كان ، وخف الرفاق الى بيت السيد محمد جمال الهاشمي فرادا كأنهم ليسوا على ميعاد ، وتكامل المقد بعد ساعة من الموعد ، ونهب السماور الكبير واديرت كؤوس الشاي ، واستمد الهاشمي للقيام بالخدمات اللازمة ، ولكن البعض اقترح عليه ان يتلو عليهم قصيدة (الغدير) وكانت من قصائده الجديدة

التي اخذت ماخذها من مستمعها عند انشادها قبل ايام ، فجاه بها الهاشمي وبدأ يقرأ وبدأ الجمع يستعيد ويكرر الاستعادة ليشغل الشاعر عن الالتفات الى غرضهم ، وحذرا من ان يصل صوت الخروف - وانشيخ محمد الشريعة يفكر رباطه - الى مسامع الهاشمي اقترح البعض ان يهتفوا بالصلاة على محمد كلما قرأ السيد محمد الهاشمي بيتا ، او كلما سمعوا للخروف صوتا ، حتى وان جاءت هذه الصلوات في غير محلها وفي غير مناسبة ...

وعندما احس الجمع بان الشيخ محمد الشريعة قد اوشك ان يخرج بالخروف الى باب الدار ، وانه على وشك ان يفتح الباب خشوا ان يصل صوت قرعمة المزلاج الى مسامع الهاشمي فيحس ويفسد التدير ، فقررنا ان يهتفوا بالصلوات سبعا متوالية ودوت تلك القرعة الواسعة بتلك الاصوات المفخمة :- اللهم صل على محمد وآل محمد . اللهم صل ... الخ .

ودعى السيد محمد جمال الهاشمي الى تناول الغداء في اليوم التالي في بيت الشيخ قاسم ، وقد طهى الشيخ عبدالجليل من لحم الخروف انواعا من الاكلات ، وتليت في ذلك النهار بعض المراثي الشعرية المرتجلة للخروف المذبوح ، كما قدمت للهاشمي قطع من ارووع الشعر على سبيل التزوية والمعدرة والاستفطار .

ولست انسى يوما دعينا فيه الى بيت الميرزا صالح الخليلي في الكوفة ، وقد تم هنالك عقد اتفاقية انحقت بروتوكول في عشرات من المواد بين الشيخ قاسم والسيد احمد الهندي على ان يرضا حدا للتهاجي الادبي للخصوم ، فقد كان قد مر عليهما نحو عشرين سنة وهما في تهاج لم يعرف الادب نظيرا له في عالم المرح والظرف سواء بالشعر او بالنثر ، وان المعاهدة الخشمية التي وضعت والتي نشرتها جريدة (الهاتف) هي الاخرى قطعة ادبية رائمة تضيق هذه اللمحة الخاطفة بايرادها هنا ، فقد عرف كل من الشيخ قاسم محيي الدين والسيد احمد الهندي بضخامة الالف بحيث قل من يحاكي اتقيهما حجما وشكلا .

ولقد بلغت هذه المباراة الخشمية بين الشيخ قاسم والسيد احمد اقصى حدود الروعة من حيث الجلس ، والبديع ، والتورية ، ويؤسفني ان لا استحضر الان

ما نظمته الشيخ قاسم عن انف السيد احمد الهندي لعدم استطاعتي اقيام بتفليحة
اضابير الرسائل والاناير الادبية في الوقت الحاضر ، وعلى فاعل ذلك في مناسبة
اخرى ، وهذا بعض ما قاله السيد احمد الهندي في انف الشيخ قاسم وهو يكفى
للدلالة على البراعة الفنية الادبية والمقدرة الكافية على التلاعب بالمعاني والالفاظ :-
قال السيد احمد في بعض ما قال عن خشم الشيخ قاسم :-

سنتك امك (جاسما) فتصرف الـ سقدر المتاح فصرت تدعى (خاشما)
قاسمت هذى الارض كل جبالها بعظيم انفك فلنسك (قاسما)
ولكم حسمت مشاكلا يا قاسما يا حاسما ، يا خاشما ، يا جاسما
وللتفنن عاد الهندي فاختصر تلك الابيات بما يلي :-

سنتك امك (جاسما) وأراه صحف (خاشما)
قاسمت هذى الارض كل جبالها يا قاسما
ولكم حسمت مشاكلا فدعيت فينا حاسما
يا حاسما ، يا خاشما ، يا قاسما ، يا جاسما

وكانت المعاهدة الخشمية التي تم بموجبها الصلح والقاء السلاح بين محبي
الدين والهندي ، تحتوي على مواد وشروط غاية في الادب والدعابة والفكاهة ،
فكان من موادها ان يتمهد الطرفان بان يتجنبنا ذكر الخشوم لفظا ومعنى في كل
حديث لهما فلا يصح ان يقولوا لاحد - ولو في عرض الكلام - (على رغم انفك)
ولا يصح ان يوردا في عرض كلامهما اسما (لخشم الدلة) او (خشم الطير) او طير
(ابو خشوم) مثلا كما لا يصح ان يناقشا قول القائل بان الانقولترا انما هي (انف
الغزوه) بل عليهما ان يرفعا حاجيهما الى الاعلى علامة التقى وعدم الموافقة ، واذا اراد
المتعاهدان ان يحتشما احد المتواضعين من الناس فلا يجوز لهما ان يقولوا له الكلمة
المألوفة وهي (مخشوم) وذلك لئلا يتبادر الى الذهن بان المقصود هو (المخشوم) وهو
تعريض ربما يعيد الحرب الى حالتها الاولى ، ومثل هذا حوت المعاهدة الخشمية
التي الكثير من المواد المنشورة في الهاتف .

وفي تلك الجلسة بالذات تلا الشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد كاظم

الشيخ راضى والشيخ محمد جواد الشيخ راضى ، والميرزا محمد الخليلي ، والميرزا صالح الخليلي مقاطع وايانا مرتجلة ضمنوها شيئا من التعريض بخشمى الطرفين المتعاهدين واتخذ كل واحد من الحاضرين بطلا له رمز به الى الشيخ قاسم او السيد احمد الهندي فكانت اول جلسة للادب الرمزي الفكهى الرفيع وقد استهل الميرزا محمد الخليلي مقطوعته المرتجلة بما يلي :-

لكل قوم بطل فى الزجل وبطل فى زجلى (مشتى على) (١)
مشتى على حدينه حلو طلى يا ما احيلاك (ولك) مشتى على

ولم انس يوم قرأ الشيخ قاسم على هذه الزمرة من الرفاق الف بيت من الرجز الذى نظمه فى سلاطة بيته وهم يتناولون طعام الغداء عنده ، فانصرفوا من بيته وقد بيتوا له امرا وهو ان يأتوه ان خان انغد بعدد من الارجيز والقصائد يهاجمونه فيها ويتناولون سلاته التى اوصلها بالسند الى ايننا آدم بالهجاء على سبيل المزاح وهكذا فعلوا ، وكان لتلك القصائد رنين ، وكان لها دوى وقد نشر (الهاتف) عنها شيئا فى وقته وما عدا هذه المناسبات الادبية كانت هنالك مناسبات كثيرة لا يتسع لذكرها صدر هذا المختصر من الحديث ، وكان من اهمها الحلة الادبية المنقذة فى بيت الشيخ على ثامر ، وكانت قصيدة الشيخ على ثامر التى تلاها ابنه (٢) والتى تناول فيها الشيخ قاسم وتناولنى انا بهجاء غاية فى الروعة من حيث قيمته الادبية .

* * *

وليس كالشيخ قاسم من يفهم قول النبى القائل - احب من دنياكم سلاتا -
(النساء ، والطيب ، وقررة عيني الصلاة) .
فقد بلغ تمسكه بالعطور مبلغا كبيرا ، وكان يستعمل عطر الورد بصورة خاصة ، ويحمل منه قينة صغيرة ، وقد يحمل قيتين واكثر فى جيبه ، وكان يؤدى

(١) ومشتى على هذا كان طباحا فى النجف مصروفا بضخامة الانف ، وقد استعرضه الناظم هنا رامزا به الى احد المتخاشمين المتعاهدين ، محيي الدين والهندي .

(٢) هو الدكتور محمود ثامر .

صلاته على احسن نحو تؤدي به الصلوة ، لا لكونه من وكلاء العلماء وأئمة الجماعة ان الذين
بأتم به عدد كبير عندما تستدعيه الظروف ان يكون في ناحية (القاسم) بل لان طبيعته
وطبيعته وحدها ، هي التي تحمله على ان يدوب في صلاته فتشعر بأنه قد كاد يتجرد
عن كل شيء غير التفكير في ربه عند قيامه بالصلاة .

اما النساء فقد بلغ من حبه لهن ان تزوج عدة زوجات ، وقد جمع بين اثنتين
واكثر ، ولم يكن بمانع لديه لو تسنى له من الوجة المادية ان يتزوج كل شهر
بواحدة !!

وقد نزل محمد على (الحوماني) ضيفا عليه مرة فمضى يصف للشيخ قاسم
كل يوم احدى بناته من حيث جمالها ونظفها وظرفها وكونها آية من الايات وهو
يعنى الشيخ قاسم بالزواج منها ، والشيخ قاسم يزيد انماشا وابتهاجا وعناية
بالحوماني ، وسألت ذات يوم الحوماني :-

- أنت جاد فيما تقول؟ بان تزوج ابنتك الفتية المثقفة من الشيخ قاسم ؟
قال - لا وانما عرفت نقطة الضمف في الرجل فاردت ان اظفر باكبر
قدر من عنايته من هذا الطريق

وسألت الشيخ قاسم على انفراد :
- أنت واثق من ان الذي يقوله (الحوماني) صحيح ؟ وانه قادم على زواج
ابنته منك ؟

قال - والله ما رأيت أحدا اظلم منك واقسى ، فلقد شق عليك ان تراني
منتعشا بوصف الحوماني الجميل ، ونشطا بهذا الخيال المفرح فرحت تنفصني بمثل
هذا السؤال ! ان الحوماني لن يعطيني ابنته ، وهو لا يعلم اننى اعلم بأنه لن يفعل ذلك ،
فدعه كما يظن ، ودعنى كما احب .

وتستدعيني المناسبة ان اذكر ان محمد على الحوماني الشاعر كان من رجال
الدين المممين ، ومن الذين تلقوا علومهم في التحف ثم سافر الى اميركا الجنوبية
حينما كتبت الجالية الاسلامية هناك طالبة ايفاد مرشد روحاني يتولى معالجة طقوسهم
الدينية وارشادهم الروحي وزود بالتوصيات والشهادات من المراجع الدينية ولكنه

اخفق هناك في اداء وظيفته كمرشد ديني ، لابل اتار سخط العلماء الروحانيين عليه
 بسبب سلوكه الذي اعتبرته المراجع الدينية منافيا ، فعاد من اميركا خاسرا ، وكان
 الشيخ قاسم محيي الدين من حملة لواء النعمة عليه ، وصادف ان التقى الشيخ
 قاسم محيي الدين في بيروت بمحمد قره علي ، ومحمد قره علي هذا من المعجبين
 بالحوماني ، ومن الذايين عنه في تلك الحملة التي انتهت بملازمة الحوماني لبيته
 مدة غير قصيرة بسبب غضبة رجال الدين عليه ، وهنا في بيروت اصطدام الرأيان
 المتعارضان في شخص محيي الدين وقره علي بخصوص الحوماني اصطداما حادا
 حمل محمد قره علي على ان يستخف بالشيخ قاسم محيي الدين وان يقول له اين
 هو - اى الشيخ قاسم - من الحوماني ومقامه وشأنه !! وهذا ما رواه لى الشيخ
 قاسم محيي الدين ، وقد اسرها في نفسه الحانقة على الحوماني وعلى قره علي .
 وجاءت الفرصة الذهبية ، لقد جاءت الفرصة التي يستطيع الشيخ قاسم محيي
 الدين ان يعرب فيها لمحمد قره علي عن مقام الحوماني وشأنه بالنسبة له ، فقد
 اقتضت المصلحة ان يقصد الحوماني مدينة النجف ، ويلتمس مختلف الوسائل
 ليصل بها ما علق بذهن العلماء عنه وينال شيئا من الثقة ليستمين بها في جولة له في
 ربوع الشرق وفي آسيا الجنوبية ، وكانت المصلحة تقضى ان ينزل في ضيافة الشيخ
 قاسم وان يمهد لهذا النزول برقية يبرقها الدكتور عبدالرزاق محيي الدين من
 بغداد الى الشيخ قاسم يطلب منه ان ينسى حنقه على الحوماني وان يعنى بضيفه
 ويساعده على قضاء مهمته بحيث لا يخرج الحوماني من النجف الا وهو راض .
 وبرّ الشيخ قاسم بضيفه ، ولكنه هول له الامر ، وبدأ يعدد له هفواته في
 اميركا ، وذنوبه الكبيرة التي ستجعل يد الشيخ قاسم قاصرة عن ان تمدد بالمساعدة
 المطلوبة ، ولكنه . . . قال الشيخ قاسم : سيجرب وسيلة واحدة يؤمل ان يكون
 فيها شيء من النجاح وهي ان يتقدم الحوماني تابيا عما سلف مما نسب اليه حقا ام
 باطلا ، وان تجرى هذه التوبة على يد الشيخ قاسم نفسه وبمحضر مسن رواد
 ديوانه في احدى الليالي الخاصة ليشهد مجلس التوبة اكبر عدد من رجال المسلم
 والدين والادب .

وهكئذا تاب الحوماني على يد الشيخ قاسم محيي الدين ، وجاء الشيخ قاسم محيي الدين في اليوم الثاني طالبا مني ان اكتب كلمة ضافية عن توبة الحوماني في جريدة (الهاتف) فعلت ، وقرأت المسودة عليه فتدخل حاذفا فقرة ومدخلا فقرة أخرى في المقال ، ومازال يغير ويبدل حتى استقام المقال كما اراد هو ، والحق انه لم يطلب مني شيئا غير ما وقع ولكن بشيء من المبالغة .

وحين صدر الهاتف ، لم يترك الشيخ قاسم محيي الدين احدا من معارفه في لبنان الا وبعث له بنسخة من الهاتف لكي يثبت لمحمد قره على مقام الحوماني من مقامه .

وليت الشيخ قاسم قد اكتفى بهذا ، وانما راح يلج على ان توبة كهذه لن تقبل من الحوماني وهو حليق اللحية . فاضطر الحوماني الى اطلاق لحيته ، وبعد مرور شهر والحوماني لم يزل في ضيافة الشيخ قاسم ، وكانت لحية الحوماني قد نمت قال الشيخ قاسم للحوماني : لم يبق الا شيء واحد وهو ان تستعمل الخضاب بقصد التوبة لتدل على انك لم تكف باقيام بالواجبات من الامور بل رحمت تضي المستحبات منها حتى استعملت من الخضاب الوسوسة ، والحناء .

وجاءني الشيخ قاسم يقول :-

- ان لي عندك حاجة ؟

قلت - أمرك يا سيدي .

قال - ان تبحث لي عن مصور يستطيع ان يصورني مع الحوماني ويظهر لحيته بخضابها (١) .

قلت - لا اعهد مصورا يمل هذا الا بالريشة ، ولكن ماهو الغرض من كل هذا ؟

قال - ان الحوماني سينتهي من مهمته قريبا فاذا ما غادر النجف فلا تنتظر ان يبقى شيئا من لحيته .

قلت - وهب ان الامر كان كذلك ؟

(١) لم يكن الفلم الملون قد عرف يومها في الاوساط الفنية بعد .

قال - وهو يضحك من اين اثبت لمحمد قره على فيمتى حين يقول لى اين
انت من الحوماني •

ولم يرتج الحوماني من الشيخ قاسم كما لم يرتج منى على الرغم من انه لم
يكن قد بدأ شيء منى ، ولكن ألم اكن انا الذى كتبت مقال التوبة ؟ ثم ألم اكن انا
الذى دعوت المصور ليأخذ هذه الصورة فى مكتب الهاتف ؟ ثم ألم اكن انا المنفذ
لرغبات الشيخ قاسم ؟ فكان من حقه والله ان يحقد على ، وان يحق ، وان يثور ،
وقد ظهر ذلك كله فيما كتبه عنى وعن الشيخ قاسم محيي الدين فى كتابه (وحي
الرافدين) وان حاول ان يخفى فيه السبب •



الشيخ قاسم بين المؤلف والحوماني

والشيخ قاسم محيي الدين ظريف وطريف ، ظريف فى كل شيء ، وطريف
فى كل موضوع ، وله تخريج ، وتعليل ، وتعليق كثيرا ما يسترعى الانتباه ويخلب
الافكار فى الكثير من المواضيع ، ومن اطرف ما كان يعلل به الشتيمة التى تباين عليها
بعض الاباء عندنا فى شتم ابنائهم حين يقول الاب لابنه فى ساعة الغضب : يا ابن
الكلب ، او يا ابن الخنزير ، او يا ابن الحمار ، وغير ذلك مما تعود الاباء ان يطلقوه
على ابنائهم هنا دون الالتفات الى مغزى تلك الشتيمة ، اقول ان من اطرف تعليقات
الشيخ قاسم على مثل هذه الشتائم انه كان يقول :-

- ان المفهوم من قول الاب لابنه : « يا ابن الكلب ويا ابن الخنزير » لا يعنى المفهوم اللفظى او السطحى الذى يتبادر للاذهان ، وانما يريد الاب بهذه التسمية ان يقول لابنه : « انك لاتستحق يا ولدى ان تكون لى ابنا ، وانما انت تليق بان تكون ابن كلب او ابن خنزير ، وهو تخريج حلو لاولئك الذين اعتادوا ان يكيلوا مثل هذه الشتائم لاولادهم .

ومن اطرف تعليقاته على معجم (مختار الصحاح) حين سئل عن رأيه فيه قال : - فى قصة (القاسم) لم يكن لى من كتب اللغة غير (مختار الصحاح) فما بحثت مرة عن كلمة ووجدتها فيه ، فبهجتنى ذلك ويحملنى على البصق فى صفحاته حتى لقد امتلأت النسخة التى امتلكها من مختار الصحاح على مرور الزمن بصافا ولكم بعد ذلك ن تقدروا فائدة مختار الصحاح . . .

* * *

واهتم فى سنواته الاخيرة بمكتبته واسبع عليها لونا من الوان الفن فى جمعها ، وتنسيقها ، وتنظيمها ، وسمى ان يجعلها موضع اهتمام الباحثين من حيث اختوائها على النادر غير المأنوف من الكتب التى كان يعرف كيفية الاهتداء الى جمعها ، فقد كان لى كتاب خطى قديم يحتوى على كثير من الاساطير ، وكان يتضمن صورا لخطوط الانبياء كخط (آدم) ابى البشر وخط (نوح) . . . وخط ادريس . . . وخط النبي شيت . . الخ !؟ وقد تكاثرت طلاب الطرائف ، وهواة الاساطير على قراءة هذا الكتاب ، ودفع له فيه ثمن باهظ لشرائه فى الوقت الذى كان قد اشتراه من سوق (الهرج) بما يعادل ربية ونصف ربية على ما اذكر ثم جلدته تجليدا فخما وعنى به عناية زادت من فضول الفضوليين فى الاطلاع عليه وهو يعلم انه كتاب ليس له أية قيمة من حيث الواقع والحقيقة ، ولكنه كان كتابا ثمينا لانه كان يصور مقدرة مؤلف فى العصور السالفة يستطيع ان يضع من عنده خطوطا وارقاما غير متشابهة وينسبها للانبياء .

ومن غرائب مكتبته كتاب خطى يقع فى ثمانية وعشرين مجلدا ضخما

اشترى الشيخ قاسم من مخلفات (قربون على) وقربون على هذا كان عاملا عند حلاق في المدينة تعلم على يده كيف يخزن الاطفال ، وكيف يعالج القرع ، وكيف يصنع بعض المراهم لمعالجة البثور والدمامل وغير ذلك ، وكان (قربون على) ذكيا اذ ما لبث ان استقل بدكان خاص به ، ثم ما لبث ان حول هذا الدكان الى محل عيادة واشتغل بالطب ، ورويت عنه المعجزات ، وكنا نعرفه جيدا ، وكان الشيخ قاسم فضلا عن كونه لايؤمن بطبه فانه طالما اتخذ منه موضوع تفكهة يروي عن لسانه المعجزات الطيبة المضحكة على سبيل المزاح .

وقد ارتأى (قربون على) ان يضيف الى شهرته كطييب في العهد الشمالي شهرة مؤلف في الطب ، فصدى الى تدوين تجاربه الطيبة فكتب ثمانية وعشرين مجلدا اورد فيها وصفات تضحك التكلي في معالجة جميع الامراض ولاسيما معالجة الباء وكيفية صنع المراهم الخاصة التي اعتبرت من مبتكرات (قربون على) واكتشافاته .
وحين مات (قربون على) وعرضت مخلفاته للبيع اشترى الشيخ قاسم منها هذه المجلدات الثمانية والعشرين بمبلغ اربعين رية وجددها تجليدا فخما وسماها (دائرة معارف قربون على) واستكتب احد الخطاطين فكتب له هذا الاسم على كل جلد ، ثم صف تلك (الدائرة) في رف مستقل كتب عليه اسم (دائرة معارف قربون على) وكان يرشد المستطلعين الى نقاط خاصة منها ليقروها ويمتعو انفسهم بقرائتها واتعليق عليها ، وقد ارتفع ثمن هذه الدائرة بعد ذلك وصارت لها قيمة لا من حيث واقمها وانما من حيث قابلية مؤلف يستطيع ان يضع ثمانية وعشرين مجلدا في بحوث ليس لها اصل وفرع من قبل ، فكانت هذه المجموعة على غرار كتاب (خطوط الانبياء) من حيث الندرة .

والى جانب هذه الغرائب كانت مكتبته تحتوي على امهات الكتب والمراجع بمختلف انواعها ، وقد بيعت كلها ليتخذ من اثمانها مبلغا يساعده على معالجة نفسه من مرض السرطان في اوربا ، وكان احب تلك الكتب الى نفسه المرحاة السمحة المشرفة هي تلك الغرائب التي طالما انس بها وانس بها اصداقؤه في اوقات الفراغ والاستجمام .

والشيخ قاسم اديب فقيه حضر الندرس على الامام الشيخ محمد الحسين
 كاشف الغطاء والسيد ابي الحسن الاصفهاني واجيز منهما ، وله مؤلفات ودراسات ،
 منها تعليق على (كفاية الاخوند) في علم الاصول ، ومنها تعليق على طهارة (الرياض)
 في الفقه ، كما ان له عددا من الكتب الخطية في مختلف العلوم العربية ، وقد
 طبع له ديوان شعر باسم (العلويات العشر) كما طبع له ديوان شعر آخر باسم
 (الشعر المقبول) ، وله ديوان شعر كبير لا يزال مخطوطا ، واغلب شعره مبدؤ بالفزل
 من النوع المؤلف في الاجيال الماضية ، ومختوم بمدح ال البيت او بمراتيهم ،
 واحسن ما خف هو كتاب (البيان في غريب القرآن) وقد صدر منه اجزاء الاوّل
 في سنة ١٩٥٥ وظلت اربعة اجزاء منه مخطوطة .

وكتاب البيان هو عبارة عن حصر الالفاظ الغريبة من القرآن الشريف ،
 وشرحها شرحا مبسطا ، سهلا ، في ارجوزة من الشعر السلس اذكر منها على سبيل
 المثال قوله :-

وفسروا القاء بالخيار	او ما يضاهيه من الاتمار
وقيل مطلق الجبوب (الفوم)	او فمخ ، او خبز ، وقيل الثوم
(بأووا) بمعنى (انصرفوا) اورجموا	وهي لغير الشر ليست تسمع
(والصائبين) من هم قد خرجوا	عن دينهم وفي سواء ولجوا

وكل هذه الارجوزة على هذا النمط من الشعر السهل المبسط تفسيرا للغريب
 من الفاظ القرآن .

ومن هذا وغيره يلمس القارىء قدرته على صياغة الشعر بحيث يجعله من
 السلاسة كائثر في باب التعريف والشرح والتبسيط .

* * *

وجاءت الحرب الثانية وكثرت حاجة الناس عند الحكومة من طلب اجازات
 واستحصال بطاقات للاعاشة وتمهيدات اعمال تربية وعمرانية فانتفع الكثير بالشيخ
 قاسم ووساطته عند رجال الحكومة الذين كانوا يزورونه في جميع المناسبات مجازين

تلك الأرفة الوعرة الضيقة حتى يصلوا إلى بيته ، وقد يطيلون الجلوس عنده فيطول
انتفاع الناس بهم ويبدأ الشيخ قاسم بنسخ المقدمات البقرة الجذابة التي يلج منها
إلى موضوع الحاجة فلا يجعل متصرف اللواء ، أو قائممقام القضاء ، أو مدير
الناحية يقوم من مجلسه حتى يحقق له وساطته .

وهكذا كان الشيخ قاسم من جانب آخر يقضي حاجة الناس عن طيب خاطر ،
ويتصدى على قدر ما يستطيع أن يجعل فاضله راضيا مسرورا ، فقد كان على جانب
كثير من الطيبة والسماحة وحب الخير ، ولكنه لقي الشيء الكثير من عنت حاسديه
والحاقدين عليه ، فوالله ما تناول احدا بسب ، ووالله ما مس احدا بثلب ، بل كان
يسمى ان يكون رقيقا ، رقيقا ، لنا ، حلوا ، على قدر ما تحمل هذه الكلمات من معنى
فقد كان له صدر خلا من كل شيء حتى في السر ، وهذه طبيعة النفوس المكتنوفة
الوادعة البسيطة .

* * *

ومهدت العمل للانتقال بجريدة الهاتف من النجف إلى بغداد ، وقد احسن
الشيخ قاسم على حد تعبيره بوحشة كبيرة وقال انه سيسمر بفراغ كبير اذا ما تحقق
هذا الانتقال ، وسشوب ايامه الضافية كثير من شوائب الكدر ، لذلك راح يسمى
بكل طريقة للحيلولة دون هذا الانتقال ، وهيا لى جماعة من اقرب الاصدقاء الى
ليحملوني على العدول عن تحقيق هذه الفكرة وفي طليعة العلماء الذين زاروني
لهذا الغرض في بيتي كان الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الذي كان يرى
بقائي في النجف امرا واجبا ، وكان منهم الشيخ عبدالكريم الجزائري ، وفي مقدمة
الاشخاص الذين حملهم الشيخ قاسم على الوقوف في وجهي باذنين كل مجهود كان
الصديق الحاج مصطفى الصراف ، وكان سعد عباس على دوش وغيرهم ممن يعرف
مقدار حبي لهم وجههم لى ولكنى كنت قد صممت ، وكنت قد شرعت بالتمهيد واعداد
المقدمات المقتضية لهذا الانتقال فلم يكن في وسعي العدول عن ذلك التصميم .
وابتمدت عن الشيخ قاسم ولكن روحي كانت ترتزف حوله وحول ذلك المجلس
البهى الذي كان يحكى صفحة من انصح صفحات النجف وابهاها واروعها .

ولقد تلقيت منه اول رسالة تفيض بالشوق ، وتمج بالشكوى مما بدأ يحس به من وحشة ، وفراغ وقد عنون رسالته بهذا البيت :

فما وحقك ما طابت مجالسنا من يوم فارقتسا يا درة النجف

وبدأت اتهمز انفرص ، فازور النجف بين آونة واخرى ، وكنت افضى وقتا طيبا عنده ، فيلج على بالبقاء ولو ليلة اخرى ، او وقتا قصيرا آخر ، او ساعة عابرة على الاقل ، وكان ينتهز هذه الفرصة فيدعو الخاصة من اولئك الرفاق ، ويمسها (صحنية) يجمع فيها كل صديق غداء في بيت الشيخ قاسم فيمتد خوان كبير يحوى غالبا شيئا من طيبخ الماش وهي الاكلة النجفية العامة ، وتحلو هنالك النوادر الادبية ، ويكون هو المجلى دائما لما عرف به من سرعة البديهة ، وسرعة الخاطر ، وحلاوة التكة التي قلما كان يجاربه فيها من العلماء والادباء المعروفين بحسن السليقة . وهذا مقطع في وصف جانب من تلك (الصحنيات) التي مرت علينا في بيت الشيخ قاسم وقد اقتطعته من ارجوزة لي كانت قد تناولت موضوعا في حلة من حلقات الادباء ليس هنا مجال لذكرها :-

وكيفما كان فولى البرد	وجلس الاخوان واستعدوا
حول خوان مد من قماش	قد زانه صحن طيبخ الماش ^(١)
وكسة من لبن لذيذ	اشبه ما يكون بالنيذ
والدبس ما بينهما ينسدى	اياكم ان تكفروا بالزاد
نست انا (مذهب كلب) ^(١) جان	مذهب كلب ، كل من سماني
فاكل الرفاق في شسبية	واطلعوا المصحون والصينية . . الخ

(١) وفي مواضع اخرى من هذا الكتاب قدورد ذكر الماش وطيبخ الماش ، وهي اكلة نجفية تتألف من الرز وحبوب الماش ، ويؤدمونها اما بالبصل ، او اللبن ، او الدبس ، ولكن الدبس اشهر ما عرف به من ادام ، وقد مل النجفيون هذا الادام لكثرة استعماله خصوصا وقد كانت النجف قاحلة ومعسمة فلم يكن فيها من الخضرة واللحوم قبل بضعة قرون واكثر الا القليل ، فاطلق النجفيون على الدبس صفة (مذهب الكلب) فكل (مذهب كلب) من المأكول في مصطلح النجفيين هو الدبس على الاكثر .

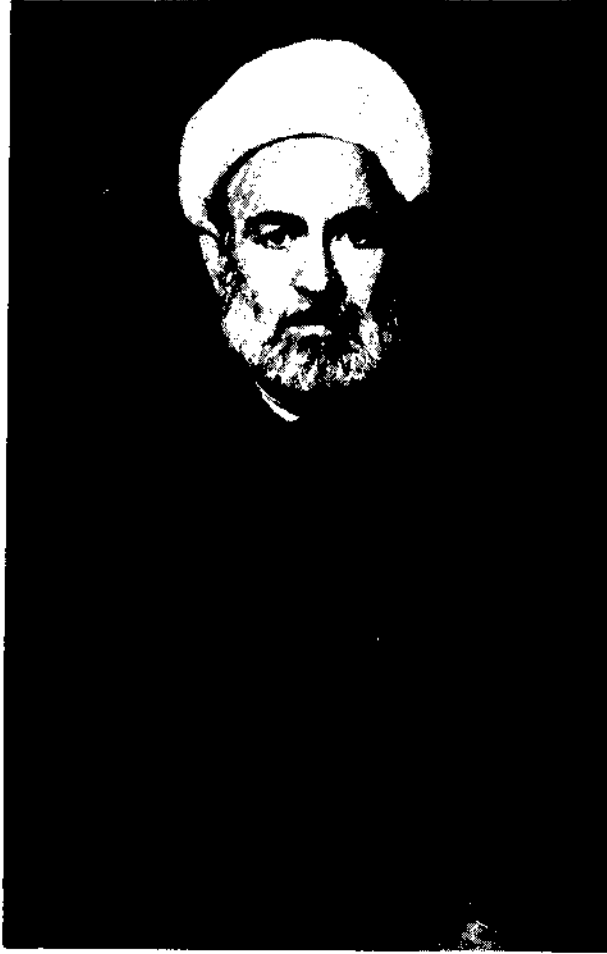
وألهتني الدنيا فقلت زيادتي للنجف ، ولم اعد ارى الشيخ قاسم الا قليلا ،
وفي فترات محدودة ، وذات يوم دق جرس التلفون فى بيتى واذا بالتكلم يخبرنى
بان الشيخ قاسم هنا فى بغداد ، وانه مريض ، فحفظنا اليه انا والصدق امين خالص
واجريت له عملية استخراج الحصى من المثانة ، وظلنا ندلف اليه فى كل فرصة
من كل يوم وهو نزير المستشفى ، وقد عنت به وزارة الصحة عناية فائقة حتى
شفى من عملياته وعاد الى النجف ، ولكن التكت الذى تسرب الى ذهن الجراح كاظم
سبر من وجود بعض الاورام فى المثانة الدالة على السرطان قد تحقق ، فما لبث
ان عاد الشيخ قاسم الى بغداد وقد اشتد عليه المرض فلم يجدوا له علاجا ، ولم
يرجعوا له اجراء عملية ، وكانت حالته المادية قد ساءت اكثر ، خصوصا وقد انهار
جانب من داره فكان هذا الانهيار كان نذيرا لانهيار شىء اسى وافخم ، واعظم ،
واضطر لرهن داره لدى المصارف بقية بناء ما انهدم منها ثم اضطر لبيع تلك المكتبة
التيسة لينفق ثمنها على معالجة نفسه ، وسافر الى فينا مستشفيا ، وهنالك خدعه بعض
الاطباء الدجالين وابتر منه ما كان قد هيا ودبر من المبالغ واجرى له عملية استئصال
جزء من المثانة فخيّل اليه انه قد شفى او انه قد صار فى طريق الشفاء ، فكتب الى
اصدقائه من هنالك يبشرهم بنجاح العملية ، ويخبرهم بانه عائد اليهم فى ظرف
شهر او اقل من ذلك . وقد كتب لى رسالة بهذا المضمون وزاد بان بعث لى بقصيدة
نظمها فى وصف (فينا) وقتياتها يقول فيها :-

طبت على حسن الطبيعة	فى عجائب من صور
فلما من شمس الضحى	بردا تصيب كالمطر
بلد نخال سماءه	فى ارضه - عند النظر
لله من ظيياته	فى الحسن ازرت بالزهر

وكتبت له مهنا وقلت له فى رسالتى ان على اذا ماعاد الى النجف معافى لاقين
شهرًا كاملا عنده فى النجف ، ولواقين المهرجانات الادبية مهرجانا بعد مهرجان
واعيدها لى كالسابق واكثر ، ولم ادر ان الافدار تجى به الى النجف وهو فى

آخر مراحل حياته ، ثم يحول ضغط الدم عندي الذي يلازمى منذ زمن دون
جسورى النجف وهو فى ايامه الاخيرة . وقد كتب لى قبل وفاته باربعة ايام يقول لى
ان صحته تفتقر الى الدعاء الى الله وانته فى شوق ما بعده شوق الى رؤياى . . .

مات الشيخ قاسم محبى الدين وبموته انطوت صفحة لامعة من صفحات
الفصل والادب ، وثقاوة الضمير والطرف ، ولحقت بالفضيلة خسارة كبيرة لانعوض
خسارة لم يكن احد يقدر مداها قبل ان يموت هذا الرجل ، وحين مات انهار آخر
بيت من بيوت النجف التى عرفت بذلك النحو من الجمع بين الفضيلة والادب
والرحم الذى عرفت به النجف فى الاجيال الماضية ، وان ذكره لتصابحنى وتماسينى
فى يقظتى ونامتى فتكد على عيشى بما تمت فى نفسى من اسى لفقدانه وفقدان تلك
اللذة الروحية التى ذهبت بذهاب الشيخ قاسم ولن تعود .



الشيخ محمد كاظم الشيخ راضى

الشيخ محمد كاظم الشيخ راضي^(١)

لم تكن الشهرة وقفا على الكبار دون الصغار ، وذلك لان الشهرة مظهر من مظاهر الامتياز والشذوذ ، فحيثما كان الامتياز والشذوذ في الخلق او المزاج او الاستعداد او الرأي والعمل ، كانت الشهرة على قدر ما تستدعيه الامتيازات لا فرق بين رجل وامرأة وكبير أو صغير .

وكان لاطفال (آل الشيخ راضي) في النجف شهرة اكتسبوها بصفتهم ابناء اسرة لها مقام جليل ، وشأن كبير بين الاسر العلمية والادبية ، وقد زاد قيمتها ظهور غير واحد من هذه الاسرة بمظهر الزعيم الكبير لمدينة النجف في مختلف الادوار وكان آخرها دور الثورة العراقية ، ومطالبة الانكليز بالجلاء الذي لعب فيه (الشيخ عبدالرضا الشيخ راضي) دورا مهما في اشعال نار الثورة في وجه الانكليز فكان من أكبر زعماء الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ التي انتهت باستقلال العراق ، فلا غرو ان يرث الشهرة اولاد الشيخ راضي وهم صغار ، بل ويرثها خدمهم وعبدهم فيقال : ان هذا هو ابن آل الشيخ راضي ، وان هذا هو العبد المملوك لآل الشيخ راضي ، وحتى الجيران كان الكثير منهم يعرفون بجوارهم لآل الشيخ راضي ، فكيف اذا مشت الى جنب هذه الشهرة شهرة اخرى تولدت من ميزة بعض هؤلاء الاولاد في الملكات الطبيعية والفتنة والذكاء ؟ واقد كان لي - وانا طفل - بعض الاصدقاء من اطفالهم شدتني اليهم الزمالة ونحن طلاب في المدرسة ، وجذبتني منهم مزايا ساحرة بالاضافة الى ما كانوا يتمتعون به من شهرة الاسرة وكان من هؤلاء الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي الذي امتاز وهو طفل صغير بشيء آخر غير ميزة نسبه

(١) مجلة النجف - ٢٤ مايس ١٩٥٨ .

لهذه الأسرة ، وغير مميزة ذكائه وفطنته ، فقد كان يعلو رأسه طربوش من جلود الحملان ذات الخوص المجدد لا عشم ، ولم يكن يومذاك من يلبس مثل هذا (الكلاو) كما يسمونه الا عدد قليل من الاولاد المدللين اذكر منهم الاخوين (مجيد الصراف وحسين الصراف) وادي الحاج رضا الصراف ، اما بقية الاولاد فاما ان يكونوا من لابسى القلائس المعروفة (بالعرقجين) أو من لابسى (اليشماغ) وحده ، او اليشماغ والعقال معا ، او العمائم على اختلاف انواعها ، واغلب الاولاد المعممين هم من ابناء العلماء ، اما المدن العراقية الاخرى فلم يكن اعتماد الصغار بالمعنائهم ملتوما عندها ، لذلك ربما كان هذا منار دهشة عندهم ، ولقد حدثني صديق ممن كتب عليه ان يعتم بالعمه وهو ابن سبع سنوات قال :-

كنت في رفقة ابي ونحن نجتاز احد ازقة بغداد وانا لم اتجاوز من العمر سبع سنين ، وكانت تعلو رأسي عمامة ربما كانت اقل نسبة مما يطبق رأس واحد متلى ان يخمل ، وما كدنا نمر على زمرة من الاطفال اللاعين في عرض الطريق حتى نهض احدهم فاعزأ فاه من الدهشة وصاح :-
 - وشوفوا ها العالم شكذاته ؟

أى هلموا لرؤية هذا الطفل الذي بلغ رتبة العلماء وهو لم يزل صغيرا بهذه

السن .

اما أكثرية الأولاد ومنهم اولاد آل الشيخ راضى ومن هؤلاء الشيخ محمد كاظم فقد كانوا من لابسى العقال في طفولتهم . وأن الذى يمكن الصغار من التباهين المتنازين من الشهرة انما هي الدواوين على الغالب ، فالكثير من الزعماء ومشاهير النجف - كما هو الحال في اغلب المدن والقصبات العراقية - يجلسون للناس في بيوت خاصة ، او اجنحة منزلة عن البيوت او في غرف مستقلة تعرف في النجف باسم (البرائى) فيضطر اولادهم بحكم احترامهم لابائهم الى ملازمة محاسن ابائهم في دواوينهم والظهور للناس والاصفاء لما يجرى في هذه الدواوين من احاديث وقصص وشعر ونثر يساعد كثيرا على الاسراع في نضج هؤلاء الاطفال ويتيح لهم الفرص بمض الاحيان لاطهار مواهبهم ، فيعرف المتنازم من اولئهم من اجوبته

وتعليقاته ورد الكلام بما يناسب المتكلم على قدر المستطاع ، لذلك كثيرا ما رافقت الشهرة النابيه من ادياء النجف وعلماؤها منذ عهد الطفولة .

وكان آل الشيخ راضي عدد من الدواوين في عصر واحد ، وكان للشيخ عبدالرضا الشيخ راضي ديوان عام يرتاده كبار العلماء وفحول الشعراء والادباء ، وكانت للشيخ عبدالرضا ملكات متعددة يرجع اليها الفضل الاكبر في نشأة اولاده : الشيخ محمد كاظم وأخيه الشيخ محمد جواد وكثير من ابناء هذه الاسرة نشأة ممتازة من حيث دماثة الخلق ، ورهافة الحسن ، وإملاك ناصية الادب ، وتفسياد البصيرة فكان الشيخ محمد كاظم بحكم ملازمته لديوان ابيه كثير الاحتكاك بمختلف الطبقات من رجال العلم ورجال الادب الذين يفتن بهم ديوان ابيه فضلا عن انكبابه على التدرس وطلب العلم .

وكانت هذه الدواوين او المجالس - كما قلنا من قبل - محل الملكات والمواهب اذ كثيرا ما تكون ميدان اختبارات للذكاء والتأليلات ، ولقد عرف الكثير من اولاد آل الشيخ راضي وهم صفار عن طريق هذه الدواوين حتى أخرجتهم ، وهو عبدالغني الشيخ جعفر وكان أخرسا لم يعدم الوسيلة التي يترهن فيها على انه موهوب ، وانه ممتاز ، وقد نقلت عن طفولته وشبابه قصص تثير الدهشة . ومما نقل عنه انه اذرك يوما بتأجب بصيرته ان صبيا قد دخل ديوانهم برفقة ابيه وهو أخرس مثله ، فمشى اليه عبدالغني وقعد الى جنبه ، ثم بدأ الحديث بينهما بالاشارات ، ولم يحسن المجلس الا والصبي الأخرس الزائر يضع ستابته في اذنه ويطلق صوته بتمتمة طويلة عمالية هزت الديوان كما لو كان يغني مقاما من الدشت العالي ، او البنج گاه ، اما عبدالغني الأخرس فقد ففر من مكانه بعد انطلاق هذا الصوت من جليسه ، واما الصبي الأخرس فقد جمد لاتجاه الانظار كلها اليه ، ونودي عبدالغني للسؤال عن القضية ، وعبدالغني يحسن التعبير بالاشارة لحد انه يستطيع ان يقص على الجمهور قصة طويلة ذات فيصول ، وهو فوق هذا يكتب الكثير من الاسماء ، ويرسم رسوما تبهز العيون ، لقد سئل عبدالغني عن القضية فقال بلغته الخاصة : .

- حين علمت ان العصبى الذى وليج ديواننا اخرس مثلى ملت اليه بطبيعتى ، ثم ما ليث ان اكتشفت انه ساذج بسيط قليل الذكاء ، فقلت له لئن انا واياك ، فقال انه لا يستطيع ان يطلق صوته فى هذا الجمع ، فقلت ان الحاضرين جميعا لا يسمعون فدهش و صوب نظاره الى وجهى ليرى ما يرتسم عليه فوجدنى جادا ، فقال لى ولكن فلتفن انت اولاً :-

قال عبدالغنى - فوضعت سبابتى اليمنى فى اذنى ، وقتحت شدقى ، وحركت لسانى دون ان اطلق صوتا ، فظن العصبى اننى قد غنيت ولم يسمنى احد ، وحين جاء دوره اندفع يفتى بأعلى صوته فكان الذى سمعتم ورايتم

وسواء صحت هذه الحكاية أو لم تصح ، وسواء كان لها نظائر كما يروى البعض او لم يكن ، فانها لم تكن تروى لو لم يكن لعبدالغنى من المؤهلات التى تسوغ للراوين ان يضموا مثل هذه الروايات على لسانه او ينسبوا قصة غيره له .
وحتى الذين لم يتح لهم من آل الشيخ راضى ان يتعلموا تعليماً كافياً لم يخل بعضهم من مظاهر تشير الى مواهبهم .

قال الشيخ عبدالرزاق الشيخ راضى (وهو يحاول تعريف طبقة الشيوخ من الروحانيين ويسمى لخصر صفاتهم فى أقصر جملة وواقع مفعول) .
قال - (وهو يحدث السائل عن هذه الطبقة الروحانية) :-

• والله انهم - يقصد المشايخ من الروحانيين - يستطيعون ان يقنعوا الحمار بان يحجم عن أكل الشعير والبرسيم اذا ارادوا . . .

والقارىء فى غنى عن لفت نظره الى ما تحمل هذه الجملة القصيرة من معانى كبيرة وكثيرة . . . تكفى لتصور مدى القدرة التى اراد ان يصفهم بها الواصف .

★ ★ ★

سأل مرة الميرزا محمود الخليلى ملازحاً - وهو أحد اعمامى وقد عرفت أسرته اى أسرته بكثرة الاطباء منهم فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر - لقد سأل الميرزا محمود على سبيل المزاح الشيخ عبدالرضا الشيخ راضى ، او قيل انه سأل الشيخ جعفر الشيخ راضى معرضاً بسرعة توثب ابناء (آل الشيخ راضى) الى مقام

الامامة والصلاة بالناس - وكانت هذه الاسرة قد عرفت بكثره علمائها في القرنين
الاخيرين - قائلا :

- ه أنت ترى كيف يقفز بعض ابناء اسرتكم في الزعامة العينية ؟ كان العلم
مخزون في السقط ، فاذا مات احد افراد آل الشيخ راضى مد الاخر يده الى السقط
ففتحه وتناول العلم منه واصبح عالما في اليوم الثانى بكل سهولة وبدون اى تعب ؟
فاجابه الشيخ عبدالرضا - وانت ترى كيف يقفز بعض ابناء اسرتكم في ميدان
الطب ، فكان الطب موضوع على الرف فاذا مات أحد افراد اسرتكم مد الاخر يده
الى الرف فتناوله واصبح طبيا في اليوم الثانى بكل سهولة وبدون اى تعب ؟

* * *

والشيخ عبدالرضا جمع الى غزارة علمه وفقهه أدبا رفيا ، ورجاحة في العقل
والتفكير ، وتجلت قيمته فيما حرر من بحوث فقهية منها كتاب في (الوصية) وآخر
في (النكاح) وفي هذين الكتابين يجد القارئ اراء جديدة في الاستنباط
والتعليق تدل على أحكام فقهية محكمة ، والتفانيات بارعة اختص بها بين العلماء ،
ومع ذلك قلما شوهد شخص من طرازه وطراز الشيخ عبدالكريم الجزائري
من حيث وفرة الادب ، والتبسط ، والتواضع ، وفوق ذلك فهو سريع البديهة ،
بارع النكته ، وقد رافقته هذه البراعة من صغره فكانت تفيض بالمرح منذ الطفولة
وبقيت تفيض الى آخر ساعات موته ، ولقد حدثني مرة فقال :-

- كنت وبعض اترابي من طلاب الادب ونحن في اول درجة من سلم الشبّاب
نقّب الشعر والشعراء كلما حدثت مناسبة شعرية ، ومناسبة الشعر في النجف هي
الزواج ، والوفاة ، والقدم من السفر وغير ذلك من أمور (١) ، فاذا تزوج شخص ،
أو توفي شخص من ذوى النجاه انبرى الشعراء لاستغلال هذه المناسبة للتفيس عن
كروبيهم ، وللمباهاة والمفاخرة بملكاتهم الادبية ، ولم تنزل النجف
لان ممتازة بهذه الظاهرة ، وكان المتأدبون والادباء يرتادون تلك المجالس ليسمعوا

(١) لقد اشير الى هذه المناسبات في اكثر من محل واحد من هذا الكتاب .

الشعره ، وليجزوا مواهبهم ، وقابلياتهم الشعرية في (التقية) والتقية هي السبق في معرفة القافية قبل انتهاء كل بيت من الشعر واعلانها قبل الاخرين .

• وقال الشيخ عبدالرضا ، وكنا تتنافس في النطق بالقافية عاليا ، تلفت بنا الانظار ، وكان شاب من اولئك الشبان الذين يحسنون التظاهر بالمعرفة ، كان يعرف كيف يخطف من افواهنا القافية فيعلنها بصوت اعلى من اصواتنا ليلفت لنفسه الانظار ، بينما ليس له منها شيء او بعض شيء ، بل انه كان ابد ما يكون عن فهم الشعر وموازينه وقوافيه .

وقلت لرفاعي - قال الشيخ عبدالرضا - ساكفيكم سره ان هو ضايقا بعد اليوم .

وجاء يوم تبارى فيه عدد من فحول الشعراء في قصائدهم ، وتبارى فيه عدد من الادباء والمثادين في تقائهم ، وجاء هذا الشاب الغبي الوجيه ودس نفسه بينا كما كان يفعل من قبل ، وكانت القافية باء مفتوحة على وزن (بيبا) و (شعاب) تنقف من افواهنا بعض قوافينا وصرخ بها في ذلك المجلس مستغلا جياذنا ونحسن في مقتل اشباب ، فتواصينا ان نهمس بقافية لا تسجج مع تلك القافية البائسة وعيناها بينا فكانت (بليدا) فلفقها من بين شفاهنا وصرخ بها صرخة مدوية قبل ان يصل مشهد الشعر الى القافية فكانت نكتة تلك السنة

لقد زرت الشيخ عبدالرضا في مرضه الاخير قبل وفاته بيوم او يومين ، وكان يحيط به بعض ارحامه وزواره وهو مضطجع في سرداب بيتهم الكبير ، وكنت قد سمعت بخطورة مرضه وخوف الاطباء عليه ، ولكني لم المح اي شيء يدل على تلك الخطورة في اثناء عيادتي له ، فلقد كان وجهه يفيض بشرا ، وكان ترخابه بعواذه وهو سقيم لا يقل عن ترخابه بزواره وهو سليم ، ولم اعرف ان النفس متى تكبرت استوى عندها الظروف والاقوات الا بعد ان مات ، اذ لم تطل حياته بعد ذلك الا يوما او يومين

* * *

ونشأ الشيخ محمد كاظم في رعاية هذا الاب وفي رفقته فتأثر به لحد بعيد ،

وانطبع بطباعه من حيث النهج والسيرة وطيب النفس والمرج وخفة الروح بالاضافة الى ترسم خطاه في طلب العلم والافعال على دراسة الادب والاحاطة به من جميع اطرافه . وقد ملك سليقة وذوقا انفراديا بهما في عالم دراسته الروحية وكان اديبا من طراز خاص يجمع بين صحة التركيب وبزاعة الفن وسرعة البديهة ، وعلى الرغم انه كان يتجنب الاندماج في زمرة الشعراء فقد كانت شاعريته معروفة لدى رجال الادب ، وقد شهدت له بعض المناسبات الخاصة شعرا ينم عن اوسع الملكات في عالم الادب ، فلقد جمعنا ذات مرة مجلسا عامرا بمن حضره من العلماء وأهل الادب وتطرق القوم الى بحور الشعر واوزانه فانكر البعض من الحاضرين على الشيخ محمد كاظم ان يكون هنالك من الشعر ما يقوم شطره على كلمة واحدة . . . !! فروي هنالك الشيخ محمد كاظم الشيء الكثير من الشعر الذي قام شطره على كلمة واحدة بدقون زيادة وكان من ذلك ابيات اشوقني منها .

أعجيبه بدت العرب

وعجب الحاضرون لهذا الالتفات وكثرة ما يروي من الشواهد العائرة ، ولهذه الملمحة الادبية التي لا يفوتها شيء من دقائق الادب ، واذكر انه جاء مرة ذكر البحور الشعرية التي تصعب فيها الاجادة في النظم واداء عرض الشاعر ما لم يكن الشاعر متمكنا من قول الشعر وسبكه تمكنا كليا وكان بحر (المديد) مما تطرق اليه القوم من البحور ، والمديد المتور خاصة الوارد على وزن (فاعلان فاعلن فعلن) فمضى الشيخ محمد كاظم وجاء في اليوم الثاني بقصيدة عصماء طويلة نظمتها على هذا النحو وابتدأها بقوله :-

طال ليل المسهد المغموم فمتى تنجلي ليالى الهم ؟
 مل جنباي مضجعي ساما ساهر الليل كيف لم يسأم ؟

في مثل هذه المناسبات ينظم الشيخ محمد كاظم ويبدع ، ولا يضع انقلابا ابداعه في الشعر حتى ولو كان بيتا او بيتين ولقد كان للسيد عبدالله المقرم الساكن في قضاء طويريج (مثيروع) يتعلق بدائرة الرمي ، وكان صديقي السيد حسن الرفيضي

يوم ذاك مهندسا ارى فى طويريج ، فلم يحصل الاتفاق فى الراى بين السيد عبدالله المقرم والسيد حسن حول ذلك (المشروع) ، وبلغ الشيخ قاسم محيى الدين خبر محيى السيد حسن من طويريج الى النجف زائرا فكتب لى مع السيد عبدالله رسالة يطلب منى التوسط للسيد عبدالله عند السيد حسن لانجاز مشروعه ، ثم استكتب انشيخ محمد كاظم لكى يضم صوته الى صوت الشيخ قاسم فكتب لى الشيخ محمد كاظم البيتين التاليتين: فى ذيل رسالة الشيخ قاسم محيى الدين :-

يا حسن الخلق ومقياس العلى وخاطر نكل (مشروع) حسن
فكن بعون الله خير شافع ما بين (عبدالله ، والسيد حسن)

* * *

وعلى ذكر الشيخ قاسم اذكر انه ضمنا ذات يوم ونحن عنده ، مجلس حافل ببعض الادباء والعلماء ، وقد تلا علينا انشيخ قاسم ام بيت من الرجز فى نسب آل محيى الدين اوصل فيها نسبهم باآدم ابى البشر على الطريقة القديمة وعلى نحو انساب (سبائك الذهب) نأمر جميع الحاضرين على ان يأتى كل واحد منهم فى اليوم اثنى بقصيدة يتناول فيها ناظمها هذه الطريقة من سرد الانساب بالهجاء على سبيل الدعابة والمزاح^(١) وكان معنا الشيخ محمد كاظم الشيخ راضى بل كان من المؤيدين لهذا الضرب من المزاح والمجون الادبى .

واصبح الصباح واجتمع القوم فى بيت الشيخ قاسم نفسه حول خوان الفقه (الصحنى) وهى الطعام العام الذى يسهم فيه المجتمعون بصحون طعام يأتون بها من بيوتهم^(٢) وقرأ القوم هنالك اشعارهم فكانت كلها عبارة عن هجوم رائع جاء كآية من آيات أدب المجون وصورة حية من صور ادباء النجف حين يهزلون ، وحين يسخرون ، وحين جاء دور الشيخ محمد كاظم اتقى هنالك مقطوعة تناول فيها المهاجمين على الشيخ قاسم بالتديد وفى هذه المقطوعة سخر من كل واحد منهم ،

(١) اشير اليها اشارة خفيفة فى معرض الحديث عن الشيخ قاسم .
(٢) لقد مر ذكر الصحنى وتعريفها فى مواضع اخرى من هذا الكتاب .

ووقف الى جانب الشيخ قاسم وقفة اذهلت القوم وعرفوا انها كانت دسيسة أدبية ، وكانت بحق من أروع الشعر الزاخر بالنكت والتفنن في الفر والكر على المجمع ، وكان مجلسا من ازهى مجالس الادب في وقته ، ومن المؤسف ان يتسلم الشيخ قاسم كل تلك القصائد والمقاطع فلم نمد نعرف عنها شيئا غير ارجوزة لى كنت قد طلبتها منه ونشرتها في (الهاتف) تحت اشرافه وبرضى منه اذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

اسمع حديثا من احاديث العرب	وقصة غريبة من النسب
في ذات يوم والهواء بارد	والماء يل وكل شيء جامد
ضمت جماعة من الاخوان	وليمة في غاية الاتقان
اقامها لهم صديق فاضل	ويحر جود ضاع منه السلاح
فاشعل الفحيم لهم نيرانا	وكيف الجو لهم الوانا
فمن دخان عاقد في الحجيرة	سحابا مصفرة معمرة
الى لهيب يخفى احيانا	ويمتلى فيطرد الدخلا

وتمضى الارجوزة في وصف الجو ووصف الوليمة الى ان تنتهى بالقول :

فشكر الرفاق هذا انكرما	لصاحب البيت ومن له اتقى
وعطسوا مجلسه بالحمد	وظاح عطر مدحهم كالنهد
وكلما زاد مديحهم له	اغتر وغير الفرور شكله
فلم تعد تسمع منه ها هنا	الا انا انا انا انا انا
انا ابن شالغ انا ابن شفتى	اما المسيح الروح فابن احتى
انا ابن اخنوخ الهزبر القرم	والبحرى الشاعر ابن عمى

وتمضى الارجوزة في مزاحها وناقشتها النسب على هذه الطريقة الساخرة من

الدعابة الى ان تقول وهي تضى الشيخ قاسم محبى الدين :

لو قال انى ابن يدى ورجلى	اعزو اليهما كريم اصلى
لكان من احسن اصل اصله	واطيب الفصل يكون فصله

إلى آخر هذه الأرجوزة المنشورة بكاملها في جريدة الهاتف كلون متن
الوان المجلس المذكور في ذلك اليوم .

* * *

وتعرفت بالشيخ محمد كاظم منذ الصغر ، واشتدت أواصر الصداقة بيننا في
الكبر ، وكلما تقدمت يوما انكشفت لي من امره ومن امر ملكاته مواهب زادتني تعلقاً
به ، فلقد كان يملك كل صفات الزعامة وإخلاقها في مجتمع كالسجف من حيث
السمي للخير ، والبعد عن الشر ، والاتصاف بسعة الصدر ، وإخذ الناس بالحلم ،
وكان كبير النفس ، على الهمة ، بعيداً عن الرياء ، وقد زشح للصلاة بالناس عدة
مرات فابني ، كما زشح الشيخ محمد ظاهر الشيخ راضي غير مرة فابني هو الآخر إباء
شديداً وهذه أمور وإن بدت تافهة ولكنها تصلح أن تعطى عن هذين الرجلين إذا
لم تعط عن جميع الأئمة فكثرة واضحة عن اتجاهاتهما وعلو نفسيهما
واستصغارهما لمقام البراسة .

ولقد أصاب السيد مير علي (أبو طيخ) كل الإصابات حين وصفه الشيخ محمد
كاظم في قوله :-

اراك مقياس تشيبيهي - فمعدرة ... ان عنك قد ضاق ذرع الشعر تشيبيها
وزادت من صلواتنا الروحية صلوات اسرتينا من قبلنا ، صلوات تجاوزت حدود
الصداقة ودخلت نطاق القرابة والاخوة فكانت مصداقاً لقول القائل (رب اخ لم تله
امك) وقد سبق لاحد اعمامي ان آثر الشيخ جعفر الشيخ راضي على عموم اسرته
فاختاره وصياً على ميراثه بعد مماته .

وذخت أفضى أغلب اوقات قرأني عند الشيخ محمد كاظم فأجد عنده متفصلاً
لم اجده عند غيره ، وفي أيام المحنة أيام تألب الناس على لصرحتي بوجوب الإصلاح
الديني وتهذيب قراءة المأمم عند خطباء المنابر ، ومقاومة ضرب الرؤوس بالسوق
في محرم ، لم يكن آل الشيخ راضي يتفقون معي في رأيي ، ولكنهم كانوا وكان
الشيخ محمد كاظم الشخص الوحيد الذي تركن اليه نفسي وتوكلت عليه افكارى .

وحين مات ابني الوحيد (هاتف) وشملتني الاصدقاء بالطافهم وأبعدوني عن بيتي اياما ، لقيت من الشيخ محمد كاظم من الحذب على والاهتمام بي الشيء الكبير الذي سوغ لي ان استجيب له ، فاقضى عنده من الايام والليالي اكثر مما قضيت عند جميع الاصدقاء مجتمعا .

• وولد للشيخ محمد كاظم توأمان قبل موعد ولادتهما الطبيعية واحسست بخوفه عليهما ، وكان خوفه من نوع غريب لا يشبهه خوف آخر اذ كان الشيخ محمد كاظم يحاول ان يجعل كل شيء مسودا للعقل ، وخاضعا لتواميس العلمية ومع ذلك فقد قال لتجرب ارادة القدر قبال الحقيقة العلمية الداعية الى الخوف على مصير هذين الطفلين ونهايتهما ماداما قد ولدا قبل اوان ولادتهما الطبيعية شهرين او أقل قليلا .

قلت - فماذا نعمل ؟

قال - سمهما انت فحسبي ان تكون التسمية فألا حسنا (وكانت قد اشيعت عن قائل الحسن اشاعات تجاوزت حدود المقول) .

قلت - فليكن اسم الطفل (رجاء) وليكن اسم الطفلة (أملا) وقد كانا ... وعاشا ، ومرة اخرى آمن بعض الاصدقاء بانني رجل ميمون وان في قدمي بعض الخير ، وفي لساني مثلهما ، وهي شهرة ليس لها ولا ذرة من الواقع ، ولكن أليس من حسن الحظ ان يظن الناس بك الخير وانت لم تعمل شيئا بل ولا تؤمن بما يظنون ؟

وكررت في السنين الاخيرة اجتماعاتنا ، وكثرت المناسبات التي دعت الى تبادل الاراء في كثير من الشؤون التي تتعلق بمدينة النجف من جميع وجوهها ، وكان الشيخ محمد كاظم ممن يعقب قراءة الصحف ويتعمق في الحوادث ، وكان لرأيه قيمته في الشؤون العامة وقلما جمع رجل من الفقه والادب وعلم الاجتماع والسياسة مثلما كان يجمع الشيخ محمد كاظم على ذلك النحو الخاص الذي عرف به وحده

بين أقرانه ، وكل ما كان يؤخره عن منزلة الزعامة هو انه كان يحاذر احد بعيد ان يند منه ما يخذش احدا مهما كان شأنه ، وان صفة كهذه وان كانت تحببه للجميع ولكنها لا تبوؤه مركز الزعامة التي تتفح وتضر ، فلقد كان لطيفا جدا مع الجميع وحتى مع اخشن الناس واكثرهم تكبرا لصفاء الاخرين ، وكانت الكلمات التي يرسلها مزيجة بشيء كثير من الحلاوة واللين والعذوبة مما تصب مجاراة فيها . كنا ذات ليلة في بيت محمد الخليلى وكنا قد اغرقنا فى الضحك بسبب مباراة أدبية استدعتها (النكبة) التي وقعت بين الشيخ محمد رضا المظفر وبين الشيخ محمد جواد الشيخ راضى شقيق الشيخ محمد كاظم فاغرقنا جميعا فى ضحكة لا يبعد ان تجاوز صداها عشرات البيوت فالتفت احدا وقال :-

- فى مثل هذه الايام جرى هدم قبور ائمة البقيع فى (المدينة) وقد اتخسد البعض من هذا اليوم ذكرى حزينة ، فلو متر من هنا (عبد المحمد) (رادود) حلقة (الشوشترية) ^(١) وهو الذى يعتبر مثل هذه الايام ايام عزاء لا ينبغي لثغر فيها ان يفتخر عن ابتسامه فضلا عن ضحكة ، وضحكة طويلة كهذه الضحكات ، فماذا تستطيعون ان تجيبوه وبينكم عدد من العلماء والاتقياء امثال الشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد كاظم يقولون له : انا لانؤمن بعرف يصنعه عبد المحمد وجماعته ؟ ام تقولون له انا نستهر بمثل هذه الطقوس وهذه الايام لانا اذا عينا بها فمضى ذلك انا لا نجد يوما بل ولا ساعة من الزمن تخلو من الذكريات المريرة . وهنا تحول الموضوع الى جد فقال الشيخ محمد كاظم :-

- خذوا الامر على سبيل الجد ، فلو فاجأكم عبد المحمد ، او من كان على شاكلته ، وقال لكم ما هو تفسير هذه الضحكات العالية فى مثل هذا اليوم فماذا كنتم تقولون ؟

لقد وجمنا ، لان المنور على جواب يلائم مزاج اخينا عبدالمجيد ، ويقنعه ويقنع اضرابه ليس من الامور الهينة ، ولكن الشيخ محمد كاظم قال :-

(١) عبدالمحمد شخصية ذات حول وطول فى الالتزام بالمآتم الحسينية ومراعاة جداول الوفيات للائمة الاطهار .

- احسب ان المسألة ليست كما تظنون من التعقيد وصعوبة الحل ، اذ القضية لا تتجاوز اكثر من ان نقول له اذا ما قال :-

- لماذا اتم ضاحكون في مثل هذا اليوم وهو يوم ذكرى مريرة ؟

ان نقول له - « اننا كنا نضحك على يزيد ابن معاوية وتنتهى الحكاية » •

ولست ادري ما اذا كان امثال اخينا عبدالمحمد سيفنعون بهذا الجواب ؟ ولكنى ادري ان هذا القول بالاضافة الى تلك الاشارة التى يفيض بها وجه الشيخ محمد كاظم كما كان يفيض وجه ابيه كانت تخفف الشيء الكثير من غضب الرجل اذا غضب ، ان لم تسحره •

لقد كان لى ابن عمه هو السيد محمد باقر العظيمى وهو من العلماء المتأثرين بمثل هذا الخلق الرضى وهذا السحر الناطق به وجهه ولسانه ، وقد كان اذا احتاج الى خادم فلا يحتاج الامر عنده الى اكثر من يوم يخرج فيه الى السوق او الحرم فيعود بخادم بدون اى غناء ، وكل رأسماله فى ذلك وجه بشوش ، وكلمات حلوة معسولة ، وطيبة نفس ، اما الشيخ محمد كاظم فلم احسب ان الامر يتطلب عنده اكثر من ساعة وليس اكثر من ذلك يخرج فيها خارج بيته ليعود بخادم يقوم بكل شؤون الخدمة حتى طبخ القهوة للضيوف يوميا وكيفية تقديمها ، وهكذا سحر خدامه فكانوا اخلص ما يكونون له نسيبا •

ولقد زادنى الخدم معرفة بالكثير من اصدقائى ، وانكشف لى جانب كبير من اخلاقهم ، ومن طريق خدام الشيخ محمد كاظم عرفت الشيء الكثير عن علو نفسه ، وشممه وطيب سريرته ، وحسن معاملته لخدامه والطبقة الثالثة من الناس حين كنت ازوره ولم اجده فاقضى الوقت بمداعبة الخدم واختيار ملكاتهم ريشا يعود صاحب البيت •

لقد عدت الى ذكرياتى استوحى منها صورة هذا الرجل الذى خسر العلم والادب وخسرته الاخلاق اكريمة الفاضلة وخسرته مدينة النجف ودواوينها فى هذا الوقت الذى طغت المادة فافسدت النفوس حتى عز تمويص الخسارة فلم اجده لى طريقا بين هذا المزدهم من الذكريات المليئة بالحزن والفرح ، والمفصمة بالبرة

والتأمل ، فهي ذكريات من الحرام ان تظل مطوية في الصدور ، قابضة في زوايا
النسيان ، ولكن اين لى الوقت لتتبع هذه الامور ، واستخراج كنوزها ، واستكناه
عبرها ، وعرضها على الانظار صورا مجلوة بجميع الوانها عن حياة كان لى من متعها
الشيء الكثير .

اننى اذكر الان لىالى احييناها فى النجف ، وفى مسجد السهلة ، وفى مدينة
الكوفة ، وقد شربنا فيها كؤوس الادب حتى اشمالة وان كل خاطرة منها تكفى
لتؤلف صفحة نقيه من صفحات تاريخ هذا البلد فى فترة من ذلك الزمن الذى خطه
عدد من فحول رجال العلم والادب وكان الشيخ محمد كاظم من اعلام تلك الزمرة .
فوجئت بموته مفاجأة غير منتظرة ، وفزعت فلم تدب عيني النوم لىالى طوالا ،
وقد حضرت مجلس الفاتحة ، وخلافا للمألوف ، وخروجا على العادة المتبعة ، رأيتى
كالاطفال انفجر بالبكاء والتحيب بدون اختيار ، لاننى كنت قد فقدت فيه صديقا
كريما . واخا وفيا ، ورفيقا رقيقا ولان النجف قد فقدت فيه هى الاخرى احد
رجالها الذين قلما تجود الايام بامثالهم من ذوى النفوس الكبيرة التى عاشت
ساعية للخير هادية للصرابط المستقيم ، بعيدة عن الشر ، حبيبة الى النفوس .

من كان يظن ان ذلك الوجه المشرق الساحر ، وذلك اللسان الذئق الجميل ،
وذلك القلب الكبير الحنون سيخفيه الموت عن الانظار فى بضع ساعات كان لم يكن
هنالك قلب حساس ، ولا وجه حبيب ، ولا لسان ذئب ، لولا تلك الذكريات لتلك
المحامد التى عطرت اجواء النجف عشرات السنين .



السيد علي بحر العلوم

السيد علي بحر العلوم^(١)

إذا رجعنا القهقري نحو أربعين سنة وأكثر قليلا واتيح لنا ان ندخل النجف زائرين فلن يستلفت نظرنا من النجف شيء غير هذه الحركة النشطة من دراسة الادب والفقه والاصول ، وهي حركة تتجلى في العشرات من المدارس الدينية ، وفي الجوامع ، والمساجد ، وفي عدد من (الدواوين) التي كانت تسمى (بالمجالس) وكان الزائر يستطيع ان يستعرض الكثير من ذلك في الصحن الشريف الذي كان يجمع يومذاك بجموع غفيرة من المعتمين بالعمائم السوداء اشارة الى البهالة النبوية ، والمعتمين بالعمائم البيضاء التي تفصلهم عن غيرهم من العلويين وتجمعهم باكثرهم في حلقة واحدة من حلقات الدرس ، والى مثل هذه العمائم التي كانت ابرز ما يشاهد المشاهد في النجف يومذاك يشير الشيخ علي الشرفي (النجفي) في ضمن ما يريد أن يشير في قوله عن النجف قائلا :

بلدي رؤوس كلها أرأيت مزرعة البصل؟

وكانت هذه العمائم من بيض وسود تتحلق حلقات هنا وهناك في الصحن الشريف وفي غيره مصغية بكل جوارحها الى استاذها الذي تنتهي عنده الحلقة كما ينتهي العقد عند رأس القلادة ، وأنا آخر تبدو مشبكة في مناقشة تلين وتشد حسب طبيعة المتناقشين وامزجتهم ، فقد زعموا ان حدة المناقشة كانت أكثر ما تجرى عند الطلاب الاتراك الذين كانوا يفدون من تركستان وققاسية واذربايجان اما اللين والتوثبة في المناقشة فأكثر ما كانت تسود الطلاب الهندوس والتبتيين ، والواقع ان المزاج الحاد في المناقشة كان مزاج الشبان من طلبة العلم على الغالب وكثيرا

(١) مجلة النجف - تشرين الثاني ١٩٦٠

ما كانت تؤول حدة هذه المناقشة في الدرس الى (ضرب المدس) فوق الرؤوس ..
اما الذين كان يتغلب عليهم الوقار في اغلب حركاتهم ومناقشاتهم فقد كانوا
من شيوخ الطلاب ومن الذين افوا اعمارهم في الدراسة ، وقلما شوهدتني ناشئ .
يستطيع ان يكبح جماح نفسه ويحد من غضبه وحماسه في اثناء المناقشة والحوار
الغيف الذي كانت تقتضيه دراسة العلم الحرة في ذلك العصر ، خصوصا وان
الصراع والنف في النقاش كان بمثابة الاعلان ولفت الانتظار الى ان هذا المتحمس في
صرخاته والمسر عن ذراعيه ، والضارب بكفه على جلد كتابه ، انما هو من الجادين
في الطليعة ، ولقد كان هذا المفهوم مطبوعا في اذهان الكثير حتى كان البعض من اولاد
الشوارع والاطفال يقومون بتمثيل حلقات الدرس في العابهم ويستعملون اللفظة
الغليظة المفخمة ، والاصباح ، والمريدة ، فيقفز بعضهم في وجه بعض مقترضا
محتجا على الاخرين كما يفعل بعض اولئك الطلاب المتحمسين تماما متخذين من
تقليد حركة البحث والمناقشة موضوع تسلية في لعبهم .

ولربما مر احد طلاب الدين على الاطفال في الشارع وهم منغمسون في تمثيل
حلقة البحوث فيدونو منهم هذا الطالب ويضحك ، وربما نقل تلك الصورة التي
شاهدها الى بعض اصحابه مازحا متندرا وقال لهم :

- لقد رايتكم اليوم بعيني واتم تحلقون في الشارع ، واصواتكم تشق عنان
السماء ، ورايت رأس الشيخ محمود (مثلا) يكاد يتهشم تحت وابل من (المدس
الناشفة) .

اقول قلما شوهدت شاب يستطيع ان يتغلب على مزاجه في تلك الايام ويدخل
البحث ويخرج من حوزة الدرس فلا حدة في النقاش ، ولا غضب خارج الحدود
ولا عصبية تستلقت الانتظار ، ولا اى شيء مما اعتاد اغلب تلك الجموع من الشبان
ان يكون ، ومن هذه القلة كان شاب في نحو العشرين نحيف الجسم حلو السمائل
دلت عمامة الانيقة السوداء وعبادته الفاخرة وحذاؤه الجديد الذي كانوا يسمونه
يومذاك (بالتخته بابوج) والذي لم يلبسه الا القليل وجواربه البيضاء التي كان ينفرد
يلبسها الوجهاء لان الاغلبية في ذلك اليوم لم تعرف لبس الجوارب شتاء فضلا عن

الصيف لقد دل كل هذا على شيء غير قليل من الاناقة والوجاهة وكان يدلف الى (الصحن) وهو متأبط كتابا قد يكون هو الاخر منفردا بين الكتب من حيث جلده ، ونظافته ، فاذا حضر درس استاذ ، وانس في حلقة البحث كان من اكثر الطلاب اصفاء ، واقلهم شجارا ، واكثرهم وقارا كما لو كان في العقد الخامس او السادس من العمر !.....

وكثيرا ما كان يرافق هذا الشاب شاب اخر اكبر منه في السن قليلا حين يدخل الصحن وحين يخرج من الصحن ، وقد يكون هذا الرفيق مشابها له كل المشابهة ، ومجانسا كل المجانسة لولا شقرة بادية في وجهه ، وفي لحيته الخفيفة .

اما الاول فهو السيد على بحر العلوم ، واما الثاني الاشقر فهو اخوه السيد ميرزه . وقد يرافق الاثنين بمض الاحيان شاب اصغر منهما سنا هو الاخر كان يستلفت الانظار باناقته ، اما هذا الشاب فهو السيد ضياء الدين بحر العلوم رئيس محكمة التميز الجعفري اليوم .

ولم يكن السيد على بحر العلوم ليضيع على من يتسنى له ان يدخل حوزة طلاب العلم ويلج (المجالس) لانه كان متفوقا على أقرانه في الدرس والبحث ، وانما لانه كان نسيج وحده من سلوك يثير العجب ، فهو فضلا عن كونه عنوانا للاناقة والذوق فقد كان عنوانا لعدد من الفضائل والمحاسن وكان طابعه الوقار في كل حركة يقوم بها ، وفي كل كلمة ينطق بها ، ولم يكن يسرع على الملاحظين ان يتوقفوا له زعامة اجتماعية ومكانة تجعل منه شخصية مرموقة ، وتجعل من بيته (مجلسا) عامرا باهل الفضل ، والعلم ، والادب ، وملجأ يلجؤ اليه ارباب الحاجات وطلاب المساعدة فالسنة الخصبة تعرف من ربيعها الخصب كما يقولون .

واصحاب المجالس (الدواوين) في ذلك اليوم^(١) كانوا كثيرين في النجف ، ولكن الدواوين المرموقة باصحابها المرموقين لم تكن تزيد على بضعة دواوين كان في

(١) وفي غير هذا المحل من الكتاب وردت اشارات كثيرة لمجالس النجف وماهيتها وقيمتها التاريخية والاجتماعية فم حياة النجف العامة والخاصة ، ولاسيما في استعراض ايام الشيخ عبدالكريم الجزائري ومجلسه العامر .

مقدمتها ديوان الشيخ جواد الجواهري وديوان الشيخ عبدالرضا الشيشخ راضي وديوان الميرزا مهدي الأخوند وديوان الشيخ عبدالكريم الجزائري وديوان السيد محمد علي بحر العلوم وبعض الدواوين الأخرى .

والمجالس كانت عنوان النجف منذ كان تاريخ النجف ، وهي تمثل النجف تمثيلا فيه الكثير من واقع البلد وحقيقته واهدافه ، وفي هذه المجالس كانوا يتبادلون الآراء والأفكار السياسية ، وفي هذه المجالس كانت توضع الخطط ، وتعد المناهج العامة ثم هي بعد ذلك أشبه بقاعة المحاضرات ، والدرس ، والمباراة الشعرية ، بل كثيرا ما قامت هذه المجالس بمهمة المحكمة ففصلت بين المتناكرين ، وتوسطت في حل المشاكل على قدر ما لصاحب المجلس من لياقة وقابلية ، والمترادون لهذه المجالس وإن كانوا من طبقات مختلفة ولكنهم كانوا عيون البلد ووجوههم لا يصلح غيرهم أن يمثل النجف تمثيلا واقعا في أفكاره وآرائه وما هي عليه من مواهب أدبية فنية ، وإلى مثل هذه المجالس يعود الفضل الأول في بذرة الاستقلال ، ووضع أول خطة لكيفية المطالبة باستقلال العراق ، ومن هذه المجالس انبثقت فكرة ثورة النجف الأولى في وجه الإنكليز ، وإلى مثل هذه المجالس يعود الفضل في تضيق دائرة الحروب القبلية وحروب (الزكرت والثمرت) .

ولاهمية هذه المجالس في تاريخ النجف - بل تاريخ جانب كبير من العراق وما يدور فيها من الوان للحديث والأفكار - سمي بعض المؤلفين فصول كتبهم (بالمجالس) وقالوا إن المجلس الأول من الكتاب مثلا يتناول من المواضيع كذا . . . وكذا . . . ولقيمة المجلس من هذه المجالس وحيويته قال المار على القبور وهو يسلم :-
سلام على أهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا في (المجالس)
ومهمة اصحاب المجالس ممن اتبع لهم ان يتبوؤا زعامة البلد الاجتماعية شاقا وخطيرة بالنظر لعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم ، ومع ذلك فقد كان هنالك ما يذلل هذه المشقة ، ويخفف من صعوبتها ، فقد كان بين الناس عدد غير قليل ممن جلوا على حب التضحية بالمال ، والتضحية بالجهود ، والتضحية بالجاه ، وكان هؤلاء عادة ممن المعجبين باصحاب تلك الدواوين ، والمأخوذين بسحرهم ، وكانوا يحضرون تلك

المجالس - وكثير منهم من يلازمها - فكان الزعماء الاجتماعيون من اصحاب الدواوين يستعينون بهؤلاء في سد ثغرة او تنفيذ امر او حل مشكلة كبيرة ، او تبرع بالمال لجهة من الجهات الخيرية ، خصوصا وان الناس كانوا يطفون دور المحاكم والقضاة ويرجمون في كل دعاواهم ومشاكلهم الى هذه الدواوين بحيث لم يبق هناك ما يشغل المحاكم الا القليل من الدعاوى المتعلقة بالجرائم ، والتي تؤوك الى المحكمة على رغم اغلب اصحابها وذوى الشأن فيها ، وما كان يروى عن قيمة هذه المجالس في فض النزاع وحل المشاكل بحيث تظو دور القضاء الرسمية في تلك العهود من الدعاوى : هو ان قاضيا كان قد تعين لمحكمة النجف في العهد المنطوي ، وكان قد تأخر دفع راتبه له وهذا ما كان يحدث كثيرا حينذاك فلم يجد هذا القاضي من يرجع اليه في دعواه مدة اقامته لكي يستطيع ان يفيد منه شيئا على حساب القيام بخدمة خاصة على الاقل اذا لم يكن على حساب الرشوة فطلب القاضي فرائش المحكمة وامره بان يقف على الباب فيدخل عليه اول شخص يمر من هناك

وبعد ساعة مثل امام القاضي رجلا كان قد مر فسأفه الفسراش الى المحكمة وسأله القاضي :-

- هل لك دين في ذمة احد لكي نبعث فنجلب مديتك الينا ونستحصل لك المبلغ لقاء شيء تدفعه لنا ؟
قال الرجل - لا . . .

قال القاضي - وهل انت مدين لاحد لكي تتدخل في الامر ونحضر لك الدائن ونجمله بطريقة من الطرق على تصفية دينك واعفائك منه نهائيا ؟
قال الرجل - لا . . .

فالتفت القاضي الى كاتبه وقال له :

- اكتب له « لا طالب ولا مطلوب » وقل له « جيب مجيدي » .

اي انه لقد ثبت لدينا انك لست دائنا ولا مدينا وعليه فيجب ان تدفع لنا (مجيديا) والمجيدى عملة عثمانية تساوى ما يقرب من ربع الدينار اليوم .

اقول لقد كان لتلك المجالس (الدواوين) فضلا عن قيمتها في حل المشاكل الخاصة والعامة وتمثيل النجف في مختلف ادوارها - شأن كبير في الثقافة العامة وصقل الافكار ، ولم يكن من الهين لكل من يستطيع ان يفتح بابه ، ويصف اباريق القهوة حول موقده ان يشغل تلك المكانة فيكون صاحب ديوان على هذه الشاكلة ، والا لكانت النجف كلها دواوين تسمع صوت فاجينتها على بعد مئات الامتار وانما كانت لتلك المكانة مؤهلات خاصة يرجع اصلها الى الفطرة اولاً ثم الى مجموعة من الملكات التي تصقلها التجربة ، والدراسة ، والخبرة ، وتسندها اخلاق تمتاز على اخلاق الوسط باشواط ومرآجل ، وان الجديريين بهذه المنزلة كانوا معروفين من اول نشأتهم .

وكان السيد على بحر العلوم في شبابه في الطليعة اذا ما اريد حصر الذين يمكن ان يكون لهم مثل هذا الشأن في المستقبل ، فقد كان يضع نفسه منذ اول نشأته موضع هذه الزعامة ، وكانت مؤهلاته كلها من حيث الاسرة والتقاليد والجدارة تساعد على ذلك ، ويقول صديقنا الشيخ حسين الحلبي - ان المرء حيث يضع نفسه في النجف فاذا قال النجفي اني اريد ان يكون اسمي شيخ المشايخ مثلا قيل له : فليكن ذلك ، او قال اريد ان اتصدر المجلس ، قيل له ليس هنالك من بأس ، ولكن المؤهلات هي التي تعمل عملها بعد ذلك وان كان المرء حيث يضع نفسه .
ولكى يدعم الشيخ حسين قوله هذا بالبرهان قال لي :

- لا اشك انك تعرف السيد جعفر بحر العلوم .

قلت - اعرفه .

قال - فما رأيك فيه ؟

قلت - عالم جليل ، وبخانة معروف ، وهو في الفقه والاصول ، والادب

العربي والفارسي حجة من الحجج وتحفة من التحف .

قال الشيخ حسين - ولكن السيد جعفر قال - اريد ان اكون خاملا فكان ...

أفليس اذن حيث يضع المرء نفسه ؟ ...

والسيد على بحر العلوم لم يضع نفسه حيث اراد فحسب وانما كانت تسند

زعامة مؤهلات عرفها فيه الناس يوم اول دخوله حوزة طلاب الدين ...
وشب السيد على وشبت معه هذه الخصال الحميدة ، محبة يفر بها من يعرف
ومن لا يعرف ، وخير يريده للغير اولا ثم لنفسه ، وغيره على الدين ربما تجاوزت
الحدود .

وتردد اسم السيد على في جميع الاوساط وبدأت شهرته تصل عملها يوما بعد
يوم .

- اين كنت ؟...

- في بيت السيد على

- ومن اين جئت ؟

- من بيت السيد على ...

ولم تلبث هذه الشهرة ان اخذت طريقها المستقيم فاذا بهنذا البيت يمج
بالعلماء والادباء والتجار والعمال عصر كل يوم ومساء كل ليلة على الغالب ، واذا
بالمجاسن النجفية تقلص يوما بعد يوم كلما مات زعيم من زعمائها الاجتماعيين
فينهض بيت السيد على بمهمة تلك الزعامة بعد مجلس الشيخ عبدالكريم الجزائري
ويصبح ديوانه الواجبة الوحيدة للنجف يطل منها الزائر الدارس على حياة النجف
العامة والخاصة بكل اتجاهاتها الاجتماعية والروحية واذا بهذا الرهط من خيار
الصحاب الذين يصاحبون السيد على ويماسونه يشطون في اتجاهاتهم العلمية
والادبية فيختارون لانفسهم اسم (الصفوة) ، والحق انهم كانوا صفوة القوم في
بحوثهم وآدابهم واخلاقهم في جدهم وهزلهم ، وقد قيل ان اسم (الصفوة) كان
اقدم من هذا التاريخ وانه كان يشمل عددا من هذا العدد وكان من اعضائه الشيخ
محمد رضا الشيبلي وغيره وكيفما كان الامر فانه لم يبق من الصفوة اليوم الا الشيخ
حسين الحلبي وكانت هذه الصفوة تتخذ من بيت السيد على ندوة عامة وخاصة فهي
لاتفارق (ديوانه) صباحا ولا مساء ، فاذا ما انصرف الناس وقضيت بعض حاجات
المراجعين من طلب وساطة السيد على في امورهم لدى العلماء او لدى الحكومة او
حل مشاكلهم الخاصة وفض النزاع فيما بينهم وانتهى المجلس فيما هو فيه من

مناقشات وانفرط عقد الاجتماع بقي اعضاء الصفوة في اماكنهم وتحول المجلس العام الى مجلس خاص ، وعمر هنالك بالوان شتى من جد وبسر برىء كانت تسوده النكتة والظرف والسعاية .

ومعرفتى الذهنية بال بحر العلوم مستمدة من التاريخ البعيد مما كان لا يائى الاول من صلوات متينة وقد جددها ابى بصداقته للسيد محمد على بحر العلوم والسيد جعفر بحر العلوم ، ثم توثقت اكثر بقيام حزب سياسى سرى بأسم (النهضة الاسلامية) كان قوامه السيد محمد على بحر العلوم واخى عباس الخليلى والشيخ محمد جواد الجزائرى والشيخ محمد على دمشقى ، وهو الحزب الذى تبنى ثورة النجف سنة ١٣٣٦ هجرية وهى اول ثورة قامت فى وجه الانكليز واعتبرها البعض نواة الثورة المراقية الكبرى^(١) وقد قبض فيها على السيد محمد على والشيخ محمد جواد وغيرهما ونالوا فى سبيل (نهضتهم) الشيء الكثير من التعذيب والتشريد مما هو مذكور فى تاريخ هذه الحقبة من الكتب وفر أخى عباس الخليلى ونجا . وكان الوحيد الذى نجا من جيل المشتقة .

اما معرفتى الشخصية بالسيد على بحر العلوم فانى لا اذكر متى بدأت لاول مرة وكلما اذكر هو التى كنت والسيد ضياء الدين بحر العلوم زميلين وصديقين نجلس على رحلة واحدة فى المدرسة الطلوية ، وظللنا سنين ونحن نصعد صفوف هذه المدرسة معا ومن هذا الطريق عزفت فيما بعد الكثير من افراد هذه الاسرة ، ولم البت ان وجدتى صديقا حميما للسيد على بحر العلوم يشدنى اليه اعجابى الشديد بالمزايا التى انفرد بها فى هذا المجتمع وزاد من توثيق صداقتى به صداقتى للسيد مير على ابى طيخ عضو (الصفوة) وللشيخ محمد حسين المظفر وانا وان لم اكن عضوا رسميا فى (الصفوة) ولكنى كنت احتل منها جانبا مغمورا بمواطف الصفوة جيمها وكان يوم الاربعاء وهو اليوم الذى اتخذ منه السيد مير على ابو طيخ يوم (قبول) يسمح فيه لزواره الكثيرين بزيارته وهو كسيح مقعد فكان هذا اليوم يوم

(١) وفى مواضع اخرى ذكر عابر واشارة خفيفة لثورة النجف المذكورة لاسيما فى استعراض ايام الشيخ عبدالكريم الجزائرى .

تفيس لاعضاء الصفوة يحضرونه كما يحضره غيرهم فاذا انصرف الزوار ظلت الصفوة جميعها عند السيد مير علي ابي طيخ فلا يجين الظهر الا ويصل غداء كله عضو الى بيت السيد مير علي فيمتد الخوان وتصف الصحون ولكن المبول الاكبر في اغلب الايام ان لم يكن كل الايام على ما يأتي من بيت السيد على بحر العلوم من غداء يجمع بين الوفرة والنفاسة وكثيرا ما كان يحجم بعض الاعضاء عن الاتيان بغدائهم مكتفين بغداء السيد على الذي يكون قد استظهر على ما يجلب الآخرون . . وتأخذ هنالك الصفوة خريتها الكاملة ، وتأخذ من النكت والتعليقات والدعابة نصيبا وافرا ، وحتى في هذا المكان يكون الوقار من اظهر مظاهر السيد على بحر العلوم فلا يكون هنالك شيء غير طيبي عنده . . . !!

وانحصرت بديوان السيد على بحر العلوم اجل مهمات دواوين التجف ولم يعد هنالك من الدواوين التي كانت تتعاون في اداء الخدمة الا القليل وزاد من مشقة السيد على قلة اولئك الذين كانوا يضحون بالشيء الكثير من اوقاتهم ومجهودهم في معاونة الزعماء فتقل عبء السيد على ، واصبح يعمل اكثر مما كان يعمل اى زعيم نجفي آخر .

وكان السيد على مجاملا باقصى حدود المجاملة . فكان لايسمح لنفسه ابدا بالتأخر عن تفقد من يعرف ، وكان وضولا لا اذكر لانه سبقه احد في زيارة عاجز او ضعيف او محتاج او انه تواني عن قضاء حاجة تخص البلد كله او تخص الافراد ، وكما كان شديد الاحساس رقيق العاطفة مع الناس ، فانه كان شديد الاعراض عن كل من يحس باستخفافه بحقوق الآخرين او الذين لا يقيمون وزنا للفضيلة والكرامة ، واننى اعرف انه انقطع عن صديق له بعد صداقة ثلاثين سنة فلم يذكر اسمه على لسانه ولم يسمح لنفسه حتى بالإشارة اليه ، لانه كان قد اقتنع بان هذا الصديق قد ارتكب خطأ فظيما عن عمد وسبق اصرار ولكن عداوة السيد على ما كانت لتجاوز حدود الاهمال والاغفال والاعراض اتمام عن يكره ويعداى فهو لا يذكره بخير أو بشر ، وهو بعد ذلك مرهف الحس كثير الغيرة على كرامته لحد الخيال تلك الكرامة التي يصعب ان تجد لها اليوم نظيرا ، والتي جعلت من يعرفه كثير

الحذر ، لئلا تبدر منه بادرة تساعد على ظن السيد على بأنه من الذين لا يفهمونه اولا يعرفون قيمة كرامته كما ينبغي ان يعرفوا .

لقد اهدى لى ذات يوم (طاقة) من الترمة (السال الكرمانى) العزيزة الوجود ، وكان هذا النوع من القماش وخاصة بلونه الترابى اجدر به مما هو بى انا لاختلاف ملبوسينا ، فاصرت على ان يدعه لنفسه واصر هو على ان أخذه انا نفسى ، وعبثا حاولت ان اثبت له ان لونا كاشفا قريبا للبياض كهذا لا يمكن ان يكون لباسا شتويا لمن يرتدى السترة والبنطلون من امثالى بمقدار ما هو مناسب لمن يرتدى الجبة والقباء من امثاله ثم لمحت - وانا اصر - على وجهه سحابة اوحى الى انه ربما تصورنى مستكفا ، فاستدركت واخذت (الطاقة) وشكرته ، واسرعت فعملت منها سترة وبنطلونا ولبست البذلة مرة او مرتين حتى قنمت بأنه قد رآها على ، ثم خلعتها بعد ذلك على صديق كانت البذلة اكثر ملائمة له منى .

وعلى ذاك الهدية والاهداء فانى اعرف ان الهدايا التى كان يتلقاها السيد على فى بعض المناسبات كانت كثيرة ولكنى لا اعتقد انه قد سمح لنفسه مرة بان تقبل أية هدية ممن لا يعرف ، ولا اعتقد انه تلقى هدية من احد دون ان يخفى الكثير منها بالكثير من اصدقائه ، فقد كان كريم انفس ، سخي القلب ، لحد الجنون ، وهو بعد ذلك من اوفى الاصدقاء ، ومن اكثر الناس حرصا على ان لا يكون ثقيل على أحد .

* * *

لقد بلغنى انه قدم بغداد مستشفيا وانه يشكو من وعكة ليست بذى بال كما قال الاطباء وسرعان ما خفت الى زيارته ليلا بمدينة المنصور ، فالفته قد انتقل الى المستشفى ، وفى اليوم الثانى زرتبه فى المستشفى وقد وجدته قلعا على اكثر من قلقة على نفسه . . . !! فقد كان يعرف انى اعانى بعض الشيء من وطأة ضغط الدم وان الطبيب كان قد الزمنى بقله الحركة فقال لى انه قد طلب من نجله السيد محمد بان يتصل بى تلفونيا حين علم بمجئى الى بيته فى المنصور ليلا ، ليقول لى

بانه يكفى منى بهذه الزيارة وانه لن يمنحني رضاء اذا ما فكرت بزيارته فى
المستشفى .

* * *

وتكررت زيارتى له فى المستشفى ورأيت الفرقة تكاد تتحول بل تحولت
الى ديوان آخر من تلك الدواوين المواجهة لرجال العلم والادب والسياسة فى
التجف وكان السيد على فى مرضه هو السيد على فى شفاه وجه بشوش وذلاقة
لسان ، وفكر صائب ، وحديث حلو عذب ، وكان الازدحام على اشده من زائريه
الذين بدأوا يؤمون المستشفى من جميع الاطراف .

وتماثل للشفاء حتى لقد تعين يوم خروجه من المستشفى وقد اعدت العدة
لاستقباله ان هو عاد من بغداد الى التجف ، وفى آخر زيارتى له فى المستشفى قال
لى وهو يتسّم - قال لى - :

- ان الطيب المختص قد طلب منى ان اسجل وزنى فى كل ثلاثة ايام مرة هنا .
قلت - أهنا لك مانع لديك ؟

قال - اتظن انى باق هنا الى غد لكى أقيد نفسى بهذا اتقيد ؟

ثم اضاف قائلاً انه قد اتوى ان يترك المستشفى غدا مادام قد شفى تماما .
وفى الغد ... فى الغد نفسه اتناثه نوبة فجائية سلم على اثرها روحه لبارئته ،
وقد صدق حين قال لى انه اتوى ان لايمكث هنا اكثر من هذا اليوم .

* * *

مات السيد على بحر العلوم وبموته اغلقت آخر نافذة يستطيع الزائر ان يطل
منها على التجف فيراها على حقيقتها ، مات فانطفأت بموته شمعة ظلت تير السبيل
للتائهين عشرات السنين ، وانهار ذلك المثل الشامخ من الرجولة والزعامة الاجتماعية
الذى طالما اتخذه ارباب الحاجات والخائبون فى آمالهم ملجأ تآوى اليه ارواحهم
وتلجج به صدورهم .

ربما كان الكثير قد ملك بسبب السيد على وعن طريقه افخم دار للسكن ،

ولربما كان الكثير قد تغلب على مشاكله المالية بسبب السيد على بحر العلوم ، ولربما كان الكثير قد كسب راحة البال بسبب السيد على بحر العلوم ، ولكن السيد على بحر العلوم نفسه مات ولم يرتح له بال ، ولم يملك عقارا ، ولم يكن له دارا ، وانما ملك شيئا قل الذين ملكوه من الزعماء الا وهو تلك الكرامة التي انفرد بها والتي سيتحدث عنها تاريخ النجف طويلا ، فواللهفى عليه وما افجع قلبى بفقده .



عبدالستار القرغولى

عبدالستار القرغزلي^(١)

لا احسب ان تعيين الزمن بالضبط ضرورى هنا ولذلك لن اكلف نفسى مشقة البحث عن تاريخ انتقالى المضبوط الى الحلة وانما سأترك لذاكرتى الحرية ان تسجل بعض ما هو مرسوم على صفحاتها من التواريخ والحوادث وكلما اذكر الان هو انى نقلت من مدرسة النجف الى مدرسة الحلة معلما فى نحو السنة ١٩٢٣ على اغلب الظن وكنت فتى فى مقتبل العمر لا اخلو من انفرور بالكلمتين من المعرفة السطحية بالتاريخ والجغرافية اللذين كنت اتقنهما على حد زعمى وانا طالب وصرت ادرستهما وانا معلم ، ومثلهما من اللغة العربية والادب العربى ، ولا يبعد ان اكون قد مددت قدمى اطول مما يتسع لهما بساطى ، ووضعت نفسى فى محل اين منه الواقع لولا هذا الفرور الذى يركب الشباب ، وكان من حقى على زعمى ان افعل ذلك . . الم استطع ان احمل القلم فاسطر بعض السطور من الاخبار وابعت بها الى جريدة الاستقلال والى جريدة العراق افرع فيهما كل رغباتى حقا ام باطلا ، متيا على البعض او حاملا على البعض الاخر ، مستترا وراء اسم (المخبر الخاص) او (مندوب الجريدة الفاضل) وهو فى الواقع تستر صورى ليس له وجه الا فوق الصحيفة ، اذ لم يبق فى النجف احد لم يعرف منى (انا بالذات) بانى انا - وليس غيرى - المندوب الفاضل ، والمخبر الخاص . . .

اضيف الى ذلك اننى كنت يحكم بيتى ومحيطى شديد التماس بمجالس النجف الادبية ، قريبا من الادياب اللامعين ، اراهم عن كتب ، واسمع احاديثهم عن قرب ، واتوخى الدعابة والمزاح على القدر الذى يآلفه شاب نجفى مثلى يتطلب

(١) جريدة الاخبار - بغداد ١٢-٥-١٩٦٦ .

السلو والتمتع فلا يجد في تلك الأرض القاحلة الجرداء (التحيف) غير الانتجاع لخلق
النكته ، والسخرية ، والمزاح والمساجلات الادبية ، وغير ذلك من الدعاية البريئة
وغير البريئة ، واللذة الادبية الروحية الخالصة .

* * *

يمثل هذه الروح جئت مدينة (الحلة) قبيل افتتاح المدارس بأيام ، وعلى الرغم
من تنوع وسائل التمتع في هذا البلد يومذاك فقد وجدتني اتهمب هذه المتع كلها ،
بل اخافها كلها ، فانا لم اذق الخمرة ، ولم اجرب حظي في القمار ، فرحت ابحت
عن محيط يشابه محيطي التحفي ، وبيتة تحكى بيتي ، ومجموعة من الناس تهفو
اليهم نفسي ، وكان من حسن حظي ان وجدت في أحد ابناء عمومتى الذي كان
يسكن الحلة منذ زمن بعيد والذي نزلت في ضيافته ملجأ ، فقد كان هذا القريب على
صلة لا بأس بها بالادب والادباء في الحلة ، وقد كان نفسه يقرض الشعر ، ولربما
جود فيه بعض الاحيان فاتصلت عن طريقه بمدد من الادباء ، وقد تعرفت بهم عن
طريق قريبي هذا بزميل شيخ كان على جانب كبير من الخبرة بالادب وتاريخه ،
وبالشعر والشعراء ، بل كان في الواقع ممن يمد برأيهم في مفاهيم الشعر ،
وطبقات الشعراء في جميع ادوارهم ، ذلك هو الشيخ عبدالرزاق سعيد ، او الشيخ
(رزوقي) كما تسميه الاكثريه ، وقد رحب بي الرجل كثيرا وتولى القيام بتعريفني
للادباء ، وقد رأيت شيئا اكثر من العناية من هؤلاء الادباء حين عرفوا بانى انا وليس
غيرى المراسل المرموق ، والمندوب الصحافي ، واتنى سأكتب عنهم وعن الحلة
فصولا طويلة في الصحف كما كنت اكتب قبل ذلك عن التحف ، ولم يكن يومذاك
من المألوف لكل أحد ان يزاول الكتابة فجعل الناس كانوا يصبون الى قول الشعر
و... ، كما لم يكن من الهين ان يتمرس الكاتب اساليب الصحافة وضيافة الخبر
يومذاك ، وهذا ما كان يزيدني غرورا خصوصا وقد ظهرت لى بعد ايام فى الصحف
اخبار ذات اهمية عن الحلة وسمعتها التاريخية ، ومقامها الادبى ، اما الشعر
فيكفينى منه اتنى قد جربته من قبل وجودت فيه الى غير ذلك من المزاعم والادعيات
التي كانت تقتضيها حالة الشباب الذي لا يكاد يعرف شيئا غير نفسه وما يحيط بها .

وانفتحت المدرسة وبدأ المعلمون يفدون إليها ، وكان من بين هؤلاء الوافدين من المعلمين شاب اسمر اللون ، حلو السمائل ، معتدل القامة ، فى شىء من القصر ، يعلو رأسه فيس أحمر ، ولم تخط بعد شارباه ، تطفح بشرته بهجة ووداعة تقولان لك انهما عنوان الخير والمجبة ، ذلك هو عبدالستار القرغولى ، وخلال ايام قصيرة استلفت نظر القرغولى قريبي من الشيخ رزوقى ، وعرضى عليه ما كنت استظهر من الشعر ، والامثال ، وما كان يعلق به الشيخ على ما يسمع منى كلما سنحت لنا فرصة من فرص الدرس ، او فى اثناء ملازمتى للشيخ عند انصرافنا من المدرسة ونحن فى طريقنا الى البيت فلم احس الا وقد اندمج معنا القرغولى متحسسا بهذه اللذة الابدية ، ومشاركنا معنا فيما نكون فيه من طرافة فنية ، ومتعة شعرية ، وصرنا نحن الثلاثة تخرج معا من المدرسة ونظل ماشين حتى نقابل جسر الحلة القديم فيفارقنا عبدالستار ليبر الى الجانب الثانى حيث يساكن احد معلمى المدرسة الاولى ، ونظل انا والشيخ عبدالرزاق ماشين فلا نفرق الا عند بيتنا فقد كان بيت الشيخ عبدالرزاق قريبا من بيت قريبي الذى استضافنى ، وكان علينا ان نخرق السوق فى طريقنا الى البيت والمدرسة كلما عدنا من المدرسة او ابنا اليها ، وفى السوق كانت زمرة اخرى من ادباء الحلة تعرفت بهم عن طريق قريبي الميرزا عبدالحسين الخليلي وعن طريق زميلي المعلم الشيخ عبدالرزاق سعيد وفى طليعة اولئك من الشعراء والادباء كان الحاج مهدي الفلوجي الذى كثيرا ما كنا نلقاه وقد اقتعد متجرا لاحد اولاده فى السوق ، ثم الشيخ حسن خصباك عم الدكتور شاكر خصباك ، والسيد قاسم وهو من افاضل اهل الادب واشرفهم دياجة واخلافا والحاج جواد فاتى ، والشيخ كاظم فاتى فنقضى بعض الوقت من كل يوم ونحن ذاهبون الى المدرسة او آيئون منها ، واتسمت دائرة معارفى واتصالاتى ، فعرفت فيمن عرفت الشيخ محمد امين عوض وكان من اوسع الادباء اطلاعا بتاريخ الادب ، ومن اكثرهم حفظا للنصوص ، ومع ذلك فلم يكن يستغنى الشيخ محمد امين عن ضبط الشيخ رزوقى وفصاحته فلقد عود الشيخ رزوقى نفسه على ان ينطق بالكلمة صريحة التركيب ، مضبوطة الاعراب مفخمة حتى فى الكثير من الاستعمالات الاعتيادية ، وكثيرا ما كنا نسمه وهو

يوجه كلامه لاحد الطلاب في الصف صائحا به :

«اجلس طاح حظك بضم الظاء» وهذا الضم هنا وان كان يعنى المحافظة على الضبط ، ولكنه من جهة أخرى نوع من التوكيد على (طياح الحظ) ، وكان القرغولى يشعر بحاجة ماسة الى تلقي مثل هذا الضبط فى كل كلمة يسمعا ، فلقد كان ينزع الى الادب بطبيعته ، ثم اتبح له هذا الطرف فراح يغذى نفسه بما كان يسمع يوميا وما كان يعرض هو الاخر على الشيخ رزوقى وقد كان من حبه للادب ان قام بتدريس اللغة العربية فى بعض الصفوف فاقضى ذلك منه ان يزيد من الاتصال بالشيخ رزوقى وان يأخذ منه ما يتيسر .

والشيخ رزوقى يستعمل كلمة (الربط والمربوط) كثيرا ، شأن النجفين وطلاب العلم فى النجف كان يعرض الشيخ رزوقى مثلا على قول وارء فى غير محله ، لو رأى يبدو له غير منسجم مع الموضوع فيقول : (شلها ربط) ؟

ويبدو ان القرغولى لم يكن قد سمع الربط والمربوط قبل هذا اليوم فسألنى قائلا ان الشيخ رزوقى يكثر من كلمة « لا مربوط ، وبلا ربط ، وشلها ربط » وانا اخجل ان اسأله عن ذلك فما هو الربط ؟ فشرحت له معنى هذه العكازة ومحل استعمالها ...

* * *

واشدت الالفة ما بيننا ، واذا بالقرغولى يصحبنا الى نهاية الخط فى كل يوم او فى اغلب الايام ، ويجلس معنا عند هؤلاء الاصدقاء فى السوق ، وكثيرا ما صحبنا الى بيت قريبي ، وتناولنا غداءنا معا عنده خصوصا بعد ان عرف ان مثل هذا فضلا عن كونه لا يكلف مضيئا فانه يسره كثيرا لاسيما وان طعامه كان من البساطة بحيث لا يوصف حتى لقد قدموا لنا ذات يوم خبزا وتمرا ولبنا وقالوا لنا انهم لم يطهوا شيئا اليوم بسبب الغسيل وطلبوا منا ان نأكل ونمذرهم ، والقرغولى من الدمامة والخلق الرضى والمجاملة ما ليس الى وصفه سبيل ، لذلك لم يكن غريبا منه ان يقسم لاهل قريبي بان غداءهم هذا هو الذ غداء يأكله فى حياته واقعد بالغ الرجل كثيرا حتى صحت بهما زحا وقائلا له : يا سيدى ويا اخى لقد نويت انا ان ابقى هنا وعند قريبي

هذا الى ان اجد مسكنا مريحا انتقل اليه وانا اخشى ان يصدقك اهل قريبي وانت
تتني عليهم وعلى طعامهم فيصاحبوني بالتمر واللبن ، ويماسوني بالتمر واللبن ، حتى
يهلكوني بالتمر واللبن ، اما انت فماذا بهمك وقد ربت لنفسك كل شيء في بيتك
من سكن وطاهية وغير ذلك .

* * *

ونزل قريبي على رغبتى فى البحث عن مسكن لى بعد ان اخفق فى حملى على
البقاء عندهم الى النهاية وبعد بحث طويل بالنظر لقله المساكن وجدنا بيتا يخص آل
النائب وقد تركوه منتقلين الى بغداد ، وكان قد سكنه رجل وامرأة على سبيل الحراسة
وهو بيت كبير ، يحتوى على عدة غرف ومرافق و (طوارم) ، وأبى آل النائب ان
يتقاضوا منى اجورا بالنظر لصلاتهم الوثيقة بقريبي الميرزا عبدالحسين وانتقلت اليه ،
ورحت اتناول طعامى فى المطعم الوحيد الذى يتناول الموظفون الغريباء فيه طعامهم
ما عدا بعض أيام الجمع التى كان قريبي يرغمنى فيها على تناول الطعام عندهم .

وكت افضى جانباً من الليل انا والشيخ رزوقى فى بيت الشيخ محمد امين
عوض مجتمعين حول دة ما عرفت القهوة الحيدة من غير طريقها ، ولا ازال للان
اتذكر اننى لم اكن وحدى الذى كان يتحسس جودة هذه القهوة وانما حتى
الفضجان كان ثلها بها ، فكنا نقضى جانباً من الليل نقرأ جانباً من شعر الرضى أو
المتنبى أو البحتري ، وما كان يحضرنا من تملقات واقوال حول ما كنا نقرأ ، والحق
اننى افدت من مجلس الشيخ محمد امين الشيء الكثير وعرف القرغولى سمرنا هذا
فرافقنا الى هذا المجلس ، وفى هذا المجلس عرف القرغولى صناعة (التقية) لأول مرة
والتقية هى ان يسبك احد ديوانا من الشعر فيقرأ البيت الاول قراءته كاملة ثم يشرع
بقراءة القصيدة بيتا بيتا دون ان يذكر القافية لان ذكر القافية يكون من شأن المستمع
الذى يجب ان يكون قد عرف - بمقتضى سديته واطلاعه - القافية التى ركبها
الشاعر وصاغها كنهاية لهذا البيت (١) .

(١) لقد تم شرح التقية فى أكثر من مناسبة من فضول الكتاب .

ولقد فرح القرغولى بهذا اللون من (التمة) واعتبرها السلم الاول لقول
 اشعر ، وهنا فى بيت الشيخ محمد امين جذبوا للقرغولى قراءة العروض وشجموه على
 النظم ، واعتبروا تجربته فى التقفية ، وفى التشطير ، والتخميس الذى مارسه قليلا
 تجربة ناجحة دالة على ملكة ذات صلة بالمستقبل الناعم ، ومن هنا على اغلب الظن
 بدأ تأريخ القرغولى الشعرى .

★ ★ ★

وفى النصر من كل يوم كنا نرتاد مقهى فى الحلة كان يضم السيد قاسم
 والملا نافع ، والشيخ حسن خصباك ، وفى هذا المقهى كان يأتينا مرتادوه المذكورون
 بكل طريف وجديد مغموسا بالدعابة والمجون وكان السيد قاسم هو المجلى فى هذا
 الادب المرح وهو أدب كانت نفسى تهش له ولا يبعد ان أكون قد اتذذت به اضعاف
 لذتى بالجد الوقور منه

وفى هذا المجلس من هذه المقهى عرفنا اشخاصا يشغلون مراكز ائمة فى
 عدد من الجوامع المهمة لا تتاسب مراكزهم المرموقة مع ما كانوا يحدثوننا به عنهم
 من ضف المدارك وشدة البلادة ، وضحل المعلومات ، فكان هذا الجمع اى جمعا
 فى المقهى يتسقط اخبار اولئك الثفر ويتخذ منهم موضوع شعر ساخر يتبارون فيه
 ويظنون يتندرون به الى ان تهىء الحوادث لهم مواضيع جديدة .

وانى لاذكر ان مستقما كان يتصل بالحلة من جهة الغرب وقد ارتفع النزير
 فى هذا المستقع حتى ضايق البيوت المتطرفة من المدينة فتصدى الحاج شكرى بك
 الى هذا المستقع ودفنه فارخ له أحد اولئك الائمة اللامعين والذين طالما اتخذهم
 الادباء موضوع دعابة ، لقد ارخ هذا الامام ردم المستقع بما يلى :

« سم عين نزت وشكرى بك عماها »

فتناول الرفاق هذا التأريخ وتفننوا فى تشطيره وتخميسه والتعليق عليه ، ولم
 ادر فى وقته كما لم ادر للان بعد ماهو معنى (سم) ويغلب على ظنى ان تأريخه كان
 ينقصه مائة من المئدة فاستمان بالسين والميم فى سد هذا النقص والله اعلم . . . واذكر

فيما اذكر ان احدا من اولئك الائمة المباشرة كان قد نظم قصيدة طويلة هذا هو
مطلعها :

لا اله الا الله تجرى المقادير حكمة بالغة تفسر
وقد نالت هذه القصيدة من اولئك الرفاق الشيء الكثير من اهتمامهم حسب
العادة .

وقد تلا مرة احد الرفاق ابيانا لاحد مدرسى جامع انهيواوين في الحلة على
هذا النمط من اختلال الوزن والقافية وكان منها الشيء الكثير من (الدمدمة) فسماها
السيد قاسم بالقصيدة الدامية واقترح الرفاق ان يشتركوا كلهم في مباراتها فابتدا
الملا نافع بهذا المطلع :

دوم ، دوم ، دوم طبلا بدمام قد حسن الصفح على الهام
ثم ضمنوا هذه القصيدة البيت الهجائي الذي ظل يردده جميع ادباء الحلة مدة
طويلة وهو :

افكاره تجذب اوساخها كأنها جرة حمام
واشترك الجمع واشترك القرغولى لأول مرة في هذا اللون من الفكاهة
فقوبل بالتهليل والترحيب . وهكذا كانت هذه الزمرة تجتمع كل عصر فتتندر بالجاد
من الشعر والنثر ، والهازل منها فنحضر انا والقرغولى اندوة ونقضى وقتنا لذيذا
ثم نتقل ليلا لنسمر عند الشيخ محمد امين .

* * *

وتوسمت دائرة المتعة عندنا ففكرنا في اصدار جريدة أدبية نكتبها بالطابعة في
بضع نسخ وتولى توزيعها على المدرسين والاصدقاء على ان يشترك كل جمع في
قراءة عدد واحد وقد انضم اليها أحد زملائنا المدرسين وهو فريد توما ، وفريد توما
هذا ذو مواهب متعددة ليس من حيث اتقانه عددا من اللغات الحية فحسب وانما
لانه اديب متفنن وقد اسهم معنا في هذه النشرة ، وكان لشعر القرغولى في هذه
النشرة سهم كبير ، وكان الفضل في طبعا - كلما انجزنا مسودتها - يعود الى السيد



وكانت فكرة التعليم المسائي قد انتشرت يومذاك فى العراق وقد بناها ثابت عبد الثور بغداد فهبت الادارة والبلدية فى كل مدينة تفتتح مدارس مسائية على حسابها ومن ضمن اولئك كانت متصرفية الحلة وبلديتها ، وقبلنا انا وعبدالستار القرغولى العمل فى هذه المدرسة الليلية غير راغبين وشبه مرغمين لان معارضة المتصرف لم تكن يومذاك هينة خصوصا وقد كان السيد ناجي شوكت من اقوى المتصرفين يومذاك ، والسبب فى عدم رغبتنا هو اننا لم نرد ان نقرط باوقات فراغنا التى خصصناها لمتقنا الادبية ، وكم سرنا ذات ليلة حين وجدنا لنا عذرا نقضى تلك الليلة عند الشيخ محمد امين عوض فقد انطفأت مصابيح الكهرباء ، وكان يملك مشروع الكهرباء فى الحلة آل سوسة ، وهم اهل الدكتور أحمد نسيم سوسة ، وكثيرا ما كانت تنطفىء الاضوية فجأة فيصبح اطفال الحلة (خدم سوسة) (خدم سوسة) فاذا ما اضاءت فجأة صاح الاطفال (اشتعل سوسة اشتعل سوسة) وفى تلك الليلة انطفأ الضوء فصرخ طلاب المدرسة المسائية على انهم لم يكونوا اطفالا لقد صرخوا (خدم سوسة خدم سوسة) ووجدناها فرصة ثمينة ، فخرجنا الى دلال الشيخ محمد امين عوض ، وفى الطريق الفينا السوق مضيئا !! فهل يا ترى ان ضياء سوسة قد خمد فى المدرسة وجدعا !! ثم علمنا بعد ذلك ان هنالك طريقة يلجأ اليها الفراشون فيقطعون مجرى الكهرباء فتعطل الدراسة !! وعلم الفراشون اننا انا والقرغولى مرغمان على التدريس ايلا ، واننا نستطيع انقطاع الضياء ، فراحوا يراقبون سأمنا حتى اذا رأونا ذات مساء على غير ساجيتنا عمدوا الى المجزى فقطعوه ، فكنا نعرف القضية ونتجاهلها بان طالما عمد احدا فدعا الله على منقطع من الفراشين بان يبعث ملائكته تقطع التيار بعد انتهاء الدرس الاول مثلا ، فيرفع الثانى منا يده الى السماء قائلا : آمين اللهم آمين وسرعان ما ينقطع المجزى فتظهر الدهشة علينا امام الفراشين ، ونستغرب كيف ان الله قد استجاب

دعانا ، ويستغرب الفراشون هم الآخرون منا ، ولكنهم كانوا يضحكون فى (عبتهم)
كما يقول الاصطلاح العامى انهم كانوا يضحكون فى سرهم منا ومن بلادتنا .

* * *

وجاء رشيد القرغولى الاخ الأكبر لعبدالستار الى الحلة ونزل عند ال الحاج
شكرى بك فقد كانت بينه وبينهم مودة ، ولأول مرة رأيت المرحوم رشيدا وعلمت
ان رشيدا هذا لم يكن راضيا من الاسراف الذى كان يظهر به عبدالستار ، وعلمت
ان راتب عبدالستار لم يكن يكفيه ، وان السيد رشيد كان يمدّه فى كل شهر بمقدار
آخر من النقود لذلك عوتب عبدالستار من لدن الحاج شكرى بك واخيه ، وافهم
ان مثل هذا الاسراف غير صحيح ، وقد عرض عليه ان يترك بيته وينتقل الى بيت
الحاج شكرى وقد قبل عبدالستار بان يترك بيته ويترك الخادمة المسأجرة من
قبله ومن قبل زميله ومساكنه ، ولكنه ابى خجلا ان ينزل فى بيت الحاج شكرى ،
وقال لآخيه بانه سيمتثل امره ولكنه سينتقل الى بيت الاخ انذى لم تلده امه ، وقد
كان يظننى انا بذلك .

وهكذا تم انتقال القرغولى الى بيت آل النائب وأبى ان نختار له غرفة مستقلة
من تلك الغرف الكثيرة فى هذا البيت الواسع الذى لم يسكنه غبرى وغير حارس
وزوجته ، وانما فضل ان يشاركنى فى غرفتى ، فكنا نتناول طعامنا فى المطعم ، ونأوى
الى بيتنا هذا فنقضى بعض الوقت فى تحضير الدرس اما هو فكان يميل على أحسد
الدواوين عند فراغه من تحضير الدرس وتصحيح اتمارين المدرسية ويبدأ بقراءة
الشعر ولكنه كان يأبى ان يقرأ هذا الشعر لنفسه وانما يصر على ان يشاركنى معه
ولا يفيد معه قولى باننى مسبق بهذه القصيدة ، واننى كنت قد قرأتها قبل سنوات ،
وكنت أقول ذلك صادقا بعض الاحيان وكاذبا حيناً آخر لئلى اتخلص من هذه المشاركة
فى قراءة الشعر وانصرف الى مطالعاتى الخاصة .

وذات ليلة ايقظنى القرغولى بعد ان كنت قد اطفأت الضوء ونمت ، وقال لى
انه قد حضره بيتان من الشعر وهو يريد ان ادلى برأىى فيهما ، والحق انهما كانا
بيتين جميلين على ما اذكر ، ولكنى قلت له اننى لم اسمع اسخف منهما شعرا وان

الأصح هو ان يترك قول الشعر وقلت له اننى كنت قد خدعته حين قلت له اننى
معجب بشعره وحين قلت له ان بينه وبين تبوأ مقام الشاعر ليس الا شبر أو أقل من
ذلك . . . فسكت ولم ينطق بكلمة واحدة وفي الصباح صارحته بالحقيقة ، وقلت
له اننى معجب كل الاعجاب ببيتك ولكن أفما كنت ترى من الانسب لو انك اجلت
عرض البيتين على الى الغد ؟

قال - ولكن اندرى كيف قضيت تلك الليلة وانت تجابهنى بتلك الصراحة
التي لم اشك بها ؟

قلت له - لا ادرى

قال - لم تجف لى عين من الدموع !!

اذن فقد كان الشعر كل مبتغاه وامانيه فى حياته ، وقد ظن انه لن يظفر به
مادام احسن منظومه عندى هو اسخف ما سمعته الاذن على ما قلت له فقد كان يعتر
برأىي كثيرا ، ونكى ازيل الشبهة من نفسه تماما طلبت منه ان يعرض البيتين على
الشيخ عبدالرزاق ، والسيد قاسم ، والملا نافع ، ثم عرضهما على الشيخ محمد امين
عوض ليتأكد من اننى كنت هازلا ، ولم يكف هؤلاء بالاستحسان بل عمد بعضهم
الى تشطيرهما وفي تلك الامسية تطرق الشيخ عبدالرزاق والشيخ محمد امين عوض
الى طائفة من المعانى المقاربة لبيتى القرغولى ، وفي تلك الليلة او فى ليلة اخرى طال
بنا السهر والسمر فى بيت الشيخ محمد امين فلم نلتفت الا وضوء الفجر يميل
الكون !!

★ ★ ★

وافترقنا بعد ذلك ، فقد عدت انا الى النجف وانتقل هو الى على الغربى ثم
الى بغداد وابتدأت المراسلة بنا ، وقد تضمنت هذه المراسلة الشيء الكثير من هواجبه
واقكاره وآلامه النفسية وقد وقع بينه وبين أخيه رشيد شيء من سوء التفاهم ، فقد
كان يريد هو السفر الى مصر للدراسة ، وكان اخوه يمانع ، ثم حدث بينه وبين
بعض اصدقائه ما ابعد الشقة بينهما وكنت انا فى كل ذلك اسعى على قدر الامكان
لتبديد آلامه واحزانه ، وكنت انا الذى سعيت الى اصلاح ذات البين برسائلى او

بمواجهتي له في اثناء العطل بينه وبين اخيه فقد كنت ازوره في بيته في القرغولي
وكان يفتح لي نفسه على مصراعها ليسمع من جديد ما كنت اسطره له بقلمى
مشروحا بلساني وهذه احدى شكاواه التى كان يبعث بامثالها الى الى النجف •

لا احد غيرك يا جعفر يسبر احوالى او يشعر
فانت لى خير نصير اذا داهم قلبى الفزع الاكبر
يامن يقولون له (جعفرا) وتستقى من فضله الابحر
وافى كتاب منك الفاظه يفوح منها المسك والغبير
بدد بعض الحزن عن مهجة تكاد فى نيرانه تسمر
قد كنت لا اعرف معنى الاسى ولا اذم الدهر او اضجر
وكنت لا ابكى لخطب عرا وانيوم صارت ادمى تشر

واشدت ألفتنا اكثر واكثر ، وازداد اتصالنا فى أيام العطل المدرسية حتى لقد
فكرت اخته ان تخطب لنا معا وفى آن واحد وقالت لى : انتى اريد ان ازوجك امرأة
سنية لكيلا تبعدك عنا ولنظل قريبا منا الى الابد وبدأت تبحث لنا فعلا عن زوجتين •

* * *

وقد وقع القرغولى فى حب احدى الفتيات اللاتى اكملن دراستهن فى تلك
السنة بدار المعلمات وكنت قبل ان اعرف القرغولى لا اؤمن بما جاءت به القصص
عن المدرسين على ذلك النمط من المبالغة بل كنت اعتقد ان ذلك ضرب من السفسطة
التي لفقها كتاب القصص لقضاء الوقت او لتحجيب المثل فى النفوس فاخرجوها عن
واقعهما بتلك الصور التي مثلوا بها حب ليلى وقيس ، وحب ليلى وتوبه ، وحب جميل
وبشبة ، وغيرهم ، اقول لم اكن اؤمن بشيء من تلك المبالغات التي تجاوزت الحد
حتى رأيت القرغولى ، وحتى سبرت عواطفه ، وحتى فهمت قلبه فاذا بى اشد
ما اكون ايمانا بوجود هذا النوع من الحب العذرى •

وعارض اهله فى هذا الحب واطلمت انا على سر هذه المعارضة فالفيت نفسى
اكثر منهم حماسا فى الحيلولة دون تحقيق هذه الخطبة ، وحدث هنالك امور كان
لها تأثير كبير على صحته ففضى صيف تلك السنة فى لبنان وسوريا استجماما للراحة ،

فقد نزل على رغبة الجميع وطلق حبه نهائيا ومع ذلك فقد ظل يئن ويحن ، ويبكى ، فهو من رقة العاطفة بحيث لا يستطيع ان يسمع قطة تموء الماء او شاة تنفث استيحاثا وبعد زمن عرف تماما ان الخير كله كان فى عدونه عن ذلك الحب وانصرافه عن الزواج بمن احب ، وهذه قطعة من قصيدة كان قد بعثها الى يوم كان الحب مسيطرا عليه :

اسر الحب فؤادى زما	ونفى عن مقلتي الوسا
اصبح الدمع طليعا ولقد	الف الجسم نحول وضنا
ارقب النجم وحيدا فى الدجى	كحكيم بالدرارى اقتنسا
ليس لى فى وحدتى من مؤنس	غير انى اتسلى بالنى
نكت المهمد احبائى الاولى	كنت فى قريهم اجنى الهنا

وتزوجنا انا وهو فى زمن متقارب وانا وان لم اتزوج سنية كما احبت شقيقته ، ولكن زوجتى الشيعة كانت لآل القرغولى اكثر سنية من السنة من حيث قربها لهم فقد انتقلنا الى بغداد ، واتصلت العائلتان اتصالا اوثق وكثر التزاور بينهما ، وتعرف اولادنا بعضهم ببض ، ووجد كل منهم فى صديق ابيه ذلك الاخ الذى اشار اليه القرغولى ، وكنت قريبا من متوجه الادبى يقرأ على منه كلما قد تم قبل طبعه من شعر ، وتحقيق ، وتأليف ، وقد خلف شيئا غير قليل من نفائس بحوثه ، منها تاريخ القرغول ومنها تعليقات وبحوث ادبية لغوية ذات قيمة ، ومنها ديوان شعر يفيض بسوانحه ونزغته الوطنية الصادقة .

★ ★ ★

وشكا من علل قال الاطباء انها علل سببها الاجهاد ، فقد كان احرص من رأيت فى اداء واجبه كمدرس ، ومدير مدرسة ، ومفتش ، ومدير معارف وكان يقضى جانبا كبيرا من الاسيات والليالى فى انجاز الاعمال ، واستطيع ان اجزم انه كان احب الناس الى رؤسائه ومرؤوسيه ، واحب الناس الى كل من يتعرف به ، وكنت ازوره كلما حانت لى فرصة على الاخص فى ايام مرضه وقد طالت هذه

الايام وكان عليه ان يتجنب القراءة والكتابة والاعمال الفكرية حسب نصيحة
الاطباء ، وقيل وفاته بشهر كنت قد تلفنت له سائلا عن حاله فقال مازحا :
- لك ان تقدر حال مريض لم يكتبوا بتحريم القراءة والكتابة عليه فراحوا
يغلقون في وجهه حتى ابواب المطبخ .

قلت - افتشهى ان تأكل شيئا ممنوعا عليك ؟

قال - لا ، وانما المانع من دخول المطبخ هو الخوف من فضولى وتطفلى ومن
التدخل فى شؤون الطهى بداعى التسلية اما الاكل فيا ليتنى املك بمض الشهية .

* * *

وضافت نفسه بمرضه خصوصا بعد ان قضى زمنا غير قصير فى المستشفى
واذا كان هنالك من فضل على تلطيف مزاجه واحواله النفسية فالفضل كله يعود
لاهل بيته من زوجة واولاد فقد لقي منهم مدة ثلاث سنوات وهو معتل كل حدب ،
واهتمام ، وعناية ، وقبل وفاته باربعة ايام او خمسة قمت انا وكل اهل بيتى بزيارته
فى بيته وكان اثر التعب باديا عليه وقد اوحى لى حاله بشيء غير سار وقد قضيت
عنده ساعات قطعناها باستعراض الماضى وهى المرة الاولى التى نفيض فيها انا وهو
بهذه السعة من تذكر الماضى وقد قال لى فيما قال :-

- لم يبق ما يدخل على نفسى شيئا من السكينة واللذة غير انغماسى فى الماضى ،
فانا اليوم اتمثل ايام شبابنا كما لو كانت قد مرت امس فدمع عينى واحساول ان
انهض فاتمسك بظلالها ، واجمع خطوطها ، واحتضن صورها ، ولكنى كمن يمسك
الهواء وهنا لاحت لى دمة تترقرق فى عينيه فغيرت الحديث الى ناحية ثانية
وتناولت احد مخطوطاته التى كان قد عرضها على لمشاركته الرأى فيها وبدأت اقرأ
بصوت عال لاشغله عما هو فيه من استعراض للماضى .

* * *

وفى الساعة السادسة من صباح الاسبوع الثانى ايقظتنى احدى بناتى والعبرة
تخفقها وقالت :

- مات ...

وقد قفزت من فراشي بهلع لا اطيق وصفه وقلت من ...؟ من هذا الذي مات؟
قالت وقد انفجرت الطفلة في هذه المرة بالبكاء :

- لقد مات عمي عبدالستار ...

مات عبدالستار القرغولى ، واذا كان له امثال من الشعراء ، والباحثين ،
والكتاب فقد والله عز وجود امثاله من حيث ظهارة النفس ، وسمو الذات ، وحب الخير ،
والانسانية التى عشقها فمشت فى وجوده مشية الدم فى عروق الانسان
فوا لهفتى عليه .



عبدالله القصاب

عبدالله القصاب (١)

لست ادرى متى كان ذلك بالضبط ، ولكنى اذكر اننى كنت قد رأيت عبدالله القصاب وهو معتم بممامة بيضاء ، مشوية بشيء خفيف من زرقة الجويت بين اثنين أو ثلاثة من زملائه المعصمين الذين تدل بزتهم على انهم من طلبة العلوم الدينية ، لقد رأيتهم فى طريقى وانا امر مع صديق لى بدار المعلمين لاداء امتحان الليساقه ، وكانت دار المعلمين يومذاك فى مكان (نانوية الكرخ للنبات) اليوم وعلى النهر تماما ، فسماهم لى الصديق الذى كنت ارافقه الى (الدار) فلم يعلق بذهنى من اسمائهم غير اسم عبدالله القصاب ، والسبب على ما أعتقد هو ما كان يبدو عليه بين زملائه من اناقة ملابس ، وصباحة وجه ، واعتدال قامه ، ولربما كان مما بقى فى الذهن عن ابيه من شهرة كسبها عن مسلكه الدينى وتقواه شأن فى رسوخ اسمه فى ذهنى ، أو ربما كان لما عرف به عمه السيد عبدالعزيز القصاب الذى كان قائممقاما فى السماوة على العهد العثمانى ونجاحه فى الادارة الذى اكسبه بعض الشهرة فى الفرات ثم ماجرى عليه وعلى أهله وحتى أمه من سلب عند انسحاب الادارة من لواء الديوانية فى الحرب العظمى شأن آخر فى انطباع اسم عبدالله القصاب فى ذهنى بمجرد ان نطق به الصديق ، فقد كان السلب والنهب الواقع على امتعة السيد عبدالعزيز فى طريق الديوانية حديثا تناقلته الالسن ، واستكرته النفوس ، لما كان لعبدالعزیز من تماس بالناس ، وقد لى اثره المرحوم عبدالله القصاب يوم صار بعد زمن طويل قائممقاما فى (السماوة) فقد عرف اصدقاء عمه عن كتب هناك .

(١) جريدة الاخبار - العدد ٥٩٤٥ - ١٩٦٢/٢/٢٣ .

ومن الغريب انى رأيت الرجل الذى قام بهذا السلب بعد ذلك بزمن بعيد ، وبما يقرب من خمس عشرة سنة ، لقد رأيتُه بعينى يوم كنت مديرا لمدرسة الرميثة ، فقد رأيت ذات يوم شيخا قرويا كبير السن فى لحية بيضاء وقد خرج به الشرطى من سجن الرميثة الى حديقة السراى وانا مقتعد كرسيًا فى محل لا ابارحه من مجلس مدير الناحية عصر كل يوم من حديقة السراى وكان مدير الناحية يومذاك ابراهيم السالم .

اقول لقد رأيت الشرطى يقناده شيخا كبير السن الى حديقة السراى ، ويسلمه صفيحة تلك ويأمره بان ينقل الماء من النهر بها ويرشه فى طريق الحديقة ، وفوق الاشجار ، ورأيت السجنين الشيخ ينقل الماء بدون فتور ذاهبا آيبا بين الشط والحديقة ، وراقبته وانا اهم ان اتوسط له عند مدير الناحية ليعفيه ، بل لقد تفرقت دمعة فى عينى وانا اشاهد العرق يتصبب من رأس هذا الشيخ ، وانتظرت ان يتم المدير حديثه مع احد مراجعيه لاعرض وساطتى اذا كان لوساطتى بعض شأن عنده ، وكان ان فعلت ، ولكن المدير اعتذر وقال :-

- ان القانون لا يخولنى حبس أحد أكثر من سبعة ايام وقد اجهدت نفسى لاحتمال على القانون لعلى استطيع ان احبس الرجل واعذبه اكثر فما استطعت الا ان اجزأ التهمة الى ثلاثة اجزاء لاسجنه واحدا وعشرين يوما اقتريد ان تخلصه منى بهذه السهولة ؟

قلت - ولكنه شيخ كبير السن ولا احسب ان ثمة ذنبا يستدعى مثل هذه القساوة .

قال - انه مجرم ، وقد كان قاطع طريق ، وسل عنه ليحدثك الناس عما ارتكب هذا الشيخ من جرائم قتل وسلب فى أيام الفترة بين العهد العثمانى والاحتلال الانكليزى فراحت تلك الدماء والاموال هدرا وقد جرى سلب امتعة عبدالعزيز القصاب ووالدته على يديه فلم يترك لهم شيئا . ولم يحجم عن سلب ثياب امرأة مخدرة مستنة .

* * *

ورأيت عبدالله القصاب فى بزته الجديدة وهو مدير لناحية الحيرة يرتاد

التجف فى كل يوم جمعة تقرب ناحيته منها ، وكان هذا اول اتصاله بالتجف والتجفين ، والحقيقة انى لم اكن انا اول من التفت الى ان هذا الرجل لا يشبه بوجه من الوجوه الموظفين الاخرين من امثاله ، وانما كان جميع الذين يتصلون به يتحدثون فى ذلك ، فقد كان هنالك رجل من وجوه التجف هو الحاج عبدالرسول شريف ، وكان له مجلس عند دكانه يجتمع عنده بعض الشخصيات من الاهلين والموظفين ولاسيما فى ايام الجمع التى يفتد فيها الى التجف اغلب حكام الادارة والمحاكم من الاقضية التى تحيط بالتجف ، فكان مجلسه عامرا ، وكان عبدالله القصاب من رواد هذا المجلس حين يتاح له ان يزور التجف ، ثم كان من اكثر المرادين لمجلس المجتهد السياسى الشهير الشيخ عبدالكريم الجزائرى .

★ ★ ★

وفى هذا المجلس تعرف به الكثير من رجال العلم والسياسة والادب لما كان يضمه مجلس الجزائرى فى كل يوم من مختلف الشخصيات البارزة ، وزادت روابط القصاب بالتجف فيما كان لكثير من التجفين من بساين واملاك فى الحيرة واشتدت صلته بالسيد محمد رضا الصافى خاصة ، وازدادت صلته بالتجف والتجفين وثوقا بحكم زمالة البعض من التجفين له فى كلية الحقوق وفى مقدمتهم السيد سعد صالح .

★ ★ ★

هنا عرفت عبدالله القصاب عن كتب ولكن دون ما حاجة الى درس واختبار ، فقد كان وجهه ناهما على جميع احاسيسه لامن حيث الصباحة والانطلاق فحسب وانما من حيث الاشعاع ، فقد كان القصاب من القلائل الذين يصلحون ان يكونوا مصداقا لعلم الفراسة بجميع مشخصاتها فانت حين تراه لاتلبث بمد دقائق الا وتؤكد بانك امام مجموعة من صفات سلبية فهو رجل لا يكذب ، ولا يحقد ، ولا يسىء . وانك امام مجموعة من صفات ثبوتية فهو صديق ، وهو وفى ، وهو حلیم لاقصى حدود الحلم .

ولا ابالغ اذا قلت انه قلما وقع نظر احد عليه دون ان يجذب اليه ، فقد

كان كالقلته بل انه فلة واكثر من فلة في هذا الزمان .

وتنقل في الوظائف فلم اعد اراء الا مصادفة ، وحين مررت لاقضى بعض الوقت عند قريب لى فى السماوة كان هو قائمقاما فى السماوة ، وهنا تجلت مواهبه باجلى صورها فى اصلاح بعض المرافق ، فقد كانت السماوة ابد جميع الاقضية عن الاصلاح ، وكان قد شغلها عدد من القائممقامين وفيهم عدد من المهوبين ، ولكن الظروف لم تؤاتهم للقيام بما يتطلبه بلد كالسماوة من الاصلاح والمشاريع . يضاف الى ذلك ان السماوة قلما وجدت نظراء لعبدالله القصاب من حيث الدماثة والامتزاج بالاهلين كانه كان واحدا منهم ، فقد مرت على السماوة بل على جميع لواء الديوانية ادوار فرضت السياسة على حكامها الاداريين ان يكونوا خشنين مع الناس ، اشداء عليهم ، وان الخشونة والشدة كانت ابد ما تكون عن خلق عبدالله القصاب ، لذلك وجد فيه الاهنون طرازا جديدا من الموظفين قل عهدهم بنظرائه .

* * *

خرجت معه عصر يوم بعد ان تناولت الغداء عنده ، فقطعنا مسافة ماشين على ضفة النهر وايس منا احد ، فما مر بنا شخص الا وسلم عليه ، وهم البعض منهم ان يأخذ يده فكان يسحبها ، وان الموظف فى السماوة لا يتوقع مثل هذا من الناس ، وان اهل السماوة لا يعملون مثل هذا مع اى موظف ولو كان متصرفا او وزيرا ، فقد عرفت السماوة منذ عهد الثمانيين بالاعتزاز بالنفس وبعض الشموخ من دون اغلب مدن الفرات ، لذلك كانت سياسة الحكومة معها قائمة على المخاشنة ، وقد شهدت السماوة وعشائرها حروبا غير منقطعة بينها وبين الحكومة وبينها وبين بعضها ، وكان البعد بين السماوة وعشائرها من جهة وبين الحكومة من جهة ثانية كبيرا جدا بحيث اوشك ان يكون من المستحيل تبادل المحبة بين الحكومة والاهلين ، ولهذا دهشت انا لمثل هذا التفاهم ، ولم اخف دهشتى على القصاب ، وزدت بان طلبت ان يشرح لى السبب اذا كان الذى رأيت صحيفا فقال :-

- دعنى اختصر لك الطريق ، ان العلة كلها كامة فى الحالة الاقتصادية وفقدان العدل ، فاذا استطعت ان تضمن للناس توفر المعيشة بالقدر الممكن ، وتضمن لهم

المدل الذي يدخل الاطمينان الى النفوس أمن الناس شر الاعتداء ، والضغائن ،
والاحقاد ، وحينذاك لن تسمع للسيد (طفار) وأمثاله من المدنيين والعشائر اسما في
ميدان التمرد والخروج على الطاعة - والسيد طفار والقسم الشرقي من مدينة
السناءة كان مضرب المثل في المصيان - ثم قال : وان السر في شهرة لواء
الديوانية من حيث عدم الاستقرار بين جميع الالوية منبت من فقدان هذين العاملين ،
فقدان العامل الاقتصادي ، وفقدان المدل ، وما انا الا قائممقام محدود السلطة ،
وعلى قدر ما استطعت عملت لاوفر للبلد شيئا من الرخاء او قل حددت على الاقل
مضايقه حكومة القضاء للناس في معيشتهم وسويت ان اتجنب المحاباة والجنوح
واليل لبعض ضد بعض على قدر ما يتحج لي القانون ، ولا احسب شيئا غير هذا
يستطيع ان يجعل من الناس جميعا او من لواء الديوانية خاصة لواء آمنة مطمئنا يسوده
السلام والاطمينان .

* * *

والحق ان عبدالله القصاب كان يؤمن بما يقول ، ويجهد ليقرن القول
بالعمل في كل ادارة انيط امرها به . ومر زمن فاذا به يتولى متصرفية لواء
الديوانية ، وهنا استطاع ان يعمل اكثر في تحقيق الغرضين ، لان حدوده كانت
اوسع ، وعند استعراض المستعرضين لتاريخ ادارة هذا اللواء الذي عرف منذ العهد
العثماني بالتمرد ، والحروب ، والمصيان ، سيجدون ان الفترة التي شغل بها
عبدالله القصاب هذا اللواء كمتصرف كان اللواء اكثر هدوا ، واكثر اطمينا ، واقل
مشاكل ، واقل اضطرابا .

* * *

وفي هذا الوقت كان السيد سعد صالح متصرفا في الناصرية وكان يسمى
لتأليف جهة من متصرفي الالوية في وجه صالح جبر الذي كان يشغل وزارة
الداخلية يومذاك ، وكنت انا يومها مدعوا عند الشيخ محمد حسن حيدر في سوق
الشيوخ ، فاستبقاني السيد سعد صالح عنده في الناصرية لقضاء ليلة هناك ، وكان
عبدالله القصاب قد جاء من الديوانية ليقضى تلك الليلة عند سعد بناء على دعوته له

وعلى مائدة العشاء جرى الحديث بين السيد سعد والقصاب عما ينبغي ان يقوموا به للحد من تصرفات صالح جبر في الادارة ، وقال السيد سعد : انه مطمئن من ان عبدالهادي الظاهر متصرف الحلة ، وعبدالرزاق عدوه متصرف العمارة وقال وربما كان عبدالحميد عبدالمجيد متصرف البصرة ايضا سيكونون متفقين تمام الاتفاق في الوقوف معنا في وجه صالح جبر .

وهنا التفت لي السيد سعد صالح وقال :-

- « بالله جعفر تره المجالس بالامانات » .

فقال عبدالله - كنت انتظر ان تكون اعرف مني بالخليلى

فقال سعد وهو يضحك - وهو كذلك ، ولكن الخليلى صحافى ، ولو كنت اشك فيه لما اصررت عليه بالبقاء عندنا وانا بانتظارك ، ثم لما فاتحتك بمثل هذه الصراحة امامه ، وضحك عبدالله ، وكثر الاخذ والرد بين سعد صالح وعبدالله فيما ينبغي ان يكون ، وما لاينبغي ان يكون ، ورويت امامى اشياء على لسان عبدالهادي الظاهر ، وعلى لسان عبدالرزاق عدوه ليس هذا محل ذكرها .

وقال عبدالله - اريد ان اضع النقاط على الحروف كما يقول الصحافيون - قال ذلك وهو يحدق الى وجهى ويضحك - فاشرح لك خطتى في دنياى ونهجى كمتصرف او غير متصرف ، وهو انى لا اوقع شيئا لا اؤمن به ، واجهد ان لا انفذ شيئا لا اعتقد بصلاحه ، لذلك فان أى أمر يصل الى من أية جهة كانت سواء كان مصدرها وزير الداخلية أو غيره فلن يجد منى قبولا اذا وجدته مخالفا للاصول والواقع ... والقارق بينى وبين غيرى هو انى ارفض ذلك بدون ضجة واحتجاج وصراخ ، فانا معكم اذا كان الامر كهذا الذى اقول ...

* * *

والحق انه كان كذلك ، فقد وقع له اختلاف مع السلطات وهو متصرف في الديوانية ، وفي الموصل ، ثم وهو وزير للداخلية ، وكان اختلافه مع ارشد العمري جوهريا وكبيرا يوم كان ارشد رئيسا للوزراء والقصاب وزيرا للداخلية ، ويوم كان ارشد رئيسا لمجلس الاعمار ، والقصاب امينا للعاصمة ، ولكن تلك

الاختلافات لم يدخل فيها شيء من الصخب ، والصراخ ، والتنديد ، فكان القصاب يخرج من المعمة والابتسامة لاتزال مطبوعة على ثغره ، والجلم ، والوداعة ، والطية ، والمحة تغمر نفسه فلا يبقى لاحد في نفسه شيء الا الزين مسن الامور والطيب من الذكريات .

* * *

وجثته وهو وزير للداخلية اشكو له خطة مديرية الدعاية والنشر مع جريدة الهاتف ، وكان المدير حينذاك كمال عبدالمجيد وكان مدير المطبوعات ناجي القشطيني ، فقد كان ورق الصحف يوزع على الصحف بعضا دون بعض ، اما جريدة الهاتف فقد كانت تشتري ورقها من السوق السوداء ، وقد بلغ الامر بها ان اشترت البند الواحد بأحد عشر دينارا ، ولم تكف مديرية الدعاية بحرمان الهاتف من حصة الورق بل عمدت مرة الى الكتابة الى متصرفية لواء كربلا للقيام بالتحقيق عن كيفية حصول جريدة الهاتف على الورق من السوق السوداء واقامة الدعوى على الجريدة لحصولها على الورق بالطرق غير المشروعة ، وبالفعل اقيمت الدعوى عليها بناء على طلب مديرية الدعاية ، في حين كانت اكثر الصحف تتسلم حصتها من الورق بقيمة نصف دينار للبند الواحد فتطبع صفحاتها ببعض الحصة وتبيع الباقي في السوق السوداء باضاف ثمنه !!...!!

* * *

لقد جثت عبدالله القصاب شاكيا سوء المعاملة والاجحاف ، وقد ساء كثيرا ان تكون الاتجاهات غير عادلة في اقسام وزارته ، وسألني عما اذا كنت اعرف صحفا محرومة اخرى غير الهاتف فاجبت بالنفي ، فطلب مني ان اراه في الغد وفي نفس الوقت .

وجثته في الغد فقال لي :-

- والان بامكانك ان تواجه مدير الدعاية لترى كل شيء كما يقتضيه العدل .
وجثت مدير الدعاية واخبرته انني قد جثته بناء على طلب الوزير ، فقال وانا

اقول لك انه ليس لدينا ورق •

فقلت - كنت اعرف انه ليس لديكم ورق ، ولكن حسن ظني بعدل القصاب

قد حملني على مواجهته •

قال - كيف؟ كيف؟ (لقد قالها بشيء من الغضب والهياج) •

واعدت عليه نفس العبارة ••

فلم التفت الا وقد هب الرجل من مقعده واندفع بشدة الى خارج الغرفة ،

وتركني في مكاني مبالغة في الاهانة !••

فقممت وانا اضحك ضحكة تجمع بين السخرية والاستغراب ، وسافرت توا

الى النجف دون ان امر (بالقصاب) ودون ان اخبره بما وقع •••••

وبعد اسبوع تقريبا تلقيت من مديرية الدعاية كتابا تقول فيه انها قد خصصت

للهاتف حصة من الورق !•••••!!

أما كيف تم ذلك ؟ وما الذي قاله مدير الدعاية للوزير؟ وبماذا اجاب

الوزير؟ فليس لي بذلك علم وكل ما عرفت هو ان هذا الامر قد جرى على رغم

ارادة مدير الدعاية لان القصاب كان يعتقد ان التبييض مخالف للمدول ومحجف

بالحقوق ، وهادم للبناء •

* * *

وتوتقت العلاقة بيني وبين القصاب فقد كان من قراء الهاتف ، ومن متبعي

مؤلفاته ، وكانت له تعليقات على بعض ما كنت اكتب واطبع ، فقد كان كثير القراءة ،

يقرأ كل شيء بشغف ، واكثر ما يحب من القراءة هو قراءة المذكرات وتراجم

مشاهير العصر الحديث والتعليقات السياسية العامة وكان يصفى الى محطات الاذاعة

دون ان يتقيد بمحطة دون اخرى ، ويؤلف نفسه رأيا خاصا في السياسة والاجتماع

وحتى في الادب ، فكثيرا ما كان يختلف في الفكرة مع اصدقائه ولكن الاختلاف

القصاب لا يشبه اختلاف احد ممن نعرف ، انه اختلاف لين ، هادى ، لطيف ،

يتحاشى ان يقول لمناظره انا ومختلفان ، وقد ملك لسانا لم يعرف الشتم ، او البذاءة ،

أو أى شيء مما يعاب عليه المرأ عند الغضب ، بل قلما شوهد غاضبا بالمعنى الذى

شهد به اكثرية الغاضبين ، لقد طلب منه مرة خاند الدرّة ان يصحّبه الى على ممتاز ، وكان وزيراً للمالية - للتوسط في اطلاق مجلة الوادي من قيد التوقيف ، فمضى القصاب الى وزير المالية والتقيتهما في الطريق فسرنا معا ، فلم ار شخصاً اكثر حماساً على مصلحة تخص غيرهما كما رأيت القصاب وهو يدافع عن (الوادي) وعن صاحبه ، وحين تناولت مجلة (الوادي) (القصاب) بالغمز والتنديد ذات يوم ، لم يبن والله على وجه القصاب ما ينم عن كدر ، او اسف ، او انزعاج ، وهذا جانب آخر مما حجب القصاب الى مختلف النفوس ، حتى لقد تضايفر على حبه جميع من عرفه وان اختلفت نزعاتهم واراؤهم ، ولم اشهد رجلاً احبه الناس جميعاً حتى كاد يخلو من كارهين واعداً كعبدالله القصاب او كاذ كارهوه على الاصح لا يريدون على عدد الاصابع .

وكان لهذه المحبة شأنها الكبير حتى في نفوس الحكومات المختلفة المشارب ولقد حرصت التحقيقات الجنائية على ان يظل الامر مكتوماً على القصاب حين حامت الشبهة حول عدد من الشبان وفي ضمنهم ولده (غازي) ، فقد كان يظن ان الحادثة التي ادت الى احتراق سيارة سفير الرفاعي امام قصر الزهور لم تكن حادثة احتراق طبيعية ، وانما هي قنبلة جاءت من الاردن منقوتة بالطيارة لتفجر بها ولتقضي على الرفاعي الذي كان يستقلها الى بغداد ، ولكنها لم تنفجر فحملت في السيارة الى حيث القصر ، ولكن الرفاعي لم يكن في السيارة فانفجرت ، الا ان التحقيق يومذاك لم يؤيد هذه الرواية ، وكيفما كان فقد تناولت الشبهة عدداً من الشبان وسعت ادارة التحقيقات ان تخفي الامر عن عبدالله القصاب بخصوص اتهام ابنه الى ان ينتهي التحقيق وذلك مبالغة منها في اكرام القصاب وتجنباً له عن الالم والاذى وكان يعانى وعكة قلبية وهو غاية ما يبلغ المرأ من المحبة ، وهكذا كان شأن حكومة الاردن فلم يند منها شيء امام عبدالله القصاب عن ابنه رعاية لشخصه .

* * *

وشغل القصاب أمانة العاصمة أمينا وهو أول من فسّخ في المجال لاشتراك

الاهلين فى عرض ما يهمهم ويضعهم على الامانة وتداولهم معها فيما يرتوون ، وكان قبل هذا قد عمل نفس العمل مع اصحاب البساتين ، واصحاب المكابس ، وتجار التمور يوم كان مديرا لجمعية التمور العامة ، وأسس شعبة للشكاوى فى امانة العاصمة عهد اليها التعاون مع الاهلين فى تذليل الصعاب وتجنب الحيف والاضرار ثم اصدر نشرات ضمنها أهم ما يفيد الاهلين من الشؤون البلدية فيما يخص نظافة البيوت وكيفية مكافحة الارضة والصرابير وما ينبغى العمل فيما يخص مسارب المياه فى البيوت ، وسمى النشرة (تعاون منا) وقد حث الاهلين فى كل نشرة على اىصال شكاواهم الى امانة العاصمة ، وقد عملت معه فى اخراج هذه النشرات على قدر ما استطعت ولكن طلبات اناس كانت كثيرة ، والعمال والموظفين لم يألفوا بعد هذا النوع من المسؤوليات فقلص عمل الشكاوى وتبادل الآراء بين (الامانة) والاهلين عند انتقال القصاب من امانة العاصمة .

وعند عودته الى جمعية التمور العامة مديرا عاما ، عاد ليواصل من جديد عمله فى تنظيم شؤون التمور فقد كان القصاب من اول الداعين الى تصنيع التمور ، وتنظيم الكبس والتجارة على أساس المقايضة ، وعلى انه قد ترك فى كل ناحية من النواحي التى عمل فيها اثرا محمودا فان اثاره فى جمعية التمور كانت واسعة وكبيرة .

* * *

ودعانى ذات يوم وقال ان الجمعية بحاجة جد ماسة الى وضع كتاب استعراضى عن التمور على غرار الكتب العلمية يتناول كل ما يتعلق بالتمور من حيث الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، لفرض ايقاف التجار والموظفين والزراع والمستهلكين على مشاكل التمور عندنا وما يترتب على الجميع من الحكومة ، والمفارسين ، والمستهلكين ، والمتاجرين فى مثل هذه الاحوال ، فضحكت وقلت له : يسرنى كثيرا ان يحسن الناس الظن بى باكثر مما انا استحققه ، ولكن مغالاة فى الظن كهذه بحيث ينتظر منى ان اؤلف كتابا فى موضوع لا اعرف منه شيئا امسر

مستغرب وغير منتظر اذا لم اقل انه امر غير داخل في حيز الامكان .

قال - ولكنه ممكن لك . . .

قلت - وهذا هو الغلو بعينه . . .

ورجت اجسم له خطورة الموضوع بالنسبة لكاتب مثل يتناول قضية واسعة

الاطراف وبعدة كل البعد عن مفهومه .

فقال انه مستعد ليضع تحت يدي كل التسهيلات اللازمة من الشجالات

والتقارير والاضابير ويزودني بمن اريد من الكتاب اساعدتى .

وعبنا رحمت اورد له الدليل بعد الدليل على اننى جاد فيما اقول ، وان

اعتذارى لا يشوبه شيء من التواضع ولكن اعجابه كان قد تجاوز الحد وما زال

بى حتى قبلت هذه المهمة الشاقة على مضض ، ولكنى اشترطت على ان انفذ له

المطلوب واؤلف الكتاب دون ان اسمح بذكر اسمى فوق صفحة الكتاب وذلك

مبالغة فى الاحتياط منى لى نفسى ولكنه أبى متذرعاً بأنه انما يريد ان يستفيد من

الاسم والمسمى ، فكانت ثقة جاء بها حسن ظنه ، ولست ادري ما بنى حسن ظنه

هذا الذى حمله على ان يطلب منى تأليف مثل هذا الكتاب .

وشرعت فى التأليف وبى شيء من الرهبة ، فهناك مواضع تتعلق بعرض

النخيل ، وهناك مواضع تتعلق بتركيب التمور الكيماوى وتحليلها ، وهناك مواضع

تتعلق بصناعة التمور ، فكيف سأحوض هذه المواضع ؟ وبأى نحو سأؤلف هذا

الكتاب ؟

ومضيت فى تأليفى ، وكنت اعرض اى فصل مما كتبت اكتبه من الامور التى

لا تدخل تحت اختصاصى على المتخصصين من بعض من اعرف ، وشجعتنى ان

وجدت تأييداً عجيباً من هؤلاء بحيث ان التعليق على ما كتبت اعدته كاد يكون مفقوداً

الا ما ندر ولست انسى اننى حين عرضت القسم الكيماوى مما كتبت على الصديق

الدكتور غازى حمدى بارك لى هذه الخطوة ، وعدّها فوزاً كبيراً ، ومع كل ذلك

فقد قضيت في تأليف الكتاب نحو سنة وثلاثة شهور حتى اخرجته باسم (التمور العراقية قديما وحدينا) ، وبين عشية وضحاها واذا بالكتاب يصبح مرجعا علميا مهما للدراسة ، وقد تكاثر عليه الطلب من الخارج فابتاعت منه الجامعة المصرية ، والجامعة العربية وكثير من المؤسسات العلمية الاجنبية كالجامعة الاميركية ببيروت والجامعة السورية بدمشق عددا كبيرا وصار الممول عليه في كتابة بعض الاطروحات ذات المساس بالزراعة ، والصناعة ، والتخيل ، وقد اضاف هذا التأليف الى مجموعة افكارى عن عبدالله القصاب فكرة اخرى وهى انه ذو ملكة من شأنها غرس التشجيع وخلق الامل في النفوس حتى ليجد من الاشياء شيئا .

* * *

واشكى عبدالله القصاب من عوارض كانت تأتبه بين آونة وأخرى فتختل بسببها صحته فيلازم البيت بعض الايام ، وزادت الشكوى حتى اضطر ان يقضى شهور الصيف من بعض السنين ببلنان ثم اشتدت ازماته القلبية فامتدت زيارته الى اوربا حتى لقد قضى ذات مرة ثلاثة شهور في قرية على الحدود الالمانية تسمى (بادن بادن) مستشفيا في حماماتها وكان عليه ان يخلف كل عاداته وراء ظهره ، وان يرضخ لتعاليم الاطباء ، فيأكل اكلا خفيفا منافيا لذوقه من حيث الطعم ، وان ينام مبكرا ، ويقلل من القراءة ، وزاد على ذلك ان فرضت هذه القرية التى لاتعرف سوى اللغة الالمانية الصوم عن الكلام عليه ، ولكن عبدالله القصاب القادر على الكبت ، والصبر ، وتحمل الشدة ، قد تحمل هذا النوع من الحبس بشيء كثير من الرضى .

* * *

وزادت آلامه ، فزاد صبره ، وطفح حلمه ، وتوثق ايمانه بالله وبالاقدار فراح يتقبل كل ذلك بشيء من الدعة والرضا والتسليم .
وفى ايامه الاخيرة كان يحب ان يكون اصداقاؤه المقربون الى جانبه طويلا كأنه كان عالما بانّه لن تطول اقامته بينهم اكثر من هذا وحتى لقد كان يعتب اذا تخلف محبوبه الخاصون عن زيارته ليلة من الليالى ، ولقد تأخر الشيخ على الشرقى ذات ليلة

وكت انا عنده ، فتلفن له قائلا :

- يا ولفى ليش ؟؟؟

وقلت له - اتسم الجملة لتكمل الاغنية المعروفة (يولفى ليش هاجرني) وكان من رقة الصب والدمامة والمجاملة انه لم يطق ان يقول للشرقى على لسانه (يولفى ليش هاجرني) وانما قال له ذلك على لساني كما لو كنت انا المتكلم مع الشرقى . وقال له يقول الخليلي : يولفى ليش هاجرني ؟

* * *

وقبل وفاته بليتين جئى له بصورة زيتية بريشة الرسام الشهير (صيسى) كان قد رسمها له قبل عدة سنوات فلم تصل اليه الا فى تلك الليلة ونحن عند صديقه الدكتور ضياء جعفر فقال اننى لم اعد بحاجة اليها خصوصا وانها لم تحكئى بواقى اليوم .

قلت - ولكنها صورة حية تصلح ان تكون ذكرى طيبة .

قال - وما فائدة الذكرى ؟

وقد ارتج على فلم اعرف كيف اصور له فائدة الذكرى لاننى انا نفسى كنت قائما بدم جدواها لصاحبها اذا غادر الدنيا ، ولكنى لم اكن اتصور انه سيظاير الدنيا بمثل هذه المعجالة ، فقد كان فى ايامه الاخيرة كأحسن ما يكون صحة وراحة بال نسيية .

* * *

ما سافر مرة الى الخارج وعاد الى بغداد الا وجانئى بهدية من هناك ، وكانت هديته لى فى هذه السنة قمصانا ولست ادري الى كم ستظل هذه القمصان معلقة فى خزانة ثيابى ؟ ولكنى اريد ان تظل معلقة امام عينى الى الابد .

ولم ار للان من يستسئغ تقطيع كبدى مثل على هذه الحالة ذلك لانى وانا

اعصر روجى لاستقطرها دموعا سخينة لاحس ان كل دمة منها تحكى قصة عمتنا
كان لى فى يوم من الايام مع هذا الصديق الذى زاح ولن يعود ، من ذكريات
غالية ، فاحس وكأني فى عالم آخر ما اشبهه بالاحلام ولن استيقظ الا حين تكون
دموعى قد جفت وهذا ما لا احسبه سيقع مادمت مليئا بذكرياته .



اسكندر حريق

اسكندر حريق^(١)

قبل ثلاثين سنة وأكثر كانت ثانوية النجف وثانوية الموصل منار دهشة رجال العلم والمعرفة لما كان يبدو على هاتين المؤسستين من جد ، ونشاط ، ومناخسة في التقدم العلمى استدعى وزارة المعارف ان تخصصا بشيء من الرعاية التى كانت تخصص بها الثانوية المركزية ببغداد ، وان تختار للمدرستين اساتذة اكفاء ممن كانوا يعملون عندها من ابناء مصر ولبنان وسوريا .

وكانت وزارة المعارف فى حيرة ووجل من امر النجف ، لان خيرة اساتذة المعارف لم يكونوا من المسلمين ، وهى تخشى ان يكون رد الفعل فى هذه المدينة المقدسة عنيفا اذا هى ارسلت لها مدرسين مسيحيين وغير مسلمين ، وعلى رغم ان الواقفين على حقيقة النجف من ابنائها قد نفوا وجود ما يستدعى الحذر من ايقاد اى مدرس من أية طائفة فقد تأنت وزارة المعارف فى ذلك ، ثم بالفت فى حذرهما بحيث راحت تستعرض جملة من اللبنانيين لتختار ألينهم عريكة ، وابعدهم عن التعصب الدينى والطائفى ، واكثرهم انغماسا فى التربية والتعليم ، وكان اسكندر حريق فى صدر القائمة ، ولو كان رجل غير اسكندر حريق قد ولد مثله فى ظهور الشوير عروسة مصايف لبنان ، ودرس فى الجامعة الاميركية ببيروت ، وتخرج من جامعة كلمبيا باميركا ، وطاف باغلب اقطار اميركا الشمالية والجنوبية دارسا ، لا متع من المجد ، الى بلد كالنجف عدت فيه الوسائل الصحية الكافية من المياه الجارية فى الانابيب ، والنور الكهربائى فى البيوت ، والكثير من الحاجات الضرورية التى

(١) جريدة الايام - بغداد - العدد ٤ - ١١/٤/١٩٦٢ .

تقتضيها المدنية الحديثة ، فقد كانت النجف آنذاك كسائر المدن العراقية قريبة عهد بكل تلك الوسائل ، وجاء اسكندر الى النجف ، وقد وضع هذه الامور كلها نصب عينيه ، وكان يقول انه لم يكن يفكر فى شىء من هذه الاشياء بقدر ما كان يفكر فى كيفية اندماجه فى المجتمع النجفى وكسب رضاه ، فاذا بكل شىء يتلاشى فى ذهنه ، واذا باسكندر يتبوأ فى ايام قليلة محلا من القلوب فلما ظفر به احد من ابناء المسلمين فكيف بمسيحي ينتقل رأسا من عاصمة الكفار على حد تعبير بعض الجهلة الى عاصمة المسلمين ليتولى تعليمهم وليقوم بتدريس علم الاجتماع !!

ولكن الواقع هو ان النجف عن كذب غيرها عن بعد ، وعلى ان قسما من موقية اسكندر فى النظر برضا الناس جميعا يعود الى مكاتبه وسيرته الخلقية فان النجف كانت ولم تزال تضم طوائف غير قليلة من النفوس السمحة الرضية التي تتصل بالكثير من الافكار الحديثة وبينها من تفوق جرائته فى الفلسفة حد التصور بحيث ينعدم فى نظره اى فرق يأتى من الانجسيات والاديان والمذاهب ، والغريب من أمر اسكندر ان أصبح فى ايام قليلة صديقا لعدد غير قليل من رجال الدين كان من بينهم الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ محسن شرارة ومن الادياء كان موسى كاظم نورس ، وعدد من ادياء شباب الشيوخ آنذاك امثال حسين مرويه ، ومحمد شرادة ، ولم تكن يومئذ مبادئ تفرق بين الناس ، وانما كان الادب اقوى حلقة وصل بين حلقات المجتمع ، وقد كان اسكندر على جانب كبير من الادب ، يحسن فهم تاريخه ، ويتقن قواعده ، ويفهم خواصه حتى لقد قل ان تجدد له زلة فيما يقرأ ، وفيما يكتب ، وفيما يناقش من قواعد البلاغة ، وقد ساعدته اللغة الانكليزية ، والفرنسية ، والاسبانية على الاجادة فيما يقرأ. وفيما يكتب .

* * *

وكتت يومها مدرسا بثانوية النجف ، ولا احسب ان التقائى اياه قد تجاوز مرة او مرتين حتى شعرت بانى اكاد اعرفه منذ زمن بعيد ، وان نفسى قد كانت تبحث عن امثاله بين الناس ، وبين الكتب ، وبين الصور الخيالية التي ينسجها الذهن

لتأسس بها الروح فإذا به يحكى الكثير مما كنت اشد .
روح خالصة ، وسريرة طيبة ، وأدب جم ، وظرف يطفح على لسانه ووجهه
فيدخل على نفسك السرور لأول مرة تلقية فيها ، حتى لقد دعا الشاعر الكبير
رشيد سليم الخورى (الشاعر القروى) ان يرتجل وهو فى اعلى السلم مستقبلا
اسكندر حريق وهو يصعد السلم بسانباولو فى البرازيل ووجهه يفيض بالبشر
واللطف قائلا :-

يا رفيق الاحرار اهلا وسهلا (بحريق) بيل صدر (الخورى)

والتورية فى كلمة (حريق) و (الخورى) واضحة لاحتاج الى توضيح ، وقد
رد عليه اسكندر قائلا : بل بيل ذفن الخورى وهى الاخرى تورية واضحة يقصد
بها الواحد من الخوارنة بيل ذفته ليحلقة له .

كنا مرة على مائدة ابراهيم السالم وكان معنا نايف نصر فاشير اليه بالتعود الى
جانب اسكندر حريق فقال نايف وانكى لا اخاف شيئا كخوفى من (الحريق) فرد
عليه اسكندر قائلا :-

- تذكر يا نايف اتنا فى بيت ابراهيم ، وقد اراد بذلك ان النار لاتمس
ابراهيم وآله مصداقا للآية الكريمة (يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وآل
ابراهيم) .

* * *

وتوفى والده (منصور حريق) واسكندر فى النجف ، فضاقت الدنيا فى عينيه ،
وادركت انا عمق جرحه لاسيما وهو من رهافة الحسن بحيث تسيل عواطفه سيلا ،
واشفقت عليه من الشعور بانغربة ، واستعراضه لحياة أبيه ، ثم تفكيره فى
احتضاره وهو بعيد عنه ، فبالغت فى دنوى منه ، وحدثنى عليه ، ونقلته الى بيتى
لقضاء يومين او ثلاثة تحاشيا من شدة الصدمة ، وفى بيتى زاره الكثير من معارفى
ومعارفه معزين ، وهنا رأى لونا جديدا من التعزية والسلوان والعواطف مما
خفف عليه الالم ، والنجف من هذه الناحية ناحية سبك العواطف فى الادب

وصياغة التمزية تكاد تكون منعددة وقد سمع اسكندر امثالا كثيرة سيقت له على سبيل العبرة والموعظة ، وسمع حكايات كثيرة نقلت له على سبيل التسلية انتزعتها من تاريخ ابي عبدالله الحسين (ع) وسمع عبارات كادت النجف تفرد بها في مقام التمزية من قبيل :-

عظم الله لك الاجر •

وجعلها الله خاتمة الارزاء •

وصبرك الله على بلواه •

وقد عملت مثل هذه التعابير والحكايات عملها في نفس اسكندر •

واسكندر من كتاب القصة اللامعين ، وهو من المحدثين البارعين يتقن لحد كبير حبك الحديث وتطعيمه بانثكنة وانتفنن في السيطرة على السامع اذا تحدث ، واستلفات انظار اقراء اذا كتب ، ونقل السامع والقارىء الى عالم زاخر بالادب والمرح الجذاب ، لذلك كان اسكندر اكبر قوة استغنت بها انا يوم استقلت مسن التدريس واصدرت جريدة (الراعى) ثم اصدرت (الهاتف) حين اغلقت الحكومة جريدة (الراعى) ، وقد ترجم اسكندر في (الراعى) سلسلة من مقالات برتراند رسل ، ومواضيع اجتماعية ذات شأن كبير نقل بعضها من الانكليزية والبعض الاخر من الفرنسية •

وحين زرت كمبرج بعد مرور ست عشرة سنة على ترجمة اسكندر حريق لمقالات برتراند رسل ونشرها في (الراعى) اسعدنى الحظ برؤية الفيلسوف العظيم برتراندرسل في مقر جامعة كمبرج ، وفي سياق الحديث ذكرت له قيام جريدتي بنشر سلسلة من مقالاته ، فقال رسل انه يذكر انه قد كتب له يومذاك بان جريدة تصدر في العراق قد قامت بترجمة بعض مقالاته ، وقال انه لايمصرف العريسة ولكنه قد قيل له ان المترجم قد وفق توفيقا باهرا في نقل افكاره من الانكليزية الى العربية وقد حملنى اسنى تحياته وعميق شكره الى المترجم ، وحين نقلت حديثه

الى اسكندر حريق قال - لقد كتبت انا الذى كتبت له بشروعى بترجمة مقالاته
ونشرها فى (الراعى) وقد بعثت له ببعض الاعداد من الجريدة .
قلت له مازحا - اذن فانت الذى كتبت لبرتراندرسل مادحا نفسك ، ومطريا
ترجمتك ؟

قال وهو يضحك - ولم لا

ثم تحول الحديث الى جد وقال اسكندر - انه قد تلقى من (رسل) كتابا فى
وقته يقول فيه انه قد قرأ ترجمته لمقالاته عن طريق احد طلابه العرب فى الجامعة ،
ويسره ان يعرف بانه كان موقفا كل التوفيق فى نقل افكاره الى العربية وانه يشكره
كثيرا على ذلك .

* * *

وكتب اسكندر فى (الراعى) و (الهاتف) عشرات القصص والمقالات وقد نقل
الشيء الكثير من أدب الانكليز والفرنسيين مما لم ينقل من قبل الى العربية ، وقد
قمت انا بنشر مجموعة من قصصه جمعتها من جريدة (الهاتف) باسم (عشرون قصة)
كان قد ترجم بعضها عن مكسيم غوركى ، وهانس اندرسن ، وتولستوى ، وجان
نروادا ، واوسكار ويلد ، وانطون تشيكوف ، وميخائيل لرمنتوف ، ووضع بعضها
بقلمه ، وبلغ به التواضع ان ذكر لى يوم نويت ان اطبع كتابه هذا قائلا انه لا يرى فيما
ازمنا عليه أية فائدة مرجوة للبلاد او للحبيب من طبع كتابه هذا ، وبالغ فى تواضعه
وظرفه قائلا وياليت فى قدرة هذا الكتاب ان يحقق أمل ابى يوسف حين لم يستطع
ان يسدى للعالم والوطن شيئا ، فسأته عن قصة ابى يوسف فقال :-

« كان صديق يقرأ مقدمة كتاب لابى يوسف وقد قرأ فى هذه المقدمة قول

ابى يوسف :-

« والذى دعانا الى تأليف هذا الكتاب هو خدمة السلم والوطن ، فقال له

الصديق :-

أسمى خدمة العلم والوطن أم خدمة أم يوسف والأولاد؟
ثم أورد أسكندر الحكاية المتقدمة في مقدمته من كتاب (عشرون قصة) ،
ونفذت الطبعة من كتابه هذا في شهر واحد .

* * *

وفي سنة ١٩٣٦ كنت مصطافا بضمهور الشوير بلد أسكندر حريق النجمل ،
وكان أسكندر كعادته في كل صيف يبحث جادا عن زوجة تلائمها فلم يوفق وذلك
لما كانت تكلفه التي كانت تقع تحت اختياره من شروط ثقيلة لا قبل له بها وقد هدد
ذات يوم مازحاه ، لقد هددنا ونحن في مجلس خافل بعدد من عائلات ضمهور
الشوير قائلا :-

- لعنني الله ان لم ادخل في الاسلام واتزوج بمئات النساء نسكاية بمنصر
المرأة المسيحية واطل اتزوج واطلق الى ما شاء الله .

ولكن أسكندر في هذه المرة عثر على بعينه وكانت الشروط ملائمة ، وانفتاح
جنيلة ومؤدبة ، وقد أعدت العدة لفقد اكليل الزواج في اليوم التالي ، ولاسكندر
حقوق كثيرة عند الكثير من بلده وغير اهل بلده لما اتصف به من دماثة وخلق كريم
فلا بأس ان يكون لزواجه وقع في النفوس وتحفز لحضور الاكليل .

وجاءني رسول منه يستعجلني الى بيته قائلا انه قد تركه في حال من
الاضطراب لا يوصف ، وكان الوقت ظهرا وكنت قد القيت بنفسي على سريري
في اوتيل سترال بضمهور الشوير ، فحففت اليه واذا به يتقلب في فراشه كمن
لدغته افسى والدموع تتحادر من عينيه ، والى جانبه اخته الانسة (زلفا حريق) تصب
الدموع صببا واخته (نادي) وكانت اقدر من احتما زلفا على الجليد أو انها لم تكن
تعرف سبب هذا النحيب وكانت تقدم له شيئا من الدواء الذي وصفه له الطبيب قبل
ساعة لتمهدة الاعصاب - ، وظللت اكثر من ساعة وانا احاول ان اعرف الطارىء ،
وظل الاخ والاخت يسميان للتقلب على ثورتها النفسية حتى اتيت لي ان اعصرف

الحكاية ، والحكاية ليست مشكلة مستصية ، ولكن خلق اسكندر يجعلها من
المشاكل المستحيلة الحلول ، فقد علم اسكندر قبل ساعة بان البنت التي خطبها كل
لها خطيب من قبل وانها

قلت - افلم تسأل عنها من يعرفها حين اقدمت على خطبتها ؟

قال - لقد سألت السماوات والارضين والناس لا يصدقونك القول ،

ولسان الحال منهم يقول :-

د شوبدي منو .

فيكتمون عنك كل ما يعرفون ، وتقدم النصيحة ، وهذا هو كل ما وقع

قلت - وهب انه كان للفتاة خطيب فما الضائر ؟

- قال ولكن لماذا اخفى اهلها عنى الخبر ؟ ثم ألم تقولوا انتم (التحفين) فى

كل شىء من هذا القبيل - ألم تقولوا :

قد قيل ما قيل ان حقا وان كذبا ، فما اعتذارك من قول اذا قبلا

ألم تستشهدوا بهذا البيت فى كل مناسبة من مثل هذه المناسبات ؟

قلت - بلى ولكن

قال - ولكن ماذا ؟ لقد قيل لى اليوم عنها اشياء كثيرة وانما لا اعرف

كيف اعمل لكى اجنبها هذه الاهانة اذا اردت ان انسى الزواج ؟ انها اساءة كبيرة

ان لم تكن جريمة ، فاننا لا نستطيع بعد هذا ان تزوجها ، ولا نستطيع ان اعلن

فسخ الخطوبة لاعرضها للاهانة ، ولا جعلها مضفة فى افواه الغادين والرائحين ؟

ترى ما الذى سيقول الناس عن هذه المسكينة ؟

وهدأت من قلقه ، وحملته على ان يواجه الكارثة بالحسليم ، وان يفسخ

الخطوبة بطريقة معقولة مقبولة وليس هذا مجل ذكرها ، وقد ضحى بكل ما انفق

فى هذا السبيل من مال ، ولم يزل كلما يتذكرها يشمر بتائب لا يستطيع ان يعرف

مداه من لم يعرف اسكندر بحقيقته حتى بلغه زواج الخطبة بعد ثلاث سنوات وتجاحها

فى زواجها وهنالك استراح من تعذيب الضمير

وأحسن الله الى هذا الرجل الطيب الطاهر فهأ له بعد عدة سنوات زوجة

جمعت بين جميع مؤهلات الزوجة الصالحة ، من حسن تربية وأدب واخلاص
وحدثت عليه وزاد حد بها عليه شيئا كثيرا من مزاياه فقد سمت عاطفته اكثر ورق
طبعه اكثر واكثر ...

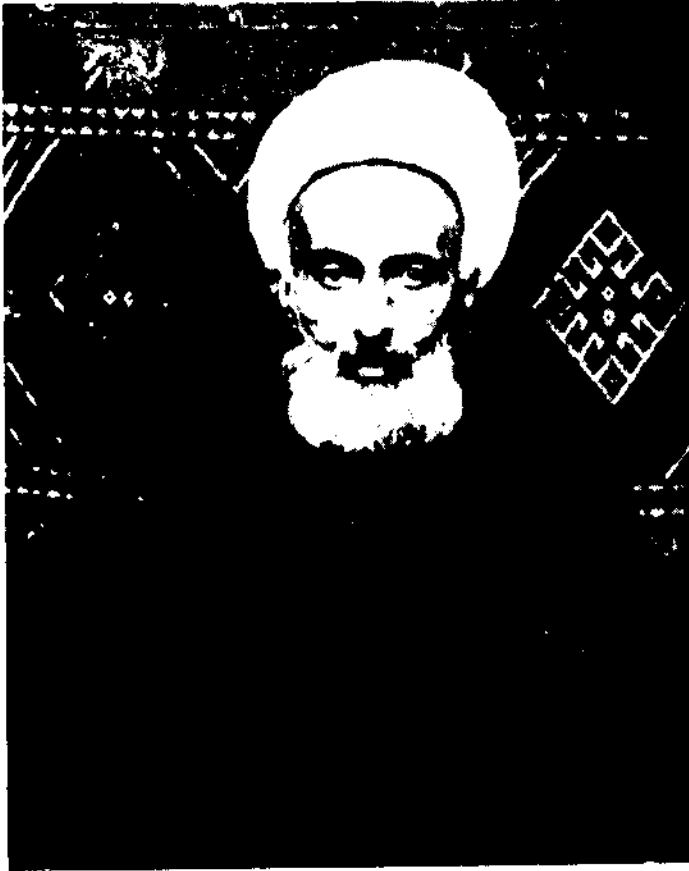
وحين ترك العراق بعد خدمة طويلة للمعارف والادب عاد الى الجامعة
الاميركية بيروت وعمل فيها استاذاً من جديد ، ثم عمل بعد ذلك في شركة نفط
العراق بيروت ، وانيطت به رياسة تحرير مجلة اهل النفط وكانت الافلام العربية من
مختلف الاقطار في هذه المجلة تتزاحم بحيث لم يكن مجال في المجلة الا للقليل من
الكتاب العراقيين قبل ان يتولى اسكندر رياسة التحرير ولكن اسكندر هو الذي
فج هذا الزحام وزاد من عدد الكتاب العراقيين في هذه المجلة على رغم قصر
المدة التي ادار فيها تحرير مجلة اهل النفط .

وزدت بيروت في ربيع سنة ١٩٥٧ وسرني ان اجد اسكندر حريق متمتعاً بجو
عائلي بهيج ، وانه استطاع ان يجد الزوجة الحبيبة دون حاجة لان يضحى بمسيحيته
ويدخل الاسلام على حد مزاحه .

وتناولنا انا والصديق حسن الامين طعام المشاء في بيته واستمرضنا هناك
الماضي فاذا به يحن الى العراق ، والى ناسه ، والى النجف وحياتها الخشنة حيننا
عميقا ، واذا به يقول انه يحس بحاجة ما بعدها حاجة الى استجمام روحى يضمه
له قضاء شهر واحد في ربوع العراق ، ولكنه توفي قبل ان يتسنى له الظفر
بتحقيق هذه البغية .

وانا اقرأ خبر نبيه في الصحف كانت ذموى تحوط الخبر من جميع
اطرافه فكانت هذه الذموى اشبه بالاطار الذي يحيط بالصورة .

تقدمت اسكندر ، وكان من القلائل الذين لم يكن له قبر واحد في بقعة
واحدة ، وانما ترك في كل صدر من صدور عارفيه قبرا لن يفي ، وفي مقدمة
اولئك طلابه الكثر في الجامعة الاميركية بيروت واثويات العراق ودار المعلمين
ببغداد وصدور حملة الافلام العربية الذين تعرفوا به من طريق أدبه ، رحمه الله ووفاه
حقه من خدمته الصادقة للعلم والادب .



الشيخ عبدالكريم الجزائري



الشيخ محمد جواد الجزائري

الشيخ عبد الكريم الجزائري^[١]

كان ملء السمع والبصر يوم وعيت ، وكانت لمجلسته شهرة خاصة بين عشرات المجالس النجفية لاقتصره في الغالب على طبقة تجمع بين العلم ، والادب ، والسياسة وتزن الامور بموازين تختلف مقاييسها عن موازين الكثير من مجالس النجف ، ومن هذه المجالس اى (الدواوين) كانت تنتشر الاخبار السياسية ، وغير السياسية ذات العلاقة بالعالم الداخلى والخارجى ، البعيد والقريب ، وكان المنبع الذى تستمد منه المجالس الاخبار الخارجية يومذاك هو بعض الصحف التى كانت تصل الى النجف بين اونة واخرى من اسطنبول ، ويران ، وبيروت ، والقاهرة ، وبغداد ، فتدخل بعض المجالس وتظل الالسن تلوك اخبارها الى ان تصل رزمة جديدة منها بعد اسبوع او اسبوعين ، وحيانا بعد شهر واكثر لعدم انتظام وصول البريد يومذاك وكان المنبع الاخر الذى تستقى منه هذه المجالس اخبارها هم (الجنازون) والجنازون هم حملة الجناز الذين يأتون بالجناز من مختلف الاصقاع وبغاية ما يستطيعون من السرعة خشية تفسخ الجثث ليدفونها فى النجف فينقلون ما يعرفون من اخبار اصقاعهم ومواطنهم الى مضيفهم ومعارفهم ، ينقلها هؤلاء رأسا الى تلك المجالس بحكم العادة ، ومن هناك تنتشر فى جميع اطراف النجف بسرعة البرق .

وعن طريق هؤلاء (الجنازين) كثيرا ما تضارب الاخبار وتناقض ، ولكنهم كانوا كالراديو اسرع وسيلة يومذاك لوصول اخبار المدن وحروب القبائل وما كان يجتد هناك ، وكانت هذه الاخبار تصل صحيحة تامة الصحة حيناً ، وملفقة بعض التلفيق او كل التلفيق احيانا اخرى .

(١) جريدة الايام - بغداد - العدد ١٠٠ - ١٢/٨/١٩٦٢

وكثيرا مانعوز رواة الاخبار غير الصحيحة النجفة فيما يروون فيتكون على
الجنّازين ويتخذون منهم سندا فيما يروون قائلين :-

« روى ذلك جنّاز ورد على آل العادلي مثلا او آل حموزي »

وللسخرية بالاخبار غير المنطقية او الحوادث المستحيل وقوعها يقول النجفيون
عنها : انها اخبار (جنّازين) ، وذلك كثيرا ما يتفكهن في صوغ الاخبار الفكهية
على السنة (الجنّازين) فيقولون مثلا ان البابا الاعظم ينوي ان يؤسس في الفاتيكان
مقبرة واسعة يعارض بها مقبرة النجف ، ويدعو أهل الجنّاز ان يدفنوا جنّازهم
فيها بدلا من دفنها في النجف ، ثم ينسبون الخبر الى (الجنّازين) قائلين - روى
ذلك جنّاز جاء من ايطاليا حديثا ونزل على (آل الملك) أو (ال مال الله) مثلا ،
وآل الملك وآل مال الله اسرتان من الاسر النجفية المعروفة .

ومع ذلك فكثيرا ما تصل الى النجف اخبار صحيحة وسريمة عن المدن
المراقية والقبائل وما كان يجد في الاطراف بواسطة هؤلاء الجنّازين .

وهناك عامل آخر ذو شأن في اتصال النجف بالعالم الخارجي وهو كثرة من
يخرج من النجف من طلاب الدين والمشايخ ومن يرد اليها منهم وكثرة الزوار
الذين يؤمّون النجف من مختلف الاطراف ثم الرسل الذين يحملون المكاتب من
العلماء والرؤساء في الخارج الى العلماء والرؤساء في النجف بقصد الاستفتاء أو
التوسط في قضاء بعض الحاجات العامة والخاصة ، فكان كل هذا عاملا خطيرا في
نقل الاخبار إلى تلك المجالس وانتشار تلك الاخبار عن طريق المجالس ، هذا
مضافا الى العدد الكبير من الوجوه وكبار الشخصيات الرسمية والاهلية ورؤساء
القبائل الذين يؤمّون النجف في مختلف المواسم فيقصدون اول ما يقصدون - بعد
زيارة مرقد الامام - اصحاب تلك المجالس توددا لهم وتكريما لشخصياتهم أو
لداغ من مصالح واستشارات وتبادل اراء بين ارباب تلك المجالس حول المسائل العامة
أو الخاصة لذلك كانت النجف اكثر مدن العراق على الاطلاق اتصالا بالعالم الخارجي
البعيد والقريب لكثرة ما كانت تعطى ، وكثرة ما كانت تأخذ من الاخبار والحوادث ،

وهذا ما ساعد النجف على ان تكون موضع التفات الاقطار الاسلامية والاقطار العربية فضلا عن قيمتها الروحية والعلمية والادبية ، وهذا ما جعل النجف امرع المدن في تجاوب الافكار لذلك لم يكن غريبا ان يكون الشيخ محمد رضا الشيبسي والشيخ علي الشرفي من اوائل من أبتن الباخرة (تيتانك) ووصف عرفها واحاسيس ركابها في اثناء العرق ، وكان لتلك الاتصالات او الصادرات والواردات كما يسميها أحمد الصافي النجفي متفكها شأن كبير في قيمة مجالس النجف يومئذ وما كان لها من اثر سياسي ، وعملي ، وادبي في الاوساط مما قد اشرنا اليه في هذه المجموعة من قبل :

فصادرات بلدتي مشايخ وواردات بلدتي جنائز

ومجلس الشيخ عبدالكريم الجزائري كان في الطليعة من حيث اتصال الخارج به ، ومن حيث زيارة الوجوه له ، ومن حيث تلقيه الرسائل من مختلف الجهات وما كان له من قيمة في تكوين الرأي العام وتوجيهه والوقوف به مواقف مشرفة في دنيا الوطنية والتحمس لقيام المشروطة في ايران والانقلاب العثماني ، والمطالبة باللامركزية للعراق في العهد العثماني والتحفيز لطلب الاستقلال التام بعد الاحتلال البريطاني ذلك لان الشيخ عبدالكريم كان ذا جوانب متعددة ، ووجوه متنوعة ، وملكات ، ومواهب ، وقابليات ظهرت باجلى مظاهرها في ميادين البحوث العلمية والادبية والتجديد فضلا عن التضج السياسي المعروف .

فإذا عدّ العلماء كان للجزائري مقامه المرموق بينهم واذا عدّ الادباء كان الجزائري في الرعيل الاول منهم واذا عدّ كبار ساسة النجف كان الاول بعد ان مات الشيخ جواد الجواهري ، والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي ، لذلك كان لمجلس الجزائري شأن خطير في تاريخ المجالس النجفية .

وكتت اسمع باسم الشيخ عبدالكريم الجزائري واسمع باسم مجلسه وانا صبي ، اسمع به مرددا على لسان ابي وعلى السنة اعمامى حينما تجيء المناسبة ، اما اين هذا الجزائري ؟ وما هي اوصافه من حيث الشكل والهيكل والصورة ؟

فهذا ما لم أكن أعرف عنه شيئا لاني لم ادلف بعد الى المجالس النجمية لارى هؤلاء بعيني بعد ان سمعت باسمائهم باذني ، ولكنني استطعت ان اعرف بعد زمن ان الشيخ محمد جواد الجزائري ، هذا الذي يندفع كالسيل اذا ما تحدث ، والذي لم تهدأ ثورته ، ولم تخمد جذوة حماسه الوطني ، هذا الشيخ لم يكن الا الاخ الاصغر للشيخ عبدالكريم ، لا لاني كنت قد رأيت الشيخ محمد جواد غير مرة في بيتنا وفي حجرة اخي الاكبر عباس الخليلي بمدرستنا فحسب وانما لان ثورة النجف التي اشترك في تنظيمها كل من السيد محمد علي بحر العلوم ، والشيخ محمد جواد الجزائري ، والشيخ محمد علي الدمشقي ، واخي عباس ، وأججوها نارا حامية ، وقد جعلت اسم الشيخ عبدالكريم يحتل من ذهني اكبر مجال عن طريق ذكر اخيه الشيخ محمد جواد الجزائري .

اما ثورة النجف فهي الجذوة والشرارة التي اراد هؤلاء الاربعة ان تكون مبعث الثورة العراقية الكبرى ففشلوا ، وكانوا قد دبروا الامر تديرا اعوزه الكثير من الاحتياطات والعمل ، اذ اكتفوا بالاتصال ببعض القبائل وعلى الاخص (الموابد) و (آل علي) و (الحواتم) وادخلوا في اليمين بعض رجالات القبائل مثل مرزوق العواد ووداي العلي ، وسلمان افاضل ، ومشكوف من شيوخ بني حسن (الحواتم) وعدد كبير من شيوخ النجف وحملة السلاح كانبوكلل ، وكاظم صبي ، وكريم الحاج راضي ، وعباس علي الرماحي ، والحاج نجم الذي كان له شأن يذكر وغيرهم مثل محسن ابي غنيم ، واقسم الجميع على ان يحملوا السلاح في وجه الانكليز ساعة تطلق اول رصاصة من النجف وادار المؤتمر السري المؤامرة ادارة متقنة ، وعينوا يوم التوروز موعدا للثورة ، ولم يكن ذلك كافيا ، لان ثورة يراد لها النجاح المضمون لتطلب دراسة اعمق ، وخبرة اوسع للناس ومدى تضحياتهم وما يملكون من استعداد قبال تلك القوة ، وكيفما كان الامر فقد نارت النجف في الموعد المضروب وقتل الحاكم الانكليزي (الكابتن مارشال) ولكن الثورة ظلت ثورة محلية ، ذلك لان سلطة الاحتلال كانت قد احست في الوقت المناسب بالثورة

وتملأها بين العشائر فاسرعت لاتخاذ التدابير والاحتياطات الكافية لحصر الحركة في محلها والحيلولة بينها وبين اشتراك القبائل فيها .

وفشلت الثورة وحارب النجفيون وحدهم ، وأبلوا بلاء حسنا . ودخل الانكليز المدينة بعد حصار دام اكثر من شهر ونصف شهر فتم القبض على زعماء الحركة ، وكان السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري في مقدمة المقبوض عليهم وحوكم الثوار عسكريا ، وتم اعدام احد عشر شخصا منهم وزج اكثر من مائة رجل في السجن وتقرر نفيهم الى سمربور في الهند ، اما اخي عباس الخليلي فقد كان الشخص الوحيد الذي فرّ ونجا باعجوبة فحكّم عليه بالاعدام غيانيا ، ولكيفية اختفائه وهروبه قصة طويلة ليس هذا محل شرحها .

واما الشيخ محمد جواد الجزائري ، وبحر العلوم فقد اتجاها من الحكم بالاعدام توسط أمير المحمرة الشيخ خزعل في أمرهما فصفدا بالسلاسل وارسلا ليقضيا سجنهما في الهند عن طريق بغداد وعند مرورهما بالبصرة جدّد الشيخ خزعل توسطه فاطلق سراحهما ، وبقي عند انشيخ خزعل بخرم شهر (المحمرة) نحو سنة الى ان اذنت سلطة الاحتلال لهما بالعودة الى النجف فعادا .

ويعتبر الشيخ خزعل من اكثر المخلصين للشيخ عبدالكريم الجزائري ، ومن مقلديه والمقتدين به والآخذين برأيه والمطيعين لامره ، لذلك كثيرا ما كان الجزائري بتوسط لدى الشيخ خزعل في حل الكثير من الازمات العامة والخاصة وما كان يقع بين الحكومة العثمانية والايروانية والقبائل في تلك الجهات بل كثيرا ما استعمل الجزائري وساطته لحمل الشيخ خزعل على الاسهام في المشاريع العامة فكان الشيخ خزعل اطوع له من بنانه ، حتى وقعت الحرب العامة الاولى ، واعتبرت هذه الواقعة حربا بين الكفار والمسلمين بنظر رجال الدين ، اضافة الى كره الشيخ عبدالكريم الشديد للانكليز ، فكتب الجزائري الى الشيخ خزعل يأمره بوجود تجهيز حملة من القبائل ودخول الحرب الى جانب العثمانيين ، ولكن الشيخ خزعل كان على خلاف تام من هذه الناحية مع الشيخ الجزائري فرد عليه معتذرا وشارحا له استحالة

قيامه في وجه الانكليز فقطع الجزائري علاقته بالشيخ خزعل منذ ذلك اليوم ولم يعد يذكره بخير أو شر كما هي عادته في القطيعة ، وسمى الشيخ خزعل لاسترضاء الشيخ الجزائري بمختلف الوسائل والوجوه فلم يوفق ، حتى حدثت ثورة النجف ، وسبق الشيخ محمد جواد الى المحكمة العسكرية فوجد الشيخ خزعل في هذا الحادث الفرصة الصالحة التي كان ينشدها للصلح مع الجزائري وسمى بكل ما في وسعه لاطلاق الشيخ محمد جواد ، ثم تودد وتوسل ، ولكنه اخفق ولم يفز حتى بكلمة شكر واحدة من الشيخ الجزائري على توسطه لانقاذ اخيه ، ولكن صلوات الشيخ خزعل بالشيخ عبداللطيف الجزائري وهو الاخ الاصغر للشيخ عبدالكريم قد ظلت على حالها ، وعلى اساس هذه الصداقة قد شاع في اوساط النجف حينما خطر للشيخ خزعل ان يرشح نفسه لعرش العراق انه قد دفع للشيخ عبداللطيف الجزائري مبلغا قدره عشرون الف ليرة عثمانية لينفقها في بث الدعاية وتهيئة الرأي العام لهذا الترشيح وشاع ان الشيخ عبدالكريم ما كاد يسمع بهذا الخبر حتى تار وقامت قيامته في وجه اخيه الشيخ عبداللطيف ولم يعرف بعد مدى صحة هذه الاشاعة ، ولكن المؤكد ان قطيعة ما لزم من ما . كانت قد حدثت بين الشيخ عبدالكريم والشيخ محمد جواد من جهة وبين اخيهما الشيخ عبداللطيف من جهة اخرى ، بيد انه ليس هناك من يستطيع ان يبين السبب الحقيقي لتلك القطيعة ، وهل كانت بداعي تلك الاشاعة ، او بداع اخر ، ذلك لان الشيخ عبدالكريم الجزائري لا يدع لاحد مجالا ان يستشف كوامنه ، فقد كان عفّ اللسان ، كثير الاحترام لخصومه بحيث لا يكون من السهل الوقوف على رأيه اذا كان غير مرضى في الآخرين ، وانا من القلائل الذين يعرفون ان العلاقات بين الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء لم تكن حسنة ، كما لم تكن العلاقة بينه وبين المرجع الروحاني السيد محسن الحكيم على ما يرام ولكن ليس هناك من قد عرف هذا من الشيخ عبدالكريم الا القليل القليل .

ولشدة تعلق الشيخ خزعل بالشيخ عبدالكريم قبل القطيعة كان قد شاع في

وقته ان الكتاب الذي تم تأليفه باسم (الرياض الخزعليه) والمنسوب الى الشيخ خزعل انما الفه الشيخ عبدالكريم الجزائري ونسبه للشيخ خزعل والواقع ان الشيخ عبدالكريم اكبر بكثير من ان ينسب له مثل هذا التزلف وانما الكتاب هو من تأليف الشيخ محمد الهر ، أو الشيخ محمد خشاف كما حققته بنفسى فى حينه ونسبت الان ايهما كان المؤلف لبعده عهدى بذلك والكتاب المذكور - وقد قلت الان نسخة - نفيس جدا من حيث مواضيعه وابوابه واهدافه الادبية ولقد قرأته فى مقبل شباى قراءة ممن يطلب الافادة والمتعة الادبية .

ومن داخل السجن بغداد وهو فى طريق المنفى نظم الشيخ محمد جواد الجزائري بعض الشعر الوطنى الذى يفيض بالحماصة ومن ضمنه القصيدة التوتية التى يشير فيها الى الثورة النجفية فى قوله :-

عشقنا النون وهما بها	وعفنا اباطحنا والحجونا
وقمنا بها عزمات مضاء	ابت ان نسيس الردى او نلينا
وصنا كرامة شعب العراق	وكنا لعليا حصنا حصينا
وخضنا المامع وهى الحمام	ندافع عن حوزة المسلمينا
وجحفل اعدائنا الانكليز	يملا سهل الفلا والحزونا
وما ضامنا ثقل ذاك الحديد	اذا ما قضى للعلاء الديونا

ومن طهران يشير عباس الخليلى الى هذه الثورة من قصيدة مطلعها :

أما وغمام يشبه الظلم اسودا ورعد حكى قصف المدافع بالصدى

الى ان يقول :

رويذا رجال الانكليز ومهلة	ان اليوم أسرفتم فان لنا غدا
وان نصرت اقدامنا عن خطاكم	مددنا الى ما فوق هامكم يدا
يحبيكم اهل العراق على النوى	فتى فى سبيل المجد أمسى مشردا
تحية عن كلما هبت الصبا	ينوح كما ناح الحمام مفردا

ان اليوم اطلقت اللسان بحبكم فيالامس عنكم قد سللت المهندا
عواطف لاتنك تفلى بمهجتي الى ان ارى فوق الصيد موسدا

وحين جرى نفي عباس الخليلي من ايران الى العراق من قبل السلطة الايرانية
لسبب سياسي آخر وذلك في سنة ١٩٣١ على ما اذكر شرع وهو يلقي أول نظرة
على ارض العراق بعد خروجه منها بنظم قصيدة بدأها عند اجتيازه الحدود الايرانية
المراقية في السيارة واتمها قبيل دخوله بغداد وكان لهذه القصيدة يومها وقع كبير
في النفوس فتظف منها هنا بعض ما يتعلق بحادث الثورة المذكورة اذ يقول :

قبل منك بعيني الارض لا بفي
وجف دمي فرواك الحشا بدمي
عفرت بالترب وجهي اذ سجدت ضحي
فنا ب للنسي رأسي فيك عن قدمي
وكاد ينطق طرفي بالسلام على
ارض العراق فهذي أدمي كلمي
ما الدمع واللفظ الا لؤؤو رطب
خلطت متشرا منه بمنظم
ارخصت درا غلامن ذا وذاك على
معالم للملى والمزر والكرم
رضمت فيك لبان المجد من صخر
فلست حتى الردي عنه بمنظم
ما الرافدان وان ساغا بمذبهما
يسردان غليلي منك بالشبم
ضحيت انسان عيني بالبكاء على
تري كفاه دم القتلى عن الديم
كم من كمتي تردى فيك ثوب ردي
وكم أبي بسهم التابسات رمي

وكم طريد مضي والويل رائده
فاتابه الحنف في الاجام والاكم
قد شردتني منك الحادثات وقد
ردتني اليوم ، فلتبتك عن همي
انا الذي هدا ركننا من عداك كما
قد شاد للمجد ركننا غير منهم
جدنا بانفسنا نحمي حماك فلا
نرضى لك الذل ان قيل العراق (حمي)
متى تربى لك الايام مثلى من
ان خاتنه السيف يوما قام بالقلم
يا حسننا ساعة ردت اليك فتى
ما كان يرجو اليك العود في الحلم

وازيح الستار وعرف الناس رجال النورة النجفية ، ولمع اسم الشيخ عبدالكريم
الجزائري اكثر باعتباره الاخ الاكبر للنائر الكبير الشيخ محمد جواد ، بل قال
الكثير ان الثورة النجفية لم تكن خالية من اصبع للشيخ عبدالكريم ، وحتى اليوم
والكثير يعتقد ان الشيخ عبدالكريم قد اسهم في الثورة النجفية من خلف ستار ،
وكان لمجلسه وتردد القبائل والرؤساء عليه شأن في ربط اولئك الزعماء بالثورة
النجفية وقد أيد هذا الرأي ما اصاب الجزائري بسبب فشل هذه الثورة من هياج
وعدم استقرار والتوجه بكله الى السعى لجمع الكلمة وتنظيم الامر من جديد والعمل
مع الميرزا محمد رضا الشيرازي ابن الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي مفجر
الثورة العراقية من جهة ومع قبائل الفرات من جهة اخرى
للقيام بثورة جديدة اذا بقي الانكليز مصرين على عدم اجابة مطالب الشعب ، والحق
انه لم يكن الشيخ عبدالكريم الجزائري وحده الذي نهض بالثورة ونهد لها في
النجف وانما كان الشيخ عبدالكريم من اشد العاملين في بنائها ومن اكثرهم حماسا

وحرارة وانغماسا تحت ظل الامام ميرزا محمد تقى الشيرازى ، وكان ممن افاد من فشل الثورة النجفية فائدة جنبت الثورة العراقية الكبرى كثيرا من مواقع الزلزل ، وكان مجلسه فى هذه المرة بمثابة مجلس القيادة السرية التى وضمت الخطط وهيات الرأى العام للمطالبة بالاستقلال حتى كان احد المندوبين الاربعة الذين انتخبوا لتقديم المطالب الشعبية الى سلطة الاحتلال باسم الشعب العراقى .

وحين تألفت اول حكومة عراقية كان نشاط الشيخ عبدالكريم الجزائري مضرب المثل فى الميدان السياسى فقد وقف منذ اليوم الاول موقفا سلبيا تجاه ما يسمى بالوصاية والانتداب والحماية من حيث اللفظ والمعنى ، وهو اول من ندد بمقام المستشارين الانكليز بالصورة التى وجدوا بها ، فقد كان يرى ان وجود المستشارين كفتين ترجع اليهم الحكومة بقصد الاستشارة فى الامور الادارية والفنية والعلمية امر صحيح ، بل ولازم لدولة فنية لم تمارس عملا خطيرا كهذا ، ولكنه لم يكن يؤمن بان المقصود من ايجاد الاستشارة هو الاستشارة الصحيحة والا لما داخل الناس الشك فى حقيقة الحكومة العراقية خصوصا وقد كان للمندوب السامى كل القيمة فى كيان الدولة والحقيقة هى ان مفهوم الاستشارة كان كل شىء فى الحكومة يومها ولذلك تلقى الناس قول الشيخ باقر الشيبى :

المستشار هو الذى شرب الطلا فعلام يا هذا الوزير تصريد

لقد تلقى الناس قوله هذا بالشىء الكثير من الايمان بالواقع

وحين مرّ الملك فيصل فى اول طوافه بالفرات هزجت قبيلة آل قنلة

(بالهوسة) المروقة وهى تخاطب رئيسها الشيخ عبدالواحد هازجة :

« يوحيّد صبح يومجيينه »

اى هل ان هذا الملك ملك حقا ام انه مغطى ومستور بالعباءة ؟

اما الشيخ محمد جواد فانه كان يذهب الى ابعد من ذلك فانه لم يكن يعترف

حتى بوجود الحاجة العلمية والفنية والتجربة الادارية للمستشارين لذلك سمع مرة

وهو يصيح بعالي صوته امام الملك فيصل الاول وأكابر العلماء مجتمعون عنده في الحرم المقدس حيث جرت العادة ان يجتمع العلماء مع الملك كلما قدم النجف لقد سمع الشيخ محمد جواد يصيح :-

- اطرودوا هؤلاء المستشارين ، اطرودوهم فليس لاستقلالكم حقيقة وهؤلاء موجودون في مراكز الالوية ، ولم تعجب هذه الطريقة من الكلام المهائج النائر اخاه الشيخ عبدالكريم خصوصا وانه كان يرى وجوب تحديد عمل المستشارين تحديدا صحيحا واقميا الى ان يحين الوقت الذي يتم الاكتفاء منه بقدرة العراق على ادارة شؤونه لذلك حال بعدها بين اخيه وبين حضور مجلس الملك حين كان يقدم الملك الى النجف وكان الملك فيصل يسأل عن الشيخ محمد جواد فيجاب في كل مرة بعذر من الاعذار .

وظل الشيخ عبدالكريم يلح على وجوب تحديد سلطة المستشارين الى ان حمل هو وليس غيره حمل الحكومات العراقية على الاسراع في تقليص نفوذ المستشارين ، ولعل ياسين الهاشمي الذي نال تأييد الشيخ عبدالكريم في جميع خطواته السياسية كان قد اشترى هذا التأييد بانتهاج سياسة الشيخ عبدالكريم قبل الانكليز ونفوذهم ومعارضته للمعاهدة بناء على معارضة الجزائري الضيفة ، فلقد ايد الشيخ عبدالكريم سياسة الهاشمي تأييدا يكاد يكون مطلقا ، وحمل العشرات على الالتفاف حول الهاشمي نتيجة للتفاهم السياسي الذي كان قد تم بينه وبين الهاشمي في النجف وفي بيته نفسه .

واتهمت سياسة وزارة الهاشمي الداخلية بالتحيز الطائفي ، ونال الشيخ عبدالكريم شيء من لوم الناقمين على الهاشمي لتأييده اياه ، وذات مرة وانا عنده وجدت احد حضار مجلسه جريئا في انتقاد الهاشمي وفي لوم الجزائري على تأييده قائلا :- ان وزارة الهاشمي قد اغلقت ابواب الوظائف في وجوه الشيعة ، فقال الشيخ عبدالكريم وهو يضحك :

- ألم تر ان ذلك حق من حقوقهم ، فلقد كان العهد العثماني ، وكانت الوظائف كلها لهم ، ومقتصرة عليهم ، وكان الشيعة زاهدين فيها ، اما اليوم فلم يدع الشيعة طريقا لم يلجوه لاختطاف هذه الوظائف من ايدي اصحابها ، فهام اولاء الداخلون عليهم من الابواب ، والوالجون من الشبايك ، والمتسلقون للحيطان والنازلون عليهم من السطوح ، فلم لانسمى الدفاع عن مصالحهم ضربا من ضروب تنازع البقاء ؟ فلم يكن هذا اصح من تسميته بالطاغية ؟

لقد قال ذلك وهو يضحك ، وكان لوصفه و اشاراته بيديه حاكيا كيفية نزول طلاب الوظائف من السطوح والدخول من الشبايك وتقسوب الحيطان والولوج منها داع آخر لضحك حضار مجلسه .

وظل الشيخ عبدالكريم الجزائري زما طويلا وهو موضع استشارات كبار الساسة المراقين ورجال الحكومة خصوصا في الادوار الاولى من تشكيل الحكومة العراقية وخصوصا في اثناء عقد اول معاهدة عراقية وبروتوكولها ، وكان له في هذه المعاهدة رأى أخذ بعضه ولم يؤخذ بالبعض الاخر .

الى هنا كان ذهني مشحونا باخبار الشيخ عبدالكريم الجزائري الوطنية والسياسية وكانت بطولة اخيه الشيخ محمد جواد وجرأته وايمانه قد شغلت كل فراغ في نفسي ، وانا الان في نهاية المقدم السادس استطيع ان اؤكد اني لم اشهد حتى اليوم من يشبه الشيخ محمد جواد وطنية ، وشجاعة ، وتدققا كالسيل في ميادين الثورة على الفساد ، وعلى الضلال والظلم ، دون ان يمازج نفسه خوف من اى شئ .

ونقلتني السنين من صبي صغير الى شاب يافع وبدأت اخطو بعض الخطى في قراءة الادب والتعرف بالادباء التجيين عن بعد وعن قرب وصرت ارتاد المجالس واسمع ما يدور فيها من احاديث أدبية وطرائف فنية ومناظرات ومساجلات يرجع اليها وحدها فضل صقل الذهن ونمو القابليات الفكرية والفنية عند المتأدبين فتعرفت عن طريق هذه المجالس بالكثير من الادباء الذين ماتوا ولم ادر كهسم ، والادباء

الاحياء الذين كان يتألف منهم الرعيّل الاول من ائمة الادب التجفّى وكنت ادى كيف كان هؤلاء يدخلون المجلس وكيف كان يحتفى بهم ، ويبالغ فى احترامهم ، ويهس البمض من الشبان فى اذن البمض بان الداخلى الى المجلس انما هو فلافن صاحب القصيدة العصماء الفلانية ، والمساجلات الادبية المعروفة ، ويكاد اللبس كلهم يعرفون لاولئك مزاياهم حتى وان كانوا قد هجروا تماطى الادب وزهدوا فيه ، ذلك لان كثيرا منهم ولاسيما العلماء كان يطلق قول الشعر ويصفى حين يضح اول قدم له فى مرحلة الكهولة ومع ذلك فان ذكريات شبابه الادبى تظل شاغلة اذهان الادباء والمتأدبين على قدر مالها من قيمة فى عالم الادب ، وفى هذه الذكريات يكون الشيء الكثير الذى يحفظ ولا ينشر من مساجلات ، ومناظرات ، ومدائح وغزل ، ومهاجاة واقعية وغير واقعية ، ودعابات لها قيمة كبيرة فى بناء الادب الحى وكان الشيخ عبدالكريم الجزائرى فى شبابه وحتى الى اوائل دور الكهولة من هذه الزمرة فى الطليعة وقد ترك حين طلق قول الشعر الكثير من الانار التى تستشهد بها التجف فى موضع الاستشهاد الفنى فكان لشعره ثمن كثيرا ما حمل الادباء على مدارسته والتفكه بمناوشاته وتحرشاته الشعرية .

وكانت مجالس التهانى والاعراس ، ومجالس الفواتح والتأبين والمناظرات والمساجلات التى كثيرا ما يثيرها التباهى والتنافس والدعابة والتفيس عن النفس هى السوق الذى يستغله الادباء ويتخذون منه مناسبة لمرض متوجههم الادبى فى التجف ولشد ما كان يفرح الشعراء حين يسمعون بعرس احد الوجهاء وخصوصا اذا كان هذا الوجيه ادبيا ، ولشد ما كانوا يفرحون حينما يسمعون بموت احد العلماء او الافاضل لان مباراة الشعر ستكون باوسع حدودها حتى وان لم يكن للشاعر كبير صلة بالعريس او الميت ، فقد كانوا يخلقون المناسبة خلقا ، وكانت هنالك طبقات وجماعات كل جماعة تضمها حلقة مستقلة يجمع بين افرادها التجانس النسبى ، وكان الشيخ عبدالكريم الجزائرى جزءا من حلقة تضم الشيخ جواد الشيبى والسيد جعفر الحلى والشيخ اغا رضا الاصفهانى والسيد باقر الهندى

والتشيخ هادي الشيخ عباس واخرين ليرين وان لد واحد من هؤلاء وهم في دور اشتباہ عما من اعلام الادب الحى ، ولانت انتك وافلاسه الاديه تلازمهم حتى في اشد الازمات فقد دنوا مرة في الدوفه وقد نزنوا النهر سسابعين ولم يلتفتوا الا وقد اخذ الموج السيد جعفر الحللى واعرفه ، ولم يكن احد منهم يعرف السياحة فعلا صراخهم وعويلهم طالبين النجدة وسمع هذا الصراخ رجل هناك من ال مواش يعرف سليمان ال كريم ، فاندفع الى النهر وبجهد جهيد انقذ السيد جعفر الحللى من الغرق فكان هذا الحادث موضوع مباراة بين تلك الحلقة عملت فيها الظرافة والدعابة عملها حتى السيد جعفر نفسه قد اسهم في تلك المباراة وكان من نظمه وهو يصور منقذه سليمان ال كريم قائلا :-

فسخر الريح سليمان له من ال مواش كريم معرفه

ثم انتهى آخر البيت من شعره بتاريخ هذه الواقعة وقد تضمنت القافية هذا التاريخ بكلمة واحدة هي (يفرقه) واقسم السيد جعفر ان التاريخ قد صنعه وهو بين الحياة والموت ولم يخرج الى البر ويتنفس حتى كان قد اكمل التاريخ ، والغريب في الامر ان تاريخ هذه الحادثة التي تجتمعها كلمة (يفرقه) في حساب الجمل وهو سنة ١٣١٥ هجرية هو نفسه الذي صار تاريخ وفاة السيد جعفر الحللى فقدمات الحللى في تلك السنة نفسها التي ارخ فيها تأريخ مماته بنفسه !!٠٠

والدعابة عند النجفين بوجه عام وعند الشعراء بوجه خاص تكاد تكون طبيعة ثابتة ، وان الشعر النجفى الخاص مشحون بالوان من تلك الدعابات التي قد تفرغ احيانا في قالب من الهجاء المقذع بينما هي ليست غير دعابة ومزاح يحسن النجفى تمييزها ويصنفق لها حتى وان كان هو المقصود منها بالذات .

سأل مرة احد شيوخ اسرة كاشف الغطاء الافاضل : السيد محمد القزوينى
- وآل كاشف الغطاء هم اخوال آل القزوينى - لقد سأله جادا -
- ترى من هو العلوى الذى تناول التاريخ خوولته بالطنم والتلب من حيث

النسب ؟

فاجاب السيد - يا!!

وكان بين الشيخ عبدالكريم الجزائري وبين السيد جعفر الحلبي كثير من هذه الدعايات المفرغة في قوالب يخالها السامع هجاء مرا في حين ليست باكثر من صور للمزاح عند الشباب من شعراء النجف في الجيل الماضي الذين كان يموزهم التنفيس عن النفس في بلد قاحل كالنجف لا ماء فيه ولا خضرة ولا رواء فكانوا يستمضون عن كل ذلك بالشعر وبالمزاح وما اصدق قول احمد الصافي مرة اخرى في وصف النجف حين يقول :-

صدق الذي سماك في وادي طوى يا دار بل وادي طوى وعراء
جلست على الانهار بلدان السورى فعلام انت جلست في الصحراء

قرأ مرة الشيخ جواد الشيبسي ابياتا له كان يزعم ارسالها الى السيد جعفر الحلبي - وكان الحلبي يومها في زيارة لاحدى قرى الحلة - وكانت الايات فائبة القافية فوجد فيها الشيخ عبدالكريم الجزائري مناسبة مستلحة لاعادة نغمة (الكشفية) على سبيل المزاح ، والكشفية مذهب كان بعض اصدقاء السيد جعفر الحلبي ينسبونه له فكان الحلبي يهيج ويشتم ويتصل من الكشفية ويرميهم مقابل ذلك بما يجرى على لسانه فيضحكون ، وقد اخذ الجزائري الايات الفائبة من الشيخ الشيبسي ودس فيها هذا البيت :-

لئن اكشف غطاء الهجو يوما لساءك جعفر الحلبي (كشفي)

وليس من شك ان الشيبسي قد اشار الى السيد جعفر الحلبي بان البيت مدسوس من الشيخ الجزائري توقيا من هجوم الحلبي العنيف عليه وخوفا من شتائه . وبعد ايام تلقى الشيخ جواد الشيبسي رسالة من السيد جعفر وفي ضمنها البيتين التاليين :-

نح عبدالكريم عن حلبة الشمر فعار على ذوى الالباب
أعليك الحياول ويحك قلت فشددت السروج فوق الكلاب

ولم ينتشر هذان البيتان الا على لسان الشيخ عبدالكريم الجزائري نفسه . .
وبمناسبة هذه الدعاية اذكر ان الشيخ محمد جواد الجزائري كان قد
عارض قصيدة الطلاسم لابي ماضي التي ينهى فيها ابو ماضي كل مقطع من موشحه
بكلمة (لست ادري) ، لقد عارضها الشيخ محمد جواد الجزائري بقصيدة على نفس
النمط معارضة رد فيها على فلسفة اللا ادريين ، وانهى كل مقطع من الموشح
بكلمة : (انا ادري) وما كاد الشيخ محمد جواد الجزائري ينشر هذه المعارضة
حتى تلقى رسالة في البريد وفيها بيت مفضل من التوقيع يقول فيه صاحبه :-

انت مجنون ولكنك لست تدري انا ادري

وليس من شك ان الشيخ محمد جواد الجزائري لم يتلق البيت تلقى الرضا
وليس من شك انه لم يرتح من قائله ولكنه ما كاد يعرف فيما بعد ان قائل البيت
هو الشيخ على الشرقي حتى سكن وراح يروي الحكاية بنفسه لانه يتقن ان المزح
في هذا القول هو الهدف الاول لقائله خصوصا اذا علمنا ان الشيخ على الشرقي كان
ممن درس على الشيخ محمد جواد الجزائري بعض الحين .

ولست ادري من قائل هذا البيت مزاحا في آل الطريحي ؟ ولكني ادري ان
آل الطريحي انفسهم لا يحجمون عن الاستشهاد به اذا ما دعت المناسبة وهو :-
اذا شئت الدلاوة تشتريها فقم واستق من بيت الطريحي
ذلك لان الدعاية او الروح الرياضية تكاد تكون صفة ملازمة للتجيين كما
ذكرت :-

ومن المؤسف ان يفوت مؤرخي الادب التجفي تسجيل مثل هذه الصور
فيفوتنا بسبب ذلك الشيء الكثير من ابرع وادوع الصور الادبية التي كانت تؤلف
جانبا له قيمته الكبرى في تعيين مدى الاستمداد الفني والملكات والمواهب عند الاديب
التجفي في الجيل الماضي .

* * *

وكنا نحضر مجالس الاعراس والفوائح بقصد الاستماع الى ما كان يتلى فيها من الشعر ونكى نرى كبار الادباء عن كتب ونسمع تعليقاتهم على ما كان يتلى هناك، فقد جرت العادة ان تكون هذه المجالس عامة في مثل هذه المناسبات ، وكنا نعالج تقنية القصيدة المنشودة ، بان نعين القافية قبل وصول المنشد اليها بكلمة ، واحيانا نعين القافية ومنشد الشعر لم يزل في صدر البيت من انشاده متوصلين اليها من سياق المعنى ومقتضيات الشعر بل كثيرا ما كنا نتخذ من التقنية وسيلة تسلية وأس كما قد اشرت الى ذلك في مكان آخر من هذه الصور وانى لاذكر مرة ان مهدي الجواهري وكنا حوزة واحدة قد راهن بان يقفى من كل عشرة ابيات ثمانية ابيات من أية قصيدة وعرة القافية لم يسبق له ان قرأها من قبل كائنا من كان شاعرها على ان يكون الرهان نصف اقة او ما يقاربها من حلالة كانت تعرف بالحلاوة المسقطية وكان لمهدي الجواهري مثل هذا الرهان فيما يتعلق باستظهار الشعر ، وتم الاتفاق فاستطاع ان يقفى الشعر بنسبة تسعة ابيات الى عشرة وكسب الرهان وأكلنا الحلاوة معا .

اجل لقد كنا نرى ونسمع كيف كان يقفى الذين سبقونا في نضجهم الادبي ، وكيف كانوا يعترضون طريق الانشاد اذا ما ورد البيت مفلوطا من حيث لفته واعرابه ووزنه ، وكيف كانوا يصححون البيت آتيا وبدون تأخير فيستلفتون بذلك الانظار الى قابلياتهم ومواهبهم ، وقد تحدث بسبب هذه الاعتراضات مناقشات طويلة فتستمر اياما تقلب فيها المعاجم والنكب التاريخية والدواوين الشعرية رأسا على عقب بنمة التحقيق والبحث عن اصل هذا الاعتراض وصحته، وقد عجمت هذه المجالس اعواد مراتديها في الادب وجعلت لهم اذهانا حادة لفهم اية إشارة ادبية واردة مهما خفيت خصوصا في الجناس والتورية والتواريخ الشعرية التي كثيرا ما تضمنت وجوب حذف عدد أو أكثر أو إضافة عدد أو أكثر الى التاريخ الشعري ليستقيم التسايرخ وينطبق على السنة المطلوبة فكان الجميع يدركون المقصود في الغالب بدون اى عناء .

حدث ذات مرة الشيخ عبدالرضا الشيخ راضى :-

ان السيد محمد العاملى وهو صديق حميم للشيخ عبدالكريم الجزائرى كان قد تزوج بالسيدة (هدى) فكانت مناسبة اديبة حملت الكثير على المباراة فى التهانى الشعرية بالنظر لمقام آل العاملى الادبى وكان الشيخ عبدالكريم الجزائرى من ضمن المتبارين وقد زاد الشيخ الجزائرى فيما فعل بان انهى البيت الاخير من قصيدته بايراد تاريخ الزواج فى الشعر ولكن حساب تاريخه الوارد فى عجز البيت كان يزيد اربعة على السنة المعينة لذلك كان قد تدارك الامر و اشار الى هذه الزيادة فى صدر البيت اشارة فنية وجعل التاريخ يتضمن اسم العروس تورية فكان بيته كما يلى :-

مذ طاح قلب (هدى) فى عرسكم جدلا

ارخت شمس (هدى) زقت الى القمر

قال الشيخ عبدالرضا : فصاح احد الادباء الحاضرين وكان قد حسب التاريخ آتيا وفاته الاشارة البديعية فظن ان فى التاريخ زيادة قد فاتت الشاعر لقد صاح هذا الاديب باعلى صوته فى المجلس :-

- ان فى هذا التاريخ زيادة قدرها اربعة اعداد ، ووجم المجلس
وانشغل بالحساب بعض من لم يلتفت للاشارة فى حساب التاريخ ، ولكن الشيخ جواد الشيبى قطع هذا الوجوم بان صاح موجها الكلام للمعرض - قائلا :

- ولكن فهمكم للاشارة ينقصه اربعة ليستقيم التاريخ .

ودوتى المجلس بالضحك وما اسرع ما استوضح الذين لم يلتفتوا لهذه الاشارة فاوضحها لهم الآخرون ، وكان الدكتور عبدالرزاق محبى الدين حاضرا مجلس الشيخ عبدالرضا وهو يروى هذه الحكاية فى معرض الحديث من التواريخ الشعرية وما تستلزم من ادراك فنى حين يكون فيها شىء من الزيادة او النقصان فقال الدكتور عبدالرزاق وهو يضحك -

- يبدو ان فهمى يتقصه ثمانية ليستقيم الحساب لانى انا الاخر لم التفت
للكلمة .

وهنا شرح الشيخ عبدالرضا الاشارة البديعية فالمقصود (بقلب هدى) هو حرف
الدال الذى يؤلف القلب وهو الوسط من كلمة (هدى) والذى يساوى حسابه
اربعة فاذا (طاح) هذا العدد وحذف من مجموع المعجز من البيت فى قوله :
مذ طاح قلب (هدى) فى عرسكم جذلا

ارخت شمس هدى زفت الى القمر

يكون مجموع ما بقى هو تاريخ السنة التى تم فيها عرس السيد محمّد
العاملى .

وعلى ان الشيخ عبدالكريم الجزائرى قد طلق قول الشعر مع الشباب فقد
ظل الكثير من الادباء يروى الشيء الكثير من شعره دليلا على ماكان يمتاز به شعر
الجزائرى من براعة التصوير ، وجمال الاخراج ، وعمق الفكرة ، وقد ظلت
قصيدته فى رثاء المرجع الاكبر السيد حسن الشيرازى متلوة على افواه الكثير من
متبعى الشعر لسلاستها وحسن صياغتها ومن هذه القصيدة قوله :-

أصبت بسهم واترة النسايا	فيا اخطى البرية من اصاها
أرى كاسا سقيت الحنف فيه	تحسنى منه كل الناس صاها
فلو ان الدموع تبل وجدا	لاجريت الدموع حتى مذاها
ولو رد المنون هديل نوح	لصيرت النخين عليك دابا

ويوم رأيت الشيخ عبدالكريم الجزائرى لأول مرة بعد ان ملأت مسموعاتى
عنه كل فراغ فى نفسى دهشت ، لقد دهشت لانى لم اجد الرجل كما كنت اتصوره
عملاقا بدينا ذا صوت أجش خشن كما ينبغى ان يكون العظماء فى مخيلة السذج
البسطاء وانما رأيت رجلا نحيفا هادىء الصوت رقيق الحاشية فى صورة جذابة
ذات سحر خلاب ، وظللت بعيدا من حيث الدنو منه ، قريبا من حيث مسموعاتى
عنه ، وعن مجلسه العامر بما يسد حاجة الوطنى ، والعالم ، والاديب ، حتى بعنا

دارنا الاولى ، واشترينا احدى دور اسرتنا المتصل بعضها ببعض ، واتى لاتصلها
عن دار الشيخ عبدالكريم الجزائري غير ثلاث دور لاغير ، وحتى قامت قيامة
السيد صالح الحلبي في وجه المصلح السيد محسن الامين الداعي الى حرمة التطبير ،
وما كان يجري في شهر محرم من كل سنة باسم عزاء الحسين من ضرب السلاسل ،
ودق الطبول وانصوح ، فكان الشيخ عبدالكريم الجزائري في مقدمة مؤيدي السيد
محسن الامين بعد المرجع الروحاني الكبير السيد ابي الحسن الاصفهانى ، ولكن
الاكثرية المطلقة من العلماء واناس وفي طليعتهم السيد صالح الحلبي الخطيب
المعروف بلباقته وقدرته على تسيير دفة الدعاية كانوا ضد حركة الاسلح اتى
نادى بها السيد محسن الامين فلم يكن في ميدان الدعوة الاصلاحية الا فئة قليلة من
بعض العلماء وفئة من الشباب لاحول لها ولا قوة الا فيما كانت تكتبه من المقالات
وتشره في بعض الصحف العراقية والبنانية وفي وسائل قام بتأليفها ونشرها الشيخ
محمد الكنجي مما كانت تعد اكبر اثر نسبي في القضية .

وكان لابد لهذه الاقلية المؤيدة لفكرة الاصلاح الديني ان تتكلم ، وان يتعرف
بعضها ببعض ، فكان الشيخ محمد جواد الجزائري هو المحور لهذا التكتل وما كنت
واحدا من الشباب المتحمسين لفكرة الاصلاح التي نادى بها السيد محسن الامين
فقد الفيتي في زمرة آل الجزائري وتحت شعاع الشيخ محمد جواد الذي كان
يساكن اخاه الكبير الشيخ عبدالكريم في بيته ويشاركة في مجلسه .

وبدأت اتردد على بيت الجزائري واحضر مجلسه منذ ذلك اليوم تردد
الغريب المتهب على رغم اني كنت اعلم ان ابي قلما فارق مجلسه واتى كثيرا ما التقيته
عنده ثم صار ترددى على الجزائري تردد الجار القريب ، ونم يطل الزمن حتى
صار ترددى عليه تردد الصديق الحميم ، وعلى الاخص حين اصدرت جريدة
(الفجر الصادق) ، وحين وضمت نصب عيني محاربة السيد صالح الحلبي ، وحين
تبينت الدعاية للدعوة الاصلاحية على اوسع وجوهها وعلى قدر ما كانت تصل اليه
بدي طبعا .

وبلغ قربي من الشيخ الجزائري ان صرت اناقشه رأيه ، واعلن له مخالفتي
اذا وجدتني مخالفا لرأيه في شيء ولقد شجصني فاعطاني شيئا من الحق والايثار
في ان اتوسط لديه ، ولست بناس ما كان قد حدث بينه وبين السيد جعفر حمندى
من سوء تفاهم ربما كان من الصعب ان يزول لو كان قد ترك لشأنه زمنا اطول
وتوليت انا بناء على رغبة السيد جعفر حمندى التوسط في الامر ، وصحبت السيد
جعفر الى بيت الشيخ الجزائري وكان هناك اعتذار من حمندى ، وظرف وتندر
وتفكه من الجزائري ، شأنه في اغلب مجالسه العامة .

وحدث بينه وبين الحاج محسن شلاش شيء مثل ما حدث بينه وبين السيد
جعفر حمندى وأكثر بعد صداقة متينة كانت قد امتدت جذورها الى سنوات بعيدة
ودعاني الحاج محسن شلاش ذات يوم وقص على ما كان قد وقع بينه وبين الشيخ
الجزائري من جفوة ، وقال انه لم يشأ ان يسعى لازالة ما قد علق بذهن الشيخ
عنه قبل اليوم لانه - اى الحاج محسن - كان وزيراً فضحى ان يحمل تودده للشيخ
على سبيل الحاجة ، اما اليوم وقد خرجت من الوزارة - كما قال - فليس ثمة ما يحمل
توددى على شيء وانا اريد ان تمهد لى الامر فازور الشيخ وانت معى . . . فكان
الذى اراد . . .

واشدت ثقة الجزائري بى حتى لقد كان يمر بى فى البيت اذا ما خطر له
خاطر فنبحت مما امورا كان يعتقد - مصيبا كان ام مخطئا - ان لى فيها خبرة ورأيا ،
وإذا لم يجدنى هناك اوصى لى بان اقصده فى بيته ساعة وصولى الى البيت .

وحين اقتضت سياسة الحكومة ان تفرض الرقابة على بيته ، وان تصارح الناس
برغبتها فى الابتعاد عن مجلسه ، فر الجميع فلم تعد ترى الا واحدا او اثنين فى
عرض الاسبوع ممن يمر به دقائق معدودات ليسأل عنه ، وفى هذه الفترة كنت من
اكثر الناس اتصالا به فلا اكاد افرغ من تناول العشاء فى اغلب الليالى حتى كنت
اقصده فى بيته فاجده وحيدا او مع أخيه الشيخ محمد جواد فتقضى قسطا من الليل
بالاحاديث المختلفة ، ودعاني الشيخ محمد جواد الجزائري مرة للاسهام معه

فى قضية سياسية نم استسغها فامتعت وغضب على ، وحاول احتقارى غير مرة فلم
اهتم ، وقد ظهرت بمظهر من لا يعنيه الرضا والنضب واحسن الشيخ عبدالكريم
مرة بهذه الجفوة الحاصلة بينى وبين أخيه وانا عنده وفى بيته فكشف لى ولاخيه
عن احساسه وطلب ان نذكر له السبب ، أما انا فسكت ، واما اخوه فقد قال والشرر
يقدم من عينيه - قال :

- انه - وهو يعينى ويشير الى - يختلف عن اخيه عباس فى كل شىء .
فقال الشيخ عبدالكريم - وانا يا اخى اختلف معك فى كل شىء واى اخ
لايختلف مع اخيه فى الجيلة والطيمة والخلفة ؟ لابل متى اتفقت انا واياك لتطلب من
جعفر ان يتفق مزاجه ومزاج اخيه ؟ . . .

والحق انهما كانا يختلفان فى كل شىء وعلى الاخص فى طريقة معالجة
الامور وفى الحلم والنضب وكل شىء آخر وكثيرا ما كان الشيخ محمد جواد يلقف
الحديث من اخيه فى المجلس ليسير به فى الاتجاه الذى يعاكس اتجاه اخيه وعقيدته ،
وفى هذا المكان لاتسمع من الشيخ عبدالكريم غير حوقلة يردددها مع شىء من هزة
الرأس علامة عدم الرضا ، ويظل يحوقل حتى يسكت الشيخ محمد جواد ، وكم
كان يبدو برما حين يكون عنده أحد رجال الدولة وهو يحاول ان يعالج امرا باسلوبه
الخاص فيتلقف الشيخ محمد جواد الحديث ويحيله الى ثورة يخرج بسدها
الشخص الزائر وهو غارق فى بحر من النخجل ، ولا يمنع الشيخ عبدالكريم
وجودى انا - اذا كنت موجودا - ان يلوم اخاه بمحضر منى حين يخلو المجلس
ويؤاخذه على طريقة اشتراكه فى الحديث ولكن الشيخ محمد جواد أتون
مشتمل ، لايمكن ان يخفف اللوم من حرارة ايمانه وطريقة حديثه وان جاء اللوم من
اخيه الاكبر ، وهو على خلاف طبيعة اخيه الدافئة الحليمة التى تغفر الزلة وتخلق
العذر للخطاب الفاضل لتحيبى فيه الرجاء من جديد .

وذات يوم والشيخ محمد جواد فى مثل هذا التجهم والمزاج الحاد وجه الى
الشيخ نورى الجزائرى - وكان الشيخ نورى حينذاك صيا وفى اول مراحل

تعلم النحو - لقد وجه اليه بيتا من الشعر ليعر به ، فتلجلج الشيخ نوري واصفر لونه
 ••••• ولمح الشيخ عبدالكريم المشهد فقال يخاطب اخاه الشيخ محمد جواد :
 • والله لو انك لقيت سيويه بمثل ما لقيت الشيخ نوري وانت تلقي عليه
 السؤال بمثل هذه الصرامة والحملقة وجحوظ العينين لارتج عليه ، ولا ضاع طريق
 الصواب ، فما حال الشيخ نوري وهو صبي ولم يقرأ النحو الا منذ شهر ؟ •
 وكنت ذات يوم عنده وتطرق الحديث الى احد الزعماء وكان قد ارتكب خطأ
 لا يمكن ان يرتكبه شخص في مثل تجربته واختباره ومركزه وقد أنجيت انا عليه
 باللائمة ، وكان الشيخ محمد جواد حاضرا فايدنى واندفع بما عرف به من بلاغة
 وفصاحة وحلاوة حديث يصور خطيئة ذلك الزعيم تصويرا بارعا وحين سكتنا قال
 الشيخ عبدالكريم :

- الامر طبعى جدا فان كل انسان مهما تقدم فى العمر وعجم اندهر عوده
 وكثرت تجاربه فان تاحية من الطفولة تظل كامنة فيه فلا تستنبوا اذا بدرت ذات
 يوم من كبير بادرة تدل على هذه الطفولة وخذوا الصبرة من نفسى فقد عدت ذات
 يوم من الحرم الشريف بعد ان اديت الصلاة وادى خلفى المؤمنون صلاتهم
 حتى اذا كدت ابلغ البيت ألفت فى الطريق قطعة فحف من جرة مكسورة ، وقد
 جذبنى وضعها من حيث ظهور سطحها المحذب الى الاعلى واتصاب هذا القحف
 من الخزف على هيئة نصف قبة صغيرة فى وسط الشارع ، ولذت لى ان اسحق هذا
 القحف بقدمى لمجرد سماع طقطقته وهو يتكسر ويتفتت تحت قدمى ، وهكذا فعلت ،
 وظللت نحو دقيقة وانا اضغط. بقدمى على سطح القحف وهو يتكسر وانا مثلذ بهذه
 الطقطقة الموسيقية التى لا اشك انها من بقايا لذائذ الطفولة ونحن نسحق
 مثل هذه الاقحاف فى الشوارع وما كدت اخطو خطوة او اثنتين حتى اتبعت الى
 نفسى •

- ترى ماذا يسمى مثل هذا العمل اذا لم يسم بالعمل الصياني ؟
 ان شيئا كبيرا يشغل مقاما روحانيا وقبل بضع دقائق كان يأتم به العشرات
 من المقتدين به والؤمنين برجحان عقله يقفه فحف من كوز مكسور فى قارعة

الطريق فيتخذ منه لعبة يلهو بها ولو لمدة ثوان ٠٠٠ بماذا ترى يفسر مثل هذا اذا لم نفسره بتيقظ روح الطفولة في الانسان ؟

وهنا انتفت لي ولاخيه وقال :

- لا نوم على الرجل اذا ما تيقظت روح الطفولة في نفسه ذات يوم فأتى بعمل الصق بالصبيان منه بالرجال وانما يجوز اللوم اذا تعدد مثل هذا التيقظ وكثر ٠٠٠ قال ذلك وهو يضحك .

والشيخ عبدالكريم الجزائري يكاد ينفرد ببعض ما يستعمل من الكلمات والاصطلاحات فيتنقى اجمل الكلم ويصوغها اجمل صياغة فاذا اقسام مثلا فانه يقول :

« وانله الذي لارب سواء »

واذا استقبل زائرا مثلا قال -

« أضاء البلد »

واذا عزى احدا في مصيبة قال -

« احسن الله لك العزاء »

ولكنه لايجمد على مثل هذه التراكيب وانما يتكرر الاقوال المناسبة في وقتها بحيث تظل كلمته راسخة في الذهن فقد التقاني مرة وأنا اضع نظارة سوداء على عيني فقال لي :

- ارجو ان تكون هذه النظارة (للغوه وللوهو ، وليست للدوه) .

فقلت : وهي كذلك ، وزاد تعلقى به فزاد نطفه على وغمرني بمحبته ، واعطاني من عطفه الشيء الكبير الذي طالما اعتزرت به ، وكثيرا ما اتخذت من هذا العطف وسيلة لقضاء بعض الحاجات للناس عنده ، وحين ازممت النية على الانتقال من النجف الى بغداد كان الشيخ عبدالكريم ممن عارض ومانع وحاول بكل جهد ان يحول بيني وبين هذا الانتقال ولكني كنت مصمما فودعني بكلمة واحدة لاتزال طالقة بذهني وهي قوله -

- خاز الله لك في الامر *

واقطعت عن زيارة النجف طويلا وحين كان يتاح لي ان ازور النجف كان اول عمل اعمله هو ان ازور الشيخ عبدالكريم الجزائري في مجلسه ، فلا اجد روحيا اشد من ترحيبه وهو يلتقيني ، ولا فرحة اوسع من فرحتي وانا التقيه *
وكانت لي في النجف قطعة ارض وهي كل ما بقى لي فيها من روابط مادية شاءت الظروف ان تقطعها فسافرت قبل شهر قليلة الى النجف لبيها ، ومررت كالعادة بالشيخ الجزائري ولشد ما حزنت ان رأيت صحته قد تدهورت ، وان نقل المائة من السنين التي قضاها في خدمة متواصلة للمراق عن طريق السياسة ، والعلم ، والايمان الوطني الخالص ، كان قد ظهر باشد ما يظهر على صحته وتمثل لي الماضي كله ففاضت عيناى بالدموع ، وترآمت لي انى لم آت لاقطع علاقتى بالنجف من الناحية المادية فحسب ، وانما اوشك ان اقطع علاقتى الروحية بها ، وهي كل ما املك من لذة في هذا الوجود القاحل ، فلقد كان الشيخ عبدالكريم كل ماضى النجف الروحي وصورته الحية وكان اخر من مثل السلف الصالح وختم تلك السلسلة المتصلة الحلقات بحكاية قل من استطاع ان يحكيها مائة سنة واكثر كما حكاهها الشيخ عبدالكريم الجزائري *

وقيل زيارتى الاخيرة له كان قد اذاره صديقى السيد احمد الهندي وحين سألته الهندي عن صحته قرأ الجزائري عليه هذا البيت الفارسي :

دلّم گرفته بخدى كه فكر باغ ندارم

بحد انكه گلى بوكم دماغ ندارم

ومضى ذلك انى اعانى من انجاس الطبع وضيق الصدر بحيث يتعذر على حتى ذكر الخميلى وتصورها وتخيل ازهارها ، وبحيث يتعذر على حاسة الشم عندي حتى شم الوردة الذكية العطرة *

وهكذا انتهى الشيخ عبدالكريم وطواه التاريخ فطوى به صفحة من السجل

الحافل بالماآثر ، وجلائل الاعمال كما توقعت ذلك قبيل وفاته .
وفي بحة من الصوت الذى تخفقه العبرات وجدتنى اردد قول الجزائرى
نفسه فى رثاء استاذہ لاننى وجدته خير ما يصور لوعتى ويحكى وجدى وأنا اقطع
آخر علاقة روحية لى بالنجف -
فلو ان الدموع تبل وجدا لاجريت الدموع حتى مذابا
ولو رد المنون هديل نوح لصيرت الحنين عليك دابا
ولم تبقى لى من تلك العلاقة غير الذكريات المشحونة بالاهاات والالام
والحسرات .

اخذار

بالنظر لهدم امكان قيام المؤلف بالاشراف التام على تصحيح كتابه
هذا فقدمت فى الكتاب عدة اغلاط اقتضت المطبعة ان تستمىح عليها عفو
المؤلف وعفو القراء وغفرانهم .

مطبعة الزهراء

فهرست الاعلام

- ا -
- ابراهيم الاطيمش ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٤ .
 ابراهيم السالم ٣٤٤ ، ٣٦١ .
 ابراهيم العريض ١٣١ .
 ابراهيم الوائلي ١٥ .
 ابو الحسن الاصفهاني ٦٧ ، ٩٩ ، ١٢٥ ، ١٥٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٦ ، ٢٩٠ ، ٣٨٨ .
 احمد امين ١٥٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ .
 احمد الجليسي ٢٠٠ .
 احمد الصافي ١٣١ ، ١٨١ ، ٢٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٨٣ .
 احمد كاشف الغطاء ١٥١ ، ٢٢٧ .
 احمد المظفر ٧٧ .
 احمد الملا زكي ٩٩ .
 احمد نسيم سوسه ٣٣٤ .
 احمد الموسوي الهندي ١٠ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٩٣ .
 احمد الوائلي ٢٤٦ .
 ارشد العمري ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٤٨ .
 اسد خان ٤٢ .
 اسكندر حريق ١٢٤ ، ١٣١ ، ٣٥٩ .
 اسماعيل الخليل ٦٢ .
 اسود شير علي ٤٤ .
 اغا رضا الاصفهاني ٢٥٥ .
 اغا صدرى ٤٢ .
 اغا عباس ٤٢ .
 امان محيي الدين ٢٧٣ .
 امن خالص ٢٤٢ .
 امن الربحاني ٢٣٠ .
 امن الهلالي ١٣١ .
 انيس العامل ١٢٤ .
- ب -
- ناقر احمد الحسيني ١١٦ .
 ناقر حيدر ٨١ ، ٨٣ .
 ناقر الشيبيني ٣٧٨ .
 ناقر الهندي ٦٢ .
 برتداند رسل ٣٦٢ ، ٣٦٣ .
 بشاره الخوري ١٣١ .
- بهرور البناء ٢٧٨ .
- ت -
- تقي الشيخ راضي ٨٧ ، ٨٩ .
 تومان عدوه ١٩٥ ، ١٩٦ .
- ج -
- جابر الكرماني ٦٩ .
 جعفر الاعسم ٢٣٨ .
 جعفر بحر العلوم ٣١٨ ، ٣٢٠ .
 جعفر البديري ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٦١ .
 جعفر الحلي ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٨٣ ، ١٦٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ .
 جعفر حمندي ١٨٦ ، ٢٨٩ .
 جعفر الشيبيني ٧١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .
 جعفر الشيخ راضي ٦٥ ، ٣٠٦ .
 جعفر نقدي ٨٥ .
 جمال الدين الافغاني ٢٦٠ .
 جميل المدفعي ٢٣٩ .
 جواد الجواهري ٤٧ ، ٢٦٠ ، ٣١٦ ، ٣٧١ .
 جواد الحيدري ١٩٦ .
 جواد شير ٢٤٦ .
 جواد الشيبيني ٥٧ ، ٩٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٨٦ .
 جواد عليوي ٦٦ .
 جواد فاتي ٣٢٩ .
 جواد الطيب ١١٧ ، ١١٨ .
 جواد موسى ٢٠١ .
- ح -
- حسن الاسدي ١٩٧ .
 حسن الامين ٣٦٦ .
 حسن البجنوردي (الميرزا) ١١٤ .
 حسن الرفيعي ١٥٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ .
 حسن زيني ١٦٤ .
 حسن خصباك ٣٢٩ .
 حسن الشيرازي (الميرزا) ٥٨ ، ٣٨٧ .
 حسن الفراشي ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ .
 حسن الماقمقاني ١١٧ ، ١١٨ .
 حسن محمد علي ١٩٤ .
 حسين جريو ٢٠١ .

- حسين الخليلي (الميرزا) ٧ ، ٥٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ .
 حسين الصراف ٢٩٨ .
 حسين القزويني ٥٧ ، ١٥١ .
 حسين كمال الدين ١٩٦ ، ١٩٧ .
 حسين مروه ٣٦٠ .
 حسين النائيني (الميرزا) ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ٢٠٧ ، ٢٥٩ .
 حمدي ال حمدي ٩٠ ، ٩٥ .
 حمد السنني ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .
 حمودي عبدالمجيد ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ .
 حميد خان ٤١ .
- خ -
 حاجي البناء ٢٠٠ .
 خزعل (الشيخ) ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
 خوام العبدالعباس ٢٣٥ .
- د -
 داود السعدي ١٨٤ .
- ذ -
 ذو النون ايوب ١٣١ .
 ذبيان الغبان ١٨٦ ، ٢٣٥ .
- ر -
 رؤوف شلاش ١٦٦ ، ١٦٧ .
 رئيس (الحاج) ١٦٩ .
 رجب علي ٢٨ .
 رايح العطية (الحاج) ٢٣٩ .
 رشيد سليم الخوري ٣٦١ .
 رشيد الصوفي ١٨٦ .
 رشيد عالي الكيلاني ٢٣٦ .
 رشيد القرغولي ٣٣٤ .
 رضا الاصفهاني ٥٧ ، ٦٢ .
 رضا الهندي ٢٣ ، ٦٨ ، ٢٥٥ .
- ز -
 زلفا حريق ٣٦٤ .
- س -
 سالم الحسين ٩٠ .
 سامي خوند ١٨٤ .
 سعد صالح ١٨١ ، ٢٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ .
 سعد عباس علي دوشي ٢٩١ .
 سعد عمر ١٩٣ .
 سعيد الخليلي ٢٦٠ .
- سعيد عجينه ٦٩ .
 سعيد كمال الدين ٨٧ ، ٨٨ ، ١٨٢ .
 ١٨٨ ، ١٨٣ .
 سعيد ناجي ٦٨ ، ٦٩ .
 سلمان البراك ٢٠٠ .
 سلمان الصفواني ٢٧٤ .
 سلمان الفاضل ٣٧٢ .
 سمير الرفاعي ٣٥١ .
- ش -
 شاكر خصيباك ٣٢٩ .
 شعلي باشا ١٤٦ ، ١٤٧ .
 شكري بك ٣٣٢ ، ٣٣٤ .
- ص -
 صادق الكتبي ٤٩ ، ٥١ .
 صالح جبر ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .
 ١٩٨ ، ٢٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ .
 صالح الجعفري ٢٥٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .
 صالح الحلبي ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ .
 ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٣٣ ، ٢٧٧ ، ٣٨٨ .
 صالح حمام ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ .
 صالح الخليلي ٢٨١ ، ٢٨٢ .
- ض -
 ضياء بحر العلوم ٣١٥ ، ٣٢٠ .
 ضياء جعفر ٣٥٥ .
- ط -
 طفار (السيد) ٣٤٦ ، ٣٤٧ .
 طلب (السيد) ٢٠١ .
- ع -
 عاصم الحيالي ٢٠٠ .
 عباس الخليلي ٤٨ ، ١٠٣ ، ١٨١ ، ٣٢٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٩٠ .
 عباس شير ٨٥ ، ٨٦ ، ١٣١ .
 عباس عدوه ٧٥ ، ٧٦ .
 عباس علي الرماح ٣٧٢ .
 عباس كاشف الغطاء ٥٧ .
 عبادي الحسين ١٧٢ ، ١٧٣ .
 عباد ١١٧ .
 عبدالجليل العادلي ٢٨٠ ، ٢٨١ .
 عبدالحسن المشري ١٠٧ .
 عبدالحسن الجواهري ٥٧ ، ٦٠ .

- عبدالحسين الحلي ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،
 ٥٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٥٥ ،
 ٢٥٥ ، ٣١٨ ،
 عبدالحسين الحياوي ٥٨ ، ٥٩ ، ٢٥٧ ،
 عبدالحسين الخليلي ٣٢٩ ، ٣٣١ ،
 عبدالحسين الشيرازي ١٠٦ ،
 عبدالحسين شرف الدين ١٢٧ ، ٢٠٧ ،
 عبدالحسين صادق ٢٠٧ ،
 عبد الحميد السنيد ٩٠ ،
 عبد الحميد شلاش ١٦٢ ،
 عبد الحميد عبد المجيد ٣٤٨ ،
 عبد الحميد علي ٨٧ ، ٨٨ ،
 عبد الرحيم ابو شهري ٩٩ ،
 عبد الرزاق الازري ٥٤ ،
 عبد الرزاق السعيد ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،
 عبد الرزاق شمس ١٧٢ ، ١٨٥ ،
 عبد الرزاق الشيخ جعفر ٦٥ ،
 عبد الرزاق عدوه ٣٤٨ ،
 عبد الرزاق محيي الدين ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
 ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٣٨٦ ،
 عبد الرسول شريف ٣٤٤ ،
 عبد الرسول الشكرجي ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 عبد الرسول ١٠٣ ،
 عبد الرضا الشيخ راضي ٥٨ ، ٦٦ ، ٢٥٥ ،
 ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
 ٣٧١ ، ٣٨٦ ،
 عبد الستار القرغولي ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،
 عبد الصاحب السيد ادريس ٨٢ ، ٩٠ ،
 ١٨٩ ،
 عبد الظاهر ١٧٢ ، ١٧٣ ،
 عبدالعزيز الشواف ١٤٨ ، ١٥٠ ،
 عبدالعزيز القصاب ٣٤٣ ،
 عبدالغفار كاتبه ٢١٩ ،
 عبدالغفور البدرى ٥١ ،
 عبدالغنى الخضري ٨٧ ،
 عبدالغنى الشيخ جعفر ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
 عبدالكريم الجزائري ٤٧ ، ٥٧ ، ٧٤ ،
 ١٥٣ ، ١٦٧ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٥ ،
 ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٤٥ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦٩ ، ٣٨٦ ،
 عبدالكريم الزنجاني ٢١٨ ،
 عبدالله السبيني ١٢٧ ،
 عبدالله القصاب ١٨٨ ، ٣٤٣ ،
 عبدالله الماقمقاني ٢٦٠ ،
 عبدالله المقرم ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
 عبداللطيف الجزائري ٣٧٤ ،
 عبدالمجيد محمود ١٣١ ،
 عبدالمحسن القصاب ١٣١ ،
 عبدالمحمد ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
 عبدالمحمد زايد دهام ٦٦ ،
 عبد المنعم العكام ٨٦ ، ٢٧٦ ،
 عبدالمهدي المنتفكي ٩٤ ،
 عبد الواحد الحاج سكر ٢٣٤ ، ٢٣٨ ،
 عبد الوهاب الصائفي ٩١ ،
 عبد الوهاب المالكي ٢٦٤ ،
 عبد الوهاب محمود ١٩٩ ،
 عبد الهادي الظاهر ٣٤٨ ،
 عبود شلاش ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 عبيد آل عبد السادة ٢٣٨ ،
 عطيه ابو كلل ٢١٣ ،
 علي اغا ٤٢ ، ٤٣ ،
 علي البازي ١١١ ،
 علي بحر العلوم ١٢ ، ٦٨ ، ٣١٣ ،
 علي البهبهاني ١٦٤ ،
 علي ثامر ٢٨٣ ،
 علي جودة الايوبي ٢٣٩ ،
 علي الدشتي ١٨٢ ،
 علي الشرقي ٦٠ ، ٧١ ، ١٣١ ، ١٩٣ ،
 ١٩٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٣١٣ ، ٣٥٥ ، ٣٧١ ،
 علي العلاق ٥٧ ، ٥٩ ، ١٥١ ،
 علي القمي ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
 علي كاشف الغطاء ١٤٣ ، ١٥٢ ، ٢٢٧ ،
 ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
 علي محمود الشيخ علي ١٨٦ ،
 علي الخليلي (الملا) ٤٤ ،
 علي مردان ١١٨ ،
 علي ممتاز ١٩٩ ،
 علي الوردى (الدكتوراه) ٢٤٩ ،
 علوان الحاج سعدون ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،
 عمران الحاج سعدون ٤٩ ، ٥٠ ،
 عمران الدجيلي ١١٢ ، ١١٣ ،
 عيسى الخلف ١٧٢ ،

محمد تقى الشيرازى (الميرزا) ١١٤، ١٠١، ٣٧٨
 محمد جمال الهاشمى ٩١، ٨٦، ٨٥، ٩٢، ٢٨١، ٢٨٠
 محمد جواد الجزائرى ٤٨، ٣٢٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٨
 محمد جواد الشيخ راضى ٢٨٠، ٢٨٣
 محمد جواد قسام ١٧
 محمد جيون ٢٦٨
 محمد حسن حيدر ١٢، ٨١، ١٣٧، ١٨٨
 محمد الحسنى ٢٠٠، ١٨٩، ١٩٠، ٣٤٧
 محمد حسين الجواهرى ١٢، ١٥
 محمد حسين الشيبى ٧٥، ٧٦
 محمد حسين كاشف الغطاء ٧٤، ١١٠، ١٢٥، ١٥٤، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٥٥، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٦٠
 محمد حسين الكيشوان ٢٥٧
 محمد حسين المظفر ١٢، ٣٢٠
 محمد خشاف ٣٧٥
 محمد الخطيب (الملا) ٨٢
 محمد الخليلى ٢١٧، ٢٨٠، ٢٨٣، ٣٠٨
 محمد رشاد عجينة ١٦٤
 محمد رضا ذهب ١١٢، ١١٣
 محمد رضا الزين ٢٨٠
 محمد رضا الشيبى ٩١، ١٣١، ١٨٧، ٣١٩، ٣٧١
 محمد رضا الصافى ١٨٨، ٣٤٥
 محمد رضا كاشف الغطاء ١٤٣
 محمد رضا المظفر ٢٤٦، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٠٨
 محمد سعيد الحيوبي ٢٦، ١٦٣، ٢٥٥
 محمد السماوى ٣٢، ٧٢، ٧٣، ١٤٨، ١٤٩، ٢٥٨
 محمد شرارة ٢٦٠
 محمد الشريعة ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٨٠، ٢٨١
 محمد شلاش ١٧٨
 محمد طاهر الشيخ راضى ١٤، ٢٢٧، ٣٠٦
 محمد طه نجف ٢٠٦
 محمد العامل ٢٨٦، ٢٨٧

- غ -

غازى القصاب ٣٥١

- ف -

فاضل عباس معله ١٩٤
 فرحان حماده ١٣١
 فيصل الاول ٥٢

- ق -

السيد قاسم ٣٢٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٦
 قاسم محيى الدين ١٤، ١٩٢، ٢٤٠، ٢٧٣، ٣٠٤، ٣٠٥
 قربون على ٢٨٩

- ك -

كاظم الخراسانى (الملا) ١٠٩
 كاظم الخليلى ٢١٣
 كاظم السبتي ١٠٨، ١٠٩
 كاظم السودانى ٢٧٨
 كاظم صبي ١٠٩، ٣٧٢
 كاظم على بيع ١٢
 كاظم فاتي ٣٢٩
 كاظم القروينى ٨٧
 كاظم اليزدى ٤٧، ١٠٠، ١٠٩، ٣٦٠
 كامل الجادرجى ١٩٩
 كريم الحاج راضى ٣٧٢
 كلو الحبيب ٢١٦
 كمال عبدالمجيد ٢٥٠، ٣٤٩

- م -

مارى حريق ٣٦٤
 مجيد الصراف ٢٩٨
 مجيد كاشف الغطاء ١٤٧
 محسن ابو طيبخ ٣١، ٢٣٤، ٢٣٦
 محسن ابو غنيم ٣٧٢
 محسن الامين ٣١، ٦٩، ٧٤، ١٢١، ١٢٢، ٢٠٥، ٢٣٢، ٢٨٨
 محسن الحكيم ٢٥١، ٣٧٤
 محسن الخضرى ١٤٧
 محسن شراره ١٢١، ٢٠٩
 محسن شلاش ٤١، ١٥٩، ٢٨٩
 محمد الاردبيلى (الميرزا) ١١٨
 محمد امين عوض ٣٢٩، ٣٩١
 محمد باقر العظيى ٣٠٩

- مهدي الاخوند (الميرزا) ٤٧
- مهدي البهبهاني ١١٥
- مهدي زرندي ١٨١
- مهدي سميسم ٧١
- مهدي الصندوق ٢٠٠
- مهدي الفلوجي ٣٢٩
- مهدي القزويني ٢١٠
- مهدي المحلاتي ٤٩
- مير علي ٧ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ١١٥ ، ٢٦٨
- ٣٠٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢١
- ن -
- ناجي شوكة ٣٣٣
- نافع ١٨٥
- نافع (الملا) ٣٣٢ ، ٣٣٦
- نافع نصر ١٣١ ، ٣٦١
- الحاج نجم ٣٧٢
- نور الياسري ٢٩ ، ٣٠
- نوري الجزائري ٣٩٠ ، ٣٩١
- و -
- وداي العلي ٣٧٢
- وناس ٦٨
- ه -
- هادي الخضري ٢٢٩
- هادي الشيخ عباس ٥٧ ، ٦٢ ، ١٤٤
- ٢٥٥
- هادي الفياض ٢٨٠
- هاشم الزامل ٢٣٨
- هاكوب ١٢٦
- حبة الدين الشهرستاني ٢١٠
- هدي ٣٨٦
- ي -
- ياسين الهاشمي ١٨٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦
- ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٣٧٩
- يحيى قاسم ١٩٩

- محمد عبدالحسين ٥١ ، ١٨٢
- محمد عبده ٢٦٠
- محمد علي بحر العلوم ٤٨ ، ٣١٦ ، ٣٢٠
- ٣٧٣ ، ٣٧٢
- محمد علي الجعفري ٢٧٩
- محمد علي الحوراني ٨٧ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦
- محمد علي دمشقي ٣٢٠ ، ٣٧٤
- محمد علي الكاظمي ٨٦
- محمد علي كمال الدين ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٧
- محمد علي اليعقوبي ٢١٤ ، ٢٤٥
- محمد قره علي ٢٨٥
- محمد كاشف الغطاء ١٤٦ ، ١٤٧
- محمد كاظم الشيخ راضي ٢٧٤ ، ٢٨٠
- ٢٨٢ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦
- محمد مهدي الجواهري ٦٠ ، ١٨٧ ، ٢٢٩
- ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥
- محمد الهر ٣٧٥
- محمد الهندي ٣٠
- محمد الجبوي ٧٥
- محمد الخليلي (الميرزا) ٤٦ ، ٥٨ ، ٣٠٠
- مرزا بحر العلوم ٣١٥
- مرزا القزويني ٣٠٠
- مرزوق العواد ١٧٢ ، ٢٣٨ ، ٣٧٢
- مسعود ٤٤ ، ٤٦
- مشكور ٢٧٨
- مشكوف ٣٧٢
- مصطفى خان ٥٣
- مصطفى الصراف ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢٩١
- مدوح افندي ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧
- منصور حريق ٣٦١
- موسى شرارة ١٢٨
- موسى كاظم نورس ١٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
- ٢٦٠
- مولي الطريحي ٧٥

